صور من الدعوة الإسلامية في العهد النبوي

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

الباحث الأول في معهد دراسات الحديث النبوي (INHAD)

والمحاضر في قسم الكتاب والسنة

بالكلية الجامعية الإسلامية العالمية (KUIS) بسلانجور (ماليزيا)

زمزم

للطباعة والنشر والتوزيع

كراتشي. باكستان

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

صور من الدعوة الإسلامية
في العهد النبوي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يُمنَع طبع هذا الكتاب، أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير النقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من
زم زم للطباعة والنشر والتوزيع

All Rights are Reserved Exclusively in Favour of:

No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior write in permission of the publisher.

اسم الكتاب ـــــ صور من الدعوة الإسلامية في العهد النبوي

الطّبعة الأولى ـــــ ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ء

المطبع ـــــــ شركة زم زم للطِّباعة

الناشر ـــــــ زم زم للطِّباعة والنشر والتوزيع
كراتشي باكستان

شاه زيب سينتر بلصق جامع المقدس، أردو بازار كراتشي

هاتف: 0092-21-32760374

فاكس: 0092-21-32725673

بريد إلكتروني: zamzam01@cyber.net.pk

الموقع الإلكتروني: http://www.zamzampub.com

ويطلب أيضاً من.....

- مكتبه دارالزمان مدينه منوره
- دارالقبس للطِّباعة والنشر والتوزيع، الرياض: ٣٧٣
- دار الفرقان للنشر والتوزيع، الرياض: ١١٣٧٣

AL FAROOQ INTERNATIONAL
68, Asfordby Street Leicester LE5-3QG
Tel : 0044-116-2537640

Azhar Academy Ltd.
54-68 Little Ilford Lane
Manor Park London E12 5QA
Phone: 020-8911-9797

ISLAMIC BOOK CENTRE
119-121 Halliwell Road, Bolton BI1 3NE
U.S.A
-Tel/Fax : 01204-389080

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

صور من الدعوة الإسلامية في العهد النبوي

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

الباحث الأول في معهد دراسات الحديث النبوي (INHAD)
والمحاضر في قسم الكتاب والسنة
بالكلية الجامعية الإسلامية العالمية (KUIS) بسلانجور (ماليزيا)

زمزم
للطباعة والنشر والتوزيع
كراتشي. باكستان

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مقدِّمة الكتاب

إنَّ الحَمْدَ لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شُرور أَنْفُسِنا ومن سيّئات أعمالنا ، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وَحْدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

أمَّا بعد ! فإنَّ أصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها ، وكُلُّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكُلُّ ضلالةٍ في النَّار .

والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد الأوَّلين والآخرين ، صاحبِ الآيات الباهرات في خَلْقِه الكامل ، وخُلُقِه العظيم ، وعلى آلِه الخِيَرَة ، وصحابِتِه البَرَرَة ، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ ، ودَعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين .

وبعد : فإنَّ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى عمادُ حياة الأمة الإسلامية ، والقطب الذي يدور حوله نشاطُها وحياتُها ، وجدُّها وكفاحُها ، فهي الغايةُ التي خُلِقَتْ هذه الأمةُ لأجلها ، وبُعِثَتْ لصالحها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران : ١١٠] . ثم إنَّ الدعوة إلى الله مهمةُ الأنبياء والمُرْسَلين ووظيفتهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

لقد جاهد في سبيل نشر هذه الدعوةِ خاتمُ النبيِّين ، وأفضل المُرسَلين ؛ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، وأُوذي وعُذِّب في سبيل ذلك دون أن يضعف أو يستكين ، وكتُب السيرة حافلةٌ بالأخبار والآثار في ذلك . ثم استمرَّ بعده أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ في هذه المهمة الجليلة ، واستماتوا في سبيل نشر هذه الدعوة ، وخرجوا حاملين رايتها إلى بلاد نائية وأراضٍ شاسعة ، باذلين في سبيل ذلك من النفيس والغالي حتى انتشرت هذه الدعوة في أرجائها المعمورة .

فكان لا بدَّ للمعنيين بالدعوة الإسلامية أن يطَّلعوا على أخبار انتشارها في الصدر الأول ليعلموا المنهج الذي سلكه ، والحكمة التي اتَّخذها ، والأخلاق التي تحلَّىٰ بها صاحبُ ﷺ هذه الدعوة ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ ثم من بعده أصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لتكون لهم تلك الأخبارُ نبراساً في طريق نشر هذه الدعوة .

لذا رأيتُ من المفيد أن أُفرز من كتب السيرة وكتب تراجم الصحابة تلك الأخبارَ التي تتعلَّق بجهود نشر الدعوة وتحمُّل المشاق في سبيلها ، وأكثر ما أعانني فيما أردت كتاب « حياة الصحابة » للمحدِّث الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله تعالى .

كذلك رأيتُ من المفيد أن ألحق بمستهلِّ هذا الكتاب مذكِّرةً والتي كنتُ أعددتُها في مناسبةٍ علميةٍ ، والتي تحوي مختصرَ تاريخِ الدعوة إلى الله من لدن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل هـٰذا العملَ خالصاً لوجهه ، وأن يرزقني نعمةَ الإخلاص ، وحُسْنَ الختام ، إنه سميعٌ مجيب ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير .

كَتَبَه

دمشق : ٢٠ شعبان ١٤٢٩هـ المُعْتَزُّ بالله تعالى

أبو الحسن

سيّد عبد الماجد الغَوْري

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الباب الأول

الدعوة إلى الله

تعريفها وتاريخها وتطوُّرها

الفصل الأول : تعريف مصطلحات « الدعوة » و« الداعي » و« المدعو » .

الفصل الثاني : تاريخ الدعوة وتطوّرها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الفصل الأول

تعريف مصطلحات

« الدعوة » و« الداعي » و« المدعو »

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تعريف « الدعوة »

تعريف « الدعوة » في اللغة :

« الدعوةُ » في اللغة :

« الطلبُ ، يُقال : دعا بالشيء : أي : طلب إحضارَه ، ودعا إلى الشيء : أي : حَثَّه على قَصْده ، يُقال : دعاه إلى القِتال ، ودعاه إلى الصَّلاة ، ودعاه إلى الدِّين ، وإلى المذهب : أي : حَثَّهُ على اعتقاده وساقه إليه »[١] .

« الدعوة » في الاصطلاح :

ويمكننا استخلاصُ المعنى الاصطلاحي للدَّعوة من معناها اللُّغوي السابق وهو : الطلبُ والحثُّ على الشيء ، والسَّوْق إليه . . . » فيتضمَّن معنى الدعوة إلى الإسلام طلبَ الناس وسوقَهم إليه ، وحثَّهم على الأخذ به .

ولكي يشمل تعريفُ الدعوة الإسلامية مراحلَ الدعوة الثلاث : التبليغية ، والتكوينية ، والتنفيذية من جهةٍ ؛ ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام عامَّة ، وعملُ نبيِّنا محمد ﷺ خاصةً من جهةٍ أخرى . . أرى أن تُعرَّفَ الدعوة الإسلامية اصطلاحاً بأنها : « تبليغُ الإسلام للناس ، وتعليمُه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة » .

---

(١) المعجم الوسيط .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقد بَيَّن الله عزَّ وجلَّ عملَ رسولِه ﷺ ، الداعية الأول للإسلام وفصَّله بما يشمل هٰذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضعٍ في كتابه ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

فقد شمل قولُه سبحانه في هذه الآية الكريمة : ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ البيانَ والتبليغَ ، وهو العنصرُ الأول من عناصر الدعوة ، كما شمل قوله : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ التربية والتعليم ، كما شمل قولُه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ التطبيق والتنفيذ ؛ لأن الكتاب هنا : القرآن الكريم ، والحكمةُ هنا : السنة النبوية ـ كما ذهب إليه جمهور العلماء[١] ، والسُّنّةُ في حقيقتها (الطريقة) أي : طريقةُ تطبيق هـٰذا القرآن ، فقد أوضحت السنةُ للمسلمين طريقةَ تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات .

بيان حكم الدعوة :

اتَّفق العلماء على وجوب الدعوة ، اختلفوا في نوعية الوجوب ، هل هو على التعيين ، أم على الكفاية ؟ وتوسَّع كلُّ طرفٍ في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية .

استدلَّ العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلةٍ منها :

١ ـ بأنَّ لفظة « مِنْ » في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . هي : للبيان والتبين وليست للتبعيض ؛ وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية ، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلَّفين ، فتكون الدعوةُ واجبةً على كل فردٍ مسلمٍ بقدر استطاعته .

٢ ـ بعموم قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي ، ص : ٣٢ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ . فجعلت الآيةُ الدعوةَ سِمةً عامةً من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبةً عليها جميعاً .

٣ ـ وبقوله ﷺ : « مَنْ رأى منكم مُنْكَراً فليُغيِّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[١] . وإنَّ « مَنْ » من ألفاظ العموم فيَعُمُّ الحكمَ .

٤ ـ وبعموم قوله ﷺ : « ليُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، فإنَّ الشاهد عسى أن يُبلِّغ مَن هو أوعْى له منه »[٢] .

واستدلَّ العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلةٍ منها :

١ ـ بأنَّ لفظة « مِنْ » في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ . . . ﴾ الآية هي للتبعيض ، وذلك بقرينة الأدلة التالية .

٢ ـ وبقوله سبحانه : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

٣ ـ ولأنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنْكَر عملٌ يحتاج إلى علمٍ وبصيرةٍ بالشروط والأحوال ، وهذا لا يتوفَّر في جميع المسلمين ، فيكون الواجبُ على من توفَّر فيه الشرط ، فإذا قام بواجب الدعوة من توفَّرت فيهم الشروط ؛ سقط الإثم عن الباقين . إلى غير ذلك من أدلة .

وقد اختلف العلماء أيضاً في ترجيح أحد القولين على الآخر ، فمنهم من رَجَّح القول الأول ، ومنهم من رَجَّح القول الثاني ، ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات ما دام الخلاف خفيفاً ليس له من أثرٍ عمليٍّ كبيرٍ . .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر . . . برقم : (٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : « رب مبلغ أوعى من سامع » ، برقم : (٦٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثانياً : تعريف « الداعي »

تعريف « الداعي » لغةً واصطلاحاً :

« الداعي » في اللغة » :

هو القائمُ بالدعوة ، واسمُ فاعلٍ مِن : (دَعَا يدعو) ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة ، فيقال عمن عُرف بالدعوة : « داعية » .

« الداعي » في الاصطلاح :

أما في الاصطلاح : فيمكننا استنتاجُ المعنى الاصطلاحي لـ : « الداعي » من المعنى المختار للدعوة الذي سبق بيانه ، فنقول : الداعي هو : « المُبلِّغ للإسلام ، والمُعلِّمُ له ، والسَّاعي إلى تطبيقه » . فيشمل مصطلحُ الداعي مَن قام بأعمال الدعوة كلها ، أو بعمل من أعمالها ، إلا أنَّ الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو : الداعية الكامل .

فقد قال الله عزَّ وجلَّ عن رسوله ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] .

وجاء في القرآن الكريم : ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف : ٣١] .

كما يُمكن تعريفُ الداعي بأنه : « المسلم » مُطلقاً ؛ لأن الدعوة وظيفة كل مسلم ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ولكن التعريف الأول يبقى أولى ، وذلك لُوضوحه من جهة ؛ ولأن

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

المسلم قد يُقصِّر في وظيفته فلا يقوم بالدعوة ، ولا يكون داعيةً من جهة أخرى .

ميدان عمل الداعية :

أما ميدان عمل الداعية فقد قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، فهدفُ كل داعية محاولة نشر تعاليم الإسلام الصحيح ، وصبغُ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها ؛ وذلك بإشاعة الآداب والأخلاق والسلوكيات الإسلامية بين عامة الناس ، وإرشادهم إلى الخير ، ومحاربةِ الرذائل والمنكرات .

فضل الداعية إلى الله :

وأما فضل الدعوة إلى الله ، فيقول جلَّ شأنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، ففي هذه الاية أثنى سبحانه وتعالى على الداعية أنه لا أحدَ أحسن قولاً منه بدعوته إلى الحق وإنكار الباطل والتحذير منه ، وأمره أن يعلنها ويجهر بأنه من المسلمين . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الداعية ، منها ما رواه سهل ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك مِن أن تكون لك حُمْرُ النَّعَمِ »[١] ، وعن أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « من دَلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله »[٢] ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ؛ كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعَه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، برقم: (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ، برقم : (١٨٩٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ضلالة ؛ كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تَبِعَه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[١] ، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت في شأن الداعية فضلاً له وإشادةً به .

الصِّفات التي لا بد أن يتحلَّى بها الداعية :

وينبغي للداعية أن يتحلَّى ببعض الصفات الأساسية ، منها : التقوى ، والإخلاص ، والتواضع ، والحلم ، والعلم ، والقدوة ، والصبر على الأذى ، فخُلُوّه من أية واحدة من هذه الصفات يؤدِّي إلى عدم تأثيره في المدعو .

كما لا بد منه أن يتخذ في دعوته إلى الله منهجاً وسلوكاً وسبيلاً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر أن تكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكون الجدال بالحسنى ، وقال جلَّ شأنه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، فالمرادُ هنا بـ(الحكمةِ) : الحجة القاطعة المزيحة للشبه ، والمرادُ بـ (الموعظة الحسنة) : الكلام الصائب الواقع من النفس أجمل موقع بالأساليب المؤثرة ، وباللغة التي يفهمها المدعو حتى لا تبقى عنده شبهة ، حيث لا يخفى عليه الحقُّ ، وأما المراد بـ ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ : فيعني أن تكون المجادلة في الدعوة بالرفق واللين ، واختيار الوجه الأيسر ؛ لأن الناس متباينو الطباع ، مختلفو المدارك والأمزجة والمشاعر ، فمنهم العوام أصحاب نفوسٍ ضعيفةِ الاستعداد ، شديدةِ الإلف بالمحسوسات ، قويةِ التعلق بالرسوم والعادات ، قاصرةٍ عن درجة قبول البرهان ، لكن لا عناد عندهم ، وهؤلاء يُدْعَوْن بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم ، ومنهم من يُعاند ويُجادل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب من سنَّ في الإسلام سنة حسنة . . ، برقم : (٢٦٧٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بالباطل ليدحض به الحق ، بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر ، والرفق واللين ، بل لا بد من إقامة الحجج بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته ، وتزول شكيمته ؛ فهؤلاء الذين أمر سبحانه وتعالى بجدالهم بالتي هي أحسن . فهذا هو منهجُ الدعوة ودستورها ، مادام الأمر في دائرة الدعوة باللسان وبالجدل وبالحجة[١] .

النصائح والوصايا للداعي إلى الله :

وبمناسبة تطرُّق الحديث إلى تعريف « الداعي » ؛ أرى من المستحسن أن أذكر هنا بعض التوجيهات المهمة والنصائح المميزة لمن يريد أن ينخرط بهذا السِّلك المبارك . فعلَى الداعية أنْ يكون حكيماً في الانتقاء من هذه الوصايا ، وحكيماً في تحديد المقادير ، وتحديد الأوقات ، واختيار الأسلوب الذي يؤدِّي به رسالته أداءً ناجحاً موفَّقاً ، يعطي النتائجَ الحسنة المرجوَّة من عَمَلِه إن شاء الله .

إنّ الداعي لا يتعامل مع جامداتٍ ، ولا مع نباتاتٍ ، ولا مع بهائِمَ ذواتِ طبائعَ متماثلةٍ ، إنّما يتعامل مع بشرٍ ذوي إراداتِ حُرَّة ، وطبائع مختلفةٍ ، ونفوسٍ ذواتِ صفاتٍ مُعَقَّدةٍ متشابكةٍ ، تحتاج فراسةً ، وحُسْنَ بَصِيرَةٍ ، وتجارب تُكْتَسَبُ بها خبراتٌ واسعاتٌ .

فما يَصْلُح لبعضِ طبائع الناس لا يَصْلُح لآخرين مخالفين لأولئِكَ في الطّباع ، وما يَصْلُح لصفاتِ بعضِ النَّاس لا يَصْلُح لصفاتِ آخرين مخالفين لهم في صفاتهم ، فالحليمُ مثلاً يُلائمه أسلوبٌ علاجيٌّ ، وحادُّ الطّبع الغضوبُ يلائمه أسلوبٌ علاجيٌّ آخر .

وما يَصْلُح توجيهُهُ لمؤمنٍ لا يصلُح توجيهه لشاكٍّ في الدين ، أو كافرٍ

(١) انظر « تفسير روح المعاني » للآلوسي (١٤/ ٢٥٤) ، و« في ظلال القرآن » لسيد قطب (٤/ ٢٢١٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بالإسلام ، أو مُلْحِدٍ لا يُؤْمِنَ بالله ولا بالدَّينونة والجزاء .

وما ينفَعُ في إنسانٍ لدَيْهِ خَوْفٌ ما من الله ونِقْمَتِه ، لا يَنْفَعُ في إنسانٍ عاصٍ مُسْرِفٍ على نفسه ، مُسْتَغْرِقٍ في الغفلات ، منغمسٍ في الشهوات .

ولليهودِيّ الذي نَبَتَ في مَنَابِتِ المَكْر والكَذِب والْحِيلَةِ والحرص على أن يكون الْيَهُودُ سادةَ النَّاسِ أجمعين أسلوبٌ دَعَويٌّ يُلائمه .

وللنّصرانيّ أسلوبٌ آخر يُلائمه ، ولمَنْ يستحلُّ الكذبَ أو يُوجِبُه تقيَّةً أسْلوبٌ يَتَّفِقُ مَعَ مَا يَعْتَقِده ، وللوثنيِّ أسلوبٌ يلائمه ، ولِمَنْ يَرَى تقديسَ العقل والوسائلِ والأدلّةِ العلمية الماديّة أسلوبٌ يلائمه ، وهكذا إلى سائر أصناف الناس وسائرِ طبائعهم ، وعَلى الحكيم أن ينتقي ويَخْتَار ويَسْتَفِيد من التجربات .

إلا أنَّ بعض هذه النصائح يجب الالتزام بها دواماً ؛ لأنّها بمثابة التنفُّس لحامل رسالة الدعوة إلى الله ، أو رسالة النُّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فـ :

على الداعية أن يكون مؤهّلاً تأهيلاً علميّاً وتأهيلاً بيانيّاً ، للمستوى الذي يُريدُ أن يضطلع بمهمّاته لدى أدائه رسالته ، وأن يكون متمكِّناً تمكّناً كافياً من الموضوع الذي يُريد أن يُعَرِّفَ به ، ويَشْرَحَهُ للْمُتَلَقِّين ، وقادراً على عرض أفكارِهِ حَوْله ، ورَدِّ الشُّبُهَاتِ الَّتي يُمْكِنُ أن تَرِدَ على عناصر مَوْضُوعِه الذي يُرِيد بَـيَانَهُ وشرحه .

على الداعية أن يكون مُخلِصاً لله في أدائه رسالته ، متجرّداً من المصالح الشخصيّة الدنيويّة لدى من يُوَجِّهُ لهم رسالته ؛ ليكون أداؤه لها بينهم مَرْجُوَّ التأثير .

ينبغي للداعية أنْ يكون قويَّ الإرادة ، واثقاً من نفسه ، ثابتاً رَابِـــطَ الْجَأْشِ ، جواداً بَوَقْتِه ومَالِهِ ونَفْسِه ، وهذه الصّفاتُ قد يَكْتَسِبُها من التمكُّن

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

العلميّ ، والتمكُّن البيانيّ ، والإخلاص لله عزَّ وجلَّ في أدائِه رسالتَهُ ، ومن الممارسة الطويلة ، مع التوكُّل على اللهِ والاعتمادِ عليه والثِّقة به .

ينبغي للداعية إذا أرد أنْ يُؤَدِّي بعضَ وظائف رسالته البيانية أنْ يُحْسِنَ اختيارَ الموضوع الذي يريد بيانه لجمهوره مراعياً في اختياره واقع حالهم ، وأن يُحْسِنَ تناولَهُ من أُسُسِه وجُذُورِهِ الْفَكْرِيَّةِ إلى سُوقِهِ ففروعه ، وأن يكون حكيماً في بَيَان ترابُطِ الأفكار تَرَابُطاً مَنْطِقياً ، وأنْ يَكْشِف ما استطاع شَرَايينَ وأوردةَ وأعَصَابَ الترابط ، وأن يُحْسِن اختيارَ الزمان والمكان الملائمَيْنِ لاسْتِمَاعِ الْجُمْهُورِ وتَقَبُّلهم .

يَحْسُن بالداعية المعلِّم أنْ يَسْتَثِيرَ في نفوس المتَلَقِّينَ عنه ما يجعلهم يسألون عمّا يُريد أن يُعرِّفهم به ، أو يَهْدِيَهم إلَيْهِ ، حتّى يكون ما يُلْقِيه إليهم جواباً على مطلوبٍ لهم ، أو تَسَاؤُلاتٍ يَطْرَحُونها أو يَرْغَبون في طرحها .

وينبغي لَهُ أنْ يَتْرُكَ لهم فُرْصَةً لطَرْحِ بعض التساؤلات حول الموضوع الذي يُريد إعلامَهُمْ به ، وشرحَهُ لهم ؛ ليكون البيان جواباً لسُؤَالٍ مطروح ، أو حَلاًّ لإشْكالٍ قائم .

على الداعية أنْ يَبْدأ مع من يَدْعُوه من نُقْطَةِ الخلاف الرئيسَة ، بالاستناد إلى المسلَّمَاتِ بينه وبَيْنَ مَنْ يدعوه .

على الداعية أن يَتَقَيَّدَ بالاستدلال بالحقِّ ، وأن يَجْتَنِب الاستدلالَ بالأباطيل والأكاذيب والموضوعات المفتريات ، فالحقُّ لا يُنْصَرُ إلا بالحقّ . ولا يُحْتَجُّ على المخالِفِ بِحُجَّةٍ لا يُؤْمِنُ بها ، فالَّذي يجحد النُّصُوصَ الدِّينيَّة لا يُسْتَدَلُّ لإقناعه بها .

على الداعية أن يكُونَ في مقدِّمة المؤمنين بما يَدْعُو إليه ، والملتزمين بأحكامه ، حتى يكون قُدْوَةً حسنةً ، ومؤثِّراً بحاله أكثر من تأثيره بمقاله ، وأنْ يَبْدأ بدعوةِ وإصلاحِ عشيرته الأقربين .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

على الداعية الثَّباتُ عَلَى الحقّ ، والاستقامَةُ على صراط الله ، مَهْمَا واجَهَ من عقباتٍ وصعوباتٍ ومُغْرِياتٍ .

على الداعية أن يدأبَ في القيام بأداء وظائف رِسالتِهِ بصَبْرٍ وحِلْمٍ وتحمُّلٍ للأذى ، وكلما يَئِسَ من فردٍ أو جماعةٍ ؛ انتقل إلى آخَرِينَ غَيْرِ ميئوسٍ منهم .

على الداعية أن لا يُمَيِّزَ طبقةً اجتماعيَّةً من الناس على طبقةٍ لدى قيامه بأداء وظائف رسالته ، فالطبقات الاجتماعية أمام الدِّين وتعاليمه سواء .

على الداعية أن يَتَلَطَّفَ ويَرْفُق بمن يُوَجِّهُ له بعضَ مضامين رسالته ، وأنْ يكون حَسَنَ المجاملةِ والْمُعَامَلَةِ بمكارم الأخلاق ، وأن يتحلَّى بالإغْضَاءِ عن السَّيئة التي تُوَجَّهُ ضِدَّه ، وبِالْعَفْوِ والصَّفْحِ ، وأن يَكُونَ هَاشاً باشاً لا عَبُوساً قَمْطريراً[1] ، وأن يكون هَمُّهُ الإصلاح والنصيحة ، لا التشهير بالناس والفضيحة .

ينبغي للداعية أن يكونَ دواماً هيِّناً ليِّناً حَسَنَ العلاقاتِ الاجتماعية بجميع أفراد مجتمعه ، لتأليف القلوب ، وعَقْدِ الْمَودَّاتِ ، واكتسابِ حُبِّ النَّاس وتقديرهم له . ومن وسائل تأليف القلوب وإزالة عَقَباتِ النفوس : الإحْسَانُ إلى الناس ، وصُنْعُ المعروف ، فعلَى الداعية أن يَسْتَخْدِم ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ينبغي للداعية أن لا يُثِيرَ شُكوكاً وجَدَليَّاتٍ افتراضيّةٍ بُغْيَةَ الإجابة عليها . فإذا طُرِحَتْ مِنْ قِبَلِ المدعُوِّينَ أو المتلقّين لبيانات مسائل الدِّين أجابَ عليها بمقاديرها ، ولا يَزِيدُ مِنْ عنده شيئاً ، ثُمَّ إذا طُرِحَ غَيْرُهَا مِنْ قِبَلِهم أجابَ عليه ، وهكذا ، تأسِّياً بالمنهج القرآني .

على الداعية أن يكون مُقْتنعاً اقتناعاً تامًّا ، ومنفعلاً انفعالاً حقيقياً بما يُريدُ توصيلَهُ إلى غَيْرِه من عناصر رسالته .

---

(١) القمطرير : الشَّديد العبوس .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

على الداعية أن لا يُبَذِّر بجُهُودِهِ وبَوَقْتِهِ الثمينِ في الّذين دَلَّتْ التجارِب على أنَّ قابليَّتهم للاستجابة غير مطموعٍ فيها .

إذا دَعَتْ حالُ مُتَلَقِّي الرّسالة لإقناعه مُجَادَلَته حول قضيّةٍ من قضايا الدِّين ، فَعَلى الداعية أن يُجَادِلَهُ بالتي هي أحْسن .

ينبغي للداعية أنْ يكون يقظاً دائمَ التنبُّهِ للأحداث الطارئة ، وأن يكون حَسَنَ الْمُعَالَجَةِ لكلِّ حَدَثٍ طارىءٍ بما يلائمه، مع رجاحة عقلٍ ورَوِيَّةٍ وحِكْمَةٍ، وبدون ثَوْرَة انفعاليةٍ ولا طَيْشٍ ، وبدُون اندفاعٍ مع رُدُود الأفعالِ التِّلْقَائيّة غير الواعية . ويَنْبَغي له أيْضاً أنْ يتكَيّف مع المتغيّرات الطارئاتِ بوسائل المعالجة وأساليبها ، دون أنْ يتنازل عن مبادئه وعن أيّ شيءٍ ممّا يؤمن به .

ينبغي للداعية أن يُواجِهُ الناسَ دواماً بزيٍّ حسنٍ ، ومَظْهَرٍ جميلٍ ، ونظافةٍ تامّةٍ ، وأناقةٍ جذّابةٍ عاديَّةٍ تُلائِم وَضْعَه ، حتى يكون لمظهره من الحُسْنِ ما تميل إليه النفوسُ والحواسُّ ، ولا يكون في جَسَدِه أوْ بِزَّتِه ما يُنَفِّرُها ، أو يجعلها تتقَزَّزُ كراهية .

من الحكمة أن يتصيَّد الداعية الحريص على تأديبها في أحسن الظروف ، المناسباتِ الملائماتِ للْبَثِّ والتوجيه ، وأن يَحْتال لإيجاد المناخِ المناسب الّذِي تتفتح فيه نفوس المتلقّين لتقبُّلِ ما يُوجِّهُه لها .

على الداعية أنْ لا يَتَّخِذ من الوسائل والأسباب إلا ما أذِنَ به الإسلام .

ينبغي للداعية الْمُهْتَمُّ بتربية الأجيال المؤمنة المسلمة أن يَسْتخدم أسلوبَ بَذْرِ البزور في الأرض بسَتْرِها ، وتَعهُّدِها دواماً بَعْدَ نباتها حتَّى تَصِيرَ أشجاراً قويّةً سامِقَةً تُؤْتي أكُلَها كُلَّ حينٍ بإذن ربِّها .

على الداعية أن يَضَع في حسابه دواماً أنَّ الوضع الذي يتهيّأ به انتشار الإسلام عن طريق الدعوة إلى الله هو الفتحُ الحقيقيّ الأعظم عند الله ، وهو الأحقُّ بالاختيار من البدائل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ينبغي للداعية أن يُجَزِّيء توجيهَهُ لجمهوره ، ويُباعِدَ بين مجالس موعظته ، لئلا يَقَعَ المخاطَبُون والمتلقُّونَ بالسَّأم فيَنْفِروا .

على الداعية الثباتُ والتحلِّي بالشجاعة الأدبية الحكيمة في قول الحقِّ ونُصْرَته بكلِّ الأحوال .

ليس على الداعية إلا البلاغُ المبين ، ولا يُسْألُ عن عَدَدٍ من استجابَ له واتَّبعه ، ولا يسأل عن التغيير بيده للمنكر مالم تكن لديه سلطة هذا التغيير داخل المسلمين .

على الداعية أن يقدِّم مضامينَ رسالته بأساليب بيانيّة أدبيّةٍ جميلةٍ مشرقةٍ ، تستثير الرغبة في الاستماع والمعرفة .

على الداعية أن يغرس في المسلمين مشاعرَ الانتماء والولاء لله ولرسوله ، ولكلِّ ما ينتمي إليهما ومن ينتمي إليهما .

على الداعية وسائرِ المسلمين أن يعاملوا غيرَ المسلمين بكلّ فَضائل الإسلام وتعاليمه وأخلاقه وشرائعه ؛ ليكونوا دعاةً إلى الإسلام بأحوالهم مع أقوالهم .

على الداعية أن يَبْتَعِدَ عن مسائل الخلاف التي اخْتَلَف فيها علماء المسلمين ، لدى دعوته لغير المسلمين ، ولْيَحْذَرْ من التعصُّب لمذهبٍ أو رأيٍ يَراهُ هو الصواب ما لم يكُنْ هو الأقربَ لإقناع المدعوّ والأبْعَدَ عن إثارة الشبهات في نفسه .

على الداعية أن يُعْلِن لدى حِوَارِه لمن يدعوه تَجَرُّدَه عن التعصُّب لسوابق الأفكار الَّتي يؤمن بها ، وأنَّه حريص أن يبحث الموضوع الذي يدعو إليه على مائدة بحثٍ مشتركةٍ سواء .

على الداعية أن لا يَسُبَّ ما يُـؤْمن به الكافرون من طواغيت لئلا يَسُبُّوا الله عَدْواً بغير علم ، وعَلَيْهِ أن يُنَزِّهَ لسانه عن كلّ ما فيه إيذاءٌ لكلِّ مَنْ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُريدُ هدايتهم ، وعن كلِّ ما فيه استثارةٌ لمشاعر الغضب في نفوسهم .

الداعية هو بمثابة الطبيب الرحيم الناصح ، لا يَنْظُر إلى المخالف على أنّه عَدُوٌّ ينبغي أن يَتَخَلَّصَ منه ، إنما ينظر إليه على أنّه مَرِيضٌ يُرِيد أنْ يُنْقذه من مرضه ، ويمكن أن يكُونَ غنيمةً يَغْنَمُها للإسلام .

على الداعية أنْ لا يَحْمِلَ منْ يَقْتَدُونَ به على الأخذ بأَشَدِّ الأعمال وأَشَقِّها على نفوسهم ، أو بأَشَدِّ الاجتهادات الفقهيّة ، مادام في الدِّين فُسْحَةٌ وسَعَة .

الداعية الذي يُرَبِّي تَلاميذَه والمستجيبين له إذا وَجَّه اهتمامَه البالغ للصغائر من أحكام الدّين ، وحَمَلَهُمْ حملاً شديداً على الالتزام بها ؛ جعَلَهُمْ من حيْثُ يَشْعُرُ يسقُطُونَ في ارتكاب كبائر الإثم ، نظراً إلى أنَّ كلَّ بني آدم خطّاء ، فَلأنْ تكون خطيئته في الصغائر خيرٌ من أن تكون خطيئته في الكبائر .

على الداعية أن يُخَاطِبَ الناسَ على مقادير أفهامهم ، وبما يُدْركون من مستوياتٍ فكريّةٍ ، وبما يعجبهم من أساليب بيانيّةٍ ، وبالأساليب المشوّقة الجذّابة .

على الداعية أن يَتَّخِذَ وسائل لتوصيل دعوته وبياناته للنساء ، ولو بأنْ يَعْقِدَ مجالس يخُصُّهُنَّ بها ، على أن تكونَ مَحْفُوفةً بما يجعل اللّقاء بِهِنَّ مَصُوناً لا تكون فيه خلوات .

على الداعية أن يكون حَسَن الإصغاءِ والاستماعِ والإنصاتِ لمن يُوَجِّه لَهُ رسالتَه ، إذا أراد أن يتكلَّم ، ليَعْرف ما لَدَيْه من شُبُهاتٍ ، أو مُشْكلاتٍ ، أو عروضِ مزالق ، أو غيرها ، فيعالِجَها بما يُلائمها عِلاجاً حكيماً .

على الداعية أنْ لا يتجسَّسَ على المسلمين مُتَتَبِّعاً عوراتهم في بيوتهم ومنازلهم ، وأنْ لا يُواجِهَ بمقالة التَّلْويم إلا مَنْ كان مجاهراً بمعاصِيهِ ، أمَّا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْمُتَسَتِّرُ بمعاصيه فبحَسْبه أن يقول في شأنه قولاً عامًّا : ما بالُ أقوام يفْعَلُون كَذَا وكذا ، دون أن يُعَيّن المقصود ، لا بالاسم ولا بالوصْفِ المميّز ، أَو أنْ يَنْصَحَهُ بَيْنَه وبَيْنَه سِراً ، وإلا كان فاضحاً له لا ناصحاً ، وقاصداً للتَّشْهير به لا إصلاحه .

ينبغي للداعية أن يُنَزِّلَ النَّاسَ منازلَهم ، تأليفاً لقلوبهم ، ومِنْهُ إعطاءُ ذي المكانة والْوَجَاهة في قومه ما تحتاجه نفسه من تمجيدٍ وتقدِير .

ينبغي للداعية أن يكون خبيراً بمُجْتَمَعِهِ الذي يَعِيش فيه ، مُتَتَبعاً الاطِّلاع على أحْدَاثه ، حتَّى يُحْسِنَ توجيهَهُ ، ويُحْسِنَ معالجةَ كُلِّ حَدَثٍ بما يلائمه .

على الداعية أن يكون شديدَ الحذر من الانحياز إلى فئةٍ دون أخرى ، لأنّه يجب أن يكون للجميع مُعَلِّماً وناصحاً ومُرْشداً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المُنْكَر ، وناصراً للحقِّ حَيْثُ كان ، وحاكماً على الباطل بأنه باطلٌ حيثُ كان .

على الداعية أن يُقَدِّم في أكْثَر أحْوَاله الْبِشَارَةَ على الإنْذار ، وأنْ يَضْرِبَ على أوْتار الطَّمَع بثَوابِ الله الجزيل ، قبل أَن يَضْرِب على أوتار الخوفِ من عذاب الله في نفوس من يَدْعُوهم إلى الله وإلى سُلوك صراطه المستقيم ، حتَّى إذا يَئِسَ من استجابة مَنْ يدعوه ، وظهر له عنادُهُ وكُفْرُهُ ؛ وجَّهَ ثِقَلَ بيانه للإنْذَارَات والتَّحْذيرات من عذاب الله ونِقْمَتِهِ في العاجلة والآجلة على مقدار ما يرى من عناده وإصراره على الكُفْرِ والجُحُودِ .

ومهما وَجَد لدى مَنْ يَدْعُوهُ ، ولو قليلاً من لِينٍ نَحْوَ قبُولِ الحقّ ؛ فَتَحَ لَهُ أبْوابَ الطمع بغفرانِ الله وعَفْوِه ، وقدَّم لَهُ البُشْرَيَاتِ المرتبطَاتِ بإيمانه واتّباع الحقّ[1] .

---

(١) من « فقه الدعوة إلى الله . . . » للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، (ص٢٧٧ ـ ٢٨٩) بتصرُّفٍ واختصارٍ ، طبع دار القلم بدمشق .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثالثاً : تعريف « المَدْعُوّ »

تعريف « المدعو » لغةً واصطلاحاً :

« المَدْعُوُّ » في اللغة :

اسمُ مفعولٍ مِنْ : دَعَاه ، يدعوه ، فهو : مَدْعُوٌّ .

« المدعو » في الاصطلاح :

أما معناه في الاصطلاح : فهو : « مَن تُوَجَّه إليه الدعوةُ » . ويُمكن أن يُعرَّف أيضاً بأنه : « الإنسان » مُطْلقاً ، قريباً كان أو بعيداً ، مسلماً أو غير مسلم ، ذَكَراً أو أنثى . . . إلى غير ذلك من أوصافٍ .

ويَدُلُّ لهذا قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقوله : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وما أكثر النداءات القرآنية التي بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ .

حَقُّ « المَدْعو » :

إنَّ للمَدْعوِّ حقوقاً ، كما أنَّ عليه واجباتٍ ، ولعلَّ أهمَّ حقٍّ للمدعوِّين في عنق الدعاة :

أن يُقصَدوا ، ويُدْعَوا ، أو يُرسَل إليهم ، وأن لا تكون الدعوةُ لهم عَرَضاً أو مصادفةً . . . كما أنَّ من حقوقهم : أن يُحرَص عليهم جميعاً ، ولا يُستهان بواحدٍ منهم أيًّا كان شأنه . . .

فقد أرسل الله عزَّ وجلَّ رُسُلَه إلى الناس إعطاءً لحقِّهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لذا قرَّر الشارعُ عدمَ تعذيب قومٍ حتى تُقام الحُجَّةُ عليهم ، ويُعطوا حقهم في الدعوة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحقِّ ، فبَشَّر وأنذر ، وخَرَج أصحابُهُ بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجةَ على الناس كافَّة ، فإن الأمة المسلمة لم تُوجد لنفسها ، وإنما وُجِدَت لتُنقِذ الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية . قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ولم يفرِّق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبيرٍ وصغيرٍ ، وذكرٍ وأنثى ، وقريبٍ وبعيدٍ . ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد ، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ، ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ، ولما وقع في شيءٍ من ذلك اجتهاداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِّر في ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ [عبس : ١ ـ ٤] فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد بأحدٍ ، حتى إنه لما لَقِيَ عند العقبة ستةَ نفرٍ من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم ، وعَرَض عليهم دعوتَه ، فكانوا النواةَ الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثيرٌ من الرجال ، وزعماءُ القبائل . . .[1] .

واجبُ المدعوِّ :

إنَّ أهمَّ واجبٍ على « المدعوِّ » تجاه الدعوة :

أن يستجيب لدعوة الحقِّ ، فلا يمنعه من الاستجابة مانعٌ ، سواء أكان

(١) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في « الدلائل » ص : ١٠٥ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عادةً اعتادها ، أم جهلاً ، أم كِبْراً في نفسه ، أم ضعفاً في شَخْص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك . . . قال الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] .

كما قال في وصف الكافرين : ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا . . . ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ . . . ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وإذا كان من حقِّ المدعو أن يُدعى ، ولا يُهمل ؛ فإنَّ من واجبه أن يستجيب ، فلا يُعْرِض .

أصناف المدعوِّين :

ينقسم الناسُ بعد أن تُوجَّه إليهم الدعوة ـ فيستجيب لها من يستجيب ، ويُعرض عنها من يُعرض ـ إلى أصناف متعدِّدة ، قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

فيكون الناس بين مهتدٍ وضالٍّ ، ومستجيبٍ ومُعرضٍ ، كما يكون منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ٨ ـ ١٠] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس : المؤمنين ، والكافرين ـ والمنافقين .

ومِنْ تَتَبُّعِ النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس نستطيع تقسيم المدعوِّين إلى صنفين أساسيين ، هما :

أ ـ المسلمون ، أو المؤمنون : وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي بأمة (الاستجابة) ، وهم أصناف متعدِّدة .

ب ـ الكافرون ، أو (غير المسلمين) : الذين يدخلون في الاصطلاح في (أمة الدعوة) .

أ ـ أصناف المسلمين :

يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين :

١ ـ من حيث الاهتداء والضَّلاَل .

٢ ـ من حيث قُوَّة أو ضعفِ التزامهم بالإسلام .

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى : (مسلمون مهتدون) ، و (مسلمون ضالون) ، وهذا التقسيمُ غالباً ما يستعمل في مقام الحكم على العقائد ، وبيان سلامتها ، وذلك لأن المسلم قد يَضِلُّ في عقيدته ضلالاً لا يخرجه عن الملَّة الإسلامية ، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لا يُكفَّر بها .

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ سابقٌ بالخيرات : وهو التقيُّ الصالح .

ب ـ وظالمٌ لنفسه : وهو الفاسق الفاجر .

جـ ـ ومقتصدٌ : وهو الضعيفُ المتردِّد بين الصنفين السابقين .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وهذه الأصنافُ الثلاثة موجودةٌ في أتباع الرُّسُلِ ، عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

وقد يُوجد في بعض هذه الأصناف بعض صفات الكافرين ، والمنافقين ، وأعمالهم مما يُؤاخَذون عليه ، وإن لم يخرجهم من الملَّة ، ومن هنا قيل : هناك كفرٌ دون كفرٍ ، وضلالٌ دون ضلالٍ[١] ، ومنه سُمِّيَتْ مشابهة المنافقين في أعمالهم بـ : (النفاق العملي) .

فقد وَرَدَ في الحديث الشريف : « من حَلَف بغير الله فقد كَفَر ، أو أشرك »[٢] أي : عَمِلَ عَمَلَ أهلِ الشرك ، وعُبِّر عنه بالشرك تغليظاً لفعله ، وتنفيراً منه[٣] .

كما ورد فيه أيضاً : « أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهن ، كانت فيه خَصْلةٌ من نفاقٍ حتى يَدَعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كَذَب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر »[٤] .

---

(١) انظر ما فعله البخاري في ترجمته لبعض الأبواب بقوله : « كفرٌ دون كفر ، وظلم دون ظلم » في « الفتح » (١/ ٨٣ و٨٧) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، برقم : (١٥٣٥) .

(٣) يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث : « وفسَّر بعض العلماء قوله : « كفر ، أو أشرك » على التغليظ ، كما روي : أن النبي ﷺ قال : « الرياء شِرك » . « رياض الصالحين » ص : ٦٤٩ ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (٦/ ١٢٠) .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٤) و(١/ ٨٩) و« صحيح مسلم » رقم (٥٨ و٥٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هذه هي أبرز أصناف (المؤمنين أو المسلمين) .

وتكون دعوةُ كلِّ صنفٍ من هذه الأصناف ، كل بحسب حاله ، وموقعه من الاستجابة للحق ، والالتزام بالهدى ، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير ، والتحقق بالتقوى ، وهو ميدانٌ فسيحٌ لا نهاية له . . . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ . . . ﴾ [النساء : ١٣٦] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه ، وفجوره ، وإلى الالتزام بأمر الله ، وحكمه ، والتوبة من ظُلمهِ لنفسه .

ولكم دعا القرآن الكريم الزناةَ ، والمرابين ، والعصاة إلى التوبة !!

ويُدعى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما يُدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى : ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

وبهذا يكون دعوةُ كلِّ مسلمٍ من حيث هو قائمٌ ، فلا يُسوَّى بين الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ، ولا فيما يُدعى إليه .

كما يُدعى المسلمون (الضالون) أي : الذين وقعوا في شيءٍ من الضلال العقدي إلى تصحيح عقائدهم ، والرجوع عن ضلالهم ، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية ، والمسائل الجزئية . . . فإذا ثابوا إلى طريقة أهل السنة والجماعة ؛ كانوا أحدَ الأصناف الثلاثة السابقة . وإنَّ لهؤلاء

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم ، ودفع تأوُّلاتهم الباطلة ، لا تخفى على أهل العلم والاختصاص .

ب ـ أصناف الكافرين :

يمكن تصنيفُ الكافرين (غير المسلمين) إلى ما يلي :

١ ـ الجاحدون المُلحِدون : وهم الذين يُنكِرون وجودَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويجحدونه ، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون ـ كما أخبر عنهم القرآن الكريم ـ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧] ، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

٢ ـ المشركون الوثنيون : وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة ، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى ، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ . . . ﴾ [الزمر : ٣] .

وقد يتفرَّع هذا الصنفان إلى صنفين آخرين :

أ ـ كافرٌ أصليٌّ : وهو الذي نشأ على الكفر ، والجحود ، والوثنية .

ب ـ كافرٌ مرتدٌّ : وهو الذي كان مسلماً ، ثم ارتدَّ إلى شيء من ذلك .

ولكل صنفٍ من هؤلاء أحكامه الخاصة به ، ويُدعون جميعاً إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى الرجوع عن كفرهم ، وشركهم . . . وما أكثر الآيات التي تعرَّضت لدعوتهم في القرآن الكريم !!

٣ ـ أهل الكتاب : وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود ، والنصارى ، وسُمُّوا أهل الكتاب لانتسابهم

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إلى كتبهم السابقة ، وخُصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثيرٌ منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعددٍ من الأحكام . . .[١] .

ويُدعَى هذا الصنفُ كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأنَّ الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ؛ دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة ، والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له : « إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتَهم ؛ فادْعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ؛ فأخبرهم : أنَّ الله قد فَرَض عليهم خمسَ صلوات . . . الحديث »[٢] .

وهم لا يخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ؛ لأنهم لم يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين يُبْطِنون الكفرَ ، ويُظهرون الإسلامَ ، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس ، وخداعهم لهم ، حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين ، ولهذا كان جزاؤهم أشدَّ من جزاء غيرهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

كما قال تعالى في أوصافهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ

(١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب . وحلُّ ذبائحهم للمسلمين ، وحلُّ الزواج من نسائهم ، إلى غير ذلك من أحكام تُعْرَف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب « أحكام أهل الذمة » لابن القيم الجوزية ، وغيره .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب . . . باب أخذ الصدقة ، برقم : (١٤٢٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا . . . ﴾ [النساء : ١٤٢ ـ ١٤٣] .

كما قال عنهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ . . . ﴾ الآيات [البقرة : ١٤ ـ ٢٠] .

وهؤلاء يدعون أيضاً إلى الإيمان بالله ، وترك النفاق ، كما يُدعى غيرهم من الكافرين ، ولكلّ صِنفٍ أسلوبه في الدعوة ، فلا يُدعَى من ظهر كفره كدعوة من خفي كفره ، وهكذا . . .

وإنَّ غير المؤمنين في كل عصر ، ومصر لا يخرجون عن هذه الأصناف الأساسية للكافرين ، مهما اختلفت أسماؤهم ، وتنوَّعت أساليبهم ، فقد وُجِدوا في زمنه ﷺ ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة . . .

والقرآن الكريم ، والسنة النبوية حافلان بأساليب دعوتهم ، ومنهج مواجهتهم[١] .

(١) من « المدخل إلى علم الدعوة » للأستاذ أبي الفتح البيانوني . ص : ١٧٠ ـ ١٨١ ، بتصرُّفٍ يسيرٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الفصل الثاني

تاريخ الدَّعوة وتطوُّرها

القسم الأول : الدعوة قبل الإسلام .

القسم الثاني : الدعوة في عهد الرسول ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين ، رضي الله عنهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

القسم الأول

الدعوة قبل الإسلام

١ ـ دعوة نوح عليه الصلاة والسَّلام .

٢ ـ دعوة هود عليه الصلاة والسَّلام .

٣ ـ دعوة صالح عليه الصلاة والسَّلام .

٤ ـ دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسَّلام .

٥ ـ دعوة لوط عليه الصلاة والسَّلام .

٦ ـ دعوة يوسف عليه الصلاة والسَّلام .

٧ ـ دعوة شعيب عليه الصلاة والسَّلام .

٨ ـ دعوة موسى عليه الصلاة والسَّلام .

٩ ـ دعوة عيسى عليه الصلاة والسَّلام .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة نوح عليه الصَّلاةُ والسَّلام

يبدأ تاريخ « الدعوة إلى الله » بدعوة نوح عليه السلام لقومه ، وهي دعوة كسائر دعوات الأنبياء لأقوامهم ، دعوةٌ للإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يترتَّب على هذا الإيمان من ثمراتٍ . غير أنه يحسن بنا هنا أن نُورد بعضَ ما وَرَد في السنة المشرَّفة حول دعوة هذا النبيِّ الكريم لقومه .

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « . . إنَّ نوحاً عليه السلام لمَّا حضرته الوفاةُ دعا ابنيه ، فقال : إني قاصرٌ عليكما الوصيّة ، آمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين : أنهاكما عن الشِّرك ، والكِبْر ، وآمرُكما بلا إله إلا الله ، فإنَّ السَّمواتِ والأرضَ وما فيها لو وُضِعَتْ في كِفَّة الميزان ، ووُضِعَتْ لا إله إلا الله في الكِفَّة الأخرى ؛ كانت أرجح . ولو أنَّ السموات والأرض كانتا حلقةً ، فوُضِعَتْ لا إله إلا الله لفَصَمَتْهَا (أو لقَصَمَتْها) ، وآمركما بـ : « سُبحان الله وبحمده » فإنها صلاةُ كل شيءٍ ، وبها يرزق كل شيء »[١] .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : أنه قال : « قام رسولُ الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذَكَر الدَّجّالَ، فقال: إني لأنذركموه، وما من نبيٍّ إلا أنذر قومَه ، لقد أنذر نوحٌ قومَه . . » . وفي رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « وإني أُنذركم كما أنذر به نوحٌ قومَه »[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده : (٢/ ١٧٠ ـ ٢٢٥) .

(٢) أخرجه البخاري : في كتاب الأنبياء ، برقم : (٣١٦٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعا نوح ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قومَه إلى عبادة الله ، وبلَّغ رسالته ، وأدّى أمانته ، فكان جزاؤه من قومه التكذيب في الدنيا والآخرة !!

فعن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُدْعَى نوحٌ عليه السلام يوم القيامة ، فيُقال له : هل بَلَّغْتَ ؟ فيقول : نعم ، فيُدعى قومُه ، فيُقال لهم : هل بَلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذيرٍ ، أو ما أتانا من أحدٍ ، قال : فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول محمدٌ ، وأمته ! قال فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . قال : الوَسَطُ : العَدْل . قال : فيُدعون ، فيشهدون له بالبلاغ ، قال : ثم أشهد عليكم »[1] .

ونوحٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أولُ رسولٍ حَدَّثنا القرآنُ عن دعوته ورسالته ، فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ـ ٦٤] .

كما تحدَّثت عن دعوته سورةٌ كاملةٌ من سُوَرِ القرآن الكريم عُرفت بسورة نوح ، والتي عرضَت لنا جانباً من أسلوبه عليه السلام في الدعوة ، وتدرُّجِه فيها ، وإسراراه ، وإعلانِه في دعوته ، وصبرِه على قومه زمناً طويلاً ، حيث كان أكثر المعمَّرين من الرُّسل ، والأنبياء الذين عرفناهم ، فعاش ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

فلمَّا يئس منهم ؛ دعا ربَّه ، فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٧ ـ ١١٨] .

---

(١) انظر : فتح الباري : (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فأمره الله بصنع السفينة ، ونجاه ومن معه ، وكانت عاقبة قومه الإغراق . . قال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود : ٣٦ ـ ٤٨] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة هود عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم يأتي « هود » عليه السلام ، فيقوم بدعوة قومه كما فعل نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

وقد أشار القرآنُ الكريم إلى جانبٍ من أسلوب دعوته ، وذكر بعضاً من أقواله لقومه ، فقال سبحانه : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٦ ـ ٧٢] .

فما كان من قومه إلا الإعراض ، والتكذيب ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ [هود : ٥٣ ـ ٥٨] .

ولمَّا اشتدَّتْ به الحالُ دعا ربَّه ، فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون : ٣٩] فاستجاب الله له ، وقال : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٠] ونفذ وعيد الله بهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ ـ ٨] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة صالح عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم جاء « صالح » عليه السلام بدعوته إلى قومه ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١] .

فأعرضوا عن دعوته ، وجادلوه فيها بالباطل ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢ ـ ٦٣] .

حتى طالبوه بالمعجزة ، وهي إخراجُ الناقة من الصخر ، فأيَّده الله بها ، ولكن ما زادهم ذلك إلا إعراضاً ، وتكذيباً ، وعقروا الناقةَ ، وعَتَوا عن أمر ربِّهم . . قال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا ۖ فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود : ٦٤ ـ ٦٥] .

ولم يكتفوا بذلك ، بل قالوا : ﴿ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] ، فجاءهم عذابُ الله ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦٦ ـ ٦٨] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسلام

ثم جاء « إبراهيم » عليه السلام قومَه بمثل ما جاء به الرسل السابقون ، قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٧٠] .

وعرض القرآنُ الكريمُ كثيراً من حواره مع أبيه وقومه ، وبيَّن جانباً من أسلوب دعوته ، وكيدِه لأصنام قومِه ، كما عرض تكذيبَ قومه له ، وإيذاءَهم له ، وتهديدهم له بالتحريق ، وفعلوا ، ولكن الله نجَّاه منهم ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ ـ ٥٢] .

ثم رَحَل إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين مع زوجه « سارة » وابن أخيه « لوط » عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

ومَرَّ إبراهيم عليه السلام بابتلاءاتٍ عظيمةٍ ، فما كان منه إلا الثباتُ والصِّدق ، وأمره الله ببناء الكعبة ، ولم تذكر الآياتُ القرآنية وفاةَ إبراهيم عليه السلام ، ولا عاقبة قومه ، وإنما ركَّزت على سيرته القدوة ، وابتلاءاته ، وصبره ، وإكرام الله له بنجاته ، واستجابة دعائه . . .[1] .

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة : ص : ٥٧ ـ ٥٨ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

نموذَجان من دعوة إبراهيمَ عليه الصَّلاة والسلام :

هنالك نموذجان من دعوتِه ، إذا قارَنَ الإنسانُ بينِ هذين النموذجين ؛ مَلكتْهُ رَوعةُ الحِكمة ، وروعةُ الدَّعوة النبوية ، نَموذجٌ حين دعا والدَه . ونَموذجٌ حين دعا قومَه ، وترون تنوُّعَ فَهْمِ النفسيّة والدخولِ إلى أغوار النفس الإنسانية ، فإذا تأمَّلْتُم في الآيات التي وردت في دعوة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لوالده ؛ عرفتُم كيف يدعو الولَدُ الوالدَ ، ثم إذا قارنتُموه بالأسلوب الذي دعا فيه قومَه ؛ عَرَفْتم أسلوباً آخر يَليق بالمقام ، فأنا أقرأ لكم أولاً الآياتِ التي وردت في دعوته لوالده .

دعوة الولد للوالد :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤١ ـ ٤٥] .

إثارةٌ للحَنَان الأبويِّ :

أوَلاً تتأمَّلون في قوله : « يا أبَتِ » لهجةً فيها الرِّقَّةُ ، وفيها البِرُّ ، وفيها التواضُعُ ، وهذا يَرجِعُ إلى الذوق السليم ، كذلك كان الذين قد تذوَّقوا القُرآنَ ، وتشرَّبوا روحَه إذا قرأوا آياتِ العذابِ ؛ كان يرتعدُ صَوتُهم ، ويَحْمَرُّ وَجههُم ، وإذا قرأوا آياتِ الرحمة ؛ تَرِقُّ قَلوبهم ، وتَلينُ أصواتهُم ، فالولدُ إذا خاطب أباه بقوله « يا أبت » ، أثارَ فيه الحَنانَ الأبويَّ ، وكان يُمكن لإبراهيم أن يَصيح ، فيقول : ياسيِّدي ! أو يقولَ : ياشيخ الكُهَّان ! لأنه كان كاهناً ، ولكنه يقول : « ياأبت » ، تعمَّد إبراهيمُ هذه الكلمةَ ؛ ليصلَ بها إلى أعماقِ قلبه ، ويُثيرَ فيه الحنانَ ، فالولدُ مهما

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بلغَ الغضبُ من والده ، إذا ناده بقوله : « يا أبت » ، و« يا والدي الكريم » ؛ رَقَّ ، وتهيَّأ لسماع كلامه ، إنَّ إبراهيمَ أثار فيه الحَنانَ قبل أن يُثير فيه الإيمانَ ، والحَنَانُ يسَبقُ الإيمانَ أحياناً ، فقد يكون الوالدُ حَنُوناً ، ولا يكون مُؤمِناً ، فهذا الحنانُ هو الذي يستَطيع الإنسانُ أن يعتمدَ عليه ، ولا ينبغي للداعي الحكيم أن يُغفلَ هذا الجانب ؛ وإذا أغفل هذا الجانبَ ، فإنه أساءَ إلى نفسه ، وأساءَ إلى دعوته ؛ إذا كان غليظاً : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فالرسولُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ راعى هذا الجانبَ مع عمِّه أبي طالب ، فخاطبه في مواضعَ دقيقةٍ مُحرِجةٍ بقوله : « يا عمِّ » ، فقال حين رأى حيرتَه في أمر الدعوة إلى الإسلام ، وارتباكَه فيها ، وتخوُّفَه من مَعرَّة قُريش : « يا عَمِّ ! لو وضعوا الشَّمْسَ في يميني ، والقَمرَ في يساري على أن أترُكَ هذا الأمر ؛ حتى يُظهِرَه الله ، أو أهلِك دُونَه ؛ ما تركتُه » .

وكانَتْ نتيجةُ هذه الرِّقَّةِ مع الصَّرامة ، وإثارةِ العاطفة الإنسانية في أبي طالب ـ مع إيثارِه لدين آبائه ـ أن قال له : ـ وقد خاطبه بقوله : يا بن أخي ، كما خاطبه رسول الله ﷺ بقوله : « يا عمّ » ، ـ « اذهبْ يا بن أخي ! فقُلْ ما أحببتَ ، فوالله ِما أسْلِمكَ لشيءٍ أبداً »[1] .

حُسْنُ اختيار إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ للدلائل :

ثم إنَّ إبراهيم عليه السلام اختارَ من الدلائل في إثبات كون هذه الآلهة لا تَستحِقُّ العبادةَ الأشياء المَحسوسة الملموسَة اليومية ، لم يبدأ بالأشياء التي تعتمدُ على المنطق ، وتَعتمِدُ على الذكاء النادر ، وتعتمدُ على بُحوثٍ علميةٍ ، أو نظراتٍ فلسفيةٍ ، إنما اختار الشيءَ الذي يَفهَمُه الطِّفل ؛ لأن

(١) انظر : « سيرة ابن هشام » (١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

والدَه كان في الطُّفولة العقلية ، وإن كان متقدِّماً في السِّنّ ، فخاطَبه كما يُخاطِب الطفلَ : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ﴾ ، وهذا من دواعي السُّرور للوالدِ العاقل ، فينبغي أن يَفتخِرَ ، ويستبشر بتفوُّق ولدِه في العلم ، والمعرفة ، والعقل ، والوعي ، وما كان فيه شَيءٌ من المبَالغة وخرقِ العادة ؛ لأنَّ هذا يقع كثيراً ، يتعلَّم الولدُ ، ولا يتعلَّم الوالد ، ويكون الولدُ أعلمَ من والده : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ ، ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيّٗا ﴾ ، إنَّ كُلَّ آيةٍ من هذه الآيات وراءَها معانٍ عميقةٌ ، وحِكَمٌ دقيقةٌ ، إنه لم يذكر الشيطان بصفاتٍ تَدِقُّ ، وبِصفاتٍ يَلتوي فهمُها على هذا الرجل السَّاذج البسيط ، الذي بلغ من غباوته أن كان يَنْحَتُ الأصنامَ ، ثم يَعبدُها ، إنَّ أكبرَ جنايات إبليس : أنه كان للرحمن عصياً : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيّٗا ﴾ .

الاعتماد على الفِطرة والواقعِ في دعوتِه عليه السلام لقومه :

وبمقارنة هذا الأسلوبَ بالأسلوب الذي دعا به إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ قومَه تعرفون الفَرْقَ ، فيقول القرآن : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٧٣] .

تتأمَّلون في هذه الآيات وتعرفونها من أولها إلى آخرها ، فأوّلاً تتفكَّرون في حكمة سيدنا إبراهيم في الدعوة ؛ لأنه لم يَقترحْ مِنْ نفسه أسماءً ، أو صفاتٍ لهذه الآلهة ؛ حتى لا يُثير هؤلاء ، فيردُّون عليه ، ويُنكرونها ، بل استنطَقهم أولاً ، فقال : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴾ . وهُنالك لجأ إلى الدلائل المنطقية ، أو الإشارات

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الفلسفية ، وقال : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ فإنَّ الحياة الإنسانية تدور حول هاتين النُّقطتين ، يسمع الإنسانُ إذا دُعي ، ويَنْفَع ، ويَضُرُّ إذا اسْتُعِيْنَ ، هذا الخيطُ الذي يَربِط فرداً بفردٍ ، ووُجوداً بوجودٍ ، ومؤسَّسةً بمؤسسةٍ ، اختار هذين الشيئين ، وهما القُطبان اللذان تدور حولهُما رَحى الحياةِ كُلِّها .

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، هذا الذي كان يُريد سيدنا إبراهيم أن يقولوه ، فهذا هو جوابُ العاجز ، جواب المُنقطع ، يعني ما هو الدليلُ على هذه الأسماء ؟ هل لها مُسميَّاتٌ ؟ وهذه الأصنام المنحوتة ، والأوثان المنصوبة ، والآلهة الخيالية الأسطورية الأخرى ، هل لها فائدةٌ في الحياة ، وقدرةٌ على العمل ، ومُكنةٌ من النفع والضَّرر ، وسَندٌ من العلم ؟!

استنفاد ثروة الذكاء والبيانِ وطاقة الدفاع عن النفس من المُخاطَب :

وتستمرُّون في دراسة هذه الآيات تنتقلونَ من معنى إلى معنى ، فتفهمون الفَرْقَ بين الأسلوبين ، وفَهْمُ سيدنا إبراهيم عليه السلام العميق الدقيق للنفسيَّة الإنسانية ، وقدرته وبراعته في الدخول إلى مداخل النفسِ الدقيقة ، وإلى أغوارِها العميقة ، كيف استخرجَ كلَّ ما عندهم من ثَروةِ ذكاءٍ ، وثَروةِ بيانٍ ، وثروةِ دفاعٍ عن النفس ، وآخرَ سهمٍ في كنانتهم كانوا يستطيعون أن يُطلقِوه : ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ استنفدَ كلّ ما عندهم من قُدرة جوابٍ ، فأصبحوا مُفلسين ، أصبحوا فقراءَ ، أصبحوا لا شيءَ عندهم . ثم بدأ يُوجِّه إليهم الدعوةَ ، ويدعوهم إلى الله ، وإلى التوحيد ، فقال : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٧٥ ـ ٨٢] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

المنهجُ القُرآني إثباتٌ مُفصَّلٌ ونَفْيٌ مُجمَلٌ :

هنالك نُكْتَةٌ عجيبةٌ من معجزات القرآن ، وهو ما نَبَّه عليهِ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْميَّة ، فقال : « إنَّ فلاسفة اليونان إذا عرفوا واجبَ الوجود ، أو المبدأ الفيَّاض ـ على حدِّ تعريفهم ـ فإنهم يتوسَّعون ، ويُدقِّقون في نفي ما لا يَلِيقُ به عندهم (من الصفاتِ وغيرِها) ، أما إذا تعرَّضوا للإثباتِ فإنهم يختصرون ، ويُجمِلون ، ففي الفلسفةِ نَفْيٌ مفصَّلٌ ، وإثباتٌ مُجمَلٌ ، بالعكسِ من القرآن ، فهنالك إثباتٌ مُفصَّلٌ ، ونَفْيٌ مُجمَلٌ في وصف اللهِ تعالى ، في أسمائِه ، وصفاته ، وكذلك في الأديان السماوية ، وتعاليم الأنبياء إثباتٌ مفصَّلٌ ونَفْيٌ مُجملٌ[1] » ، اقرؤوا القُرآنَ في الإثبات والحديث عن الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤] .

واقرؤوا قولَه تعالى في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وكذلك يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية : « إن مئاتٍ من أساليبِ النَّفي ، لا تقومُ مقامَ إثباتِ واحدٍ » . وقد صَدَق ، فإنَّ هذه الحياة التي نعيشها والتي عاشتها البشريةُ الأولى كُلُّها إنما عاشَتْ على الإثبات ، وما عاشَتْ على النَّفْي ، النَّفْيُ نِسْبَةٌ ضئيلةٌ جداً إلى الإثبات .

---

(١) انظر « كتاب النبوات » لشيخ الإسلام ابن تيمية .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الانطلاق والتَّدفُّق في الحديث عن الله تعالى :

فإبراهيمُ ـ عليه السلام ـ قال في جواب قولهم : ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ : ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ فاكتفى بالنَّفي المُجمَلِ ، ولكنه لمَّا جاء إلى ذكرِ الله تعالى ، والدعوةِ إليه ؛ توسَّع ، واستعانَ بالإثبات المُفصَّل ، فقال : ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء : ٧٧ ـ ٨٢] .

هنا خمسُ خِلالٍ ، هنالك خصلتان فقط ، ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ ، لكنَّه لمَّا ذكر الله تعالى ، وتحدَّث عنه كأنه شَعَرَ بطَربٍ ، وجاشَتْ نفسُه ، فتوسَّع في الحديث عنه تعالى ، إنَّ الإنسان إذا ذاقَ شيئاً لذيذاً ؛ فإنه يَلوكُه ، ويَمْضَغه ، ويُديره في الفَم ، أما إذا كان الشيءُ مُرّاً ـ ولابُدَّ منه ـ فإنه يبتلعه ابتلاعاً ، ويتخلَّص منه بسُرعةٍ .

فلمَّا ذكر اللهَ تعالى ؛ تحرَّكت العاطفةُ ، وجاشَ فيه الإيمانُ ، فقال : ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ .

مناسباتٌ لطيفةٌ :

هنالك جاشَتْ نفسُه مرَّةً أخرى ، فثار يدعو الله تعالى مع أنَّه ليست هذه مناسبةُ الدعاء ، فقال : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء : ٨٣ ـ ٨٥] ، وهُنالك خطر أبوه بباله ، وتذكَّرَه ، فإنه كان من القادةِ إلى هذه الوثنيَّة ، والسادنَ الكاهن المعروفَ في البلد ، فقال : ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء : ٨٦] ، ثم استحضرَ القيامة ، فقال : ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٧ ـ ٨٩] واقرؤوا أخيراً : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢][1] .

(١) من « روائع من أدب الدعوة » . . للعلامة الندوي ، ص : ١٩ ـ ٢٧ ، بتصُّرفٍ يسيرٍ (طبع دار ابن كثير بدمشق) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة لوط عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم جاء « لوط » عليه السَّلام قومَه ، فدعاهم إلى عبادة الله ، ونهاهم عن المعاصي ، والفواحش التي انتشرت بينهم ، فما كان منهم إلا التكذيب ، وهَمُّوا بإخراجه من قريته ، متحدِّين أن يأتيهم بعذاب ، فأنجاه الله منهم ، وأمطر على قومه حجارةً ، فقضت عليهم ، قال تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة يوسف عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم جاءت دعوة « يوسف » عليه السلام ، التي لم يحدِّثنا القرآن الكريم عن تفصيلاتها ، وإنما اكتفى بالإشارة إليها بمثل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر : ٣٤] .

وإنما رَكَّز القرآنُ الكريم على سيرة يوسف عليه السلام الخاصة ، وبيان ما لاقاه من حسدِ إخوته ، وكيدِهم له ، وما جَرَّ عليه ذلك من ابتلاءاتٍ في شبابه ، فكان مثالَ التَّقوى ، والصبر ، وذلك لتكون حياته درساً ، وعبرةً ، كما نرى في سورة « يوسف » عليه السلام التي سُمِّيَتْ باسمه ، والتي ختمها الله عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

نموذجٌ من دعوة يوسف عليه السَّلام :

بمناسبة سياق حديثنا عن يوسف عليه السَّلام ، أرى أن أعرض هنا نموذجاً من دعوته ، ملتقطاً مما جاء في محاضرة العلامة أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى ، فنعرض أولاً الآيات التي تتَّصل بهذه القصة من سورة « يوسف » يقول الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف : ٣٦ ـ ٤١] .

وقبل أن نتذوَّق هذه القِطعة الدعويةَ البيانيَّةَ البلاغيةَ الرائعةَ يجب علينا أن نستحضر الأجواءَ التي اكتنفت هذه الدعوة ، اقرؤوا الآيات التي وردت في قصته من قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف : ١٩ ـ ٣٥] .

فسِيْقَ يوسف عليه السلام إلى السِّجن ، وأدخل فيه بتُهمةٍ برَّأهُ الله منها ، كما برَّأ من دَمِه الذئبَ ، فدخل في السِّجن سَجِيناً مُفترىً عليه . ولكنْ في أيَّام قليلةٍ لَفَتَ يوسفُ الأنظارَ ، وأصبحَ حديثَ السِّجن ، وقد بَدَّد نورُه هذا الظلامَ المُحيط به ، هدوءٌ ، ورزانةٌ ، ووَقَارٌ ، وسَكِينةٌ ، وذِكرٌ ، وتسبيحٌ ، وخُلُقٌ ، وتواضُعٌ ، وعَطفٌ ، وكرمٌ ، فاضْطُرَّ أهلُ السِّجن إلى أن يحترموه ، وكانوا في ذلك مُضْطَرِّين ، كأنَّ سائقاً يسوقهم إليه ، وكان كُلُّه من تقدير الله سبحانه وتعالى .

ثم ماذا حَدَث ؟ رأى اثنانِ من أهل السِّجن مَنَامَين غيرَ عادِيَيْن ، أما

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أحدهما ؛ فقد رأى : أنه يَعصِرُ خمراً ، وقد شُغل بهذا المنام ، وسَيْطَر على تفكيره ، وعلى مشاعره . والثاني رأى : أنه يَحْمِلُ فوقَ رأسه خُبزاً تأكل الطيرُ منه ، وفيه شيءٌ من الغرابة ، وقد ألهَمهما اللهُ تعالى أن يَرجِعا في ذلك إلى يوسف ، وحَكَيا رُؤياهما : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٣٦] .

معنى « الإحسان » :

وما معنى « الإحسان » في هذا المكان ؟ هل كان يوسفُ يَملِكُ شيئاً من المال كان قد أخفاه ، فهو يُوزِّعه عليهم ؟ هذا الذي يتبادر إلى ذِهْننا إذا سمعنا كلمةَ « الإحسان » ، ولكنَّه شيءٌ غيرُ معقولٍ ، وغيرُ ممكنٍ العملُ بالنسبة إلى يوسفَ ، والوضع الذي كان فيه .

« الإحسانُ » هو الإتيانُ بشيءٍ في درجة أكملَ ، وأجملَ ، وبصفةٍ أجملَ وأفضلَ ، ولذلك لمَّا سُئل رسول الله ﷺ وقيل : ما الإحسان ؟ قال : « أنْ تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تَرَاه ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ؛ فإنَّه يَرَاكَ »[1] هذا هو الإحسان : فقالا : إنا نراك من المُحسنين في العبادة ، إنَّا نراك من المُحسِنين في الكلام ، إنا نراك من المُحسنين في المعاملة ، وكان يوسف ـ عليه السلام ـ قد أحاطت به هالاتٌ من هذه التُّهمة ، ومن الشَّائِعات ، وَآثرتُ كلمة « هالات » ؛ لأنَّ يوسف كان قمراً ، فهذا القمرُ الإنسانيُّ كانت تُحيط به هالاتٌ من التُّهَم ، والشُّبَهِ ، والظُّنونِ ، والقياساتِ ، لماذا أُدخل السِّجن ؟ لعله فَعَل كذا ، أو فَعَل كذا ، ولكن ٱنشقَّتْ عنه هذه الهالاتُ ، وأحاطَتْ به هالةٌ أخرى ، وهي هالةُ الإعجاب ، وهالةُ التَّقدير ، والثِّقة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ، برقم : (٥٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أهمُّ من الرُّؤيا المفزعة وأجدرُ بالاهتمام :

لقد عَرَف يوسفُ : أنَّ الرؤيا الغريبة أفْزَعَتْ كُلَّ واحدٍ منهما ، فساقَتْهُما إليه ، وذلك مَبْلَغُ عِلْمِهما ، ومنَاطُ اهتمامِهما ، لا يعرفان السعادةَ والشقاءَ إلا في هذه الحياة ، ولكنَّ يوسف الذي نشأ في أحضانِ النبوَّة ، وفَتَحَ اللهُ بصيرَته ، ونَوَّرها ، وهيَّأهُ للنبوَّة والرسالةِ ؛ كان يعرف : أنَّ الذي يتناسيانِه هو أهَمُّ من هذه الرؤيا ، وهو الإيمانُ بالله ـ بفاطر هذا الكون ومدبِّره ـ وعقيدة التوحيد التي لا يَشُوبها شِركٌ ، وهلِ الحياةُ ـ مهما طالَتْ ، واتَّسَعَتْ ـ إلا رُؤيا يراها الناسُ ؟ وكانا إلى معرفة تأويل هذه الرؤيا أحوجَ ، وأفقرَ ، وكان جهله ، وتَناسِيه أكبرَ خطراً ، وأشدَّ ضَرَراً ، فرأى ـ بما فطرَه اللهُ عليه من الرحمة ، والنُّصح ، والإخلاص ـ أن يُنبِّههما بالخطر الحقيقي ، ويُزوِّدهما بالعلم النافع الأساسي ، وقد صادف من العقل وَعْياً ، ومن النفس انتباهاً ـ ولو في قضيةٍ تافهةٍ ـ وذلك لا يَدُوم ، ولعلَّ هذه هي الفرصةَ الأخيرة للحديث معهما ، فأراد أن لا يُضيِّعَها ، وأن يَبْذُرَ في هذه التُّربة ـ التي أصبحت نَدِيَّةً نَاعمةً ـ البِذْرَةَ الكريمة ، فاتَّخذ من مُناسبة تفسير الرؤيا مدخلاً لتوجيه الدعوة إلى الله ، وأثارَ فطرتَهما السليمةَ للتوصُّلِ إلى عقيدة التوحيد الواضحة السائغة .

الجمالُ الرائع في فتح الحديث :

وأُريد أن تنتبهوا إلى الجمال الرائع في فتح الحديث ، فمِن مظاهر الحديث الجميل جمالُ المَدْخَل ؛ لأنَّ المدخل له أهميةٌ كبيرةٌ ، وإذا كان مدخلُ الحديثِ الجميلِ مدخلاً غيرَ جميلٍ ؛ أثَّر في جماله ، وأساء إليه ، وكذلك البناءُ الجميل ، يَجِبُ أن يكون مدخله جميلاً ، ينشرح له الصدر ، ويُشَجِّعُ على الدخول .

إنَّ يُوسف بدأ الحديثَ بالتأكيدِ لهما : أنَّه يستطيع أن يُفسِّر النبأ الذي

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

جاءا لأجلهِ وقَصداه ، وأنه لم يكن هذا القصدُ خطأً ، إنَّهما ما ضلاَّ الطريقَ ، وإنَّما وَصَلا إلى غايتهما ، وهو الرجلُ المطلوبُ الكُفؤُ ، الذي يستطيع أن يُنجِدهما ، ويُرشِدَهما ، فإن الأصلَ النفسيَّ العميقَ : أنَّ صاحب الحاجة يُريد أن تُقضى حاجتُه في أقرب وَقتٍ ، فالشيءُ الأوّلُ أن يُثِير الإنسانُ الثقةَ في ذلك الرجل الذي ساقَتْهُ الحاجةُ إليه ، ويُقنِعهُ بأنَّ علاجه عنده ، وأنَّ طُلْبَته ، وحاجتَه ستُقْضى عِنده ، فقال : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ .

يعني : أنَّ حاجتهما سَتُقْضى سريعاً ؛ لأنَّهما كانا في السِّجن مرتبطَين بقوانين السُّجون ، والمعتقلات ، فما كان لهما أن يَجْلِسا بجواره طويلاً فأراد أن يُطمئِنَهما : أنَّ حاجتهما ستُقضى سريعاً ، فقال : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا﴾ .

وكانَتْ مصرُ على جانبٍ كبيرٍ من الحضارة ، وتنظيمِ الحياة المدنيَّة ، فالمفروضُ : أنه كانت هناك مواعيد مضبوطةٌ للطعام ، وكان وقتُ الطعام قد حَضَر ، فلذلك قال : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ .

ثم هناك نكتةٌ حَضَرَتْ لي الآن ، وهي أنَّ بين المسجونين ، وبينَ الطعام الذي يأكلونه في السِّجن صلةٌ قويةٌ ، فلمَّا ذكر الطعامُ ؛ أثار فيهمُ الشوقَ ، وانتعشتَ قلُوبهم لسماعِ ذكر الطعام ، فالطعامُ حبيبٌ إلى كل إنسانٍ ، ولكنَّه إلى المسجونَ أحبُّ ، وألذُّ ، وأشهى ، فلمَّا ذكَره يوسفُ انتعشتْ نُفوسهما ، وتهيَّأت آذانُهما ، فقال : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ .

ثُم تثور فيه الطبيعةُ النبويةُ ، فلا يَرُدُّ الفضلَ في ذلك إلى ذكائه ولا إلى براعته ، بل يَرُدُّ الفضلَ إلى الله ، ومن هنا ينتقل انتقالاً حكيماً قلَّما يُوجَد له نظيرٌ ، فقال : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ فكان المدخلُ الكريم إلى النَّصيحة التي يُريدها ، وانظروا : كيف ينتقل من تفسير الرؤيا ـ قبل أن

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُفسِّرها ـ إلى الدعوة الحكيمة ، وكان ذلك مما لا يُسيغه ، ولا يتحمَّله هؤلاء المسجونون الذين ساقتهم الحاجةُ إليه ، وكانا قد فزعا بهذه الرؤيا المفزعة وجاءا فَزِعَين ، فكيف يَحتملان هذا الحديثَ الطويل ، فقال لهما : إنه لا يرجع الفضلُ في ذلك إلى ذكائي ، وبراعتي ، بل يَرجَعُ الفضل إلى الله تعالى ، ومن هنا يدخل من هذا المدخل اللَّطيف الرقيق الخفيف على النُّفوس إلى الدعوة ، تستحضرون حكمته في الدعوة : أنه لم يكن يستطيع أن يقول : صبراً أيها الإخوان ، أيها الزُّملاء الكرام ، سأفسِّر لكم الرؤيا ، ولكن اسمعوا مني أولاً ، أنَّ هناك شيئاً أهمَّ من هذا ، كيف كانوا ينشطون لسماع هذا الكلام ، وهذا الحديث الذي لم يتعوَّدوه ، وما جاؤوا لأجله ! فقال من غير انفصالٍ طويلٍ ، بل في لحظةٍ واحدةٍ :

الانتقالُ الخفيف الرقيق إلى عَرْض الدعوة :

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ اسْتحضِروا الجوَّ الذي وقعتْ فيه هذه الدعوةُ الحكيمةُ التي لا أعرف مثلها دعوةً إلا دعوةَ الرسول ﷺ وسأعرض عليكم نموذجاً منها ، ولم أمَرَّ بأيِّ نموذجٍ من نماذج الدعوة في تاريخ الدعوة والدعاة أدَقَّ وأعمَقَ منها حيث بدأ الحديث بقوله : ﴿ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ . . ﴾ إلى أن قال : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ ، كيف انتقل إلى الحديث عن الرَّبِّ ، وإلى التوحيد ، هل هناك انتقالٌ أخَفُّ ، وأرَقُّ ، وألطَفُ ، وأسرَعُ من هذا الانتقال ؟ فكأنّه يقول : ما كنتُ لأفسِّر لكم هذه الرؤيا ، وأنا الإنسانُ الضعيف العاجز الذي لم أمْلِكْ نفسي أمام هذا الأمرِ ، وأراد الناسُ أن يَزُجُّوني في السِّجن ، فلم أستطع أن أقاومهم ، وكيف يستطيع الإنسان الضعيف العاجز ـ الذي يساق إلى السِّجن ، فلا يَملِكُ شيئاً ـ أن يصل إلى هذه القِمَّة الشَّامخة من العِلم بنفسِه ، بل ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثم أثار سؤالاً آخر ، وهو : لماذا عَلَّمَني ربِّي ؟ ومِن هنا انتقل انتقالاً آخر ، إنها رحلةٌ طويلةٌ في طريق العودة ، لكنَّ يوسفَ ـ عليه الصَّلاة والسلام ـ بحكمة ، وبرُوحانيته الشَّفافة ، وقلبه المشرق ، وبفكرِه النَّقِيِّ الرَّبَّانِيّ ، استطاع أن يطوي هذه الرحلةَ الطويلةَ التي قد يطويها الدعاةُ ، والحكماء ، والفلاسفة في عددٍ من السِّنين ، استطاع أن يَطويَها في لحظةٍ واحدةٍ ، فقال : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٣٧] .

هُنالك شَعَرَ يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه الآن في موقفٍ قويٍّ ، في موقفٍ عالٍ ، كأنه طلع جبلاً ، أو رَبْوَةً عاليةً ، فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩] ، وكان لو قَدَّم هذا قبل ذلك الكلام ؛ لكان كلاماً ثقيلاً على آذانهما ، وعلى قلوبهما ، ولكنْ هنا استطاع أن يقول ـ وحُقَّ له أن يقول ـ : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩] . لاحظوا هذا التقديمَ والتأخيرَ ، ولاحظوا هذا الترتيبَ القرآنيَّ ، الترتيبَ الحكيمَ ، وكان لو استمرَّ في الكلام ؛ كان الكلام مَمْجوجاً ، ولكنه شعرَ بِقوَّةٍ في نفسه ، وشعر بحُسن استماعٍ منهم لما كان يقرأ في وجوههم : أنهم تهيَّؤوا لاستماع هذا الصَّوتَ الذي يأتي من السماء ؛ لأنه دعوةُ الله للعبيدِ عن طريق الأنبياءِ والمُرسَلين ، فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لاحظوا هنا النَّبْرَة التي تختلف عن النبرة الأولى ، كانتِ النبرة الأولى رقيقةً لطيفةً خفيفةً ، فجاءتْ هذه النبرةُ قويةً ، متُدفِّقةً بالحياة ، مُتدفِّقةً بالثقة ، وكان ذلك من أقرب الطُّرق إلى فهمهم ، أما لو استعانَ بأشياءَ منطقيةٍ ، وكلاميةٍ ؛ لما كان لهم أن يفهموا منه ذلك .

ثم قال : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾ [يوسف : ٤٠] ، إنها أسماءٌ من غير مُسمَّياتٍ ، إنها أسماءٌ لا حقيقةَ لها ، أسماءٌ عند اليونان ، وأسماءٌ عند البَرَاهمةِ الوثنيِّين ، وأسماءٌ عند غيرهم من أمثالهم ، إنَّ الإعجاز القرآني يَكمُن في أنه أطلق عليه كلمةَ الأسماء . إنَّ الذي قرأ تاريخَ الديانات ، وتاريخ المثولوجيا ؛ يعرفُ إعجازَ هذه الآية ، إنَّه ليس هناك إلا أسماءٌ محضةٌ ، أين الآلهة؟ أين إلٰه المطر ، وإلٰه الحرب ؟ وأين إلٰه الحُبِّ ، وإلٰه الجمال ؟ أين هذه الآلهة التي لا وجودَ لها إلا في الذِّهن ، وفي القائمة الخيالية ؟ ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾ ، ولا تزال هذه الآيةُ معجزةً إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها ، وليست الوثنيةُ إلا أسماءً ، وقد فضحَ القرآنُ الوثنيةَ بقوله : ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ .

طريقة الداعي المُلهَم :

وهنالك شعر سيدنا يوسف بأنَّ الفراغَ الذي وُجِدَ في قلوبهم قد مُلِيءَ ، وليس من الحكمة الآن أن يُطيل الكلامَ ، ويتوسَّع في الحديث عن التوحيد ، كالطَّبيب النطاسيِّ يعرف مقدار الوَجبة من الدوَّاء ، ومدى صلاحية المريض وحاجته ، فلا يزيد عليها ، إنها طريقةُ الداعي المُلْهَم ، الداعي المُؤَيَّد من الله ، إنه يشعر : أنه قد وَصَل إلى نُقطةٍ لا يجوز له أن يتخطَّاها ، ولأجلِ ذلك فإن من يضع القوانينَ المحدَّدة للدعوة أو التربية ، يجني عليها ، على إطلاقها ، وحريتها ، وحيويَّتها ، ويجني على الدعاة[1] .

---

(١) من « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة » للعلامة الندوي . ص : ٢٩ ـ ٤١ ، باختصارٍ وتصرُّفٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة شعيب عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم جاءت دعوة « شعيب » عليه السلام ، فدعا قومَه إلى عبادة الله ، وتركِ المُنكَرات والإفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥ ـ ٨٧] .

فوقف منه قومه موقفَ الاستهزاء ، والسُّخرية ، فَردَّ عليهم بهدوءٍ ، وحلم ، وذَكَّرهم بمصير من سبقهم ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٨٧ ـ ٩٠] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فما زادهم إلا إصراراً على باطلهم ، وهدَّدوه بالإخراج ، قال تعالى : ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ [الأعراف : ٨٨] . فدعا عليهم ، فأخذهم عذاب يوم الظُّلّة ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٩٠] .

ونَجَّى الله شعيباً والذين آمنوامعه ، فقال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٩٤ ـ ٩٥] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم أرسل الله « موسى » عليه السلام ، وأنزل عليه التوراةَ بعد أن نشأ في بيت فرعون ، فأرسله الله إلى بني إسرائيل ، وشَدَّ عضدَه بأخيه « هارون » عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [القصص : ٢٩ ـ ٣٥] .

كما أمَرهما الله عزَّ وجلَّ بالذهاب إلى (فرعون) ودعوتِه فقال : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٣ ـ ٤٨] .

وقد ذكر القرآن الكريم جانباً من حوار موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ مع فرعون ، فقال سبحانه : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه : ٤٩ ـ ٥٩] .

ولمَّا جاؤُوا إلى الموعد ، نَصَره الله ، وآمن معه السَّحَرةُ ، قال تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه : ٧٠ ـ ٧٦] .

ولمَّا اشتدَّ طغيانُ قومِ موسى ؛ أخذهم الله بعذابٍ أليمٍ ، فأرسل عليهم أنواعاً عديدةً من العذاب ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٣٠ ـ ١٣٣] .

ولمَّا ضاقَ بآل فرعونَ ، الأمرُ ، لجؤوا إليه يطلبون كشف الضَّرِّ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٤ ـ ١٣٥] .

ثم أوحى الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ أن يخرج بمن آمن معه من مِصرَ ، فخرجوا ، وتبعهم فرعونُ بجنوده ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه : ٧٧ ـ ٧٩] .

ومَرَّ موسى عليه السلام بابتلاءاتٍ كثيرةٍ ، ولاقى من قومه ما لاقى ،

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فعبدوا العجلَ ، وآذوه بالكلام فيه ، وبطلبهم رؤية الله جهرةً ، فأخذتهم الصاعقةُ بذلك ، ثم أحياهم الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٥١ـ٧٤] .

وهكذا حتى قضى هارون وموسى عليهما السلام ، بعد أن حملا الرسالةَ ، وأدَّيا الأمانةَ ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات : ١١٤ ـ ١٢٢] .

نماذج من دعوةِ موسى عليه السلام وحكمتِه النَّبويَّة :

نعرضُ عليكم لوحةً جميلةً من الدعوة النبوية ، دعوةِ سيدنا موسى ، الدعوةِ التي كُلِّف بها ليُبلِّغها إلى فرعون ، وهذه الصُّورة تختلفُ عن الصورة التي قدَّمناها قبل هذا لدى الحديث عن دعوة يوسف عليه السلام ، وعن الصورة التي نُقدِّمها بعدها كذلك في ثلاثة جوانب ، تختلفُ هذه الصورة في طبيعة الدعوة ، وفي وضع الداعي ، وفي واقع المدعوِّ إليه ، فهذه الدعوة التي قام بها موسى ـ أو كُلِّف بها على الأصحِّ ـ تختلف في نَفس الدعوة ، إنها لا تختلفُ عن دعوات الأنبياء الآخرين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في الأُسُس ، وفي الأهداف ، وفي الأجزاء الرئيسة : الدعوةِ إلى الله ، والدعوةِ إلى التوحيد ، والدعوةِ إلى الإيمان بالبعث ، والنَّشر ، وبالحياة الآخرة ، والإيمانِ بصفاتِ الله تعالى ، والحقائق الغيبية ، ولكنها

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تختلف في جانبٍ واحدٍ ، وهو : أنَّ هذه الدعوة اقترنَتْ بها مُهِمّةٌ أخرى ، اقترنَتْ بها مُهِمَّةُ إنقاذ بني إسرائيلَ من عذاب فرعونَ ، ومِن اضطهاده .

مهمة موسى تختلف عن مُهمة الأنبياءِ الآخرين عليهم الصلاة والسلام :

إنَّ الأوضاع التي وُلد فيها موسى ـ عليه الصَّلاة والسلام ـ وعاشَ فيها ، والأجواء ، والملابسات التي اقترنَتْ به ؛ جَعَلَتْ مُهِمّتَه تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين ـ عليهم الصلاة والسلام أجمعين ـ اختلافاً يسيراً ، وهو : أنه كُلِّف أن يقول لفرعون كلمةً صريحةً : أنه جَبّارٌ ، وأنه تسلَّط على بني إسرائيل أولادِ الأنبياء المؤمنين بالله ، والمؤمنين بعقيدة التوحيد وحدَهم في ذلك العصر ، لم تكنِ القضيةُ قضيةَ أمَّةٍ من الأُمم ، ولا قضيَّةُ مجموعةٍ بشريَّةٍ من المجموعات الكثيرة التي كان يَزْخَرُ بها العالَمُ ، ولا تزال هذه المجموعاتُ على وجه الأرض . لو كانتِ القضيةُ قضيَّةَ أمةٍ مضطهدةٍ ، وقضيةَ أمةٍ تسلَّط عليها جَبّارٌ ، سَخَّر الأمة ؛ ليقضي مآربه ، وأخذَها بالسُّخرة الظالمة ، والقَسْوَة البالغة ، وبالاضطهاد الديني ؛ لكان أمراً يسيراً ، فهذا يَقع كثيراً ، وقع في كل فترةٍ من فترات التاريخ ، وسيَقعُ في كل حقبةٍ من أحقاب الزمان .

ولكن لم تكنِ القضيةُ بهذه المكانة من البَسَاطة والسُّهولة ، كانتْ هذه الأمةُ هي الأمةَ الوحيدةَ التي كانت تُؤمِن بالله إيماناً صحيحاً ـ على عِلاَّتها وعلى ما كانت تُعاني من أدواء خُلُقيةٍ ودينيةٍ كذلك ـ ولكنَّها كانت هي البقيَّةُ الباقيةُ التي كانت تؤمن بالله إيماناً صحيحاً ، تُؤمِن بالتوحيد ، وهي الأمينةُ على عقيدة التوحيد ، فقد ثَبَت تاريخياً : أنَّ بني إسرائيل كانوا في كل فترةٍ من فترات التاريخ ، على رُغْم أدوائِهم الكثيرة ، ورُغْم انحطاطهم الخُلُقِيّ والاجتماعي ، مُتمسِّكين بعقيدة التوحيد ، وقد أتى على الناسِ حينٌ من الدهر لم يكن لعقيدةِ التوحيد وُجودٌ إلا في اليهود ؟ ولذلك عَلَّل المفسِّرون

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أشرفيَّةَ السُّلالة الإسرائيلية بكونهم مُحافِظين على عقيدة التوحيد في الظَّلام السَّائد على العالم من الشِّرك ، والوثنية[١] . لم تكنِ القضيةُ أنَّ بني إسرائيل وقعوا تحت سنابكِ خَيْلِ فرعون وجنودِه ، ووقعوا تحتَ رحمته وهو قاسٍ جَبَّارٌ ، بل إنَّ القضية : أنَّ بني إسرائيل كانوا حاملين لعقيدةِ التوحيد ، وحاملين لأثارةِ النبوات السابقة ، كانَتْ عندهم الأمانةُ العزيزةُ ، البقيةُ من تعاليم الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

أُلقيت على عاتِقه عليه السلام مُهِمَّتان :

فموسى عليه السلام يختلف عن الأنبياء الآخرين ؛ لأنه أُلقِيَتْ على عاتقه مُهِمَّتان : مهمةُ دعوةِ فرعون إلى الله الواحد القهَّار الذي لا شريكَ له في المُلك ، ولا في التشريع ، ولا في أيِّ شيءٍ ، ومهمةٌ أخرى ، وهي : أن يدعو فرعونَ إلى أن يَتْرُك بني إسرائيل وشأنَهم ، ويَفُكَّ أسر بني إسرائيل ، فقد جاء في القرآن صريحاً : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه : ٤٧] ، هذا هو الجانبُ الذي يُميِّز دعوةَ موسى عن دعوة الأنبياء الآخرين ، وكان موقفاً حَرِجاً ، لماذا ؟ لأن لسيدنا موسى قصةً ، قصةً فريدةً ، وحياتُه حياةٌ من طِرازٍ آخر .

إنه وُلِدَ في جَوٍّ قاتِمٍ خانقٍ قاتلٍ ؛ إنَّ فرعون وَجَّه تعليماتِه إلى « قِسم المخابرات » ـ كما تقول المصطلحاتُ الحالية ـ إلى شرطته ألا يَدَعَ أحداً يُولَدُ في بني إسرائيل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤] ، إنَّ فرعون قد خَطَّط تخطيطاً دقيقاً ، تخطيطَ الحكوماتِ المنظَّمة : ألا يُولَد

(١) فإن الله يؤكِّد هذا المعنى ويكرِّر فيقول : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

في بني إسرائيل مولودٌ جديدٌ ، وينقرضَ جيلُ بني إسرائيل ؛ ليتخلَّص منهم تماماً ، وتبقى طبقةُ النساء ، ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ إنه قَرَّر كمَلِكٍ صاحبِ حَوْلٍ وطَوْلٍ ، وأراد أن لا يُولَد أيُّ مولودٍ عاديٍّ ، وأراد اللهُ أن يُولَد أكبرُ مولودٍ ، وأرهَبُ مولودٍ ، أراد أن يَنجو ، وأن يتفادى ، وأن يستريح من مولودٍ يشكل خطراً على حُكمه ، وخطراً على مشاريعه ، وخطراً على مخطَّطاته ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى خَيَّبَ مُخطَّطَه ؛ لأنه أمَر أن يُولد موسى الذي كان يُذبَح لهُ الأطفال ، وإنما كانوا يقتلون الأبناء في حساب موسى ، ولكنَّ المولود الذي كان فرعون يخشاه ، وكان يَرصُد له ؛ وُلدَ ، ثم أراد ألا يعيش ، فعاش ، وأراد أن لا ينشأ ، فنشأ ، وأراد أن لا يَشِبَّ ، فشَبَّ ، وكيف عاشَ ، وكيف نَشَأ ؟ هذا من عجائب التاريخ الإنساني ، ومن مُعجِزات قدرة الله ، تبارك وتعالى ، إنَّه نَشَا في أحضان أَلَدِّ عَدُوٍّ ، وفي حِجر أعدى عَدُوٍّ يُوجَد على وجه الأرض .

تستحضرون هذا الجوَّ الذي كان جَوّاً خارقَ العادة ، وكلُّ شيءٍ فيه خارقٌ للعادة : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ٨ ـ ١٣] .

ثم خَرَج من غير استئذانٍ ، وكان مِن قَتل القِبْطيّ ـ أحد أعضاء الأسرة الحاكمة أو الشعب الحاكم ـ ما حكاه القرآن : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ

مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص : ١٥] .

هذا من مُعجِزات الإيمان ، ومن معجزات القُدرة الإلهية ، ومن الآياتِ البيِّنات ، إنَّ اللهَ يَكِلُ هذه المهمةَ إلى فردٍ مَوقِفُه أضعَفُ من كُلِّ فردٍ من أفراد بني إسرائيل .

مِحنةٌ لقُوّة النفس وقُوّة الإيمان :

الشيء الثاني : أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ الذي حكى القرآنُ قِصَّتَه في سورة القصص في تفصيلٍ أكثَرُ ، وفي سُورٍ أخرى تارةً بإجمالٍ ، وتارةً بتفصيلٍ ، هذا الذي يُؤمر بالدعوة ، وبالمطالبة بإطلاق حرية بني إسرائيل وفي كلٍّ منهما مِحنةٌ عظيمةٌ للإيمان ، ومِحنةُ التوكُّل على الله ، ومحنةٌ لقُوَّة النفس ، ولقُوَّة الإيمان ، محنةُ المطالبة بحرية بني إسرائيل ، فهذا الشيء الذي يجعل موسى عنده شيءٌ من الارتباك ، لذلك يقول القرآن على لسانه في سورة الشعراء : ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء : ١٤] ، وهو الذي أشار إليه فرعونُ بقوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩] ، فهذا يجعل موسى مرتبكاً بعضَ الارتباكِ ، ومتردِّداً بعضَ التردُّدِ ، عندما أكرم ، وأمر بأداء هاتين المهمتين ، وتبليغ هاتين الرسالتين ، ولكنَّه سبحانه وتعالى كان أعلمَ بأنَّ موسى هو الرجل المهيَّأ ، الرجلُ المختار لهذه الدعوة .

والآن تأتي أمامنا قطعةٌ من القرآن فيها امتحانٌ لموسى ـ عليه السلام ـ كَنبيٍّ مُلْهَمٍ ، وكداعٍ حكيمٍ يَجمَع بين الغيرة على هذه الدعوة وبين الفقه الدقيق العميق لها ، ولا بُدَّ أن يكون النبيُّ هو الأسوةَ والمثلَ الكاملَ في منهاج الدعوة ، هذه هي النقطةُ الدقيقةُ الحاسمةُ بين الدعاة المقيَّضين

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

المهيَّئين للدعوة ، المؤيَّدين من الله ، وبين الدعاة المُحترفِين المُصطنَعين ، المُتكلِّفين ، المُتملِّقين ، المُجامِلين الذين يُسَمُّون أنفسَهم : « واقعيِّين » !!

أحبُّ عبادِ الله إلى أبغضِ عباد الله :

فأوَّلاً يجب أن نُلاحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى يُرسِل موسى ـ عليه السَّلام ـ الذي هو حبيبُه ، وصَفيُّه إلى رجلٍ هو أكبَرُ عَدُوٍّ له ، يعني هنالك نِسبةُ التضادِّ ، نسبةُ التفاوُتِ العظيم الذي لا يقوم بين رَجُلَين عادِيَيْن ، إنما يقومُ بين رجلين هما على طَرَفي النقيض : أحبُّ عباد الله إلى أبغض عباد الله ، أعظم الرُّسل في عصره ، يُرْسَلُ إلى إنسانٍ قد تَحَدَّى القُدْرَةَ الإلٰهيةَ ، وقد تَحَدَّى الكبرياءَ الإلـٰهيةَ ، وقد جاء في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمةُ إزاري ، فمن نازَعَني واحداً منهما ؛ قذفتُه في النار »[1]، وقد بلغ من التحدِّي ، ومن الوقاحة ، ومن الجراءة على الله آخرَ نقطة ، فقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] فيُرْسَلُ الرسولُ الذي يُكرَّم بالرسالة ، ويُكرَّم بالاصطفاء ، وبالكلام ، وبالمناجاة مع الله تبارك وتعالى ، يُرسِله إلى أكبر عَدُوٍّ اقترف أكبرَ ذنبٍ ، ثم قد ضَمَّ إلى ذلك : أنَّه ادَّعى الألوهيةَ : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، فيُرسِلُ الله تبارك وتعالى مثلَ هذا الرسول الكريم إلى هذا العَدُوِّ البغيض الرجيم ، ولكن ماذا يقول له : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] ، بعد ذلك لا يمكن أن يتعلَّل إنسانٌ ، ويقول : إني أغلظْتُ لفلانٍ القولَ ؛ لأنه كان كذا وكذا ، لأنه ما يُمكِن لإنسانٍ أن يبلغ إلى هذا المدى من الوقاحة ، ومن الصَّلَف ، ومن الكبرياء ، ومن التحدِّي لقُدرة الله تبارك وتعالى وجَبروته وملكه ، فيقول : « أنا ربكم الأعلى » .

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه : ٤٥] .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار ، برقم : (٤٠٩٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قد كان في موقفه ضعفٌ ، وحَرجٌ ، ودِقَّةٌ ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٤٦ ـ ٥٠] .

السَّهْمُ المَسْمُوم من كِنانة فرعون :

تفتَّقت قريحةُ فرعون الشيطانية ، وأخذَ من كنانته سهماً مسموماً ، هو السَّهْمُ الذي لايَطِيش ، السَّهمُ الذي لو أُطلق على أيِّ واحدٍ من الدعاة الأذكياء الحاذقين الذين درسوا فلسفةَ الدعوةِ ، ودرسوا علمَ النفس ، وعِلمَ الاجتماع ، وعِلمَ الجدل ، والمخاصمة ؛ لتحقَّق له الفشلُ الذريعُ ، قال : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ٥١] .

هذا من ذكاء فرعون الشيطاني ، فإنه أراد أن يُحرِّك غضبَ نُدمائِه الذين كانوا جالسين ، أراد أن يتخلَّص ، وأن يَصِيد بهذا السَّهم الواحد صَيْدَين ، أولاً : أراد أن يَشغله عن الدعوة إلى التوحيد ؛ لأنه أخوفَ ما يخافه ، هو التوحيدُ الذي يُحرِّك السواكنَ من القلوب ، ويُحرِّك الإيمانَ الدقيقَ الكامنَ في قرارة نفوس هؤلاء ؛ لأنهم كانوا بشراً ، وكانوا بني آدم ، وكان فيهم أصحابُ عقولٍ وضمائر ، فكان يُمكِن أن يحرِّك هذا ، فأراد أوّلاً أن يَشغَل عن هذه النقطة الحسَّاسة التي كانت من أبغض النُّقَط إلى فرعون ، وكان من أوحشِ الناس لها ، ثم أراد أن يأخذ في جوارِه هؤلاء الذين كانوا جالسين حوله ؛ لأنه بقي وحدَه ، وكان مخاطباً وحدَه ، فأراد أن يَكسِب وُدَّهم ويُثير حميَّتهم الجاهلية ، فأثار موضوعاً شديد الحساسية بالنسبة لهؤلاء المتكبِّرين : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ .

هنالك احتمالان ، إمَّا أن لا يُحابي موسى ، ولا يُجامِلُ ويقول : هم

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

في جهنم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ، فماذا تكون العاقبة ، هؤلاء تثور فيهم حميَّةُ الجاهلية ، ويَشِيطون غضباً ، وعلى الأقلِّ : أنَّهم لا يسمعون لموسى كلاماً ، وإمَّا يَنْفَضُّون من هناك ، وإمَّا يَبطِشون بموسى ـ أكرمه الله وعصمه ـ وإمَّا أن يُحدِثوا صَخْباً ، وغوغاءً ، ماذا تقول يا موسى ؟ قد أهنتَ آباءنا ، وجَرَحْتَ شعورَنا .

وهنالك احتمالٌ آخر ، وهو أن يَسكُت موسى ، أو يُجامِل آباءهم ، فيقول : نحن نَحترِمهم ، وأنَّهم كانوا على علمٍ كبيرٍ ، وأشياءَ من المجاملة ، فكان لا بُدَّ أن يَتمسَّك فرعون بهذا ، ويتشبَّث به ، ويقول : إذا كانوا يستحقُّون الاحترامَ ، وإذا كانوا أجلاَّءَ ؛ فإنهم كانوا على عقيدتي ! ولكن ماذا قال موسى ؟ قال : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥١ ـ ٥٢] .

ثم تخلَّص من هذا إلى ما كان يقوله ، مثل : « الحديثُ بالحديث يُذْكَر » ، كان يُمكِن أن يقول : عِلمُها في التاريخ ، ولكن إذا قال التاريخُ المجرَّد ، أو في قصص الأوَّلين ؛ لتحوَّل الموقف ، وصار فِرعون يَخطُب ، ويتكلَّم ، واحتجَّ بالتاريخ المؤلَّف المختلَق في عصره ، والمدروس في مدارسه ، ولكنه قال : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾ .

تُلاحظون هذا التعبيرَ الدقيقَ ، وتخيُّرَ الكلمات ، هنا السِّرُّ الكامنُ ، والإعجازُ الكامل ، كان هنالك ألفُ تعبيرٍ ، ويستطيع كلُّ واحدٍ منا إذا واجَهَ هذا الموقَفَ ، أو وقع في مثل هذه المحنة أن يتخلَّص منها بألفِ تعبيرٍ ، خَلِّ هذا الذِّكْرَ ، واتركْ هذا الحديثَ ، هذا في قصص الغابرين ، هذا في حديث الأولين .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

التمسُّك بالدعوة وعَدمُ الحياد عنها :

ولكنَّ موسى ـ عليه السَّلام ـ لم يَترُكْ سبيلَ الدعوة ، ولم يَترِكِ الخيطَ الذي كان متمسِّكاً به ، بل انتقلَ بسُرعةٍ لا تُتصوَّر سرعةٌ أكثَرُ منها ، وببلاغةٍ لا تُتصوَّر بلاغةٌ أبلَغُ منها ، وبحكمةٍ لا تُتصوَّر حكمةٌ أقوى وأدَقُّ منها ، بكلمةٍ واحدة : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ولم يُرِدْ أن تطول هذه العبارةُ ؛ لأنه إذا طوَّل هذه العبارةَ ؛ انتهزَ فرعونُ الفرصةَ ، واقتحمَ المعركةَ . ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ وَصَلَ بها إلى ما كان عليه : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ، ثم استمرَّ ، وبدأ يذكر صفات الله التي كان يتهرَّب منها فرعون ، وهذا الذي كان فرعون يُحِبُّ أن يتخلَّص منه ، والله ! هناك تأخذُ الإنسانَ هِزَّةٌ ، وطربٌ أدبيٌّ وطربٌ عقليٌّ : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه : ٥٢ ـ ٥٤] .

مُراوغةٌ فِكريةٌ من فرعون ، واستقامةُ موسى ، ونجاحُه فيها[1] :

والمثَلُ الثاني ترونه في سُورة « الشعراء » : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء : ٢٣ ـ ٢٧] .

هنالك مراوغةٌ فكريةٌ ، بلاغيةٌ دَعويةٌ ، كيف يُحاوِل فرعون أن يتخلَّص وأن يُغطي هذا الموقفَ ، يُغطِّيه بسياسته ، وبلباقتِه وبتجارِبِه ،

(١) المراوغةُ قد تُطْلَق في معنى المخادعة المذمومة ، والمقصود هنا : التنقُّل جيئةً وذهاباً من مكانٍ إلى مكانٍ ، والقيامُ بحركةٍ مفاجئةٍ في اتجاهٍ جديدٍ ، كما يفعل اللاعب الماهر مع منافسه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فيُريد أن ينتقل من موضوعٍ إلى موضوعٍ ، وموسى ـ عليه السلام ـ يأبى إلا أن يُواصِل هذا الموضوعَ : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وكان فرعون يَتوقَّع أنَّ موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يقول كلمةً ثم تجري المناقشة ، لكن موسى اختار الشيءَ الذي يَضْرِب على الوَتر الحَسَّاس : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ « ما بينهما » معنى ذلك أنَّ عرض فرعونَ قائمٌ على غير قوائم ، لم يَنْطِق موسى ، ولم يكتف بقوله : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ ولكنه قال : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ تَحَدَّاه كذلك ، ووَضَع الأصبعَ على موضع الدَّاء : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ .

هنالك أطلق فرعون نفسَ السَّهم الذي أطلقه في الموقف الأول ، الموقفُ واحدٌ ، ولكنَّ القرآن يتنوَّعُ بحكايته : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ يعني : ألا تثورون ؟! ألا تغضبون ؟! ألا تقومون للدفاع عني ؟! أفقدتم الأنَفَةَ ، والشعورَ بالغيرة ؟! ألا تستمعون ؟! وقبل أن يتكلَّم هؤلاء ، أو يُحرِّكوا ساكنهم ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، هنالك كذلك حاول فرعون مرةً ثانيةً أن يتخلَّص من هذا الموقف الحَرِج ، ومن هذه الأزمةِ التي واجهته ، فقال : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ ، وهناك رجا فرعون ، وظنَّ أنَّ موسى سيُدافِع عن نفسه ، فيقول : لستُ مجنوناً ، هذا كان متوقَّعاً من صاحب عقلٍ ، وقد أثبتَ ذكاءَه ، وسلامةَ ذِهْنِه في مناسباتٍ كثيرةٍ .

فعرف فرعون موضعَ الدَّاء في النفس الإنسانية : أنَّ الإنسان إذا أُهين ، أو أنَّ الإنسان إذا انْتُقِدَ ؛ فإنه ينسى كلَّ شيءٍ ، ويُدافِع عن نفسه كأني به أسمع وأرى ، كان يَتوقَّع : أنَّ موسى يَنسى دعوتَه ، ويَنسى كُلَّ شيءٍ ، ويقول : من يقول : أنا مجنون ؟ اطلبوا الأطباء يفحَصون عني فحصاً

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

طبِّـيًّاً ، ويُقدِّموا إليك تقريرهم ، فكان هذا رجاء فرعون في قوله : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ .

ولكنّ موسى أجابه بقوله : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٨] ، هو لم يدافع عن نفسه ، ولم يقل أيَّ كلمةٍ في الدفاع عن نفسه ، إنه كان مُرسَلاً من الله تبارك وتعالى ، مُكلَّفاً بالدعوة ، فقضيَّةُ الجُنون ، والعقلِ هذه بالنِّسبة إلى هذه الدعوة الكريمة الجليلة قضايا لا قيمةَ لها في المجتمع الذي يسود فيه الشِّرْكُ ، في المجتمع الذي تسود فيه الوثنيةُ ، في المجتمع الذي تَشِيْعُ فيه الجناياتُ ، والجرائمُ ، في المجتمع الذي تُهتك فيه الأعراضُ ، في المجتمع الذي يُقَتل فيه الأبرياءُ ، وتُقتل الأطفالُ ، ما أهميَّةُ الجنون ؟ إنه تناسى هذه التهمةَ ، وقال : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، هذا آخرُ سَهمٍ في كَبِد فرعون ؛ لأنه كان يعتقد : أنَّه ربُّ المشرق ، والمغرب في مصر ، وكان يعتقد : أنَّ العالَم في مصر ، وكان يُعتبر : أنَّ الذي يملك مصرَ ، ويحكم مصرَ ربُّ العالَم ، فلما قال : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ إنه حَطَّم البناء الذي قامت عليه دعوى فرعون ، وقام عليه عرشُ فرعون ، وحكمُه .

هذا مثالٌ من أمثلة الدعوات النبوية ، وحِكمتهم ، وهذه الصورةُ الثانية تختلف في الدعوة ، والداعي ، والمدعوِّ إليه ، الدعوة هي دعوةٌ معقَّدةٌ دقيقةٌ ، والداعي موقفه دقيقٌ ، وحَرِجٌ ، والمدعوُّ إليه أكبر مَلِكٍ ، لذلك هذه الصورةُ تستحقُّ الاهتمامَ مِنّا ، وتستحقُّ الدراسةَ ، وتستحقُّ التأمُّلَ الدقيقَ ، واستيحاءَ الحِكَم ؛ والنتائج العميقة والبعيدةِ المدى ، من هذا النموذج الذي عرضه القرآن في حكاية موسى ـ عليه السَّلام ـ وفي حكاية دعوتِه[1] .

(١) من « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة » (ص : ٤٢ ـ ٥٦) بتصرُّف يسير .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

موسى عليه السلام مع قومه « بني إسرائيل » :

كان الحديث عن موقفِ موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الدعوة أمامَ فرعون الملكِ الجبَّار ، فكيف كان موقفُه أمام قومه بني إسرائيل ؟ فإنَّ الحرب الداخلية قد تكون أشدَّ خطراً ، وأكثرَ دقَّةً من الحرب الخارجية ، إنَّ الحرب بين رجلٍ ومُنافِسِه الذي لا يتَّصل به بنَسَبٍ ، وبعقيدةٍ قد تكون أهونَ من الحرب التي تكون بين الرجل ، وأهلِ بيته ، بين الرجل ، وعشيرته ، بين الرجل ، وبني جِلدته ، الذين يَلتقُون معه على نَسَبٍ أو دَمٍ ، أو وَطنٍ أو جنسٍ ، فكيف كانت مواقفُ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمامَ قومه ؟

ثلاثةُ مواقفَ واضحةٌ حاسمةٌ لموسى مع قومه :

إذا تأمَّلنا في القرآن الكريم ؛ وجدنا لموسى ـ عليه السَّلام ـ ثلاثةَ مواقف واضحةٍ حاسمةٍ مع قومه ، ونُريد أن نصل بذلك إلى نتائجَ ذات قيمةٍ في منهج الدعوة ، وفي موقف الدعاة ، كيف يجب أن يكون مَوقِفُهم مع أحبِّ الناس ومع أقربِ الناس إليهم ، ونتلقَّى منهم درساً خاصاً ، هو : أنَّ موقف الداعي أمام قومه ، أو أمام أعدائه ، أو أمام أقربِ الناس إليه يكون دائماً موقف الداعي ، يعني : أنَّ طابع الدعوة يَغلِبُ على هذا الموقف ، مهما تنوَّع هذا الموقفُ في الطبيعة ، ومهما اختلفتِ المناسبات ، ولكنَّه دائماً هو الداعي ، وهو يتكلَّم بلغة الدعوة ، ويَرمِي إلى الدعوة ، ويَضرِب على الوَتر الحسَّاس ، ويَقصِدُ من كلّ ذاك غَرْسَ الدعوةِ في نفوسهم ، وتهيئةَ النفوس لقبول هذه الدعوة ، ونبذِ كل ما عارَضَ الدعوةَ ، وأضرَّ بها ، أو جَنى عليها ، إنَّ مُهمة موسى تختلف باختلاف البيئة ، وباختلافِ الظروف المحيطة ، وباختلاف المجتمع ، والجَوِّ الذي وُلد فيه ، وعاشَ .

الموقف الأول : موقفُ نبيٍّ داعٍ لا موقفُ زعيمٍ سياسيٍّ :

إنَّ مُهمة موسى ـ عليه السَّلام ـ التي طالَبَ فيها فرعون ـ بأمرٍ من الله ـ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بإطلاق حُرِّية بني إسرائيل ، فيها شيءٌ من الالتباس ، وهو الذي أريد أن أنبِّهكم عليه . إنَّ كل مَن وقف هذا الموقفَ تَغْلِبُ عليه الحميةُ السياسيةُ ، وتثُور فيه الحميةُ القوميةُ ، ويُخاطِب بلسان السياسة ، أو بلسان « الحقوق » ، أو بلسان الاحتجاج ، شَعْبٌ مُسْتَعْبَدٌ مضطهدٌ بأسوء معاني الكلمة ، ولا قولٌ أبلَغُ من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

وقول الله تعالى في سورة « القصص » : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤] .

إنَّ كلَّ مَنْ كان شأنُه هذا ، ويقف مدافعاً عن قومٍ ، ويريد أن يُحرِّرهم ، ويتحدَّى القُوّةَ المُتغطْرِسَة الظالمة التي قهرته ، وداست كرامته ، وأهانَته في أعزِّ الأشياء عندَه ، إنَّ شأنَه أن تتغلَّب عليه النفسيةُ القوميةُ ، ويُخاطِب بلسان السياسة ، وبلسان المُطالَبة بالحقوق ، والمطالبةُ بالحقوق لها لغةٌ خاصةٌ ، ولها تعبيراتٌ خاصَّةٌ .

ولكنَّ الشيء الذي أريد أن ألفِت نظرَكم إليه : أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ شأنَ جميعِ إخوته الأنبياء والمُرسَلين ، كان نبيّاً مُرسَلاً ، والذي اصطفاه الله تبارك وتعالى لكلامه ، وكان داعياً إلى الله وإلى الإيمان والعقيدة قبلَ كلِّ شيءٍ . فأريد أن تُلاحظوا ، وتتأمَّلوا في الآيات التي سأقرؤها عليكم كيف استطاع موسى ـ عليه السَّلام ـ ، وكيف أعانهُ اللهُ تبارك وتعالى على أن لا يُرجِّح كِفَّةَ الاحتجاج ، وكِفَّةَ المطالبة بالحقوق ، أو كِفَّةَ الغضب ، والحميَّة القومية على كِفَّة الدعوة ، ففي مثل هذه المناسباتِ الحسَّاسة الدقيقة ، ينسى الإنسانُ كلَّ شيءٍ ، وتثورُ فيه الحَمِيَّةُ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الجاهليةُ ، وتتغلَّبُ عليه النزعةُ القوميةُ ، ويتكلَّم بلسان القوميِّين السياسيِّين ، ولكنْ كيف أنَّ الله تبارك وتعالى أعانَ موسى على أن لا يَدَعَ هذه النزعةَ تغلِب الإيمانَ القويَّ ، ودعوةَ فرعون إلى الله ، وبيانَ الحقائق الدينية ، وسُنَّة الله تبارك وتعالى في خَلْقِه ، وسُنَّةَ الله تعالى في الأُمم والأجيال ، وفي الخَلْق . الآن نتلو عليكم الآيات :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

أرادوا أن يصيدوا عُصفورَين بسَهْمٍ واحدٍ ، عصفورَ فرعون ـ إذا صَحَّ أن يُسمّى عصفوراً ـ وعصفور قومه ، قالوا لفرعون الكلمةَ التي كانت تُثير فرعونَ وتُهيجه، هو قولهم : ﴿ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، وأمَّا الكلمةُ التي كانت تُثير عُبَّادَ العِجل، وعُبَّادَ الأصنام؛ فقولهم : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ جمعوا في هذه الكلمة بين الجانبين ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ .

في مثلِ هذه المناسبة الرهيبة ، وفي هذا المقام الذي تثور في الإنسان الحميَّةُ والنَّخْوَةُ ، لم يَنْسَ موسى منهجَ الكلام الذي التزمه دائماً ، والرسالةَ التي كان يحملها ، وهنا تتجلَّى الروحُ النبويةُ في أروع مظاهرها ، تصوَّروا لو وقف هذا الموقفَ أيُّ واحدٍ من الدعاة ، أو أيُّ واحدٍ من العلماء ؛ لخاطب فرعون ، وقومَه بدل أن يُخاطِب قومَه ، ولكنَّ موسى خاطب قومَه ؛ لأنهم همُ المُخاطَبون الأوَّلون ، وعليهم الاعتماد ، وبهم يُبدِّل الله تبارك وتعالى الوضعَ .

الموقف الثاني : موقفُ الداعي المستقيم الذي هَيَّأه اللهُ لأمرٍ عظيمٍ :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قال موسى : استعينوا بالله ، ما قال : اعتمدوا على العدد الكثير الذي تتمتَّعون به ، اعتمدوا على ما أكرمكمُ الله به من الذَّكاء ، والمواهب الأصيلة ؛ لأن بني إسرائيل معروفون بالذكاء من قديم الزمان ، وفي المواهب الفِطرية ، إنَّ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يتعرَّض لشيءٍ مما كان يمتاز به بنو إسرائيل ، ولا شكَّ : أنَّ بني إسرائيل كانوا يمتازون بالشيء الكثير ، وكان موسى مِن أدرى الناس به ، ولكنه أبداً لم يلجأ إلى أيِّ شيءٍ من ذلك . ماذا قال؟ كأنه كان واقفاً على منبرٍ في مسجدٍ من المساجد ، فيقول : ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

هذا موقفُ الداعي الأمين ، الداعي المستقيم ، الداعي الذي هَيَّأه اللهُ لهذا الأمر العظيم ، هنا الدعوةُ إلى الله ، هنا الدعوةُ إلى التوكُّل ، هنا الدعوة إلى تفويض الأمور إلى الله تبارك وتعالى ، هنا الدعوةُ إلى الصُّمود ، وإلى الثَّبات أمام تهديدات فرعون ، التي جاءت في قوله : ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ ليست هذه الأفعالُ هي الأفعالَ المؤقَّتة ، بل إنَّا فوقهم قاهرون بشكلٍ دائم ، بشكلٍ ثابتٍ ، قال موسى لقومه : ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ ، الكلمةُ كان لها وقعٌ ، ولكان لها تأثيرٌ خاصٌّ إذا قيلت أمام فرعون ، قال موسى لقومه : ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ ليست لفرعونَ ، ولا لبني إسرائيل ، إذا كان موسى زعيمَ أمةٍ ، أو شعبٍ ، أو قائداً قومياً ؛ كان له أن يقول : إنَّ الأرض لنا ، إنَّ الأرض لبني إسرائيل ، هذه اللُّغةُ التي يُحسنها وحدَها القوميُّون ، إنَّ الأرض ليست للإنجليز ، إنما هي لأهلِ الهند ، مصرُ لأهل مصر ، سوريا لأهل سوريا ، إنكلترا لأهل انكلترا ، أمريكا لأهل أمريكا ، يقولُ أمام فرعون : الأرضُ لله ، ولا يقولُ : إنها أرضُ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الآباء ، مع أنهم سكنوها منذ قرونٍ ولهم حقٌّ عليها ، وهم « بَلدِيُّون » « مُواطِنون » لهم حقوقٌ ، كما كانت للأقباط وللأسرة الحاكمة ، قال موسى لقومه : ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ ﴾ ، وإذا عرفتم ، واطمأنتم : أنكم إذا وَرِثْتم هذه الأرض ، وخرج فرعون : أنكم ستملكونها إلى آخر الأبد ، فإنَّ هذا مخالفٌ لسُنَّة الله تبارك وتعالى ومُنافٍ لعدله ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . يعني هذه الأرض ليست مُلْكاً لأحدٍ ، ولا يستطيع شعبٌ أن يحتكرها ، وأن يتملَّكها تَملُّكاً دائماً : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ كما جاء في سورة « يونس » : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] .

والشيء الثاني الذي هو أدَقُّ حين أقبلَ عليه قومه بنو إسرائيل ، وقالوا : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : ١٢٩] ، هذا كان أشَدَّ ، وأنكى من قول فرعون : ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ ، لم تكن لهذه الكلمةِ شدَّةٌ وثِقَلٌ على موسى مثلَ ما كان لقولهم هذا ؛ لأن موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ بُعِثَ ليُنقِذ بني إسرائيل ، ويَهديهم إلى الله تبارك وتعالى ، ويُخلِّصهم من هذا العذاب المَهين ، ولكنَّهم كيف كان موقفُهم من هذه النِّعمة : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ ، وكان ذلك كما حكاه القرآن في سورة النمل : ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ ﴾ [النمل : ٤٧] ، يعني : كنتَ شُؤماً علينا ، الشيء الذي يُفتِّت الكبدَ ، ويُقطِّع القلبَ ، وهو أنَّ القوم الذين يُجاهِد الإنسانُ في سبيلهم ، ويتنازل عن كلِّ شيءٍ ، ويُجازِف بحياته يُعاملونه بالنُّكر ، والكُفران ، وجُحود النعمة . إنهم إذا لم يشكروا هذه النعمةَ ، ويَقْدُروها ؛ فكان الأفضلُ لهم أن يَسكُتوا ، ولكن ماذا قالوا : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ ، معنى ذلك : أنهم يتشاءمون بميلاد موسى ، ويقولون : كنتَ سببَ شِقوتنا ، وبلائِنا من قبل أن تَرِدَ إلينا ، وكُنتَ سببَ شقوتِنا ، وبلائنا بعدما جئتنا ، ونحن في عَذابٍ مستمرٍّ .

الدَّاعي داعٍ في كل شيءٍ :

فماذا كان جواب موسى ؟ هنا موقفٌ آخر من مواقف الداعي المختار المُلْهَم ، لم يغضب موسى ، ولم ينفعل ، كأنه لم يسمع هذه الكلمةَ ، الكلمةَ الخسيسةَ التي صدرت من أفواههم ، وتلقَّى هذا الكلامَ المُوجِعَ بسكينةِ الأنبياء ، ووَقارهم فقال : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

الداعي داعٍ في كل شيء حتى إن لو قلتَ : إنَّه في طعامه وشرابه داعٍ ، وفي بيته ومع أهله ، وبين أبنائه داعٍ ، وفي أفراحه داعٍ ، وفي أحزانهِ داعٍ ؛ لكُنتَ صادقاً ، وهكذا نرى في سيرة الرسول ﷺ : أنه كان داعياً في كلِّ شيء ، في كلِّ حركةٍ ، وسكونٍ ، كأنه يقول ذلك باسماً مُتهلِّلَ الوجه ، لم تُغيِّره هذه الكلمةُ الكَنودُ ؛ التي صدرتْ من بني إسرائيل ، فقال : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ، ولكن لا تَغُرَّنكم أنفسُكم مرَّةً ثانيةً ، ولا تَخْدعكم نفوسكم ، فأكمَلها بقوله : ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ لا أن تتمتَّعوا بخيراتها كما تتمتَّع الأقباط ، كما يتمتَّع فرعونُ ، وملؤه ، لا ! ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال : ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

وهنا الشاهدُ في هذه الآية ، كيف يكون موقفُ الداعي ، كيف تُسيطر

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الدعوة على كل كلمةٍ تَصْدُرُ من لسانه ، وعلى كل عملٍ يَصْدُرُ من أعضائه وجوارحه .

الموقف الثالث : أراد موسى شيئاً ، وأراد اللهُ شيئاً :

هذا موقفٌ دقيقٌ ، وموقفٌ حَرِجٌ ، هو الموقفُ الذي حصلَ لمَّا خرج موسى ـ عليه السَّلام ـ ببني إسرائيل لِيَنْجُوَ بهم من أرض العذاب ، ومن أرض الذُّل والهوان ، ومن أرض السخرة الظالمة ، والاضطهادِ الفظيع ، إلى بَرِّ السَّلام ، وإلى شبهِ جزيرة سيناء التي كانت خارجةً عن إمبراطورية فرعون ، فلمَّا خرج موسى بهم ؛ وقد أراد اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ شيئاً ، وأراد موسى شيئاً ، وأراد بنو إسرائيل شيئاً ، وأراد موسى أن يَنْجُو ببني إسرائيل ، وأراد الله تبارك وتعالى أن يُغرِق فرعونَ وجيشَه .

قَطَع موسى طريقَه في ظلام الليل ، فكان هناك قطعةٌ صغيرةٌ كانت تصل بين شِبه جزيرة العرب وبَرِّ إفريقيا ، أو الحلَقةُ البرِّية التي كانت تربط بين قارة إفريقية ، وقارة آسيا ، وأوَّلُها شِبْهُ جزيرة سيناء ، ولكن موسى أخطأ الطريقَ في ظلام الليل ، ولم يكن هذا الخطأ من المصادفات ، بل كان من المُقرَّرات ، كان من المُدبَّرات التي دَبَّرها الله تعالى ، فهنا أخطأ موسى الطريقَ وتوجَّه إلى البحر بدلَ أن يتوجَّه إلى البَرِّ ، وكان الطريقُ قصيراً ، ولكنه أخطأ في الليل ، ولمَّا أصبحَ وأسفر الصباحُ فُوجيء بأنَّ البحر أمامَه ، وجيشَ فرعون وراءَه !، قالوا : ما لنا حِيلةٌ ، وصاروا يَشْكُون ، وصاروا يُسيئون الظَّنَّ بموسى على عادتهم ، فقالوا : أنتَ احْتَلْتَ لتأتي بنا إلى هذا المكان لنقعَ في شبكة فرعون ، ماذا كان غَرَضُكَ ؟ لماذا جِئْتَ بنا إلى هنا ؟ إنما جِئْتَ بنا إلى هنا لكي نكونَ فريسةَ فرعونَ ، وجيشِه ، واللُّقْمَةَ السَّائغةَ لهذا الطَّاغية ، البحرُ أمامنا ، والجيشُ وراءنا ، ماذا نعمل هنا ؟

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وهنا يتجلَّى موقف الداعي ، فقد جاء في سورة « الشعراء » : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [٦١] ماذا يكون جواب السَّياسيِّين القوميِّين في هذه الحالة ؟ لا بُدَّ أن يقولوا : نحن قد وضعنا مُخطَّطاً دقيقاً مدروساً من قبل ، قد وضعنا مشروعاً كفيلاً بالنجاح ، ونحن على هُدىً ، ونحن على بصيرةٍ ، وأنا مستيقظٌ ، وأنا متأكِّدٌ بأننا سنصل إلى البَرِّ بسلام .

ولكنْ ماذا كان جوابُ موسى الأمين ، والمؤمنِ العليم ، قال : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦٢] .

قال ذلك بكلِّ ثقةٍ ، واعتزازٍ ، وبكل طُمأنينةٍ ، وإيمانٍ ، وكلُّ كلمةٍ في هذه الآية عامرةٌ بالإيمان دافقةٌ بالثقة ، ناطقةٌ بالتوكُّل على الله ، واعتمادٍ على قدرته ، وعلى أنَّ هذا الإسراء كان بأمرٍ من الله ، وهو العزيز الرحيم ، الرَّبِّ الكريم الذي لا يَخْدَعُ عبدَه ، ولا يُخْلِف وعدَه ، إذاً فلا خوفَ من البحر الزاخر ، ولا خَطر من العَدُوِّ القاهر .

ومثِلُ هذا لا يُتَوَقَّعُ ، ولا يُعْقَلُ من مَلِكٍ كريمٍ ، ومن أبٍ رحيمٍ ، بل من إنسانٍ ذي مُروءةٍ ، وشرفٍ، فكيف يُتوقَّع ، أو يُخشى من إلٰهٍ هو أكرم الأكرمين، وأرحمُ الرَّاحمين ! ، إنَّ موسى ـ على جلال الموقف ، ودِقَّة الوضع ـ لم يُساوِره خوفٌ ، ولم يُخامره شَكٌّ ؛ لأنه كان يعرف ـ وهو النبيُّ المُرسَل ـ : أنَّ الله الذي أمره بالإسراء ببني إسرائيل ، هو غالبٌ على أمره ، لم يُفلت منه زِمَامُ الكون حتى يُفاجِئه أمرٌ لا يُمكِن التغلُّبُ عليه ، إذاً فلا مجالَ للشَّكِّ ، ولا محلَّ للخوف ، فقال في قُوَّةٍ ، وحماسٍ : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ .

قارِنْ بين هذه القصة التي حكاها القرآن عن موسى ـ عليه السَّلام ـ وبين ما حكاه القرآنُ نفسُه عن خاتَم الرُّسُل سيِّدنا محمَّد ﷺ ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] ، واقرؤوا في شرحها ، واستعراض الواقع الدقيق ما جاء في « الجامع الصحيح » للبخاري[١] ، وفي كتب السِّيرة ، فقد جاء فيها : « بينما هما (رسولُ الله ﷺ ورفيقُه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه) في الغار[٢] ، إذ رأى أبو بكر آثارَ المُشركِين ، فقال : يا رسول الله ! لو أنَّ أحدَهم رفع قدمَه ؛ رآنا ، قال : « ما ظَنُّكَ باثنين الله ثالثُهما ؟ » . واستشعروا الشّبهَ العجيبَ بين نَبيَّين عظيمَين ، فَرَّقَ بينهما المكانُ ، والزمانُ ، والبيئةُ ، والملابسات ، ولكن جَمَعَتْ بينهما النبوةُ ، والإيمانُ القويُّ الوثيقُ الذي هو سِرُّ إيمان ملايينَ من البشر ، ومعرفتهما لقدرة الله تعالى ، ورحمته ، وحكمته معرفةً يمتاز بها الأنبياء ، ولا يَصل إلى قِمَّتها الفلاسفةُ ، والحكماءُ ، وكبارُ العلماء ، والعقلاء : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[٣] .

فماذا كان ؟ اقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ٦٣ ـ ٦٨] .

* * *

ثم توالت الأنبياء على بني إسرائيل إلى أن جاء « داود » عليه السلام ، فقام بدعوته ، وآتاه الله « الزبور » قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ ولقد أكرم الله داود ـ عليه السَّلام ـ بأمورٍ عديدةٍ ، منها : حُسن الصّوت ، حتى أصبح يُضرَب بحسن صوته المثل . وألانَ له الحديدَ ، وجعل الجبال ،

(١) باب قوله تعالى : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ كتاب التفسير .
(٢) غار ثور .
(٣) من « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة » (ص : ٥٧ ـ ٥٨) بتصرُّفٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

والطير تردِّد معه تسبيحه . . قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ .

ولم يذكر القرآن تفصيلاً لدعوته ، وموقفَ قومه منه .

ثم جاء ولدُه « سليمان » عليه السلام ، وقام بدعوته ، إلا أنه لم يذكر القرآن الكريم أيضاً لنا شيئاً عن دعوته ، وعن موقف قومه منه ، وإنما ذكر بعضَ الخصائص والمعجزات التي أيَّده الله بها ، قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ـ ١٤] .

وتوالت الأنبياء ، فجاء « أيوب ، ويونس » عليهما السلام[1] .

(١) المدخل إلى علم الدعوة : ص : ٦٤ ـ ٦٧ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعوة عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام

ثم جاء « عيسى » عليه السلام وكانت ولادته آيةً من آيات الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] . وآتاه الله الإنجيلَ ، فدعا بني إسرائيل إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

وقد عرض القرآنُ الكريم جانباً من دعوة عيسى عليه السلام ، وذكر بعضَ حواراته مع قومه ، فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ .

وقد آتى الله رسوله عيسى ـ عليه السلام ـ معجزاتٍ كثيرةً باهرةً ، عدَّدها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩ ـ ٥٣] .

واستمرَّ عيسى ـ عليه السلام ـ في دعوته حتى كادوا له ، ومكروا به ، فأنجاه الله ، ورفعه إليه ، قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران : ٥٤ ـ ٥٥] .

وقد بَيَّن القرآنُ والسُّنّة : أنه سينزل ثانيةً في آخر الزمان ليحكم بشريعة الإسلام ، ويؤمن به كلُّ من كان موجوداً حينئذ من أهل الكتاب ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٥٩] .

وقد تواترت الأحاديث النبوية الواردة بنزوله في آخر الزمان ، فجاء في الحديث المتفق عليه : « والذي نفسي بيده ، لَيُوْشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عَدْلًا ، فيكسر الصليبَ ، ويقتل الخنزيرَ ، ويَضَع الحربَ (وفي رواية : الجزية) ، ويَفِيضَ المالُ ؛ حتى لا يقبله أحدٌ ، حتى تكون السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها » ، ثم يقول أبو هريرة : « واقرؤا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ »[(١)] .

وكانت رسالةُ عيسى ـ عليه السلام ـ آخرَ رسالةٍ قبل رسالة الإسلام ، وكان موكبُه آخرَ موكبٍ من مواكب الدعوة إلى الله قبل بعثة رسولنا ﷺ[(٢)] .

وبهذا ينتهي العرض السريع المُجْمَل لسير الدعوة إلى الله قبل الإسلام ، على يد الرُّسل ، عليهم الصلاة والسلام ، الذين حَدَّثنا القرآنُ الكريم عنهم ، وعن دعوتهم ، وختم حديثَه عنهم في سورة الأنعام بقوله : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

* * *

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٨) .

(٢) من « المدخل إلى علم الدعوة » للدكتور محمد أبي الفتح البيانوني ، ص٤٩ ـ ٦٩ ، بتصرُّفٍ واختصارٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

القسم الثاني

دعوة خاتم النبيِّين وأفضل المُرسَلين

محمَّد بن عبد الله ﷺ

وأصحابه رضي الله عنهم

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الدعوة في عهد الرسول ﷺ

العالم قبل البعثة المحمَّديَّـة :

إنَّ العصر الذي كانت فيه البعثةُ المحمَّديةُ ، وما يليه من فترةٍ زمنية ؛ كان من أحطِّ أدوار التاريخ ، ومن أشَدِّها ظلاماً ، ويأساً من مستقبل الإنسانية ، وصلاحيتها للبقاء ، والازدهار . فقد كانتِ الإنسانيةُ في ذلك العصرِ في طريق الانتحار ، وكانَ الإنسانُ قد نَسِيَ خالقَهُ ، فنسي نفسَه ، ومصيرَه ، وفقد رُشْدَهُ ، وقوةَ التمييز بين الخير والشرِّ ، والحَسنِ والقبيح ، وكان الناسُ في شغلٍ شاغلٍ ، وفكرٍ ذاهلٍ ، لا يرفعون إلى الدِّين والآخرةِ رأساً ، ولا يفكِّرون في الروح والقلب ، والسعادةِ الأُخروية ، وخدمةِ الإنسانية ، وإصلاحِ الحال لحظةً ، وربَّما كان إقليمٌ واسعٌ ليسَ فيهِ أحدٌ يهمُّهُ دينُه ، ويعبد ربَّهُ ، لا يُشرِكُ بهِ شيئاً ، ويتألَّمُ للإنسانيةِ ومصيرها البائسِ ، وصدقَ اللهُ العظيمُ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] .

قد اقتضتْ حكمةُ الله أن تطلعَ شمس النبوة المحمدية التي تبدِّدُ الظلامَ ، وتملأ الدُّنيا نوراً ، وهدايةً من أُفْق جزيرةِ العربِ الذي كان أشدَّ ظلاماً ، وكان أشدَّ حاجةً إلى هذا النورِ الساطعِ .

وقد اختارَ اللهُ العربَ ، ليتلقَّوا هذه الدعوةَ أولاً ، ثمَّ يبلِّغُوها إلى أبعدِ أنحاءِ العالم ؛ لأنَّ ألواحَ قلوبهم كانت صافيةً ، لم تُكتَبْ عليها كتاباتٌ دقيقةٌ عميقةٌ يصعبُ مَحْوُها ، وإزالتُها شأنَ الرومِ ، والفُرسِ ، وأهلِ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الهند ، الذين كانُوا يَتِيْهُون ، ويزهُون بعلومهم ، وآدابهم الراقيةِ ، ومدنيَّاتِهم الزاهية ، وبفلسفاتهم الواسعةِ ، فكانت عندهم عُقَدٌ نفسيةٌ ، وفكريةٌ ، لم يكن من السَّهلِ حَلُّها .

أمَّا العربُ فلم تكن على ألواحِ قلوبهم إلا كتاباتٌ بسيطةٌ خطَّتْها يدُ الجهلِ ، والبداوةِ ، ومن السَّهل الميسور محوُها ، وغسلُها ، ورسمُ نقوشٍ جديدةٍ مكانَها ، وبالتعبير العلميِّ المتأخِّرِ : كانوا أصحابَ « الجهلِ البسيطِ »[١] الذي تسهلُ مداواتُه ، بينما كانَتِ الأممُ المتمدِّنَةُ الراقيةُ في هذا العصرِ مصابةً بـ « الجهل المركَّب »[٢] الذي تصعب مداواته ، وإزالتُه .

وكانوا على الفطرةِ ، وأصحابَ إرادةٍ قويةٍ ، إذا التوَى عليهم فهمُ الحقِّ ؛ حاربوه ، وإذا انكشف الغطاءُ عن عيونهم ؛ أحبُّوه ، واحتضنوه ، واستماتوا في سبيله[٣] .

بدء الدعوة الإسلامية :

لقد بدأتِ الدعوةُ الإسلاميةُ منذ بعثته ﷺ حيث جاءه الوحي ، وأنزل الله عليه قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٧] .

فدعا رسولُ الله ﷺ الأقربَ فالأقرب مِمَّن حوله ، فكان أولَ مَن أسلم معه من النساء : زوجته خديجة بنت خُوَيْلد ، رضي الله عنها ، ومن الرجال : أبو بكر ، رضي الله عنه ، ومن الصِّبيان : عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، ومن الرقيق : زيد بن حارثة ، رضي الله عنه . . .

---

(١) الجهل البسيط : هو عدم العِلم لما مِن شأنه أن يكون عالماً .

(٢) الجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد جازمٍ غير مطابق للواقع .

(٣) انظر : « السيرة النبوية » للشيخ أبي الحسن الندوي ، (ص : ٨١ ـ ٨٨) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثم تتابع إسلامُ عثمان بن عفَّان ، والزُّبَير بن العوَّام ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وطلحة بن عبد الله ، وأبي عُبَيدة بن الجَرَّاح ، والأرقم ابن أبي الأرقم ، وغيرهم ، رضوان الله عليهم جميعاً .

وبدأ المسلمون يجتمعون برسول الله ﷺ في دار الأرقم ابن أبي الأرقم يتلقَّون عنه ما نزل من القرآن ، ويأخذون عنه هديَ الإسلام العظيم ، ويرعاهم رسول الله ﷺ بالتربية الصالحة ، والتزكية الطاهرة . .

موقف المشركين والكافرين من دعوته ﷺ :

وبعد ثلاث سنوات من هذه الدعوة الفردية السِّرِّية نزل قوله تعالى : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] . فقام ﷺ يدعو الناسَ من حوله ، فصعد الصَّفا ونادى الناسَ ليُنذرهم ويبشِّرهم فقابله قومُه بالعَدَاء الشديد ، فانطلقت أول صيحةِ عداءٍ تجاهه من عمِّه أبي لهب بقوله : « تبّاً لك ، أما جمعتنا إلا لهذا » ، ثم تتابع العذابُ على رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، ولولا أنْ هَيَّأ الله له عَمَّه أبا طالبٍ ؛ ليُدافع عنه ، ويحميه من قومه ؛ لأصابه ما أصاب عدداً من أصحابه : كياسرٍ ، وعَمَّار ، وسُمَيَّة ، وبلال ، وعامر بن فُهَيرة ، وغيرهم ، رضوان الله عليهم ، فصبروا جميعاً أمام أشدِّ أنواع العذاب والتنكيل ، ولم يَسْلَم رسولُ الله ﷺ من ذلك في بعض الأحيان[1] .

دعا الرسولُ ﷺ قومَهُ بأحكم وأقوم ما يُمكِن أن يدعو نبيٌّ قومَه ، فقابلوه بالجحود ، والكيد ، والأذى ، والتَّعنُّت . استهزؤوا به ، وكذَّبوه ـ وهم يعلمون صِدْقَه ـ عناداً ، واستكباراً ، وطالبوه من جملة ما طالبوه به أن يُنَزَّلَ عليه ملكٌ من السَّماء ، أو أن يأتي بقرآنٍ غير الذي معه ، أو يبدِّله ،

(١) المدخل إلى علم الدعوة : ص : ٧٧ ـ ٧٨ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أو أن يَفْجُرَ لهم من الأرض ينبوعاً . . . إلى آخر ذلك من العناد ، والسَّفه مع أنّه ﷺ قَدَّم لهم من المعجزات الدَّالَّة على صِدقه ما يكفي بعضُه ليؤمن به أيُّ عاقلٍ باحثٍ عن الحقيقة[١] .

وفيما يلي نماذج من الآيات القرآنية المختلفة التي تبيِّن ما أسلفت ، أوردها تباعاً :

يقول الله ـ سبحانه ـ مُخاطِباً رسولَه محمّداً ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ٧ ـ ١٠] .

ولقد كان للمشركين من خلق رسول الله ﷺ ـ الذي يعرفونه جيداً بالخبرة الطويلة ـ ما يدلُّهم على صدقه ، وأمانته ، وهم كانوا يلقِّبونه بالأمين . . وكانوا يصدِّقونه فيما يقول . . لقد كان لهم في ماضيه برهانٌ . . . ثمّ لقد كان لهم في القرآن ذاته برهانٌ أصدق من هذه البراهين المادِّية التي يطلبون ، فإنَّ هذا القرآن شاهدٌ بذاته ، بتعبيره ، وبمحتوى هذا التعبير على أنَّه من عند الله ، وهم لم يكونوا يجحدون الله . . وهم ـ على وجه التأكيد ـ كانوا يحسُّون ذلك ، ويعرفونه . . كانوا يعرفون بحسّهم اللغوي الأدبيِّ الفنِّيِّ مدى الطاقة البشرية ، ويعرفون : أنَّ هذا القرآن فوق هذا المدى . . وهكذا يبدو : أنَّ هذه المقترحات لم تكن طلباً للبرهان ، إنَّما كانت وسيلة من وسائل الإعنات[٢] .

---

(١) فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم : للدكتور أحمد البراء الأميري ، ص : ٥٢٦ ، طبع دار القلم بدمشق .

(٢) في ظلال القرآن : (٢/ ١٠٣٩ ـ ١٠٤٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وفي سورة يونس مظهرٌ آخر من مظاهر التَّعنُّت ، لكنَّه مقترنٌ بالسفاهة والحماقة هذه المرة . يقول تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا(١) ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ(٢) قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ .

وفي سورة الحجر : ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا(٣) تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ .

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ (٤) إِنَّمَا سُكِّرَتْ(٥) أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ .

يكفي تصوُّرهم على هذا النحو لتبدو المكابرة السمجة ، ويتجلَّى العناد المزري ، ويتأكَّد أن لا جدوى من الجدل مع هؤلاء ، ويثبت أن ليس الذي ينقصهم هو دلائل الإيمان، وليس الذي يمنعهم أنَّ الملائكة لا تنزل، فصعودهم إلى السماء هو أشدُّ دلالة، وألصق بهم من نزول الملائكة، إنّما هم قوم مكابرون، مكابرون بلا حياء ، وبلا تحرُّج ، وبلا مبالاة بالحقِّ الواضح المكشوف ! . .

---

(١) قال قتادة : يعني مشركي أهل مكة . القرطبي : ٨/ ٣١٩ .

(٢) قال القرطبي (٨/ ٣١٩) : والفرق بين تبديله والإتيان بغيره : أن تبديله لا يجوز أن يكون معه ، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه . وفي قولهم ذلك أوجه ، منها : أنّهم سألوه أن يُسقط مافي القرآن من عيب آلهتهم ، وتسفيه أحلامهم .

(٣) لوما : هلاّ .

(٤) القائلون هم كفّار مكة .

(٥) أي : حُبِسَتْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وهذا النموذج ليس محلياً ، ولا وقتياً ، ولا هو وليد بيئة معيَّنة في زمان معيَّن . . إنَّه نموذج للإنسان حين تفسد فطرته ، وتستغلق بصيرته ، وتتعطَّل في كيانه أجهزة الاستقبال والتلقِّي ، وينقطع عن الوجود الحيِّ من حوله ، وعن إيقاعاته وإيحاءاته[١] .

ويمضي مشركو مكَّة في تعنُّتهم، وعنادهم، واستكبارهم ، وسخريتهم من رسول الله ﷺ : وتُصوِّر ذلك بعضُ آيات سورة الإسراء أبرع ، وأصدق ، وأدقَّ تصوير :

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا[٢] ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ[٣] خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا[٤] أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا[٥] ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ[٦] أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣] .

سبب نزول هذه الآية وما يتبعها ، أنَّ رؤساء قريش ، كعتبه ، وشيبة ، وأبي جهل . . . اجتمعوا عند الكعبة ، فقال بعضهم لبعضٍ : ابعثوا إلى محمَّد فكلِّموه ، وخاصموه ؛ حتى تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلِّموك ، فجاءهم سريعاً ، وكان حريصاً على رُشدهم ، فقالوا : يا محمَّد ! إنّا ـ والله ـ لا نعلم رجلاً من العرب أدخل

(١) في ظلال القرآن : (٤/ ٢١٢٩ ـ ٢١٣٠) .
(٢) يَنبوعاً : عيناً لا ينضب ماؤها ، ولا يغور ، من نبع الماء من العين .
(٣) أي : تشقِّقها ، والمراد تُجريها .
(٤) كِسَفاً : قِطعاً ، جمع : كِسْفة ، يقال : كَسَفْتُ الثوب : قطعته .
(٥) قبيلاً : مقابلةً ، وعياناً ، أو كفيلاً بما تدَّعيه ، شاهداً بصحَّته .
(٦) الزخرف : الذهب . والمعاني السابقة مستفادة من : « صفوة البيان لمعاني القرآن » للشيخ حسنين مخلوف : ص : ٣٧٢ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

على قومه ما أدخلتَ على قومك . لقد شتمتَ الآباء ، وعبتَ الدِّينَ ، وسَفَّهتَ الأحلام ، وفرَّقت الجماعةَ ، فإن كنتَ إنَّما جئتَ بهذا لتطلب مالاً ؛ جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً . . . إلى أن قالوا : فإن كنتَ غير قابلٍ منَّا ما عرضنا ؛ فقد علمتَ : أنّه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلاداً ، ولا أشدَّ عيشاً منَّا ، فسَلْ لنا ربَّك يسيِّر لنا هذه الجبال التي ضُيِّقتْ علينا ، ويُجري لنا أنهاراً ، ويبعث مَن مضى مِن آبائنا ، وليكنْ فيمن يُبعث لنا منهم قصيُّ بن كلاب ، فإنّه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عمّا تقول : أحقٌّ هو ؟ فإن فعلتَ ؛ صدّقناك .

فقال رسول الله ﷺ : « ما بهذا بُعِثتُ ، وقد أبلغتكم ما أُرسِلتُ به » .

قالوا : فسل ربّك أن يبعث مَلَكاً يصدّقك ، وسَلْهُ أن يجعل لك جِناناً ، وكنوزاً ، وقصوراً من ذهبٍ ، وفضَّةٍ تغنيك .

قال : « ما أنا بالذي يسأل ربّه هذا » .

قالوا : فأسقط السماءَ علينا كما زعمتَ بأنّ ربّك إن شاء فعل .

فقال : « ذلك إلى الله عزّ وجل » .

فقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى تأتيَ بالله ، والملائكة قبيلاً . وقال عبد الله بن أميّة : لا أؤمن لك حتى تتّخذَ إلى السماء سلّماً ، وترقى فيه ؛ وأنا أنظر ، وتأتي بنسخة منشورة معك ، ونفرٍ من الملائكة يشهدون لك .

فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً لما رأى من مباعدتهم إيّاه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ . . . ﴾ الآيات . رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما »[1] .

(١) زاد المسير : لابن الجوزي (٥/ ٨٥ ـ ٨٦) ، وانظر : « تفسير ابن كثير » : (٣/ ٦٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وتبدو طفولة الإدراك والتّصوُّر ، كما يبدو التّعنُّت في هذه المقترحات السّاذجة ، وهم يُسَوُّون بين البيت المزخرف ، والعروج إلى السماء ! أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله ـ سبحانه ـ والملائكة قبيلاً ! والذي يجمع في تصوُّرهم بين هذه المقترحات كلّها هو أنّها خوارق ، فإذا جاءهم بها ؛ نظروا في الإيمان له ، والتصديق به ! وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن ، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ، ومعناه ، ومنهجه ، ولكنّهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسِّهم ، فيطلبون ما تدركه الحواسُّ !

والخارقة ليست من صنع الرسول ـ ﷺ ولا هي من شأنه ، إنّما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره ، وحكمته ، وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إيّاها . فأدبُ الرسالة ، وإدراكُ حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسولَ ﷺ أن يقترح على ربّه ما لم يصرِّح له به . . ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ »[1] .

هذه نماذج قليلة تعطي فكرة واضحة عن الموقف الذي اتخذه كفّار قريش من رسول الله ﷺ ودعوته .

هجرةُ المسلمين إلى الحبشة وتمثيلُ جعفر بن أبي طالب للإسلام :

ولمَّا اشتدَّ على المسلمين الأمرُ ؛ وَجَّه رسول الله ﷺ أصحابَه إلى الهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإنَّ بها ملكاً لا يُظلَم عنده أحدٌ ، وهي أرضُ صدقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه . . . »[2] .

فخَرَجَتْ عند ذلك جماعةٌ من المسلمين إلى أرضِ الحَبَشةِ ، فكانَتْ

(١) في ظلال القرآن : (٤/ ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥١) .
(٢) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٢١ و٣٤ و٣٣٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أوّلَ هجرةٍ في الإسلام ، وكانُوا عشرةَ رجالٍ وأربعَ نسوةٍ فيهم : عثمانُ بنُ عَفَّانَ وزوجُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ ، أمَّروا عليهم عثمانَ بنَ مظعون ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم خَرَجَ جعفرُ بن أبي طالبٍ ، وتتابَعَ المسلمون ، حتَّى اجتمعوا بأرضِ الحبشةِ ، منهم من خَرَجَ بأهلهِ ، ومنهم من خَرَجَ بنفسِه ، وكان جميعُ مَنْ هاجَرَ إلى أرضِ الحبشةِ ثلاثةً وثمانين رجلاً[١] .

ولم تكنِ الغايةُ الوحيدةُ من الهجرةِ إلى الحبشةِ الخَلاصَ من أذى قُريشٍ ، بل كانَتْ مقترنةً بالدعوةِ إلى الإسلامِ ، والتخفيفِ من هُمومِ النبيِّ ﷺ .

واستعراضُ قائمةِ المهاجرينِ يَدُلُّ على سَعَةِ الدَّائرةِ البَشَرِيّةِ، وتنوُّعِها، وشمولِها للطَّبقاتِ ، والمستوياتِ في المجتمع المَكِّيِّ ، ففيها الغَنِيُّ ، والفقيرُ ، والكَهْلُ ، والشَّابُّ ، والرِّجَالُ ، والنِّسَاءُ ، وينتمي أغْلَبُهم إلى أُسَرٍ مكِّيَّةٍ عريقةٍ ، فدَلَّ على شِدَّةِ تأثيرِ الدعوةِ ، وقُوَّتِها وشمولِها .

تعقُّبُ قريشٍ للمسلمين :

ولمَّا رَأَتْ قريشٌ : أنَّ هؤلاءِ قد أمِنُوا ، واطمأنَّوا بأرضِ الحبشةِ ؛ بَعَثُوا عبدَ اللهِ بنَ أبي ربيعةَ ، وعمرو بنَ العاصِ بن وائلٍ ، وجَمعوا لهما هدايا للنجاشيِّ ، ولبطارقتِه[٢] مما يستطرفُ من متاع مكَّةَ ، وقَدِما على النجاشيِّ ، وقد استمالا البطارقةَ ، وأرْضَيَاهم بهداياهم ، وتكلَّما في مجلسِ المَلِكِ ، فقالا : إنَّهُ لجَأَ إلى بلدِ الملكِ منَّا غِلْمانٌ سفهاءُ ، فارَقُوا دينَ قومِهم ، ولم يدخلوا في دينِكم ، وجاؤُوا بدينٍ مبتدعٍ ، لا نعرفه نحنُ

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٢١ـ٣٣٠) .
(٢) البطارقة : جمع بطريق ، وهو القائد الحاذق بالحرب .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ولا أنتم ، وقد بَعَثْنا إليك أشرافُ قومِهم من آبائِهم ، وأعمامِهم ، وعشائِرهم ، لتَرُدَّهم إليهم ، فهم أبْصَرُ بهم ، وأقْرَبُ إليهم ! وقالتِ البطارقةُ حولَه : صَدَقا أيُّها الملكُ ، فأسْلِمْهم إليهما !

فغَضِبَ النَّجاشيُّ ، وأبى أنْ يقبلَ كلامَهم ، ويسلمَ من لجأَ إليه ، وإلى بلادِه ، وحَلَفَ باللهِ ، وأرسلَ إلى المسلمين ، فدعاهم ، ودعا أسَاقِفَتَهُ[1] ، وقال للمسلمين : ماهذا الدينُ الذي قد فارَقْتم فيه قومَكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ودينِ أحدٍ من هذهِ المِلَلِ ؟ .

تصويرُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ للجاهلية وتعريفُه بالإسلامِ :

وقامَ جَعْفَرُ بن أبي طالبٍ ـ وهو ابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ ـ فقال له : « أيُّها المَلِكُ ! كُنَّا قوماً أهلَ جاهليةٍ ، نَعْبُدُ الأصنامَ ، ونَأْكُلُ المَيْتَةَ ، ونأتي الفواحشَ ، ونَقْطَعُ الأرحامَ ، ونُسِيءُ الجوارَ ، ويأكلُ القويُّ مِنَّا الضعيفَ ، فكُنَّا على ذلكَ ، حتَّى بَعَثَ الله إلينا رسولاً مِنَّا ، نعرِفُ نَسَبَه ، وصِدْقَه ، وأمانَتَه ، وعفافَه ، فدعانا إلى اللهِ لنُوَحِّدَه ، ونعبدَه ، ونَخْلَعَ ما كُنَّا نعبدُ نحنُ وآباؤُنا من دُونه من الحجارةِ ، والأوثانِ .

وأمَرَنا بصِدْقِ الحديثِ ، وأداءِ الأمانةِ ، وصِلَةِ الرَّحِمِ ، وحُسنِ الجِوَارِ ، والكَفِّ عن المَحارِمِ ، والدِّماءِ ، ونهانا عن الفواحشِ ، وقولِ الزُّورِ ، وأكلِ مالِ اليتيمِ ، وقذفِ المُحْصَناتِ .

وأَمَرَنا أنْ نعبدَ اللهَ وحدَه ، لا نُشْرِكَ بهِ شيئاً ، وأمَرَنا بالصَّلاةِ ، والزَّكاةِ والصِّيامِ ـ فعَدَّدَ عليه أمورَ الإسلام ـ فصَدَّقْناه وآمنَّا بهِ ، واتَّبَعْناهُ على ما جاءَ بهِ من اللهِ ، فعَبَدْنا اللهَ وحدَهُ ، فلم نُشْرِكْ بهِ شيئاً ، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ علينا ، وأحْلَلْنا ما أحَلَّ لنَا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذَّبُونا ، وفتنُونا عن دينِنا ؛

(١) الأساقِفة : علماء النصارى ؛ والواحد : الأسقف .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ليَردُّونا إلى عبادةِ الأوثانِ من عبادةِ اللهِ تعالى ، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائثِ .

فلمَّا قَهَرُوْنا ، وظلمُونا ، وضيَّقُوا علينا ، وحالُوا بيننا وبين ديننا ؛ خَرَجْنا إلى بلادِكَ ، واخْتَرْناكَ على مَن سِواك ، ورَغِبْنا في جوارِكَ ، ورَجَوْنا ألا نُظْلَمَ عندك أيُّها الملكُ ! » .

وسَمِعَ النجاشيُّ كلَّ ذلك في هُدوءٍ ، ووقارٍ ، ثمَّ قال : هل معك ممَّا جاء به صاحبُكم عن الله من شيءٍ ؟

قال جعفرُ : نعم .

قال النجاشيُّ : فاقْرَأْهُ عليَّ .

فقرَأَ جعفرُ صدراً من سُورةِ مريمَ ، فبكى النجاشيُّ ، حتى اخْضَلَّتْ[1] لِحْيَتُه ، وبكى أساقفتُه ، حتى أخضلُوا مصاحفَهم[2] .

إنَّ كلامَ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ أمامَ ملكِ الحبشةِ ، وتصويرَه للإسلام كلامُ حكيمٍ قد جاءَ في أوانِه ومكانِه ، وقد دَلَّ على بلاغةِ صاحبِه العقليّةِ ، قبلَ أن يَدُلَّ على بلاغتِهِ العربيَّةَ البيانيَّةِ ، ولا يُعَلَّلُ ذلك إلا بإلهامٍ من اللهِ ، وتأييدِ هذا الدِّين الذي أرادَ اللهُ أنْ يُتِمَّ نورَهُ ، وأنْ يُظْهِرَهُ على كلِّ دينٍ ، ويَدُلُّ كذلك على سلامةِ الفطرةِ ، ورجاحةِ العقلِ ، اللَّتينِ فاقَ فيهما بنو هاشمٍ قريشاً ، وفاقَتْ فيهما قريشٌ العربَ كلَّهم ، فقد فَضَّلَ جعفرٌ أنْ يكونَ جوابُه حكايةَ حالٍ لِما كان عليهِ أهلُ الجاهليةِ في الجزيرةِ العربيةِ ، ولِما آل إليه أمرُهم بعدما أرسلَ اللهُ رسولَه فيهم ، ودعا إلى اللهِ وإلى الدينِ الحنيفي السَّمحِ ، ومكارمِ الأخلاقِ ، وآمنُوا به ، واتّبعُوه .

---

(١) اخضلَّت : ابتلت .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٠٢) و(٥/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ قالَ النجاشيُّ : إنَّ هذا والذي جاءَ به عيسى ، يَخْرُجُ مِنْ مشكاةٍ واحدةٍ ! ثمَّ أقبلَ على رسولَيْ قريشٍ ، فقال : انطلقا ، فلا واللهِ لا أُسْلِمُهم إليكم ، ولا يُكادون !

وأطلَقَ عَمْرُو بنُ العاصِ آخرَ سَهْمٍ مِنْ سهامِ جَعْبَتِه ، وهو سهمٌ مسمومٌ ، فغدا على النجاشيِّ من الغدِ ، وقال له : أيها الملكُ ! إنَّهم ليقولُون في عيسى ابنِ مريمَ قولاً عظيماً ! فأقبلَ الملكُ على المسلمين ، فقال : ماذا تقولون في عيسىَ ابنِ مريمَ ؟

قال جعفرُ بنُ أبي طالبٍ : نقولُ فيه ما جاءَ به نبيُّنا ﷺ هو : عبدُ اللهِ ، ورسولُه ، ورُوْحُه ، وكلمتُه ، ألقاها إلى مريمَ العَذْرَاءِ البَتُوْلِ .

فضَرَب النجاشيُّ بيدِه إلى الأرضِ ، فأخذَ منها عوداً ، ثمَّ قالَ : واللهِ ما زادَ عيسى ابنُ مريمَ على ما قُلْتَ مقدارَ هذا العُودِ . ورَدَّ المسلمينَ ردَّاً كريماً ، وأمَّنَهم ، وأمَرَ بردِّ هدايا رسولَي قُريش ، وخرجَا من عنده مقبوحَين[1] ، فأقامَ المسلمون بخيرِ دارٍ مع خيرِ جارٍ .

لو كان رجلٌ مكانَ جعفر بن أبي طالب ، فواجَهَ مِثلَ هذه الأزمة والمشكلةِ الطريفة ؛ لم يكن غريباً أن يُداهن ، أو يُحابي ، أو يراعي دِقَّةَ الموقف ، ويُجيب جواباً سياسياً ، ويَخْرُج من هذا المَضْيَقِ بكلمةٍ لَبِقةٍ لا تُصرِّح ببشريَّة سيدنا عيسى ابن مريم ، وقد كان بليغاً حاضرَ البديهة ، مُتصرِّفاً في الكلام ، ولكنه كان ممثِّلاً للعقيدة الإسلامية الصَّافية خيرَ تمثيلٍ ، قائماً في هذا المجلس الملكيِّ مقامَ الرُّسُل والأنبياء ، من غير رسالةٍ ولا نُبُوَّةٍ ، فما كان له أن يُداهِن ، أو يَمْزُجَ الحقَّ بالباطل ، فجاء بكلامٍ صريحٍ واضحٍ ، ولكن في بلاغةٍ ، وحكمةٍ ، وفي اتِّزانٍ ، وتناسُبٍ

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٨) باختصار .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دقيقٍ ، وكلامٍ فصْلٍ لا فُضولَ فيه ، ولا تقصيرَ . فكان عاقبةَ هذا الإخلاص والصِّدق ، ونتيجةَ هذه البلاغة والحكمة : أنه خَرَج من هذا المأزق منتصراً كريماً سليماً ، وكَسَبَ المعركةَ .

وهذا النموذجُ الرائعُ من أدب الدعوة وحكمتِها في موقفٍ دقيقٍ رهيبٍ ، ومجلسٍ وقورٍ مهيبٍ لرجلٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ وأهل بيته ، قد آتاه الله الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب ، وفي ذلك قدوةٌ للدعاة ، والمُرشِدين ، ودرسٌ للعلماء ، والمتأدِّبين[1] .

مِحَنٌ وابتلاءات للذين أسلموا :

واستمرَّت الشِّدَّة ، حتى هَمَّ قومُه ﷺ بقتله ، فبلغ ذلك عمَّه أبا طالبٍ ، فجمع بني هاشم ، وبني عبد المُطَّلِب ، وأدخلوا رسولَ الله ﷺ في شِعْبهم ليحفظوه من القتل ، وأخذوا يتناوبون على حراسته ﷺ .

فغضبت لذلك قريشٌ ، فاجتمع بعضُ زعمائها ، وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً على بني هاشم ، وبني عبد المُطَّلب يُجْمِعون فيه على مقاطعةٍ اجتماعيةٍ اقتصاديةٍ ، حتى يخضعوا ، ويُسلموا لهم رسولَ الله ﷺ ، وعَلَّقوا الصحيفةَ في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب ، ودخلوا معه الشِّعْبَ وأقاموا فيه سنتين ، أو ثلاث ، حتى أصابهم الجهدُ الشديدُ ، ثم يَسَّرَ الله بعضَ الرجال للسَّعي في نقض هذه الصحيفة ، وحَلِّ هذه الشِّدّة . . . »[2] .

ثم زاد الأمرُ شِدّةً على رسول الله ﷺ لمَّا ماتَ أبو طالب ، وتبعته أمُّ المؤمنين خديجةَ ـ رضي الله عنها ـ بَعد أيام ، وكان العامُ عامَ الحزن . . .

---

(١) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة : ص : ١١٠ ـ ١١١ .
(٢) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٥٠ ـ ٣٨١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الطائف يطلب النُّصْرَةَ من ثقيفٍ ، فَردُّوه شَرَّ ردٍّ ، وحرَّضوا عليه ، وآذوه ، فرجع إلى مكَّة مُسْتَضْعَفاً[١] .

وبقي الرسولُ ـ عليه الصَّلاة والسلامَ ـ مع أصحابه على هذه الحال من الشدة ثلاثة عشر عاماً ؛ حتى أذن اللهُ لهم بالهجرة إلى المدينة ، وهَيَّأ لهم فيها الأسباب[٢] .

وتَمَّتِ الهجرةُ ، وبدأتْ في المدينة المنوَّرة مرحلةٌ جديدةٌ من مراحل الدعوة الإسلامية ، حيث قوي المسلمون بمن دخل في الإسلام ، وبمن ناصرهم في المدينة المنوَّرة ، فقامت لهم دولتهم ، وأذن الله لهم فيها بقتال عَدُوِّهم بعد أن كان يأمرهم في مكَّة بكفِّ أيديهم ، وبالصَّبر ، والمصابرة . . .

وكان أوَّلَ إعلانٍ رسميٍّ لشعائر العبادة في المدينة بناء « مسجد قُباء » والصَّلاة فيه ، ثم بناء « مسجد الرسول ﷺ » .

وبدأت الخطوات العملية لإقامة أول دولةٍ إسلاميةٍ على وجه الأرض ، وذلك على أُسُسٍ ثابتةٍ متينةٍ من الأُخُوَّة الإسلامية الصَّادقة ، والنظام الواضح ، والدستور البيِّن ، وعلى الأرض الطيِّبة « المدينة المنوَّرة » ، وكتب رسولُ الله ﷺ الوثيقةَ التاريخيةَ التي وَضَّحت العلاقة بين المسلمين : المهاجرين والأنصار من جهةٍ ، وبين المسلمين وغيرهم في مجتمع المدينة من جهةٍ أخرى[٣] . فاكتملت للمسلمين بذلك الأركان الأساسية للدولة ، وبدأ العمل بعد ذلك على عدة محاور :

---

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٤١٥ ـ ٤١٨) .

(٢) سيرة ابن هشام : (١/ ٤١٩ ـ ٤٢١) .

(٣) انظر : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي ، ص : ٥٩ ـ ٦٢ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

١ ـ نشر الدعوة الإسلامية بين الناس ، وتعليم المسلمين أمورَ دينهم ، والعمل على تربيتهم ، وتزكيتهم على هدي الإسلام .

٢ ـ مواجهة الأعداء ، وإعلان الحرب على الكافرين المحاربين ، والعمل على التخلُّص منهم . .

٣ ـ تطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية ، والجماعية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المُنْكَر .

٤ ـ التخطيط لتوسيع رقعة الدولة المسلمة ، بنشرِ رسالة الإسلام ، عن طريق إرسال الرُّسُل والبعثات ، واستقبالِ الوفود ، ومكاتبةِ الزُّعماء والحُكَّام ، وتجهيزِ الجيوش . . .

وقد مُلِئَتْ كتبُ السِّيرة والسُّنَّة بتفصيلات هذه الأعمال ، فتحدَّثت عن أعمال التبليغ ، ونشرِ الدعوة ، والاهتمامِ بالعلم والتعليم[1] .

فهكذا مَرَّ موكبُ الدعوة الإسلامية في زمنه ﷺ حتى وافى رسولَ الله ﷺ الأجل ، ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن بلَّغ الرسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً ، فجزاه الله عنا ، وعن المسلمين خير الجزاء !

نموذجان من دعوةِ خاتمِ الرسلِ ﷺ وحكمته :

النموذج الأول من دعوته ﷺ على جبل الصَّفا :

نتخيَّر من هذه المواقف الدَّعوية الجليلة الرائعة التي هي كلُّها معجزاتٌ لسيِّد المُرسَلين ، وخاتم النبيِّين ﷺ موقفَه ﷺ ـ هو الموقفُ الأول كداعٍ ـ على جبل الصَّفا ، وهو النموذج الأول من دعوته ﷺ وأريد أن تستحضروا

(١) انظر « المدخل إلى علم الدعوة » ص : ٧٦ ـ ٨١ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الجوَّ الذي بدأ فيه رسول الله ﷺ دعوتَه ، وتعيشوا تلك المشكلةَ التي كانت تكتنف هذه الدعوةُ إلى الله تبارك وتعالى وإلى التوحيد ، ونبذِ الشِّرك ، والوثنية ، والحياة الجاهلية التي كانوا يحيونها .

ولم يكن ذلك عصرَ الصحافةِ ، والإذاعة ، وعصرَ آلات نشرِ الصوت ، وتضخيمه ، فما هو السبيلُ إلى حشر سُكَّان الوادي إلى مكانٍ مخصوصٍ في زمنٍ مخصوصٍ ؟ وما هو السبيلُ إلى السيطرة على عقولهم ، ونفوسهم حتى يَنفُضوا أيديَهم من أشغالهم ، وملذَّاتهم ، ويَخِفُّوا إلى مكانه فَزِعين مُسرِعين ؟ كان الرسولُ ﷺ عربياً ، يعرف عاداتِ العرب ، وتقاليدَهم وشعاراتِهم ، وتأثيرَها في نفوسهم ، ومجتمعهم ، واستعان بذلك في سبيل هذه الغاية التي لا غايةَ أفضل منها ، اعتاد العربُ إذا أحسَّ أحدٌ منهم بخطرٍ ، وبِعَدُوٍّ يريد أن يفاجئهم ، ويأخذ القوم على غرتهم ، أو بِعَدُوٍّ كامنٍ قاعدٍ بالمرصاد قد غفل عنه أهل البلاد أن يرتقي أحدُهم قمَّةَ جبلٍ ، أو رَبْوَةٍ ، ويصرخ بأعلى صوته : « يا صباحاه ! » أو : « واصباحاه ! » فيفزع القوم ، ويأخذون عُدَّتَهم ، ويخرجون عن بَكرةِ أبيهم لمواجهة الخطر الداهم ، والعدوِّ المهاجم .

ما هو هذا الخطرُ الذي كان يُقلِق مضاجعَهم ، ويَحُول بينهم ، وبين راحتهم ولذَّاتهم ، وما مدى تأثيرِه ، وضررِه في حياتهم ؟ النوعُ الوحيد من الخطرِ الذي كانوا يعرفونَه هو العدوُّ فقط ، يقتلُ منهم كثيراً ، وينهب أموالَهم ويَسْتاق إبلَهم ، وماشيتهم ، ويُلحق بهم الأضرار .

هانَتْ هذه الأخطار والأضرار ـ على ضخامتها وواقعيتها ـ في عيون الأنبياء والرُّسُل ، إنهم عرفوا : أنَّ أكبرَ خطرٍ هو الجهلُ بصانع هذا الكون ومدبِّره وصفاته الحقيقية وحقوقه ، وخطرُ الحياة الجاهلية التي كان يعيشها أهلُ ذلك العصر ، وسكانُ هذا الوادي ، والأخلاقُ التي اتَّسم بها هذا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

المجتمع الجاهلي (يعبدون الأصنام ، ويأكلون الميتة ، ويأتون الفواحش ، ويقطعون الأرحام ، ويسيئون الجوار ، ويأكل القوي منهم الضعيف)[١] . رأى النبيُّ ﷺ هذا العدوَّ الذي يعيش في نفوسهم ، وفي عقائدهم ، وأخلاقهم (ليس في الخارج) ، وكان في نظره ﷺ أضرَّ ، وأفتكَ من كل عدوٍّ في الخارج . إنَّ هذا الخطر الذي نَبَع ، وانبثَق من داخلهم أعظَمُ من كل خطرٍ عرفوه في كل حياتهم الجاهلية الطويلة ، وفي مجتمعهم العربيِّ القبلي ، وإنَّ عداوةَ نفوسهم أشَدُّ ، وأدَقُّ من عداوة كل قبيلةٍ منافسةٍ ، ومن كل جيشٍ محاربٍ ، وإنَّ أسلوب حياتهم يُثير سخطَ الله القادر القاهر الذي لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يُحِبُّ في الأرض الفساد .

فخرج رسولُ الله ﷺ وصعد على جبل الصَّفَا ـ وهو أقربُ الجبال إليهم ـ ونادى بأعلى صوته : « يا صاحباه ! » ، وقد شهد هذا الوادي بأنه كان أصدق صوتٍ في أصدق مناسبةٍ ؛ لأن مثل هذه المناسبات لم يكن من العادة أن يَكذبَ الإنسان فيها ـ بخلاف هذه المدنيَّة المزوَّرة ـ وقد سمع أهلُ مكَّة صيحةً معروفةً مألوفةً تخرج من فم أصدقِ رجلٍ عرفوه في بلدهم ، سَمَّوه بأنفسهم : « الصادق الأمين » وفهموا معناها ، ومطالبها ، وأمامهم سِلسلةٌ طويلةٌ من التجارِب والحوادث ، ولم يتأخَّروا في تلبية هذا النداء كما جاء في كتب السيرة ، فاجتمع الناس بين رجلٍ يجيء إليه ، وبين رجلٍ يبعث إليه رسوله .

فقال رسول الله ﷺ : « يابني عبد المُطَّلب ! يابني كعب ! أرأيتم لو أخبرتُكم : أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم صدَّقتموني ؟ » .

كان القومُ الذين خاطَبَهم الرسولُ ﷺ ووَجَّه إليهم هذا السؤالَ أُمِّيِّين غير مثقَّفين ، لم يدرسوا الفلسفةَ ، وعلمَ المنطق ، ولم يألفوا التعمُّقَ ،

(١) من حديث جعفر بن أبي طالب في مجلس النجاشي ملك الحبشة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

والتدقيقَ ، ولكنهم كانوا واقعيِّين عمليِّين ، رَزَقهم الله النصيبَ الأوفر من سلامة الفَهم ، وسُرعة الإدراك ، واستعرضوا الواقع ، واستعرضوا المحيط الذي وقف فيه هذا الخطيب النذير ، واستعرضوا وَضْعَه الطبيعي ، رأوا رجلاً جرَّبوا عليه الصِّدْقَ ، والأمانةَ ، والنصيحةَ ، وحُبَّ الخير قد وقف على جبلٍ يرى ما أمامه ، وهو الذي اشترك فيه مُخاطَبوه ، وينظر إلى ما وراء الجبل والسَّفح المقابل ، وهذا الذي لا يشترِك فيه مُخاطَبوه ، فعرفوا من غير شكٍّ وتأمُّلٍ طويلٍ : أنَّ له الحقُّ أن يتحدَّث عما في سفح الجبل المقابل من عدوٍّ رابض ، وخطرٍ كامنٍ ، وليس لهم حقٌّ ـ وقد حال الجبل بينهم وبين السفح المقابل ـ أن يُكذِّبوه ، ويَنفُوا رؤيته على أساس أنهم لا يشاركونه في هذه المشاهدة ، فقد فَرَّق الجبلُ القائم بين وضعهم ووضع الخطيب النذير ، وأعطاه من فُرصة المشاهدة وحقِّ الشهادة ما لم يُعطهم ، وكانوا عقلاءَ مُنصِفين ، شجعاناً صادقين ، فقالوا : نعم ، إنَّك إذا قلتَ إنَّ وراء الجبل خيلاً تريد أن تُغير في الليل ، أو تُغير على غِرّة منا ؛ صَدَّقْنا .

ثم تقدَّم الرسولُ ﷺ خُطوةً ثانية ، ودخل المرحلة الثانية النهائية ، فقال : « فإني نذيرٌ لكم بين يَدي عذابٍ شديدٍ »[1] .

كان لهم أن يقولوا : من أين رأيتَ هذا العذابَ ؟ بأيِّ شيءٍ تُنْذِرُنا ؟ ولكنه أولاً وقف على قِمّة الجبل ، ثم سألهم : هل إذا أخبرتكم بأنَّ هنالك خيلاً تُريد أن تُغير عليكم هل أنتم مصدِّقيَّ ؟ قالوا : نعم ، هنالك قال : « فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد » .

أنذرهم بالخطر الحقيقيِّ الدائم الذي يُهدِّدهم ، والذي هو طبيعةُ هذه الحياة التي يحيونها ، والعقائد التي يَدينون بها ، والأصنامِ التي يَعكِفون عليها ، والعاداتِ الظالمة ، والأخلاق الجاهلية التي يتمسَّكون بها ،

(١) « البداية والنهاية » : (٣/ ٣٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وبالاختصار : هذه الجاهليةُ الجهلاءُ التي يعيشون عليها ، لا إيمانَ ، ولا علمَ ، ولا عدلَ ، ولا تقوى ، إنَّ طبيعة هذه الحياة هو الفسادُ الشاملُ في المجتمع ، والمعيشةُ الضَّنك ، والقَلَقُ النفسي ، والعذاب الداخلي في هذه الحياة : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة : ٢١] (١) .

النموذج الثاني : مِثالٌ بليغٌ للحكمة النبوية والبلاغة العقلية :

وأذكر لكم نموذجاً رائعاً آخر ، يختلف كلَّ الاختلاف في الطبيعة ، والبيئة ، والدوافع التي دفعتْ إليه ، ولكنها قِطعةٌ رائعةٌ ، ومثالٌ بليغٌ للحكمة النبوية ، والبلاغة العقلية ـ ليست البيانية ـ فحسب ـ والقيادة الحكيمة المؤثِّرة في أغوار النفوس ، وأعماقِ القلوب .

إنَّ رسول الله ﷺ لمَّا وَزَّع سبايا ، ومغانمَ حُنَيْنٍ في الجِعْرَانَة على أشراف قريشٍ ؛ أعطى قريشاً ، فأجزل لهم العطاءَ ، أعطى أبا سفيان ، وعِكْرِمةَ بن أبي جهل ، وفلاناً ، وفلاناً ، وكان نصيبُ الأنصار فيها قليلاً اعتماداً على إيمانهم ، وعلى حُبِّهم ، وصِلتهم الدقيقة العميقة الدَّائمة بالإسلام ، ونبيِّه ﷺ .

هناك تَقاوَلَ بعضُ الشَّباب من الأنصار ، فقالوا : إنَّ رسول الله ﷺ خَصَّ بني قبيلتِه بأكبرِ نصيبٍ من العطاء ، والمغانم ، وبلغ هذا رسولَ الله ﷺ فحَسَب له حِساباً ؛ لأنه النبيُّ المربِّي ، وليس النبيُّ فقط ، فأمر بجَمْع الأنصار في حظيرةٍ ، فاجتمعوا ، وقال : « لا يدخل الحظيرةَ إلا الأنصارُ » ، ولمَّا اجتمعوا كلُّهم ؛ قال لهم :

---

(١) من « روائع من أدب الدعوة » ص : (٨٤ ـ ٩٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

« ما هذه القَالَةُ التي بَلَغَتْني عنكم، وَجِدَةٌ[١] وَجَدْتُموها عَلَيَّ في أنفسكم؟» .

فاستحيوا ، وقالوا : لا شيءَ يارسول الله ! إنما هم بعضُ الشَّباب قد وَسْوَسَ لهم الشيطانُ .

ثم قال : « أمَا أتَيْتُكُمْ ضُلالاً ، فهَدَاكُمْ اللهُ بي ، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ الله بي ، وأعْدَاءاً فألَّفَ اللهُ بين قُلوبكم ؟ »

قالوا : للهِ ولرسولِه المَنُّ ، والفَضْلُ .

ولم يبتدر رسولُ الله ﷺ بالكلام ، بل أراد أن يتكلَّم بلسانِهم ، فأثار فيهم الشُّعورَ الإنسانيَّ ، وألْهَمَهم المعاني ، فقال : « ألا تُجِيبُوني يامَعْشَرَ الأنْصَار ؟! » .

قالوا : بماذا نُجِيبك يا رسولَ الله ؟! لله ولرسوله المَنُّ ، والفَضْلُ .

قال : « أمَا واللهِ ، لَوْ شِئْتُمْ ؛ لَقُلْتُمْ ، فلصَدَقْتُمْ ، ولصُدِّقْتُم : أتَيْتَنَا مُكَذَّباً ، فَصَدَّقْنَاكَ ، ومَخْذُوْلاً ، فنَصَرْناكَ ، وطَرِيْداً ، فآوَيْنَاكَ . وعَائِلاً ، فَوَاسَيْناكَ ؟ » .

أيُّ زعيمٍ ، وأيُّ قائدٍ ، وأيُّ مُربٍّ ، وأيُّ صاحبِ فضلٍ يستطيع أن يشهد على نفسه بهذا ؟! واللهِ لولا أنَّ هذه الكلمات قد وَرَدَتْ في السيرة النبوية ، وفي حديثٍ صحيح[٢] لمَا كان لأيِّ مسلمٍ أن ينطق لسانه بهذه الكلمـــــات : « أما أتيتَنا مُكَذَّباً ، فَصَدَّقْناك ، ومَخْذُوْلاً ، فَنَصَرْنَاكَ ، وطَرِيْداً ، فآويناك ! » .

---

(١) وجدةٌ : حزن .

(٢) أصلُه في « الجامع الصحيح » للبخاري ، وقد ذكره الحافظ ابن القيم في « زاد المعاد » الجزء الثالث في فضل غزوة حنين بسياقٍ أوسعَ وأشمل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثم قال بعد أن أثار نفوسَهم ، وأجرى عُيونَهم ، وفتح الأغلاقَ من قلوبهم :

« يا مَعْشَرَ الأنصار ! أوَجِدْتُمْ عَلَيَّ في لُعَاعَةٍ[1] من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسْلِموا ، ووَكَلْتُكُمْ إلى إسْلامِكم ؟! » .

انظروا كيف أوَجَد ﷺ في نفوسِهم الثقةَ التي كانت كفيلةً بحسم كلّ ما ساوَرَ نفوسَهم ـ إنْ كان هناك شيءٌ قد ساوَرَ نفوسَهم ـ وقال : « أوْجِدْتُمْ عَلَيَّ في لُعَاعَةٍ من الدُّنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسْلِموا ، ووَكَلْتُكُمْ إلى إسلامكم » ؛ ثم قال الكلمةَ المُثيرةَ البليغةَ التي ما يُمكن أن تُطلَق أو تَنطِلق من فمٍ إلا وتُفجِّر الأنهارَ ، وتَشُقُّ الصخورَ ، وتأتي بالمعجزات .

« ألا تَرْضَوْنَ يامَعْشَرَ الأنْصار ! أن يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاءِ ، والْبَعِيرِ إلى رِحَالِهْم ، وتَرجِعُونَ برسول الله ﷺ إلى رِحَالِكُمْ ؟

والله لولا الْهِجْرةُ ؛ لكُنْتُ امْرأً مِنَ الأنْصَارِ ، ولَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً ، ووَادِياً ، وسَلَكَتِ الأنْصارُ شِعْباً ووَادِياً ؛ لسَلَكْتُ شِعْبَ الأنْصَارِ ، ووَادِيْها .

الأنصارُ شِعَارٌ ، والنَّاسُ دِثارٌ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأنْصَارَ ، وأبْنَاءَ الأنْصَارِ ، وأبْنَاءَ أبْنَاءِ الأنْصَارِ » .

ثم ماذا كان ؟ كان الشيءُ المتوقَّعُ الطبيعيُّ ، هَمَلَتْ عيونُهم حتى اخْضَلَّتْ لِحَالهم ، وقالوا : رَضَيْنا برسولِ الله ﷺ قَسْماً ، وحَظّاً .

والله لو بحثنا في أدب الأمم والديانات ؛ ما وجدنا موعظةً أبلَغَ مِن هذه

(١) اللعاعة : خضرة ناعمة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الموعظة ، وعِلماً بالنفس الإنساني أكثر عُمْقاً ، وأكثر صِدْقاً مِن العلم النبويِّ .

هذان النموذجان من أروع النَّماذج التي دُوِّنَتْ ، وسُجِّلَتْ في الآداب البشرية ، وفي المكتبات الإنسانية[١] .

(١) من « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة » (ص : ٩٧ ـ ١٠١) بتصرُّف واختصار .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الدَّعوة في عهد الخلفاء الرَّشدين رضوان الله عليهم

لقد امتدَّت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً من وفاته ﷺ عام ١٠هـ إلى مقتل عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ عام ٤٠هـ .

فقد بُويع أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة إثْر وفاةِ رسول الله ﷺ ، وكانت خلافته عامَين وثلاثة أشهر وثمانية أيام .

ثم خلفه عمرُ بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، وطالت خلافته عشرَ سنين وستة أشهر ونصف شهر .

ثم خلفه عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه ، وطالت خلافته اثني عشر عاماً كاملةً غير عشرة أيام .

ثم خلفه عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وطالت خلافته خمسَ سنوات تقريباً .

وقد جاء في الحديث الشريف عن سَفينة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « خِلافةُ النبوَّة ثلاثون سنةً ، ثم يُؤتي اللهُ الملكَ ، أو ملكه من يشاء »[1] .

وسأعرض في هذا المبحث سَيْر الدعوة الإسلامية في فترة الخلافة الراشدة المباركة ، التي تُعَدّ في حقيقتها امتداداً لسير الدعوة في زمن رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في الخلفاء ، برقم : (٤٦٤٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقد استمرَّتْ حركةُ الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين تبليغاً للإسلام ، وتعليماً له ، وتطبيقاً لأحكامه في حياة المسلمين . . . حتى توسَّعتْ دائرة انتشار الإسلام توسُّعاً كبيراً ، وامتدَّت رقعةُ الدولة الإسلامية في عصور الخلفاء الأربعة ، ولا سِيّما في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وتوقَّفتْ قليلاً في عهد عليٍّ ، رضي الله عنه ؛ حيث شُغِلَ المسلمون بالأحداث الداخلية ، والفِتَن .

فبعد أن قضى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على حركة المُرْتَدِّين ، وقاتَلَ مانعي الزكاة ، وأنفذ جيشَ أسامة ، رضي الله عنه ، وأعاد الاستقرارَ لدولة الإسلام بعد أن هدَّدتها هذه الفِتَنُ ؛ استأنف ـ رضي الله عنه ـ حركةَ الفتوحات الإسلامية ، ووَجَّه الجيوشَ إلى هناك ، وهناك ، تحمل دعوةَ الإسلام للناس ، وتجاهد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

فوَجَّه خالدَ بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى أعالي العراق ، وأمره بأن يبدأ بـ : « فرج الهند » وهي (الأبلة) وأن يتألَّف الناس ، ويدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ[١] .

فكتب خالدٌ ـ رضي الله عنه ـ إلى « هُرْمُزَ » حاكم الثُّغر في جنوب العراق كتاباً دعاه فيه إلى الإسلام ، أو الجِزية ، أو القتال ، فلم يستجب لـه ، ودارت معـركـةٌ علـى أرض « كـاظمـة » التـي تُعـرف اليـوم بـ : « الكويت » ، عُرفت تلك المعركةُ بمعركة « ذات السَّلاسِل » وانتصر فيها المسلمون ، وقُتل « هرمز » ، وانتشر بعدها الإسلام شرقاً في « إيران » وشمالاً في « العراق »[٢] .

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١/ ٣٤٢) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٤٨) ، طبعة دار المعارف .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثم انتصر المسلمون على أعدائهم في معركة « النهر » قُرْبَ « واسط » وغيرها ، حتى فتحوا « الحيرة » و« الأنبار » في غربي بغداد ، واستمرُّوا في فتوحاتهم ، حتى استدعى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى الشَّام ، تقويةً لجيش المسلمين فيها[١] .

ومضى خالدُ بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ بركبه إلى الشام ليتابع عمليةَ الفتوحات ، بعد أن ترك في العراق المُثَنَّى بن حارثة ، رضي الله عنه ، وجيشه ليتابع المهمةَ في أراضي العراق ، وخاض خالدُ ـ رضي الله عنه ـ عدةَ معارك في بلاد الشَّام مع أبي عُبيدة بن الجرَّاح ، رضي الله عنه ، حتى كانت معركة « اليرموك » الحاسمة التي هُزِم الأعداء فيها هزيمةً منكرةً[٢] .

وفي هذه الأثناء تُوفي الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وتولَّى الخلافةَ بعده عمرُ بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، فتابع عمر هذه الفتوحات ، وأرسل الجيوش إلى العراق ، وكانت معركة « القادسية » عام ١٤هـ بقيادة سعد بن أبي وقَّاص ، رضي الله عنه ، فهُزِم « رُسْتَمُ » هزيمةً ساحقةً .

ثم استمرَّ الزحفُ الإسلاميُّ حتى وصل عاصمةَ الفُرُسَ « المدائن » واستولى المسلمون عليها عام ١٦هـ ، وصَلَّى سعدُ ـ رضي الله عنه ـ مع جُنْده الفاتحين في قصر كسرى أنوشروان[٣] .

ثم تابع المسلمون فتحهم لأراضي العراق ، وهزموا الفُرَسَ ، وكان النصرُ الحاسمُ لهم في معركة « نَهَاوَنْد » التي سُمِّيَتْ بـ : « فتح الفتوح »

---

(١) راجع للتفصيل ذلك في كتاب : « تاريخ الدعوة » للدكتور جمعة علي الخولي : (٢/ ٧٩) .

(٢) انظر « فتوح البلدان » ص : ١٤١ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص : ٢٩٩ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

على يد حذيفة بن اليَمَان ، رضي الله عنه . ثم تقدَّم المسلمون حتى فتحوا « أصْبهان » ومن بعدها « اصطخر » ومُدَنَ خراسان . . .

واتَّجهت الجيوشُ الإسلاميةُ بعد ذلك من إيران إلى بلاد ما وراء النهر ، فجالت في « فارس » وسواحل « الكَرْمان » ، حتى قاربت بلادَ السِّند ، وصارت البلادُ الفارسية كلُّها في نِطاق الدولة الإسلامية .

أما في بلاد الشام ؛ فقد وَاصَلَ المسلمون فتحَهم لها بقيادة « أبي عُبيدة بن الجرَّاح » رضي الله عنه ، فلَّما انتهوا من فتح « الأردن » واصلوا سيرَهم إلى « دمشق » ومنها إلى شمال سورية ، حتى لم يَبْقَ أمامهم في بلاد الشام ، إلا « بيتُ المقدس » ، فتوجَّه المسلمون إليه بقيادة عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، فطلب أهلُها الصُّلْحَ على أنْ يحضر أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ ليتسلَّم المدينة ، فجاء عمر ، رضي الله عنه ، وتسلَّمها ، ودخلها وكتب لِسُكَّانها أماناً على أموالهم ، وأنفسهم ، وشعائر دينهم[١] .

وكانت « مِصْر » قد عقدت صلحاً مع عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، وحاوَلَ أهلُها نقضَه في عهد عثمان ، رضي الله عنه ، فسار إليهم عمرو بنفسه ، وأخضعهم .

ثم امتدَّت الفتوحاتُ في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى « غرب إفريقية » ، وبلاد ما وراء النهر ، حتى وصل المسلمون إلى « كابل » في أفغانستان ، و« غَزْنَة » من بلاد الأتراك[٢] .

كما امتدَّت إلى « عَمُّورِيَةَ » و« أذربيجان » وأقصى بلاد « أرمينية »

(١) انظر « الخطط » للمقريزي : (٢/ ٤٩٢) طبعة بيروت .
(٢) انظر « فتوح البلدان » : ص : ٣٩٨ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأجزاء من طبرستان جنوبي بحر قَزْوَين[١] .

كما شمل الفتح أراضي « النوبة » و« بلاد السَّودان » في جنوب مصر ، واستخدم المسلمون الأساطيلَ البحرية في استيلائهم على جزيرة « قبرص » ومعظم جُزُرِ البحر الأبيض المتوسط ، وذلك عام ٢٨هـ على يد معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه .

وقد رافَق هذا الامتدادَ الجغرافيَّ للدعوة الإسلامية في هذا العهد الامتدادُ الفكريُّ ، فدخل معظمُ أصحاب هذه البلاد المفتوحة في الإسلام ، ورأوا فيه خيرَ مُنْقِذٍ لهم مما فيه ، وأفضلَ مُصْلِحٍ لأحوالهم .

ولم تتوقَّف الحركةُ الفكرية الدعوية في هذا العهد يوماً ما ، وإنما نشطت فيه حركةُ العلم ، والتعليم ، واجتهد المسلمون في هذه المرحلة في الحِفَاظ على وحدتهم الثقافية ، والروحية التي كانت دعامةً قويةً لهذه الفتوحات ، وكان من أبرز جهودهم الفكرية في هذه المرحلة :

ـ حفاظُهم على القرآن الكريم ، وجمعُه أولاً في عهد أبي بكر ، رضي الله عنه ، وتوحيدُ المصاحف ثانياً في عهد عثمان ، رضي الله عنه .

ـ حرصُهم على نشر العلم بين المسلمين ، ومحاربتهم الجهلَ بالإسلام، فقد نَهلَ المسلمون الجُدَدُ من الصحابة الكرام الذين انتشروا في بقاع الأرض، ولاسِيّما في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ تعاليمَ دينهم ، وانكبُّوا على حفظ كتاب رَبِّهم ، وسنة نبيِّهم ﷺ ، وكانت هذه الفترةُ التاريخيةُ من تاريخ الدعوة أهمَّ الفترات بعد عهد رسول الله ﷺ ، حيث كانت حلقَةَ وصل بينه وبين العهود التالية[٢] .

* * *

(١) انظر « البداية والنهاية » : (٧/ ١٦٩) .

(٢) انظر « المدخل إلى علم الدعوة » للدكتور البيانوني ، ص : (٨٩ ـ ٩٥) و« تاريخ الدعوة » للدكتور جمعة علي الخولي ، (٢/ ٧٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اَلْبَاب الثاني

نَماذِجُ
لِلدَّعْوَةِ إِلىَ اللهِ تَعَالَىٰ
في العصر النبوي

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ للدَّعْوَةِ إلى الله وَالشَّغَفُ بِهَا

حِرْص النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِيمَانِ جَمِيعِ النَّاسِ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود : ١٠٥] وَنَحْوِ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ : « إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَحْرِصُ أَنْ يُؤْمِنَ جَمِيعُ النَّاسِ وَيُبَايِعُوهُ عَلَى الْهُدَى ، فَأَخْبَرَهُ اللهِ عز وجل أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الأَوَّلِ ، وَلَا يَضِلُّ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ الشَّقَاءُ فِي الذِّكْرِ الأَوَّلِ» ، ثُمَّ قَالَ اللهُ عز وجل لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى قَوْمِهِ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيهِ رَهْطٌ مِّنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلِهَتَنَا ، وَيَفْعَلُ ، وَيَفْعَلُ ، وَيَقُولُ ، وَيَقُولُ ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَنَهَيْتَهُ ! فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ الْبَيْتَ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْرُ مَجْلِسِ رَجُلٍ ، قَالَ : فَخَشِيَ أَبُو جَهْلٍ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ إِنْ جَلَسَ إِلَىَ جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (١٣٠٢٥) .
(٢) في التفسير : (٢٣/ ١٢٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ ، فَوَثَبَ ، فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِساً قُرْبَ عَمِّهِ ، فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : أَيِ ابْنَ أَخِي ! مَا (بَالُ قَوْمِكَ) يَشْكُونَكَ ، وَيَزْعُمُونَ : أَنَّكَ تَشْتِمُ آلِهَتَهُمْ ، وَتَقُولُ ، وَتَقُولُ ؟ قَالَ : وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ . وَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا عَمِّ ! إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَّاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ ! » . فَفَزِعُوا لِكَلِمَتِهِ ، وَلِقَوْلِهِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : كَلِمَةً وَّاحِدَةً !! نَعَمْ وَأَبِيكَ عَشْراً ، فَقَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَأَيُّ كَلِمَةٍ هِيَ يَا بْنَ أَخِي ؟ قَالَ ﷺ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » ، فَقَامُوا فَزِعِينَ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ ؛ وَهُمْ يَقُولُونَ : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص : ٥] ، قَالَ : وَنَزَلَتْ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [ص : ٨] .

عَرْضُهُ ﷺ الْكَلِمَةَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[1] قَالَ : لَمَّا مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، وَكَلَّمُوهُ ـ وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ : ـ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ـ فِي رِجَالٍ مِّنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ! إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى ، وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَادْعُهُ فَخُذْ لَنَا مِنْهُ ، وَخُذْ لَهُ مِنَّا ؛ لِيَكُفَّ عَنَّا ، وَلِنَكُفَّ عَنْهُ ، وَلِيَدَعَنَا وَدِينَنَا ، وَلِنَدَعَهُ وَدِينَهُ .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ ، فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ! هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ

(١) كما في « البداية والنهاية » : (٣/ ١٢٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَيْكَ ؛ لِيُعْطُوكَ ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَمِّ ! كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونَهَا تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ » ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَبِيكَ وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ ، قَالَ : «تَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ! » . فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! أَتُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَّاحِدًا ؟ إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ ! ! قَالَ : ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ ـ وَاللهِ ـ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئاً مِّمَّا تُرِيدُونَ ، فَانْطَلِقُوا ، وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ ؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا . قَالَ : فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَاللهِ يَا بْنَ أَخِي ! مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطاً ، قَالَ : فَطَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : « أَيْ عَمِّ ! فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَسْتَحِلَّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : يَا بْنَ أَخِي ! وَاللهِ لَوْلَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ ، وَعَلَى بَنِي أَبِيكَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَن تَظُنَّ قُرَيْشٌ أَنِّي إِنَّمَا قُلْتُهَا جَزَعاً مِّنَ الْمَوْتِ ؛ لَقُلْتُهَا ، لَا أَقُولُهَا إِلَّا لأَسُرَّكَ بِهَا .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[1] عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَّمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : « أَيْ عَمِّ ! قُلْ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَّعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! فَلَمْ يَزَالَا (يُكَلِّمَانِهِ) حَتَّى قَالَ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ : عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ » فَنَزَلَتْ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

(١) أخرجه البخاري برقم : (١٢٩٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِنْكَارُهُ ﷺ عَلَى أَنْ تُتْـرَكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الله تَعَالَى :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] ، وَالْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ[٢] عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِب ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىَ أَبِي طَالِبٍ ـ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : يَا بْنَ أَخِي ! وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنْ كُنْتَ لِي لَمُطَاعاً ، وَقَدْ جَاءَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَ : أَنَّكَ تَأْتِيهِمْ فِي كَعْبَتِهِمْ ، وَفِي نَادِيهِمْ تُسْمِعُهُمْ مَّا يُؤْذِيهِمْ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكُفَّ عَنْهُمْ ! فَحَلَّقَ بِبَصَرِهِ[٣] إِلَىَ السَّمَاءِ ، فَقَالَ : « وَاللهِ مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ مَا بُعِثْتُ بِهِ مِنْ أَنْ يُّشْعِلَ أَحَدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ » .

وعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ[٤] : أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ : يَا بْنَ أَخِي ! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُونِي ، وَقَالُوا كَذَا وَكَذَا ، فَأَبْقِ عَلَيَّ ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ . فَاكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ قَوْلِكَ ، فَظَنَّ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ[٥] ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ ، وَمُسْلِمُهُ ، وَضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَمِّ ! لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ ! » ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَبَكَى . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا سَيَأْتِي .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ[٦] عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْماً ، فَقَالُوا : انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٥١١) .
(٢) أي في « التاريخ الكبير » (٧/ ٥٠ ـ ٥١) .
(٣) أي : رَفَعه .
(٤) في « دلائل النبوة » (٢/ ١٨٧) .
(٥) من البداء ، وهو تغيير الرأي لأمر كان خافياً عليه فبدا له .
(٦) في المنتخب (١١٢٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِالسِّحْرِ ، وَالْكَهَانَةِ ، وَالشِّعْرِ ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، فَلْيُكَلِّمْهُ ، وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ؛ فَقَالُوا : أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ : أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ : أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِّنْكَ ؛ فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ : أَنَّكَ خَيْرٌ مِّنْهُمْ ؛ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً[1] قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ ! فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا ، وَعِبْتَ دِينَنَا ، وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ ؛ حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ : أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِراً ، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِناً ، وَاللهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى أَنْ يَّقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ ؛ حَتَّى نَتَفَانَى . أَيُّهَا الرَّجُلُ ! إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ ؛ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَّجُلاً ، وإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاهُ ، فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ ؛ فَلْنُزَوِّجْكَ عَشْرًا .

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَرَغْتَ » قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ » ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ١ ـ ٣] إلى أنْ بَلَغَ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت : ١٣] ، فَقَالَ عُتْبَةُ : حَسْبُكَ ! مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟! قَالَ : « لَا » ! فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ، قَالَ : مَا تَرَكْتُ شَيْئاً أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ إِلَّا كَلَّمْتُهُ ، قَالُوا : فَهَلْ أَجَابَكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً[2] مَا فَهِمْتُ شَيْئاً مِّمَّا قَالَ غَيْرَ

(١) السَّخْل : المولود المحبب إلى أبويه .

(٢) البنية : كل ما يبنى ، وتطلق على الكعبة . ويقال في القسم : لا ورب هذه البنية ، وعتبة هنا : يقسم بالله الذي نصب الكعبة بيتاً للقبلة والطواف .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُودَ ، قَالُوا : وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ ! قَالَ : لَا وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئاً مِّمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[١] وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَاكِمِ ، وَزَادَ : وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بِكَ الرِّئَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ ، فَكُنْتَ رَأْساً مَّا بَقِيتَ . وَعِنْدَهُ : أَنَّهُ لَمَّا قَالَ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فِيهِ ، وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَّكُفَّ عَنْهُ ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! مَا نَرَى عُتْبَةَ إِلَّا صَبَأَ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَّأَعْجَبَهُ طَعَامُهُ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ أَصَابَتْهُ ، انْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَوْهُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللهِ يَا عُتْبَةُ ! مَا جِئْنَا إِلَّا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَّأَعْجَبَكَ أَمْرُهُ ، فَإِنْ كَانَ بِكَ حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عَنْ طَعَامِ مُحَمَّدٍ ! فَغَضِبَ ، وَأَقْسَمَ بِاللهِ لَا يُكَلِّمُ مُحَمَّدًا أَبَدًا ! وَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَّالاً ، وَّلَكِنِّي أَتَيْتُهُ ـ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ـ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَّاللهِ مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَّلَا بِشِعْرٍ وَّلَا كَهَانَةٍ ، قَرَأَ « بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ » . ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ـ حَتَّى بَلَغَ ـ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ؛ فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ ، وَنَاشَدتُّهُ الرَّحِمَ أَنْ يَّكُفَّ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ : أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئاً لَّمْ يَكْذِبْ ، فَخِفْتُ أَنْ يَّنْزِلَ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ .

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٢] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ قُرَيْشاً اجْتَمَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ لَهُمْ : دَعُونِي حَتَّى أَقُومَ إِلَيْهِ أُكَلِّمُهُ ، فَإِنِّي عَسَى أَنْ أَكُونَ أَرْفَقَ بِهِ مِنْكُمْ ،

(١) في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٢) ، وفي « المستدرك » (٢/ ٢٥٣) .
(٢) في « دلائل النبوة » (ص : ٧٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَقَامَ عُتْبَةُ ؛ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ يَا بْنَ أَخِي ! أَرَاكَ أَوْسَطَنَا بَيْتاً وَّأَفْضَلَنَا مَكَاناً ، وَّقَدْ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ مَا لَمْ يُدْخِلْ رَجُلٌ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَالاً ؛ فَذَلِكَ لَكَ عَلَى قَوْمِكَ أَنْ يُّجْمَعَ لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً ، وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَرَفاً ؛ فَنَحْنُ نُشَرِّفُكَ حَتَّى لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِّنْ قَوْمِكَ أَشْرَفَ مِنْكَ ، وَلَا نَقْطَعَ أَمْراً دُونَكَ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا عَنْ مُلِمٍّ يُّصِيبُكَ ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى النُّزُوعِ مِنْهُ ؛ بَذَلْنَا لَكَ خَزَائِنَنَا حَتَّى نُعْذِرَ فِي طَلَبِ الطِّبِّ لِذَلِكَ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكاً ؛ مَلَّكْنَاكَ .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ حم السَّجْدَةَ ، حَتَّى مَرَّ بِالسَّجْدَةِ ، فَسَجَدَ رَسُولُ الله ﷺ وَعُتْبَةُ مُلْقٍ يَّدَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ؛ حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِرَاءتِهَا ، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ مَا يَدْرِي مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَى نَادِي قَوْمِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلاً ؛ قَالُوا : لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ بِوَجْهٍ غَيْرِ مَا قَامَ مِنْ عِنْدِكُمْ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! قَدْ كَلَّمْتُهُ بِالَّذِي أَمَرْتُمُونِي بِهِ ؛ حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ ؛ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ لَّا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! فَأَطِيعُونِيَ الْيَوْمَ ، وَاعْصُوْنِي فِيمَا بَعْدَهُ ، وَاتْرُكُوا الرَّجُلَ ، وَاعْتَزِلُوهُ ، فَوَاللهِ مَا هُوَ بِتَارِكٍ مَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ يَّظْهَرْ عَلَيْهِمْ ؛ يَكُنْ شَرَفُهُ شَرَفَكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزَّكُمْ ، وَإِنْ يَّظْهَرُوا عَلَيْهِ تَكُونُوا قَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ! قَالُوا : صَبَأْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ !

إِصْرَارُه ﷺ عَلَى الْجِهَادِ بِمَا بُعِثَ بِـهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[1] عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ ؛ قَالَا : خَرَجَ

(١) أخرجه البخاري برقم : (٢٧٣١) و : (٢٧٣٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ـ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِّنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ ـ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ـ فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَّعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ، وَهُمْ مُّقَاتِلُوكَ ، وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : « إِنَّا لَمْ نَجِىءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُّهُمْ مُدَّةً ، وَّيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرْ ؛ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَّدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ؛ فَعَلُوا ، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَه » .

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ[١] عَنِ الْمِسْوَرِ ، وَمَرْوَانَ مَرْفُوعاً : « يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ ! لَّقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ ، فَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ أَصَابُونِي ؛ كَانَ الَّذِي أَرَادُوا ، وَإِنِ اللهُ أَظْهَرَنِي عَلَيْهِمْ ؛ دَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ وَافِرِينَ ، وَإِنْ لَّمْ يَقْبَلُوا ؛ قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ ! فَوَاللهِ لاَ أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِيَ اللهُ ، حَتَّى يُظْهِرَنِيَ اللهُ ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ » .

أَمْرُهُ ﷺ عَلِيّاً رضي الله عنه فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٢] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَّجُلاً يَّفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[٣] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ

(١) في « المعجم الكبير » (٢/ رقم الحديث : ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و٨٤٢) .
(٢) أخرجه البخاري برقم : (٢٩٤٢) و(٣٠٠٩) .
(٣) يدوكون : أي : يخوضون ويموجون تلك الليلة فرحاً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ ؛ غَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : « أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » فَقَالُوا : هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَأَتَى ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَّمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ ؛ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِّنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَاللهِ لأَنْ يَّهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلاً وَّاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَّكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ![1] »[2] .

صَبْرُهُ ﷺ فِي دَعْوَةِ الْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[3] عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو ؛ قَالَ : أَنَا أَسَرْتُ الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ ، فَأَرَادَ أَمِيرُنَا ضَرْبَ عُنُقِهِ ، فَقُلْتُ : دَعْهُ نَقْدَمْ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدِمْنَا ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَأَطَالَ ، فَقَالَ عُمَرُ : عَلاَمَ تُكَلِّمُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ! وَاللهِ لاَ يُسْلِمُ هَـذَا آخِرَ الأَبَدِ ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ وَيَقْدَمْ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ[4] ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يُقْبِلُ عَلَى عُمَرَ حَتَّى أَسْلَمَ الْحَكَمُ ، فَقَالَ عُمَرُ : فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهُ قَدْ أَسْلَمَ ؛ حَتَّى أَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ ، وَمَا تَأَخَّرَ ، وَقُلْتُ : كَيْفَ أَرُدُّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْراً هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ؟! ثُمَّ أَقُولُ : إِنَّمَا أَرَدتُّ بِذَلِكَ النَّصِيحَةَ للهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : فَأَسْلَمَ وَاللهِ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا بِبِئْرِ مَعُونَةَ[5] ؛

(١) حُمر النعم : الإبل الحمراء ، وهي أنفس الإبل عند العرب .
(٢) وأخرجه أيضاً مسلم (٢/ ٢٧٩) نحوه .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ١٣٧) .
(٤) أي : نار جهنم .
(٥) غزوة معروفة وقعت في السنة الرابعة ، استشهد فيها سبعون صحابياً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَرَسُولُ الله ﷺ رَاضٍ عَنْهُ ، وَدَخَلَ الْجِنَانَ !

وَعِنْدَهُ[١] أَيْضاً عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ الْحَكَمُ : وَمَا الإِسْلاَمُ قَالَ : « تَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شرِيكَ لَهُ ، وَتَشْهَدُ : أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » ، فَقَالَ : قَدْ أَسْلَمْتُ ! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « لَوْ أَطَعْتُكُمْ فِيهِ آنِفاً ، فَقَتَلْتُهُ ؛ دَخَلَ النَّارَ » .

قِصَّةُ إِسْلاَمِ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ ، رضي الله عنه :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ ـ قَاتِلِ حَمْزَةَ ـ رضي الله عنه ـ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فقال : يَا مُحَمَّدُ ! كَيْفَ تَدْعُونِي ؛ وَأَنْتَ تَزْعُمُ : أَنَّ مَنْ قَتَلَ ، أَوْ أَشْرَكَ ، أَوْ زَنَى يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ، وَأَنَا صَنَعْتُ ذَلِكَ ! فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ فَلَعَلِّي لاَ أَقْدِرُ عَلَى هَذَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا أَرَى بَعْدَ مَشِيئَةٍ فَلاَ أَدْرِي هَلْ يُغْفَرُ لِي أَمْ لاَ ، فَهَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]، قَالَ وَحْشِيٌّ : هَذَا نَعَمْ ! فَأَسْلَمَ ؛ فَقَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ الله ! إِنَّا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ ! قَالَ : « هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً » .

(١) أي : عند ابن سعد في « الطبقات » (٤/١٣٨) .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم (١١٤٨٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بكَاءُ فاطِمَة ـ رضي الله عنها ـ عَلَى تَغَيُّرِ لَوْنِـهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ الْمُجَاهَدَةِ عَلَى مَا بَعَثَـهُ اللهُ بِـهِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ ؛ قالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزَاةٍ لَّهُ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَكَان يُعْجِبُهُ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَن يَّدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّيَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ يُثَنِّي بِفَاطِمَةَ ، ثُمَّ يَأْتِي أَزْوَاجَهُ ـ فَقَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ مَرَّةً ، فَأَتَى فَاطِمَةَ ، فَبَدَأَ بِهَا قَبْلَ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَاطِمَةُ ، فَجَعَلَتْ تُقَبِّلُ وَجْهَهُ ـ وَفِي لَفْظٍ : فَاهُ ، وَعَيْنَيهِ ، وَتَبْكِي . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : « مَا يُبْكِيكِ ؟ » قَالَتْ : أَرَاكَ يَا رَسُول الله! قَدْ شَحَبَ لَوْنُكَ ، وَاخْلَوْلَقَتْ ثِيَابُكَ ؛ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا فَاطِمَةُ ! لَا تَبْكِي ؛ فَإِنَّ اللهِ بَعَثَ أَبَاكِ عَلَى أَمْرٍ لَّا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ ولَا وَبَرٍ وَّلَا شَعْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهِ عِزًّا أَوْ ذُلًّا حَتَّى يَبْلُغَ حَيْثُ يَبْلُغُ اللَّيْلُ » .

حَدِيثُ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ فِي انْتِشَـارِ دَعْـوَةِ الإِسْـلَامِ :

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٢] عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ ، وَّلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِـذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ ، وَأَهْلَهُ ، وَذُلًّا يُّذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ » .

وكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ : عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ ، وَالشَّرَفُ ، وَالْعِزُّ ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ ، وَالصَّغَارُ ، وَالْجِزْيَةُ .

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٥٩٥ و ٥٩٦) .
(٢) في المسند : (٤/ ١٠٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حِرْصُ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَى رُجُوعِ الْمُرْتَدِّينَ إِلىَ الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[١] عَنْ أَنَس رضي الله عنه ؛ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو مُوسَى ـ رضي الله عنه ـ بِفَتْحِ تُسْتَرَ[٢] إِلىَ عُمَر ـ رضي الله عنه ـ فَسَأَلَنِي عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِّنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ ، وَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ ـ فَقَالَ : مَا فَعَلَ النَّفَرُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَوْمٌ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ ، وَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ ـ مَا سَبِيلُهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : لأَنْ أَكُونَ أَخَذْتُهُمْ سِلْماً أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ صَفْرَاءَ[٣] ، وَبَيْضَاءَ[٤] ! قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَمَا كُنْتَ صَانِعاً بِهِمْ لَوْ أَخَذْتَهُمْ ؟ قَالَ لِي : كُنْتُ عَارِضاً عَلَيْهِمُ الْبَابَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ أَن يَّدْخُلُوا فِيهِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ ؛ قَبِلْتُ مِنْهُمْ ، وَإِلَّا ؛ اسْتَوْدَعْتُهُمُ السِّجْنَ .

وَعِنْدَ مَالِكٍ[٥] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيِّ ؛ قَالَ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ رَجُلٌ مِّنْ قِبَلِ أَبِي مُوسَى ـ رضي الله عنه ـ فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَأَخْبَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ كَانَ فِيكُمْ مِّنْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ[٦] ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ . قَالَ : فمَا فَعَلْتُمْ بِهِ ؟ قَالَ : قَرَّبْنَاهُ ، فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ : قَالَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ : أَفَلاَ حَبَسْتُمُوهُ ثَلاَثاً ، وَأَطْعَمْتُمُوهُ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفاً ، وَاسْتَتَبْتُمُوهُ لَعَلَّهُ يَتُوبُ ، وَيُرَاجِعُ أَمْرَ اللهِ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَحْضُرْ ، وَلَمْ آمُرْ ، وَلَمْ أَرْضَ إِذْ بَلَغَنِي !

(١) في مصنفه برقم : (١٨٦٩٦) .
(٢) من أعظم مُدُن خُوزستان ، وهو تعريب (شوستر) .
(٣) الصَّفْراء : الذَّهب .
(٤) البيضاء : الفِضَّة .
(٥) في « الموطأ » برقم : (٤٥٨) ، باب القضاء فيمن ارتدَّ عن الإسلام .
(٦) أي : هل من خبرٍ جديد جاء من بلدٍ بعيدٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وعِنْدَ مُسَدَّدٍ وَّابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : كَتَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ يَسْأَلُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ ، ثُمَّ كَفَرَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ ، ثُمَّ كَفَرَ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مِرَاراً : أَيُقْبَلُ مِنْهُ الإِسْلاَمُ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَنِ اقْبَلْ مِنْهُ الإِسْلاَمَ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُمْ ، اعْرِضْ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ ، فَإِنْ قَبِلَ ؛ فَاتْرُكْهُ ، وَإِلَّا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ[١] .

بكَـاءُ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ عَلَى مُجَاهَدَةِ رَاهِبٍ :

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٢] عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ قَالَ : مَرَّ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ بِرَاهِبٍ ، فَوَقَفَ ، وَنُودِيَ بِالرَّاهِبِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاطَّلَعَ فَإِذَا إِنْسَانٌ بِه مِنَ الضُّرِّ ، وَالاِجْتِهَادِ ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ ؛ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ ، فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ عَلِمْتُ ، وَلَكِنِّي رَحِمْتُهُ ، ذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ عز وجل : ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية : ٣ ـ ٤] رَحِمْتُ نَصَبَهُ[٣] ، وَاجْتِهَادَهُ ؛ وَهُوَ فِي النَّارِ .

---

(١) كذا في « كنز العمال » (١/ ٧٩) .
(٢) في « المستدرك » (٢/ ٥٢٢) .
(٣) نصبه : أي : تعبه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الدَّعْـوَةُ لِلأَفْـرَادِ وَالأَشْخَاصِ

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ ، رضي الله عنه :

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ وَكَانَ لَهُ صَدِيقاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ـ فَلَقِيَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! فُقِدتَّ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِكَ ، وَاتَّهَمُوكَ بِالْعَيْبِ لآبَائِهَا ، وَأُمَّهَاتِهَا ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنِّي رَسُولُ اللهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ» ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلاَمِهِ ؛ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَانْطَلَقَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ[1] أَحَدٌ أَكْثَرَ سُرُوراً مِّنْهُ بِإِسْلاَمِ أَبِي بَكْرٍ ! وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ ، فَرَاحَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَأَسْلَمُوا ، ثُمَّ جَاءَ الْغَدَ بِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَّأَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ الْجَرَّاحِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَّأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ ، وَالأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ ، فَأَسْلَمُوا ، رضي الله عنهم[2] .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ـ رضي الله عنه ـ لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ : أَحَقٌّ مَّا تَقُولُ قُرَيْشٌ يَّا مُحَمَّدُ مِنْ تَرْكِكَ آلِهَتَنَا ، وَتَسْفِيهِكَ عُقُولَنَا ، وَتَكْفِيرِكَ آبَاءَنَا ؟! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «بَلَى ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَنَبِيُّهُ ، بَعَثَنِي لأُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ ، وَأَدْعُوَكَ إِلَى اللهِ بِالْحَقِّ ، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَلْحَقُّ ! أَدْعُوكَ

(١) هما جبلان يطيفان بمكة .

(٢) كذا في « كنز العمال » (٣/ ٢٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَا أَبَا بَكْرٍ إِلى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ»، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يُقِرَّ ، وَلَمْ يُنْكِرْ ، فَأَسْلَمَ ، وَكَفَرَ بِالأَصْنَامِ، وَخَلَعَ الأَنْدَادَ ، وَأَقَرَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ وَّهُوَ مُؤْمِنٌ مُّصَدِّقٌ .

قالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُصَيْنِ التَّمِيمِيُّ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ وَّتَرَدُّدٌ وَّنَظَرٌ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، مَا عَكَمَ عَنْهُ[١] حِينَ ذَكَرْتُهُ ، وَلَا تَرَدَّدَ فِيهِ »[٢] .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اَللَّهُمَّ ! أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَوْ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ ! » ، فَجَعَلَ اللهُ دَعْوَةَ رَسُولِهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَبَنَى عَلَيْهِ الإِسْلَامَ ، وَهَدَمَ بِهِ الأَوْثَانَ .

وعِنْدَ الطَّبَرَانِي[٤] من حَدِيْثِ ثَوْبان . . وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَبْعَيْهِ[٥]، وَهَزَّهُ ، وَقَالَ : « مَا الَّذِي تُرِيدُ، وَمَا الَّذِي جِئْتَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » ، فَأَسْلَمَ عُمَرُ مَكَانَهُ ، وَقَالَ : اخْرُجْ .

وعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ[٦] عَنْ أَسْلَمَ ؛ قَالَ : قَالَ لَنَا عُمَر ـ رضي الله عنه ـ :

(١) أي : ما تحبَّس وما انتظر ولا عدل .
(٢) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٢٦ و ٢٧) .
(٣) في « المعجم الكبير » برقم : (١٠٣١٤) .
(٤) في « المعجم الكبير » برقم : (١٤٢٨) .
(٥) أي : بعَضُديه .
(٦) في « حلية الأولياء » (١/ ٤١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعْلِمَكُمْ أَوَّلَ إِسْلاَمِي ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً إِلَى رَسُولِ الله ﷺ . قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَارٍ عِنْدَ الصَّفَا ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ بِمَجْمَعِ قَمِيصِي ، ثُمَّ قَالَ : « أَسْلِمْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ! اللَّهُمَّ اهْدِهِ ! » . قَالَ : فَقُلْتُ : أَشْهدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ! قَالَ : فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ فِي طُرُقِ مَكَّةَ .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ؛ قَالَ : قَالَ عُثْمَانُ : دَخَلْتُ عَلَى خَالَتِي أَعُودُهَا أَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ ـ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ شَأْنِهِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : « مَا لَكَ يَا عُثْمَانُ ؟! » قُلْتُ : أَعْجَبُ مِنْكَ ، وَمِنْ مَكَانِكَ فِينَا ، وَمَا يُقَالُ عَلَيْكَ ! قَالَ عُثْمَانُ : فَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » فَاللهُ يَعْلَمُ لَقَدِ اقْشَعْرَرْتُ . ثُم قَالَ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢ـ٢٣] ، ثُمَّ قَامَ ، فَخَرَجَ ، فَخَرَجْتُ خَلْفَهُ ، وَأَدْرَكْتُهُ ، فَأَسْلَمْتُ[1] .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ، رضي الله عنه :

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ ، وَهُمَا ـ أَيِ : النَّبِيُّ ﷺ وَخَدِيجَةُ ، رضي الله عنها ـ يُصَلِّيَانِ فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ : « دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَى لِنَفْسِهِ ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ ، فَأَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ ، وَأَنْ تَكْفُرَ بِاللَّاتِ ، وَالْعُزَّى » .

فَقَالَ عَلِيٌّ : هَذَا أَمْرٌ لَّمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَلَسْتُ بِقَاضٍ أَمْراً حَتَّى

(١) كَذَا فِي « الاِسْتِيعَابِ » (٤/ ٢٢٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أُحَدِّثَ بِهِ أَبَا طَالِبٍ؛ فَكَرِهَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُفْشَى عَلَيْهِ سِرُّهُ قَبْلَ أَن يَّسْتَعْلِنَ أَمْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ! إِذْ لَمْ تُسْلِمْ، فَاكْتُمْ . فَمَكَثَ عَلِيٌّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَوْقَعَ فِي قَلْبِ عَلِيٍّ الإِسْلاَمَ، فَأَصْبَحَ غَادِياً إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى جَاءَهُ، فَقَالَ: مَاذَا عَرَضْتَ عَلَيَّ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله : « تَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَكْفُرُ بِاللَّاتِ، وَالْعُزَّى، وَتَبْرَأُ مِنَ الأَنْدَادِ » .

ففَعَلَ عَلِيٌّ ، وَأَسْلَمَ ، وَمَكَثَ يَأْتِيهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَتَمَ عَلِيٌّ إِسْلاَمَهُ ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ[١] .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ[٢] عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ ؛ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيّاً يَّضْحَكُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَلَمْ أَرَهُ ضَحِكَ ضِحْكاً أَكْثَرَ مِنْهُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ ، ظَهَرَ عَلَيْنَا أَبُو طَالِبٍ وَّأَنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ نُصَلِّي بِبَطْنِ نَخْلَةَ[٣] ، فَقَالَ: مَاذَا تَصْنَعَانِ يَا بْنَ أَخِي ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ: مَا بِالَّذِي تَصْنَعَانِ بَأْسٌ وَّلَكِنْ لَّا تَعْلُونِي اسْتِي[٤] أَبَدًا ! فَضَحِكَ تَعَجُّباً لِّقَوْلِ أَبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ! لَا أَعْتَرِفُ عَبْدًا مِّنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَبَدَكَ قَبْلِي غَيْرَ نَبِيِّكَ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ يُّصَلِّيَ النَّاسُ سَبْعاً .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٥] عَنْ شَدَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ قَالَ: قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ ! بِأَيِّ شَيْءٍ تَدَّعِي : أَنَّكَ رُبُعُ الإِسْلاَمِ ؟ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

(١) كَذاَ فِي « الْبِدَايَةِ والنهاية » (٣/ ٢٤) .
(٢) في مسنده : (١/ ٩٩ و ١١٤) .
(٣) مكانٌ في مكّة .
(٤) مقْعَدتي .
(٥) في مسنده : (٤/ ١١٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَرَى النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ ، وَلَا أَرَى الأَوْثَانَ شَيْئاً ، ثُمَّ سَمِعْتُ عَنْ رَجُلٍ يُخْبِرُ أَخْبَارًا بِمَكَّةَ ، وَيُحَدِّثُ أَحَادِيثَ ، فَرَكِبْتُ رَاحِلَتِي ؛ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ مُسْتَخْفٍ ، وَإِذَا قَوْمُهُ عَلَيْهِ جُرَآءُ ، فَتَلَطَّفْتُ لَهُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنَا نَبِيُّ الله » ، فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيُّ الله ؟ قَالَ : « رَسُولُ الله » ، قَالَ : قُلْتُ : آللهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : « بِأَن يُوَحَّدَ اللهُ ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ » . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : « حُرٌّ ، وَعَبْدٌ » ـ أَوْ : عَبْدٌ ، وَحُرٌّ ـ وَإِذَا مَعَهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَبِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ . قُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ، قَالَ : «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ ؛ فَالْحَقْ بِي » . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ؛ وَقَدْ أَسْلَمْتُ .

فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ حَتَّى جَاءَ رَكَبَةٌ مِّنْ يَّثْرِبَ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا الْمَكِّيُّ الَّذِي أَتَاكُمْ؟ قَالُوا : أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَتَرَكْنَا النَّاسَ إِلَيْه سِرَاعاً[1] . قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ : فَرَكِبْتُ رَاحِلَتِي ؛ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي أَتَيْتَنِي بِمَكَّةَ ؟! » قَالَ قُلْتُ : بَلَى ! فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُ ـ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ[2] .

وأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَحْمَدُ[3] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ـ فَذَكَرَ

(١) أي : الناسُ يسرعون إليه .
(٢) هكذا أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٤/ ١٥٨) عن عمرو بن عبسة مطوّلاً .
(٣) في مسنده : (٤/ ١١١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : قُلْتُ : بِمَاذَا أَرْسَلَكَ ؟ فَقَالَ : « بِأَنْ تُوصَلَ الأَرْحَامُ ، وَتُحْقَنَ الدِّمَاءُ ، وَتُؤْمَنَ السُّبُلُ ، وَتُكْسَرَ الأَوْثَانُ ، وَيُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ ؛ » قُلْتُ : نِعْمَ مَا أَرْسَلَكَ بِهِ ! وَأُشْهِدُكَ : أَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِكَ ، وَصَدَّقْتُكَ ، أَفَأَمْكُثُ مَعَكَ ، أَمْ مَّا تَرَى ؟ فَقَالَ : « قَدْ تَرَى كَرَاهَةَ النَّاسِ لِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَامْكُثْ فِي أَهْلِكَ ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ خَرَجْتُ مَخْرَجِي ؛ فَائْتِنِي » .

دَعْوَتُهُ ﷺ لِخَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ أَوْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ قَالَ : كَانَ إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَدِيماً وَكَانَ أَوَّلَ إِخْوَتِهِ أَسْلَمَ . وَكَانَ بَدْءُ إِسْلَامِهِ : أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ وُقِفَ بِهِ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ[٢] ـ فَذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا مَا اللهُ أَعْلَمُ بِهِ ـ وَيَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّ آتِياً أَتَاهُ يَدْفَعُهُ فِيهَا ، وَيَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ آخِذاً بِحَقْوَيْهِ[٣] لِئَلاَّ يَقَعَ ، فَفَزِعَ مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَالَ : أَحْلِفُ بِاللهِ إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٌّ ! فَلَقِيَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : أُرِيدَ بِكَ خَيْرٌ ، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاتَّبِعْهُ فَإِنَّكَ سَتَتَّبِعُهُ ، وَتَدْخُلُ مَعَهُ فِي الإِسْلَامِ ، وَالإِسْلَامُ يَحْجُزُكَ أَنْ تَدْخُلَ فِيهَا ، وَأَبُوكَ وَاقِعٌ فِيهَا ، فَلَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِأَجْيَادٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِلَامَ تَدْعُو ؟ قَالَ : « أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَخْلَعُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ لَّا يَسْمَعُ ، وَلَا يَضُرُّ ، وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يَدْرِي مَنْ عَبَدَهُ مِمَّنْ لَا يَعْبُدُهُ » . قَالَ خَالِدٌ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ! فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِ ،

(١) في « دلائل النبوة » (٢/ ١٧٢) .
(٢) أي : جانبها وحرفها .
(٣) الحَقْو : موضع الإزار الخصر .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَتَغَيَّبَ خَالِدٌ ، وَعَلِمَ أَبُوهُ بِإِسْلاَمِهِ ، فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَأَنَّبَهُ ، وَضَرَبَهُ بِمِقْرَعَةٍ فِي يَدِهِ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : وَاللهِ لأَمْنَعَنَّكَ الْقُوتَ ! فَقَالَ خَالِدٌ : إِنْ مَنَعْتَنِي ؛ فَإِنَّ اللهَ يَرْزُقُنِي مَا أَعِيشُ بِهِ ! وَانْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ يَلْزَمُهُ ، وَيَكُونُ مَعَهُ[١] .

وأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ[٢] مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ـ فَذَكَرَهُ ، وَفِي حَدِيثِهِ : وَأَرْسَلَ أَبُوهُ فِي طَلَبِهِ مَنْ بَقِيَ مِنْ وُلْدِهِ مِمَّنْ لَّمْ يُسْلِمْ وَرَافِعاً مَّوْلاَهُ، فَوَجَدُوهُ، فَأَتَوْا بِهِ أَبَاهُ ـ أَبَا أُحَيْحَةَ ـ فَأَنَّبَهُ ، وَبَكَّتَهُ[٣] وَضَرَبَهُ بِمِقْرَعَةٍ فِي يَدِهِ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : أَتَبِعْتَ مُحَمَّداً ؛ وَأَنْتَ تَرَى خِلاَفَ قَوْمِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ ، وَعَيْبِهِ مَنْ مَّضَى مِنْ آبَائِهِمْ؟ فَقَالَ خَالِدٌ : قَدْ صَدَقَ وَاللهِ وَاتَّبَعْتُهُ ، فَغَضِبَ أَبُوهُ ـ أَبُو أُحَيْحَةَ ـ وَنَالَ مِنْهُ ، وَشَتَمَهُ ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ يَا لُكَعُ ! حَيْثُ شِئْتَ ، وَاللهِ لأَمْنَعَنَّكَ الْقُوتَ ، قَالَ خَالِدٌ : فَإِنْ مَنَعْتَنِي فَإِنَّ الله عزَّ وجلَّ يَرْزُقُنِي مَا أَعِيشُ بِهِ. فَأَخْرَجَهُ وَقَالَ لِبَنِيهِ : لاَ يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ مِّنْكُمْ إِلَّا صَنَعْتُ بِهِ مَا صَنَعْتُ بِهِ ، فَانْصَرَفَ خَالِدٌ إِلَىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ يَلْزَمُهُ ، وَيَكُونُ مَعَهُ[٤] .

وأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٥] أَيْضاً عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ مَرِضَ ، فَقَالَ : لَئِنْ رَفَعَنِيَ اللهُ مِنْ مَّرَضِي هَذَا لاَ يُعْبَدُ إِلَهُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ

---

(١) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٣٢) .
(٢) في « المستدرك » (٣/ ٢٤٨) .
(٣) أي : وَبَّخَه .
(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ٩٣) .
(٥) في « المستدرك » (٣/ ٣٤٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِبَطْنِ مكَّةَ أَبَدًا ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عِنْدَ ذَلِكَ : اللَّهُمَّ ! لَا تَرْفَعْهُ ! فَتُوُفِّيَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ[١] .

دَعْـوَتُه ﷺ لِضِمَادٍ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ[٢] وَالْبَيْهَقِيُّ[٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قَدِمَ ضِمَادٌ مَكَّةَ ـ وَهُوَ رَجُـلٌ مِنْ أَزْدِشَنُوءَةَ[٤] ـ وَكَانَ يَرْقِي[٥] مِنْ هَذِهِ الرِّيَاحِ ، فَسَمِعَ سُفَهَـاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّـدًا مَّجْنُونٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا الرَّجُـلُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَّشْفِيَهُ عَلَى يَدِي ، فَلَقِيتُ مُحَمَّدًا ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيَاحِ ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ ، فَهَلُمَّ ! فَقَالَ مُحَمَّدٌ: «إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

فقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، فَهَلُمَّ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلَامِ ! فَبَايَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ : وَعَلَى قَوْمِكَ ، فَقَالَ: وَعَلَى قَوْمِي .

فبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشاً فَمَرُّوا بِقَوْمِ ضِمَادٍ ، فَقَالَ صَاحِبُ الْجَيْشِ لِلسَّرِيَّةِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِّنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شَيْئاً ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِّطْهَرَةً ، فَقَالَ رُدَّهَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمُ ضِمَادٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ لَهُ ضِمَادٌ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَلَقَدْ بَلَغْنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ[٦] .

(١) هكذا أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤/ ٩٥) .
(٢) في صحيحه برقم : (٢٠٠٨) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) والسنن الكبرى (٣/ ٢١٤) .
(٤) حَيٌّ من اليمن .
(٥) من الرقية : ما يقرأ من الكلام للمرضى ولغيرهم تعوُّذاً من الأذى وطلباً للبرء .
(٦) كذَا فِي « الْبِدَاية والنهاية » : (٣/ ٣٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ[١] مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيطٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدَوِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ ضِمَادٌ : قَدِمْتُ مَكَّةَ مُعْتَمِراً ، فَجَلَسْتُ مَجْلِساً فِيهِ أَبُو جَهْلٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلاَمَنَا ، وَأَضَلَّ مَنْ مَّاتَ مِنَّا ، وَعَابَ آلِهَتَنَا ! فَقَالَ أُمَيَّةُ : الرَّجُلُ مَجْنُونٌ غَيْرُ شَكٍّ . قَالَ ضِمَادٌ : فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِي كَلِمَتُهُ ، وَقُلْتُ : إِنِّي رَجُلٌ أُعَالِجُ مِنَ الرِّيحِ ، فَقُمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَأَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ فَلَمْ أُصَادِفْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، فَجِئْتُهُ، فَوَجَدتُّهُ جَالِساً خَلْفَ الْمَقَامِ يُصَلِّي ، فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغَ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : «مَا تَشَاءُ» فَقُلْتُ : إِنِّي أُعَالِجُ مِنَ الرِّيحِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ عَالَجْتُكَ ، وَلاَ تُكْبِرَنَّ مَا بِكَ ، فَقَدْ عَالَجْتُ مَنْ كَانَ بِهِ أَشَدُّ مِمَّا بِكَ ، فَبَرَأَ، وَسَمِعْتُ قَوْمَكَ يَذْكُرُونَ فِيكَ خِصَالاً سَيِّئَةً مِنْ تَسْفِيهِ أَحْلاَمِهِمْ ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ ، وَتَضْلِيلِ مَنْ مَّاتَ مِنْهُمْ ، وَعَيْبِ آلِهَتِهِمْ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «الْحَمْدُ للهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُّضْلِلْهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلااللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ ضِمَادٌ : فَسَمِعْتُ كَلاَماً لَّمْ أَسْمَعْ كَلاَماً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَاسْتَعَدْتُّهُ الْكَلاَمَ ، فَأَعَادَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : إِلاَمَ تَدْعُو ؟ قَالَ : « إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَتَخْلَعَ الأَوْثَانَ مِنْ رَقَبَتِكَ ، وَتَشْهَدَ أَنِّي رَسُولُ الله » . فَقُلْتُ : فَمَاذَا لِي إِنْ فَعَلْتُ ؟ قَالَ : « لَكَ الْجَنَّةُ » ، قُلْتُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلااللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَخْلَعُ الأَوْثَانَ مِنْ رَّقَبَتِي ، وَأَبْرَأُ مِنْهَا ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ! فَأَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى عَلِمْتُ سُوَراً كَثِيرَةً مِّنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي .

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ٧٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدَوِيُّ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ فِي سَرِيَّةٍ وَّأَصَابُوا عِشْرِينَ بَعِيراً بِمَوْضِعٍ وَّاسْتَاقُوهَا ، وَبَلَغَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ : أَنَّهُمْ قَوْمُ ضِمَادٍ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ: رُدُّوهَا إِلَيْهِمْ ! فَرُدَّتْ.

دَعْوَتُه ﷺ لِحُصَيْنٍ وَالِدِ عِمْرَانَ رضي الله عنهما :

أَخْرَجَ ابْنُ خُزَيْمَةَ[1] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ طَلِيقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ قُرَيْشاً جَاءَتْ إِلَى الْحُصَيْنِ ـ وَكَانَتْ تُعَظِّمُهُ ـ فَقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ ؛ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا ، وَيَسُبُّهُمْ . فَجَاؤُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيباً مِّنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: « أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ » ـ وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ ـ .

فقَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنَا عَنْكَ: أَنَّكَ تَشْتِمُ آلِهَتَنَا ، وَتَذْكُرُهُمْ ؛ وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ حَصِينَةً وَّخَيْراً ، فَقَالَ: « يَا حُصَيْنُ ! إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ ؛ يَا حُصَيْنُ ! كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلٰهٍ » ، قَالَ : سَبْعاً فِي الأَرْضِ ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: « فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو ؟ » قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: «فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو ؟ » قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: «فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ ، وَتُشْرِكُهُمْ مَّعَهُ ! أَرْضَيْتَهُ فِي الشُّكْرِ ، أَمْ تَخَافُ أَنْ يَّغْلِبَ عَلَيْكَ ؟ » قَالَ: وَلَا وَاحِدَةً مِّنْ هَاتَيْنِ ! قَالَ: وَعَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ مِّثْلَهُ. قَالَ : « يَا حُصَيْنُ ! أَسْلِمْ تَسْلَمْ » ، قَالَ: إِنَّ لِي قَوْماً وَّعَشِيرَةً فَمَاذَا أَقُولُ ؟ قَالَ : « قُلْ : اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْتَهْدِيكَ لأَرْشَدِ أَمْرِي وَزِدْنِي عِلْماً يَّنْفَعُنِي ! » . فَقَالَهَا حُصَيْنٌ ، فَلَمْ يَقُمْ حَتَّى أَسْلَمَ. فَقَامَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ ، فَقَبَّلَ

(١) في صحيحه ، برقم : (٣٤٨٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رَأْسَهُ ، وَيَدَيْهِ ، وَرِجْلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيّ ﷺ بَكَى ، وَقَالَ : «بَكَيْتُ مِنْ صَنِيعِ عِمْرَانَ ، دَخَلَ حُصَيْنٌ وَّهُوَ كَافِرٌ ، فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ عِمْرَانُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ نَاحِيَتَهُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ ؛ قَضَى حَقَّهُ ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الرِّقَّةُ» . فَلَمَّا أَرَادَ حُصَيْنٌ أَنْ يَّخْرُجَ ؛ قَالَ لأَصْحَابِهِ : «قُومُوا فَشَيِّعُوه إِلَى مَنْزِلِهِ» ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ سُدَّةِ الْبَابِ[١] ؛ رَأَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَقَالُوا : صَبَأَ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ[٢] .

دَعْوَتُـه ﷺ لِرَجُلٍ لمَ يُسَـمَّ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٣] عَنْ أَبي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ : أَنَّهُ أَتَى رسُولَ اللهِ ﷺ ـ أَوْ قَالَ : شَهِدْتُّ رَسُولَ الله ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ قَالَ : أَنْتَ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : مَا تَدْعُو ؟ قَالَ : «أَدْعُو الله عزَّ وجلَّ وَحْدَهُ مَنْ إِذَا كَانَ لَكَ ضُرٌّ ، فَدَعَوْتَهُ ؛ كَشَفَهُ عَنْكَ ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامٌ[٤] فَدَعَوْتَهُ ؛ أَنْبَتَ لَكَ ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ ، فَأَضْلَلْتَ ، فَدَعَوْتَهُ ؛ رَدَّ عَلَيْكَ » . فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ ، ثُمَّ قَالَ : أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللهِ ! فَقَالَ : « لاَ تَسُبَّنَّ شَيْئاً » ـ أَوْ قَالَ : « أَحَدًا » ـ شَكَّ الْحَكَمُ ـ قَالَ : فَمَا سَبَبْتُ بَعِيراً ، وَلاَ شَاةً مُّنْذُ أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ .

دَعْوَتُه ﷺ لِمُعَاوِيَـةَ بْنِ حَيْـدَةَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ[٥] عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ

(١) هي كالظُّلَّة على الباب لتقي الباب من المظر .
(٢) كذا في « الإصابة » (١/ ٣٣٣) .
(٣) في مسنده برقم : (١٦٦٦٧) .
(٤) عامٌ : أي جدبٌ ومجاعة وقحطٌ .
(٥) في « الاستيعاب » (١/ ٣٦٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الأَنَامِلِ ـ وَطَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى ـ أَلَّا آتِيَكَ ، وَلَا آتِيَ دِينَكَ ، فَقَدْ أَتَيْتُكَ امْرَأً لَا أَعْقِلُ شَيْئاً إِلَّا مَا عَلَّمَنِيَ اللهُ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا ؟ قَالَ : « بِدِينِ الإِسْلَامِ » ، قَالَ : وَمَا دِينُ الإِسْلَامِ ؟ قَالَ : « أَنْ تَقُولَ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله ، وَتَخَلَّيْتُ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلاً ؛ حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ ، مَالِي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ[١] عَنِ النَّارِ ! أَلَا ! وَإِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ ، وَإِنَّهُ سَائِلِي : هَلْ بَلَّغْتَ عِبَادِي ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! قَدْ بَلَّغْتُ . أَلَا فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ ! أَلَا ثُمَّ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ[٢] ، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يُنْبِىءُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وَكَفُّهُ ! » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا دِينُنَا ؟ قَالَ : « هَذَا دِينُكَ وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ » .

دَعْوَتُه ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِم رضي الله عنه :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٣] عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ؛ قَالَ : لَمَّا بَلَغَنِي خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَرِهْتُ خُرُوجَهُ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً ، فَخَرَجْتُ ؛ حَتَّى وَقَعْتُ نَاحِيَةَ الرُّومِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ : حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ ـ قَالَ : فَكَرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ كَرَاهَتِي لِخُرُوجِهِ ، قَالَ : قُلْتُ : وَاللهِ لَوْ أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً ؛ لَمَ يَضُرَّنِي ، وَإِنْ كَانَ صَادِقاً ؛ عَلِمْتُ ، قَالَ : فَقَدِمْتُ ، فَأَتَيْتُهُ . فَلَمَّا قَدِمْتُ ؛ قَالَ النَّاسُ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ! عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ! قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي : « يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ! أَسْلِمْ تَسْلَمْ ـ ثَلَاثاً ـ قَالَ : قُلْتُ . إِنِّي

(١) الحُجز ، جم (حجزة) : وأصل الحجزة : موضع شدّ الإزار من الوسط .
(٢) الفِدَام : هو ما يُشَدُّ على فم إبريقٍ أو كوزٍ من خرقةٍ لتصفية الشراب ، أي : يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلّم جوارحهم .
(٣) في المسند : (٤/ ٢٥٧ ، و ٢٥٨ ، و ٣٧٧ ، و ٣٧٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَلَى دِينٍ . قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ » فَقُلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي ؟! قَالَ : « نَعَمْ ، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ[١] وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ[٢] قَوْمِكَ » قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : « هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » ، قَالَ : نَعَمْ . فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا ، فتواضعْتُ لَهَا ، قَالَ : «أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلَامِ . تَقُولُ : إِنمَّا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ ، وَمَنْ لَّا قُوَّةَ لَهُمْ ، وَقَدْ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ ، أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ[٣] ؟ » قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا . قَالَ : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ[٤] مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ ، وَلَيُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ » قَالَ : قُلْتُ : كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ؟! قَالَ : « نَعَمْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ ؛ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ » . قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَأْتِي مِنَ الْحِيرَةِ ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ ؛ لأِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قَالَهَا .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٥] أَيْضاً عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا بِعَقْرَبَ ، فَأَخَذُوا عَمَّتِي ، وَنَاساً ، فَلَمَّا أَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : فَصُفُّوا لَهُ . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ! بَانَ الْوَافِدُ ، وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَّا بِي مِنْ خِدْمَةٍ فَمُنَّ عَلَيَّ ؛ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : « وَمَنْ وَافِدُكِ ؟ » قَالَتْ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، قَالَ : « الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » قَالَتْ : فَمُنَّ عَلَيَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ ـ نُرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ ـ قَالَ : سَلِيهِ حُمْلَاناً . قَالَ : فَسَأَلَتْهُ ، فَأَمَرَ لَهَا . قَالَ عَدِيٌّ : فَأَتَتْنِي فَقَالَتْ : لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَّا كَانَ

(١) الرَّكُوسية : فرقة لها دينٌ بين النصارى والصَّابئين .
(٢) أي : رُبْع الغنيمة .
(٣) كانت قاعدةَ المناذرة بين النجف والكوفة .
(٤) هي المرأةُ في الهَوْدَج ، وقيل للمرأة وحدها .
(٥) في مسنده برقم : (١٩٤٠٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَبُوكَ يَفْعَلُهَا ! وَقَالَتْ : ائتِهِ رَاغِباً ، أَوْ رَاهِباً ، فَقَدْ أَتَاهُ فُلاَنٌ ، فَأَصَابَ مِنْهُ ، وَأَتَاهُ فُلاَنٌ فَأَصَابَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَّانِ ـ أَوْ صَبِيٌّ ـ فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنْهُ ، فَعَرَفْتُ : أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكَ كِسْرَى ، وَلاَ قَيْصَرَ . فَقَالَ لَهُ : « يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ! مَا أَفَرَّكَ ؟ أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ ؟! مَا أَفَرَّكَ ؟ أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عز وجل ؟ » قَالَ : فَأَسْلَمْتُ ، فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ ، وَقَالَ : « إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى » . قَالَ : ثُمَّ سَأَلُوهُ : فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ! فَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَرْضَخُوا مِنَ الْفَضْلِ ، ارْتَضَخَ امْرُؤٌ بِصَاعٍ بِبَعْضِ صَاعٍ بِقَبْضَةٍ بِبَعْضِ قَبْضَةٍ » ، قَالَ شُعْبَةُ : وَأَكْثَرُ عِلْمِي : أَنَّهُ قَالَ : « بِتَمْرَةٍ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَقِي اللهِ فَقَائِلٌ مَّا أَقُولُ : أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعاً بَصِيراً أَلَمْ أَجْعَلْ لَّكَ مَالاً وَّوَلَدًا ؟ فَمَاذَا قَدَّمْتَ ؟ فَيَنْظُرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ، فَلاَ يَجِدُ شَيْئاً ، فَمَا يَتَّقِي النَّارَ إِلاَّ بِوَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ فَبِكَلِمَةٍ لَّيِّنَةٍ ، إِنِّي لاَ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَاقَةَ ؛ لَيَنْصُرَنَّكُمُ اللهُ ، وَلَيُعْطِيَنَّكُمْ ـ أَوْ لَيَفْتَحَنَّ عَلَيْكُمْ ـ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ بَيْنَ الْحِيرَةِ وَيَثْرِبَ ، أَوْ أَكْثَرَ مَا تَخَافُ السَّرَقَ عَلَى ظَعِينَتِهَا » .

دَعْوَتُـه ﷺ لِذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَابِيِّ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ ذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَابِيِّ ؛ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ بِابْنِ فَرَسٍ لِيْ يُقَالُ لَهَا : «الْقَرْحَاءُ» ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ! قَدْ جِئْتُكَ بِابْنِ الْقَرْحَاءِ لِتَتَّخِذَهُ ، قَالَ : « لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَّ أَنْ أَقِيضَكَ بِهَا الْمُخْتَارَةَ مِنْ دُرُوعِ بَدْرٍ فَعَلْتُ » . فَقُلْتُ : مَا كُنْتُ لأَقِيضَهُ الْيَوْمَ

(١) في « المعجم الصغير » برقم : (١٦٦٨٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِغُرَّةٍ ، قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ » ثُمَّ قَالَ : « يَا ذَا الْجَوْشَنِ ! أَلَا تُسْلِمُ ، فَتَكُونَ مِنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ ؟ » فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : « لِمَ » قَالَ : قُلْتُ رَأَيْتُ قَوْمَكَ قَدْ وُلِعُوا بِكَ . قَالَ : « فَكَيْفَ بَلَغَكَ عَنْ مَصَارِعِهِمْ بِبَدْرٍ ؟ » قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ، قَالَ : « فَإِنَّا نَهْدِي لَكَ » ، قُلْتُ : إِنْ تَغْلِبْ عَلَى الْكَعْبَةِ وَتَقْطُنْهَا ! قالَ : « لَعَلَّكَ إِنْ عِشْتَ تَرَى ذَلِكَ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا بِلَالُ ! خُذْ حَقِيبَةَ الرَّجُلِ فَزَوِّدْهُ مِنَ الْعَجْوَةِ » ، فَلَمَّا أَدْبَرْتُ ؛ قَالَ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ بَنِي عَامِرٍ ! » قَالَ : فَوَاللهِ إِنِّي بِأَهْلِي بِالْغَوْرِ إِذْ أَقْبَلَ رَاكِبٌ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ النَّاسُ؟ قَالَ : وَاللهِ قَدْ غَلَبَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَقَطَنَهَا ! قُلْتُ : هَبِلَتْنِي أُمِّي ! وَلَوْ أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ أَسْأَلُهُ الْحِيرَةَ ؛ لأَقْطَعَنِيهَا !

وفي رِوَايَةٍ : فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ : « مَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : رَأَيْتُ قَوْمَكَ قَدْ كَذَّبُوكَ ، وَأَخْرَجُوكَ ، وَقَاتَلُوكَ ، فَأَنْظُرُ مَاذَا تَصْنَعُ ؟ فَإِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ ؛ آمَنْتُ بِكَ ، وَاتَّبَعْتُكَ ، وَإِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ ؛ لَمْ أَتَّبِعْكَ .

دَعْوَتُه ﷺ لِبَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ[١] عَنْ بَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ ؛ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَدَعَانِي إِلَى الإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : « مَا اسْمُكَ ؟ » قُلْتُ : نَذِيرٌ ، قَالَ : «بَلْ أَنْتَ بَشِيرٌ » فَأَنْزَلَنِي بِالصُّفَّةِ[٢] ، فَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَشْرَكَنَا فِيهَا ، وَإِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ صَرَفَهَا إِلَيْنَا ، فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَتَبِعْتُهُ ، فَأَتَى الْبَقِيعَ ، فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَإِنَّا للهِ ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، لَقَدْ أَصَبْتُمْ خَيْراً بَجِيلاً[٣] ، وَسَبَقْتُمْ شَراً طَوِيلاً » ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : « مَنْ

(١) في « تاريخ مدينة دمشق » (١٠/ ٣٠٠) .
(٢) الصُّفّة : موضع مظلَّل في مسجد النبي ﷺ ، كان يسكنه فقراء الصحابة .
(٣) أي : كثيراً واسعاً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هَذَا » ؟ فَقُلْتُ : بَشِيرٌ ، فَقَالَ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكَ ، وَقَلْبَكَ ، وَبَصَرَكَ إِلَى الإِسْلاَمِ مِنْ بَيْنِ رَبِيعَةِ الْفَرَسِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : أَنْ لَّوْلاَهُمْ لاَئْتَفَكَتِ[١] الأَرْضُ بِأَهْلِهَا» ، قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : «مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قُلْتُ : خِفْتُ أَنْ تُنْكَبَ ، أَوْ تُصِيبَكَ هَامَّةٌ[٢] مِنْ هَوَامِّ الأَرْضِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : « يَا بَشِيرُ ! أَلاَ تَحْمَدُ اللهَ الَّذِي أَخَذَ بِنَاصِيَتِكَ إِلَى الإِسْلاَمِ مِنْ بَيْنِ رَبِيعَةَ : قَـوْمٌ يَرَوْنَ أَنْ لَّوْلاَهُمْ لاَئْتَفَكَتِ الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا »[٣] .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِرَجُـلٍ لَّمْ يُـسَمَّ :

أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى[٤] عَنْ حَرْبِ بْنِ سُرَيْجٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِّنْ بَلْعَدَوِيَّةِ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي جَدِّي ؛ قَالَ : انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنَزَلْتُ عِنْدَ الْوَادِي فَإِذَا رَجُلاَنِ بَيْنَهُمَا عَنْزٌ وَّاحِدَةٌ وَّإِذَا الْمُشْتَرِي يَقُولُ لِلْبَائِعِ : أَحْسِنْ مُبَايَعَتِي ! قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْهَاشِمِيُّ الَّذِي قَدْ أَضَلَّ النَّاسَ أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ ، عَظِيمُ الْجَبْهَةِ ، دَقِيقُ الأَنْفِ ، دَقِيقُ الْحَاجِبَيْنِ ، وَإِذَا مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى سُرَّتِهِ مِثْلُ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ شَعْرٌ أَسْوَدُ ، وَإِذَا هُوَ بَيْنَ طِمْرَيْنِ[٥] . قَالَ : فَدَنَا مِنَّا فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ دَعَا الْمُشْتَرِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! قُلْ لَّهُ : يُحْسِنْ مُبَايَعَتِي ، فَمَدَّ يَدَهُ وَقَالَ : « أَمْوَالَكُمْ تَمْلِكُونَ إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَطْلُبُنِي أَحَدٌ مِّنْكُمْ بِشَيْءٍ ظَلَمْتُهُ فِي مَالٍ وَّلاَ فِي دَمٍ

(١) أي : انقلبت .
(٢) كلُّ ذات سمٍّ يقتل .
(٣) كذا في « المنتخب من كنز العمال » (٥/ ١٤٦) .
(٤) في مسنده : برقم : (٦٨٣٠) .
(٥) الطِّمْر : الثوب الخَلَق .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ولَا عِرْضٍ إِلَّا بِحَقِّهِ. رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ ، سَهْلَ الشِّرَاءِ ، سَهْلَ الأَخْذِ ، سَهْلَ الْعَطَاءِ ، سَهْلَ الْقَضَاءِ ، سَهْلَ التَّقَاضِي » .

ثمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: وَاللهِ لأَقْضِيَنَّ هَذَا ؛ فَإِنَّهُ حَسَنُ الْقَوْلِ ، فَتبِعْتُهُ ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ ! فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بِجَمِيعِهِ ، فَقَالَ: « مَا تَشَاءُ ؟ » فَقُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي أَضْلَلْتَ النَّاسَ ، وَأَهْلَكْتَهُمْ ، وَصَدَدتَّهُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ ؟ قَالَ: « ذَاكَ اللهُ » . قَالَ: مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ؟ قَالَ: « أَدْعُو عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ اللهِ » . قَالَ: قُلْتُ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ: « اشْهَدْ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ ، وَتُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيَّ ، وَتَكْفُرُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ » . قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الزَّكَاةُ ؟ قَالَ: « يَرُدُّ غَنِيُّنَا عَلَى فَقِيرِنَا » . قَالَ : قُلْتُ : نِعْمَ الشَّيءُ تَدْعُو إِلَيْهِ .

قالَ : فَلَقَدْ كَانَ وَمَا فِي الأَرْضِ أَحَدٌ يَّتَنَفَّسُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ وَّلَدِي ، وَوَالِدِي ، وَمِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ! قَالَ: فَقُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُ ! قَالَ : « قَدْ عَرَفْتَ ؟ » قُلْتُ: نَعَمْ ؛ قَالَ: « تَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ ، وَتُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ » . قَالَ : قُلْتُ: نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي أَرِدُ مَاءً عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَّتَّبِعُوكَ ، قَالَ : « نَعَمْ ، فَادْعُهُمْ » ؛ فَأَسْلَمَ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَاءِ رِجَالُهُمْ ، وَنِسَاؤُهُمْ ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِّنْ بَنِي النَّجَّارِ يَعُودُهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا خَالِ ! قُلْ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » ، فَقَالَ: خَالٌ أَنَا ، أَوْ عَمٌّ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا ، بَلْ خَالٌ » ؛ فَقَالَ: « قُلْ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » ، قَالَ : هُوَ خَيْرٌ لِّي ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

(١) في مسنده : (٣/ ١٥٢ ، و ١٥٤ ، و ٢٦٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ أَنَس ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ غُلاَماً مِّنَ الْيَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : «أَسْلِمْ» . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ؛ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ! فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٢] ، وَأَبُو يَعْلَى[٣] عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ : « أَسْلِمْ تَسْلَمْ » ، قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي كَارِهاً ، قَالَ : « وَإِنْ كُنْتَ كَارِهاً » .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لأَبِي قُحَافَـةَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٤] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَـكْرٍ ؛ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَبِي قُحَافَةَ : « أَسْلِمْ تَسْلَمْ » .

وعِنْدَ ابْن سَعْدٍ[٥] عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ ، وَاطْمَأَنَّ، وَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ؛ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِي قُحَافَةَ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! أَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ ؛ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَمْشِي إِلَيْهِ ؟ » قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَّمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَلْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ: « يَا أَبَا قُحَافَةَ ! أَسْلِمْ تَسْلَمْ » ؛ قَالَ: فَأَسْلَمَ ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ . قَالَ : وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ ؛ وَرَأْسُهُ ، وَلِحْيَتُهُ كَأَنَّهُمَا ثَغَامَةٌ[٦] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « غَيِّرُوا هَذَا الشَّيْبَ ، وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ » .

(١) في كتاب المرضى ، باب عيادة المشرك (٢/ ٨٤٤) .
(٢) في مسنده : (٣/ ١٠٩ و ١٨١) .
(٣) في مسنده برقم : (٣٧٦٥) .
(٤) في « المعجم الكبير » برقم : (٢٣٦) و (٢٣٧) و (٢٣٨) .
(٥) في « الطبقات الكبرى » (٥/ ٤٥١) .
(٦) الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَتُـهُ ﷺ لأَفْرَادِ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ لَمْ يُسْلِـمْ

دَعْوَتُهُ ﷺ لأَبِي جَهْلٍ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ؛ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي أَمْشِي أَنَا ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ ؛ إِذْ لَقِيَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي جَهْلٍ : « يَا أَبَا الْحَكَمِ ! هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ » ؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : يَا مُحَمَّدُ ! هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا ؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ : أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ ؟! فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ ، فَوَاللهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ : أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ ؛ لاتَّبَعْتُكَ !

فانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَّلَكِنْ يَّمْنَعُنِي شَيْءٌ : أَنَّ بَنِي قُصَيٍّ قَالُوا : فِينَا الْحِجَابَةُ ، فَقُلْنَا : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالُوا : فِينَا السِّقَايَةُ ، فَقُلْنَا نَعَمْ ، ثُمَّ قَالُوا : فِينَا النَّدْوَةُ ، فَقُلْنَا : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالُوا : فِينَا اللِّوَاءُ ، فَقُلْنَا : نَعَمْ ، ثُمَّ أَطْعَمُوا ، وَأَطْعَمْنَا ؛ حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ ؛ قَالُوا : مِنَّا نَبِيٌّ ! وَاللهِ لَا أَفْعَلُ !

وأَخْرَجَهُ أَيْضاً ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ[٢] بِنَحْوِهِ ، وَفِي حَدِيثِهِ : « يَا أَبَا الْحَكَمِ ! هَلُمَّ إِلَى اللهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى كِتَابِهِ ، أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ » .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٧) .
(٢) في مصنَّفه : (١٤/ ٩١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِلْوَلِيـدِ بْـنِ الْمُغِيـرَةِ :

وَأَخْرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا عَمِّ ! إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَّجْمَعُوا لَكَ مَالاً ، قَالَ : لِمَ ؟ قَالَ : لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِّتَعَرَّضَ مَا قِبَلَهُ ! قَالَ : قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ : أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً . قَالَ : فَقُلْ فِيهِ قَوْلاً يَّبْلُغُ قَوْمَكَ : أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَّهُ ، قَالَ : وَمَاذَا أَقُولُ ؟ فَوَاللهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْرَفَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي ! وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ ، وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي ، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئاً مِنْ هَذَا ! وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُهُ حَلاَوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاَوَةً[1] ، وَّإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاَهُ ، مُغْدِقٌ[2] أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى ، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ ! قَالَ : لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ ، قَالَ : قِفْ عَنِّي حَتَّى أُفَكِّرَ فِيهِ ، فَلَمَّا فَكَّرَ ؛ قَالَ : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُّؤْثَرُ ، يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٣] الآيَاتِ[3] .

---

(١) أي : عليه رونقاً وحُسْناً .

(٢) أي : كثيرٌ غزيرٌ .

(٣) « التَّفْسِيرِ » لِابْنِ كَثِيرٍ (٤/ ٤٤٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَتُـهُ ﷺ الاِثْنَيْـنِ

دَعْوَتُـهُ ﷺ لأَبِي سُفْيَـانَ وَهِنْدٍ :

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ[١] عَنْ مُعَاوِيَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى بَادِيَةٍ لَّهُ مُرْدِفاً هِنْدًا وَّخَرَجْتُ أَسِيرُ أَمَامَهُمَا ؛ وَأَنَا غُلاَمٌ عَلَى حِمَارَةٍ لِّي إِذْ سَمِعْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : انْزِلْ يَا مُعَاوِيَةُ ! حَتَّى يَرْكَبَ محَمَّدٌ ، فَنَزَلْتُ عَنِ الْحِمَارَةِ وَرَكِبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَارَ أَمَامَنَا هُنَيْهَةً[٢] ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : « يَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ! وَيَا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ! وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ ، ثُمَّ لَتُبْعَثُنَّ ، ثُمَّ لَيَدْخُلَنَّ الْمُحْسِنُ الْجَنَّةَ ، وَالْمُسِيءُ النَّارَ ، وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِحَقٍّ ، وإِنَّكُمْ لأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرْتمُ ! » ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت : ١ـ٢] ـ حَتَّى بَلَغَ ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١]، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : أَفَرَغْتَ يَا مُحَمَّدُ ؟! قَالَ : نَعَمْ؛ وَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الْحِمَارَةِ، وَرَكِبْتُهَا، وَأَقْبَلَتْ هِنْدٌ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَتْ : أَلِهَذَا السَّاحِرِ أَنْزَلْتَ ابْنِي ؟! قَالَ : لاَ وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ ، وَلاَ كَذَّابٍ !

دَعْوَتُـهُ ﷺ لِعُثْمَانَ ، وَطَلْحَةَ ، رضي الله عنهما :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ ؛ قَالَ : خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ـ رضي الله عنهما ـ عَلَى إِثْرِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ـ رضي الله

(١) في « تاريخ مدينة دمشق » (٢٣/ ٤٤٠) .
(٢) أي : زماناً يسراً .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٥٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عنه ـ فَدَخَلاَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا الْقُرْآنَ ، وَأَنْبَأَهُمَا بِحُقُوقِ الإِسْلاَمِ ، وَوَعَدَهُمَا . . . الْكَرَامَةَ مِنَ اللهِ ، فَآمَنَا ، وَصَدَّقَا ؛ فَقَالَ عُثْمَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! قَدِمْتُ حَدِيثاً مِّنَ الشَّامِ ، فَلَمَّا كُنَّا بَيْنَ مَعَانَ وَالزَّرْقَاءِ فَنَحْنُ كَالنِّيَامِ إِذَا مُنَادٍ يُنَادِينَا أَيُّهَا النِّيَامُ ! هُبُّوا فَإِنَّ أَحْمَدَ قَدْ خَـرَجَ بِمَكَّةَ ، فَقَدِمْنَا ، فَسَمِعْنَا بِكَ . وَكَانَ إِسْلاَمُ عُثْمَانَ قَدِيمـاً قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَارَ الأَرْقَمِ .

دَعْـوَتُـهُ ﷺ لِعَمَّـارٍ ، وَصُهَيْبٍ ، رضي الله عنهمـا :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[١] عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ ؛ قَالَ : قَالَ عَمَّارُ ابْنُ يَاسِرٍ ، رضي الله عنهما : لَقِيتُ صُهَيْبَ بْنَ سِنَانٍ ـ رضي الله عنه ـ عَلَى بَابِ دَارِ الأَرْقَمِ وَرَسُولُ الله ﷺ فِيهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ لِي : مَا تُرِيدُ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : أَرَدتُّ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَأَسْمَعَ كَلاَمَهُ ، قَالَ : وَأَنَا أُرِيدُ ذَلِكَ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَعَرَضَ عَلَيْنَا الإِسْلاَمَ ، فَأَسْلَمْنَا ، ثُمَّ مَكَثْنَا يَوْمَنَا عَلَى ذَلِكَ ؛ حَتَّى أَمْسَيْنَا ، ثُمَّ خَرَجْنَا وَنَحْنُ مُسْتَخْفُونَ ؛ فَكَانَ إِسْلاَمُ عَمَّارٍ وَّصُهَيْبٍ بَعْدَ بِضْعَةٍ وَّثَلاَثِينَ رَجُلاً ، رضي الله عنهم .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، وَذَكْوَانَ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ ، رضي الله عنهما :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٢] عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : خَرَجَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ، وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ إِلَى مَكَّةَ يَتَنَافَرَانِ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَسَمِعَا بِرَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيَاهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا الْقُرْآنَ ، فَأَسْلَمَا ، وَلَمْ يَقْرَبَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَرَجَعَا إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَكَانَا أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ بِالإِسْلاَمِ بِالْمَدِينَةِ .

(١) في « طبقاته الكبرى » (٣/ ٢٤٧) .
(٢) في « طبقاته الكبرى » (٣/ ٢٤٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى الْجَمَاعَةِ

مخَاصَمَـةُ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَعْوَتِـهِ لَهُـمْ وَمَا أَجَابَـهُـمْ :

أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ عُتْبَةَ ، وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ ، وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَرَجُلاً مِّنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَأَبَا الْبَخْتَرِيِّ أَخَا بَنِي الأَسَدِ ، وَالأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةَ بْنَ الأَسْوَدِ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، وَعَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ، وَالْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ ، وَّنُبَيْهاً ، وَّمُنَبِّهاً ابْنَيِ الْحَجَّـاجِ السَّهْمِيَّـيْنِ اجْتَمَـعُوا ـ أَوْ مَنِ اجْتَـمَعَ مِنْهُمْ ـ بَعْـدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إِلىَ مُحَمَّدٍ ، فَكَلِّمُوهُ ، وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذَرُوا فِيهِ ! فَبَعَثُوا إِلَيْهِ أَنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ ؛ لِيُكَلِّمُوكَ ، فَجَاءَهُم رسُولُ الله ﷺ سَرِيعاً وَّهُوَ يَظُنُّ : أَنَّهُ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِي أَمْرِهِ بَدَاءٌ[٢] وَّكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصاً يُّحِبُّ رُشْدَهُمْ وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ[٣] حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ .

فقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُعْذَرَ[٤] فِيكَ ، وَإِنَّا ـ وَالله ـ مَا نَعْلَمُ رَجُلاً مِّنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ! لَقَدْ

(١) في تفسيره : (١٥/ ١٦٤ ـ ١٦٦) .
(٢) أي : رأيٌ جديدٌ .
(٣) أي : مَشَقَّتهم ، وفسادهم ، وهلاكهم .
(٤) أي : لنصبح أصحاب عُذرٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

شَتَمْتَ الآبَاءَ ، وَعِبْتَ الدِّينَ ، وَسَفَّهْتَ الأَحْلاَمَ[١] ، وَشَتَمْتَ الآلِهَةَ ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَا بَقِيَ مِنْ قَبِيحٍ إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ! فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالاً ؛ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا ؛ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا ؛ سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكاً ؛ مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ بِمَا يَأْتِيكَ رَئِيّاً تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ ـ وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الْجِنِّ « الرَّئِيَّ » ـ فَرُبمَّا كَانَ ذَلِكَ ، بَذَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ ؛ حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، أَوْ نُعْذَرَ فِيكَ !

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا بِي مَا تَقُولُونَ ، مَا جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ ، وَلاَ الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلاَ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَّنَذِيرًا ، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ؛ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » .

فقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! فَإِنْ كُنْتَ غيْرَ قَابِلٍ مِّنَّا مَا عَرَضْنَا عَلَيْكَ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ : أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ أَضْيَقَ مِنَّا بِلاَدًا ، وَلاَ أَقَلَّ مَالاً ، وَلاَ أَشَدَّ عَيْشاً مِنَّا ، فَاسْأَلْ لَّنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ ؛ فَلْيُسَيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا ، وَلْيَبْسُطْ لَنَا بِلاَدَنَا ، وَلْيُفَجِّرْ فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَّضَى مِن آبَائِنَا ، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يَّبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلاَبٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخاً صَدُوقاً ؛ فَنَسْأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولُ : أَحَقٌّ هُوَ ، أَمْ بَاطِلٌ ؟ فَإِنْ صَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ ، وَصَدَّقُوكَ ؛ صَدَّقْنَاكَ ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللهِ ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولاً كَمَا تَقُولُ .

(١) أي : العقول .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا بِهَذَا بُعِثْتُ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِّنْ عِنْدِ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ ؛ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ؛ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » .

قالُوا : فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ لَّنَا هَذَا ؛ فَخُذْ لِنَفْسِكَ ، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَّبْعَثَ مَلَكاً يُّصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ ، وَيُـرَاجِعُنَا عَنْكَ ، وَتَسْأَلُهُ ، فَيَجْعَلُ لَكَ جَنَّاتٍ وَّكُنُوزًا وَّقُصُورًا مِّنْ ذَهَبٍ وَّفِضَّةٍ ، وَّيُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالأَسْوَاقِ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ ؛ حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَّبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولاً كَمَا تَزْعُمُ .

فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَّنَذِيراً ؛ فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ ؛ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ؛ وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ؛ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » .

قالُوا : فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ : أَنَّ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ .

فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ذَلِكَ إِلىَ اللهِ إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ » .

فقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! أَمَا عَلِمَ رَبُّكَ : أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ ، وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ ، فَيَقْدَمَ إِلَيْكَ وَيُعَلِّمَكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ ، وَيُخْبِرَكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بنَا إِذَا لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ ، يُقَالُ لَهُ « الرَّحْمَنُ » وَإِنَّا وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا ! فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ! أَمَا وَاللهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا فَعَلْتَ بِنَا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حَتَّى نُهْلِكَكَ و أَوْ تُهْلِكَنَا ! وَقَالَ قَائِلُهُمْ : نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلاَئِكَةَ ، وَهِيَ بَنَاتُ اللهِ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَ بِاللهِ ، وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً .

فلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْهُمْ ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ـ وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ عَاتِكَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا ، فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِّيَعْرِفُوا بِهَا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللهِ ، فَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ مَّا تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؛ فَوَاللهِ لاَ أُؤْمِنُ بِكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّماً ، ثُمَّ تَرْقَى بِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ ؛ حَتَّى تَأْتِيَهَا ، وَتَأْتِيَ مَعَكَ بِصَحِيفَةٍ مَّنْشُورَةٍ وَّمَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ ! اَيْمُ اللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؛ لَظَنَنْتُ أَنِّي لاَ أُصَدِّقُكَ ! ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ حَزِيناً أَسِفاً ؛ لِمَا فَاتَهُ مِمَّا كَانَ طَمِعَ فِيهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَوْهُ ، وَلِمَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ .

دَعْوَتُـهُ ﷺ لأَبِي الْحَيْسَرِ ، وَفِتْيَـةٍ مِّنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم[1] عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ؛ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ مَكَّةَ ـ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِّنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ـ رضي الله عنه ـ يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِّنَ الْخَزْرَجِ ـ سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ ، فَأَتَاهُمْ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ: « هَلْ لَّكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِّمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ » فَقَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : « أَنَا رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِيَ اللهُ إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَنَزَّلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ » . ثُمَّ ذَكَرَ الإِسْلاَمَ ، وَتَلاَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ .

(١) في « دلائل النبوة » . (ص : ١٤١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ـ وَكَانَ غُلاَماً حَدَثاً ـ أَيْ قَوْم ! هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِّمَّا جِئْتُمْ لَهُ ، فَأَخَذَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِّنَ الْبَطْحَاءِ ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا ! فَصَمَتَ إِيَاسٌ ، وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الأَوْسِ ، وَالْخَزْرَجِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللهَ ، وَيُكَبِّرُهُ ، وَيُسَبِّحُهُ ؛ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِماً ، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الإِسْلاَمَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا سَمِعَ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى الْمَجَامِعِ

دَعْوَتُهُ ﷺ لِعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ وَبُطُونِ قُرَيْشٍ :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى عَلاَ الْمَرْوَةَ ، ثُمَّ قَالَ : «يَا آلَ فِهْرٍ»! فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَقَالَ أَبُو لَهَبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَذِهِ فِهْرٌ عِنْدَكَ ، فَقُلْ . فَقَالَ : « يَا آلَ غَالِبٍ » ! فَرَجَعَ بَنُو مُحَارِبٍ ، وَبَنُو الْحَارِثِ ابْنَا فِهْرٍ ، فَقَالَ : يَا آلَ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ، فَرَجَعَ بَنُو تَيْمِ الأَدْرَمِ بْنِ غَالِبٍ ، فَقَالَ : « يَا آلَ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ » ! فَرَجَعَ بَنُو عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَقَالَ : « يَا آلَ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ » ! فَرَجَعَ بَنُو عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَبَنُو سَهْمٍ ، وَبَنُو جُمَحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَقَالَ : « يَا آلَ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ » ! فَرَجَعَ بَنُو مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ مُرَّةَ ، وَبَنُو تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ ، فَقَالَ : « يَا آلَ قُصَيٍّ » ! فَرَجَعَ بَنُو زُهْرَةَ بْنِ كِلاَبٍ ، فَقَالَ : « يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ » ! فَرَجَعَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : هَذِهِ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عِنْدَكَ فَقُلْ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : « إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِيَ الأَقْرَبِينَ ، وَأَنْتُمُ الأَقْرَبُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللهِ حَظّاً وَلاَ مِنَ الآخِرَةِ نَصِيباً إِلَّا أَنْ

(١) في « طبقاته الكبرى » (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَقُولُوا : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » فَأَشْهَدُ بِهَا لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، وَتَدِينُ لَكُمُ الْعَرَبُ، وَتَذِلُّ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ » . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبّاً لَّكَ ؛ فَلِهَذَا دَعَوْتَنَا ! فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد : ١] يَقُولُ : خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ نَادَى : « يَا صَبَاحَاهْ[٢] ! » فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ بَيْنَ رَجُلٍ يَّجِيءُ إِلَيْهِ ، وَبَيْنَ رَجُلٍ يَّبْعَثُ رَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! ، يَا بَنِي فِهْرٍ ! ، يَا بَنِي كَعْبٍ ! أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ : أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ؛ صَدَّقْتُمُونِي ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبّاً لَّكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ! أَمَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟ وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [سورة المسد] .

---

(١) في مسنده : (١/ ٢٨١ و ٣٠٧) .

(٢) هذه الكلمة يقولها المستغيثُ ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح . فكأن القائل « يا صباحاه! » قد غشينا العدو . وقيل : فكأنه يريد بقوله : « يا صباحاه! » قد جاء العدوُّ وقتَ الصباح ، فتأهبوا للقتال .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُه ﷺ الدَّعْوَةَ في مَوَاسِمِ الْحَجِّ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَبَنِي مُحَارِبٍ :

أَخَرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ سِنِينَ مِنْ نُبُوَّتِهِ مُسْتَخْفِياً ، ثُمَّ أَعْلَنَ فِي الرَّابِعَةِ ، فَدَعَا عَشْرَ سِنِينَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ يَتْبَعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ(٢) ، وَمَجَنَّةَ(٣) ، وَذِي الْمَجَازِ(٤) يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ـعزَّ وجلَّ ـ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ ؛ حَتَّى إِنَّهُ يَسْأَلُ عَنِ الْقَبَائِلِ ، وَمَنَازِلِهِمْ قَبِيلَةً قَبِيلَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي عَامِرِ ابْنِ صَعْصَعَةَ ، فَلَمْ يَلْقَ مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الأَذَى قَطُّ مَا لَقِيَ مِنْهُمْ ؛ حَتَّى خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ ؛ وَإِنَّهُمْ لَيَرْمُونَهُ مِنْ وَّرَائِهِ ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي محُارِبِ بْنِ خَصَفَةَ ، فَوَجَدَ فِيهِمْ شَيْخاً ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَّعِشْرِينَ سَنَةً ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَنْ يَّمْنَعَهُ ؛ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ! قَوْمُكَ أَعْلَمُ بِنَبَئِكَ ، وَاللهِ لاَ يَؤُوبُ(٥) بِكَ رَجُلٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ آبَ بِشَرِّ مَا يَؤُوبُ بِهِ أَهْلُ الْمَوْسِمِ ، فَأَغْنِ عَنَّا نَفْسَكَ ! وَإِنَّ أَبَا لَهَبٍ لَقَائِمٌ يسْمَعُ كَلاَمَ الْمُحَارِبِيِّ .

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠١) .
(٢) من أشهر أسواق العرب ، تقع في شمال شرق الطَّائف على مسافة (٣٥) كيلاً في أسفل وادي يثرب ، وأسفل وادي الفرج .
(٣) سوق كانت تقع بأسفل مكة .
(٤) من أسواق الجاهلية .
(٥) أي : لا يرجع .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثُمَّ وَقَفَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى الْمُحَارِبِيِّ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ أَهْلُ الْمَوْسِمِ كُلُّهُمْ[١] مِثْلَكَ ؛ لَتَرَكَ هَذَا الدِّينَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ صَابِىءٌ كَذَّابٌ ! قَالَ الْمُحَارِبِيُّ : أَنْتَ وَاللهِ أَعْرَفُ بِهِ ! هُوَ ابْنُ أَخِيكَ ، وَلُحْمَتُكَ . ثُمَّ قَالَ الْمُحَارِبِيُّ : لَعَلَّ بِهِ يَا أَبَا عُتْبَةَ لَمَماً[٢] ، فَإِنَّ مَعَنَا رَجُلاً مِّنَ الْحَيِّ يَهْتَدِي لِعِلاَجِهِ . فَلَمْ يَرْجِعْ[٣] أَبُو لَهَبٍ بِشَىْءٍ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا رَآهُ وَقَفَ عَلَى حَيٍّ مِّنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ؛ صَاحَ بِهِ أَبُو لَهَبٍ إِنَّهُ صَابِىءٌ كَذَّابٌ !

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى بَنِي عَبْسٍ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٤] أَيْضاً مِّنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَابِصَةَ الْعَبْسِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ؛ قَالَ : جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَازِلِنَا بِمِنىً ـ وَنَحْنُ نَازِلُونَ الْجَمْرَةِ الأُولىَ الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ ؛ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُرْدِفاً خَلْفَهُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ـ فَدَعَانَا ، فَوَاللهِ مَا اسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَلاَ خُيِّرَ لَنَا ! قَالَ : وَقَدْ كُنَّا سَمِعْنَا بِهِ ، وَبِدُعَائِهِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْنَا يَدْعُونَا ، فَلَمْ نَسْتَجِبْ لَهُ . وَكَانَ مَعَنَا مَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْعَبْسِيُّ ، فَقَالَ : أَحْلِفُ بِاللهِ لَوْ صَدَّقْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَحُلَّ بِهِ وَسْطَ رِحَالِنَا ؛ لَكَانَ الرَّأْيَ ! فَأَحْلِفُ بِاللهِ لَيَظْهَرَنَّ أَمْرُهُ ؛ حَتَّى يَبْلُغَ كُلَّ مَبْلَغٍ ! فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : دَعْنَا عَنْكَ لاَ تُعَرِّضْنَا لِمَا لاَ قِبَلَ لَنَا[٥] بِهِ ! فَطَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَيْسَرَةَ ، فَكَلَّمَهُ . فَقَالَ مَيْسَرَةُ : مَا أَحْسَنَ كَلاَمَكَ وَأَنْوَرَهُ ! وَلَكِنَّ قَوْمِي يُخَالِفُونَنِي ، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِقَوْمِهِ فَإِنْ لَمْ يَعْضُدُوه[٦] ؛ فَالْعِدَى أَبْعَدُ[٧] .

(١) أي : موسم الحَجّ .
(٢) اللَّمَم : الطرف من الجنون .
(٣) أي : لم يرد .
(٤) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٢) .
(٥) أي : لا طاقةَ لنا .
(٦) أي : لم ينصروه .
(٧) أي : فإن لم ينصره قومه فالأعداء أبعد من أن ينصروه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ وَخَرَجَ الْقَوْمُ صَادِرِينَ إِلىَ أَهْلِيهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ مَيْسَرَةُ: مِيلُوا بِنَا إِلىَ فَدَكَ[١] فَإِنَّ بِهَا يَهُودَ نُسَائِلُهُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ. فَمَالُوا إِلىَ يَهُودَ، فَأَخْرَجُوا سِفْراً لَّهُمْ، فَوَضَعُوهُ، ثُمَّ دَرَسُوا ذِكْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ، يَرْكَبُ الْجَمَلَ، وَيَجْتَزِىءُ[٢] بِالْكِسْرَةِ، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْجَعْدِ[٣] وَلَا بِالسَّبْطِ[٤] ، فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ ، مُشْرَبُ اللَّوْنِ[٥] . فَإِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي دَعَاكُمْ ؛ فَأَجِيبُوهُ، وَادْخُلُوا فِي دِينِهِ، فَإِنَّا نَحْسُدُهُ ، فَلَا نَتَّبِعُهُ. وَلَنَا مِنْهُ فِي مَوَاطِنَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ، وَّلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِّنَ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَكُونُوا مِمَّنْ يَّتَّبِعُهُ! فَقَالَ مَيْسَرَةُ: يَا قَوْمِ! إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَيِّنٌ! قَالَ الْقَوْمُ: نَرْجِعُ إِلىَ الْمَوْسِمِ فَنَلْقَاهُ؟! فَرَجَعُوا إِلىَ بِلَادِهِمْ، وَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ رِجَالُهُمْ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ مِّنْهُمْ. فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ لَقِيَهُ مَيْسَرَةُ، فَعَرَفَهُ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ مَا زِلْتُ حَرِيصاً عَلَى اتِّبَاعِكَ مِنْ يَوْمِ أَنَخْتَ بِنَا[٦] حَتَّى كَانَ مَا كَانَ، وَأَبَى اللهُ إِلَّا مَا تَرَى مِنْ تَأْخِيرِ إِسْلَامِي، وَقَدْ مَاتَ عَامَّةُ النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي فَأَيْنَ مَدْخَلُهُمْ يَا نَبِيَّ اللهِ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « كُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ دِينِ الإِسْلَامِ؛ فَهُوَ فِي النَّارِ» . فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَنِي! فَأَسْلَمَ، فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكَانَ لَهُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ مَكَانٌ .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى كِنْدَةَ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٧] أَيْضاً مِّنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ ، وَقَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ

(١) قريةٌ كانت تقع في شرق خَيْبر ، وتُسمَّى اليوم « الحائط » .
(٢) أي : يكتفي .
(٣) خلاف الشعر المسترسل .
(٤) هو ضِدّ (الجَعْد) .
(٥) يُخالطه بياضه حمرة .
(٦) أي : نزلتَ بنا .
(٧) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ عَنِ ابْنِ رُومَانَ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَّغَيْرِهِمَا ـ رضي الله عنهم ـ قَالُوا : جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ ، فَلَمْ يَأْتِ حَيّاً مِّنَ الْعَرَبِ كَانَ أَلْيَنَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى لِينَهُمْ ، وَقُوَّةَ جَبَهِهِمْ[١] لَهُ؛ جَعَلَ يُكَلِّمُهُمْ ، وَيَقُولُ : « أَدْعُوكُمْ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنْ أَظْهَرْ ؛ فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ » .

فقَالَ عَامَّتُهُمْ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْقَوْلَ! وَلَكِنَّا نَعْبُدُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا . قَالَ أَصْغَرُ الْقَوْمِ : يَا قَوْمِ! اسْبِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تُسْبَقُوا إِلَيْهِ ، فَوَاللهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَ لَيُحَدِّثُونَ : أَنَّ نَبِيّاً يَّخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ أَظَلَّ[٢] زَمَانُهُ ! وَكَانَ فِي الْقَوْمِ إِنْسَانٌ أَعْوَرُ ، فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَلَيَّ[٣] ! أَخْرَجَتْهُ عَشِيرَتُهُ ؛ وَتُؤْوُونَهُ ، أَنْتُمْ تَحْمِلُونَ حَرْبَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً[٤] ؟! لَا ، ثُمَّ لَا ! فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ حَزِيناً ، فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَخَبَّرُوهُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْيَهُودِ : وَاللهِ إِنَّكُمْ مُخْطِئُونَ بِخَطِئِكُمْ ، لَوْ سَبَقْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ؛ لَسُدْتُّمُ الْعَرَبَ ، وَنَحْنُ نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا . فَوَصَفَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ رَأَوْهُ ، كُلَّ ذَلِكَ يُصَدِّقُونَهُ بِمَا يَصِفُ مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : نَجِدُ مَخْرَجَهُ بِمَكَّةَ ، وَدَارَ هِجْرَتِهِ يَثْرِبَ . فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ لِيُوَافُوهُ فِي الْمَوْسِمِ قَابِلَ ، فَحَبَسَهُمْ سَيِّدٌ لَّهُمْ عَنْ حَجِّ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَلَمْ يُوَافِ أَحَدٌ مِّنْهُمْ . فَمَاتَ الْيَهُودِيُّ ، فَسُمِعَ عِنْدَ مَوْتِهِ يُصَدِّقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْمِنُ بِهِ .

---

(١) أي : إقبالهم عليه .
(٢) اقترب .
(٣) أي : اسكتوا حتى أتكلَّم .
(٤) أي : جميعهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى بَنِي كَعْبٍ :

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَامِرِيِّ عَنْ أَشْيَاخٍ مِّنْ قَوْمِهِ ؛ قَالُوا : أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِسُوقِ عُكَّاظٍ ، فَقَالَ : « مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ » قُلْنَا : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ . قَالَ : « مِنْ أَيِّ بَنِي عَامِرٍ ؟ » قُلْنَا : بَنُو كَعْبِ بْنِ ربيعَةَ . قَالَ : « كَيْفَ الْمَنَعَةُ[٢] فِيكُمْ ؟ » قُلْنَا : لَا يُرَامُ مَا قِبَلَنَا ، وَلَا يُصْطَلَى بِنَارِنَا ! قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : « إِنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنْ أَتَيْتُكُمْ ؛ تَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَلَمْ أُكْرِهْ أَحَدًا مِّنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ ؟ » قَالُوا : وَمِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : « مِنْ بني عبد المُطَّلِب » . قَالُوا : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ؟ قَالَ : « هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَنِي ، وَطَرَدَنِي » . قَالُوا : وَلَكِنَّا لَا نَطْرُدُكَ ، وَلَا نُؤْمِنُ بِكَ ، وَنَمْنَعُكَ ؛ حَتَّى تُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّكَ . قَالَ : فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ؛ وَالْقَوْمُ يَتَسَوَّقُونَ ؛ إِذْ أَتَاهُمْ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ الْقُشَيْرِيُّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِنْدَكُمْ ؟ أُنْكِرُهُ . قَالُوا : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ . قَالَ : مَا لَكُمْ وَلَهُ ؟ قَالُوا : زَعَمَ لَنَا : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يَطْلُبُ إِلَيْنَا أَنْ نَّمْنَعَهُ ؛ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ . قَالَ : فَمَاذَا رَدَدْتمُّ عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : قُلْنَا فِي الرَّحَبِ ، وَالسَّعَةِ ! نُخْرِجُكَ إِلَى بِلَادِنَا ، وَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ بِهِ أَنْفُسَنَا . قَالَ بَيْحَرَةُ : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِّنْ أَهْلِ هَذِهِ السُّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشَرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ ، بَدَأْتُمْ لِتَنَابُذِ النَّاسِ ، وَتَرْمِيكُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَّاحِدةٍ ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ ، لَوْ آنَسُوا مِنْهُ خَيْراً ؛ لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، تَعْمِدُونَ إِلَى رَهِيقِ قَوْمٍ[٣] ، قَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ ، وَكَذَّبُوهُ ، فَتُؤْوُونَهُ ، وَتَنْصُرُونَهُ ، فَبِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتُمْ ! ثُمَّ أَقْبَلَ

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٠) .
(٢) أي : كيف قُوَّة حمايتكم لمن يطلبها .
(٣) أي : سفيه قومٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : قُمْ فَالْحَقْ بِقَوْمِكَ ، فَوَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ عِنْدَ قَوْمِي ؛ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ! قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلىٰ نَاقَتِهِ ، فَرَكِبَهَا ، فَغَمَزَ الْخَبِيثُ بُجْرَةُ[١] شَاكِلَتَهَا ، فَقَمَصَتْ[٢] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَلْقَتْهُ .

وعِنْدَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ ـ كَانَتْ مِنَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي أَسْلَمْنَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ ـ جَاءَتْ زَائِرَةً إِلىَ بَنِي عَمِّهَا ، فَقَالَتْ : يَا آلَ عَامِرٍ ! ـ وَلَا عَامِرَ لِي ـ أَيُصْنَعُ هَذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، لَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ مِّنْكُمْ ! فَقَامَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِّنْ بَنِي عَمِّهَا إِلىَ بَيْحَرَةَ ، وَاثْنَيْنِ أَعَانَاهُ ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنْهُمْ رَجُلاً ، فَجَلَدَ بِهِ الأَرْضَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ عَلَوْا وُجُوهَهُمْ لَطْماً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! بَارِكْ عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَالْعَنْ هَؤُلَاءِ » . قَالَ : فَأَسْلَمَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ نَصَرُوهُ ، فَقُتِلُوا شُهَدَاءَ ؛ وَهَلَكَ الآخَرُونَ لَعْناً . وَاسْمُ الاِثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ نَصَرَا بَيْحَرَةَ بْنَ فِرَاسٍ : حَزَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ : فَغِطْرِيفٌ ، وَغَطَفَانُ ابْنَا سَهْلٍ ، وَعُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ .

وعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ[٣] عَنِ الزُّهْرِيِّ ؛ أَنَّهُ أَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَدَعَاهُمْ إِلىَ اللهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ ـ يُقَالُ لَهُ : بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ ـ : وَاللهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ؛ لأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ عَلَىٰ أَمْرِكَ ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَى مَنْ يُّخَالِفُكَ أَيَكُونُ لَنَا الأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : « الأَمْرُ للهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : أَفَنُهْدِفُ[٤] نُحُورَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ

(١) أي : خاصرتها .
(٢) أي : وثبت ونفرت .
(٣) في سيرة ابن هشام : (١/ ٤٢٤) .
(٤) أي : نجعل نحورنا هدفاً لنبلهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اللهُ ؛ كَانَ الأَمْرُ لِغَيْرِنَا ؟ لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

فلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ ؛ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ السِّنُّ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوَاسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ ؛ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ ؛ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتًى مِّنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَزْعُمُ : أَنَّهُ نَبِيٌّ يَّدْعُونَا إِلَى أَنْ نَّمْنَعَهُ ، وَنَقُومَ مَعَهُ ، وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا . قَالَ : فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ ! هَلْ لَّهَا مِنْ تَلَافٍ[١] ؟ هَلْ لِّذُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ[٢] ؟! وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوَّلَهَا إِسْمَاعِيلِيٌّ[٣] قَطُّ ، وَإِنَّهَا لَحَقٌّ ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ ؟!

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى بَنِي كَلْبٍ :

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ حُصَيْنٍ : أَنَّهُ أَتَى كَلْباً فِي مَنَازِلِهِمْ إِلَى بَطْنٍ مِّنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَبْدِ اللهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : « يَا بَنِي عَبْدِ اللهِ ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ ! » فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى بَنِي حَنِيفَةَ :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ . فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَكُ أَحَدٌ مِّنَ الْعَرَبِ أَقْبَحَ رَدًّا عَلَيْهِ مِنْهُمْ[٤] .

(١) أي : هل لهذه القضية من تدارُكٍ .
(٢) هذا مثلٌ يُضرَب لما فات .
(٣) أي : ما ادَّعى أحدٌ من بني إسماعيل النبوَّة كاذباً .
(٤) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ١٣٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْـوَةَ عَلَى بَـكْرِ بْنِ وَائِلٍ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الْعَبَّاسِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا أَرَى لِيْ عِنْدَكَ، وَلَا عِنْدَ أَخِيكَ مَنَعَةً، فَهَلْ أَنْتَ مُخْرِجِيَّ إِلَى السُّوقِ غَدًا حَتَّى نَقِرَّ فِي مَنَازِلِ قَبَائِلِ النَّاسِ؟ »، وَكَانَتْ مَجْمَعَ الْعَرَبِ. قَالَ فَقُلْتُ: هَذِهِ كِنْدَةُ وَلِفُّهَا[١] وَهِيَ أَفْضَلُ مَنْ يَحُجُّ الْبَيْتَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَهَذِهِ مَنَازِلُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَهَذِهِ مَنَازِلُ بَنِي عَامِرِ ابْنِ صَعْصَعَةَ ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ. قَالَ: فَبَدَأَ بِكِنْدَةَ ، فَأَتَاهُمْ ، فَقَالَ: « مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ » قَالُوا: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. قَالَ: « مِنْ أَيِّ الْيَمَنِ ؟ » قَالُوا مِنْ كِنْدَةَ . قَالَ: « مِنْ أَيِّ كِنْدَةَ ؟ » قَالُوا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ . قَالَ : « فَهَلْ لَّكُمْ إِلىٰ خَيْرٍ ؟ » قَالُوا : وَمَا هُوَ؟ قَالَ: « تَشْهَدُونَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَتُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ » .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الأَجْلَحِ: وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَشْيَاخِ قَوْمِهِ : أَنَّ كِنْدَةَ قَالَتْ لَهُ: إِنْ ظَفِرْتَ ؛ تَجْعَلْ لَّنَا الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الْمُلْكَ للهِ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » . فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا جِئْتَنَا بِهِ ! وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: فَقَالُوا : أَجِئْتَنَا لِتَصُدَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ، وَنُنَابِذَ الْعَرَبَ ؛ الْحَقْ بِقَوْمِكَ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِكَ !

فانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ، فَأَتَى بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ، فَقَالَ: « مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ » قَالُوا: مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. فَقَالَ : « مِنْ أَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ؟ » قَالُوا : مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. قَالَ : « كَيْفَ الْعَدَدُ ؟ » قَالُوا : كَثِيرٌ مِّثْلُ الثَّرَى[٢] . قَالَ : « فَكَيْفَ الْمَنَعَةُ ؟ » قَالُوا: لَا مَنَعَةَ ، جَاوَرَنَا فَارِسُ ، فَنَحْنُ لَا نَمْتَنِعُ مِنْهُمْ ، وَلَا نُجِيرُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: «فَتَجْعَلُونَ اللهَ عَلَيْكُمْ إِنْ هُوَ أَبْقَاكُمْ حَتَّى تَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ ،

(١) أي : من اجتمع حولها .
(٢) أي : التُّراب الندي ، وهو إشارة إلى كثرة عددهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَتَسْتَنْكِحُوا نِسَاءَهُمْ ، وَتَسْتَعْبِدُوا أَبْنَاءَهُمْ أَنْ تُسَبِّحُوا اللهَ ثَلاَثاً وَّثَلاَثِينَ ، وَتَحْمَدُوهُ ثَلاَثاً وَّثَلاَثِينَ ، وَتُكَبِّرُوهُ أَرْبَعاً وَّثَلاَثِينَ » . قَالُوا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنَا رَسُولُ اللهِ » . ثُمَّ انْطَلَقَ .

فلَمَّا وَلَّى ﷺ عَنْهُمْ قَالَ الْكَلْبِيُّ : ـ وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ يَتْبَعُهُ ، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ : لَا تَقْبَلُوا قَوْلَهُ ـ ثُمَّ مَرَّ أَبُو لَهَبٍ ، فَقَالُوا: هَلْ تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَذَا فِي الذِّرْوَةِ مِنَّا[1] ؛ فَعَنْ أَيِّ شَأْنِهِ تَسْأَلُونَ ؟ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : زَعَمَ : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : أَلَا لَا تَرْفَعُوا بِرَأْسِهِ قَوْلًا ، فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ يَهْذِي[2] مِنْ أُمِّ رَأْسِهِ . قَالُوا : قَدْ رَأَيْنَا ذَلِكَ حِينَ ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ فَارِسَ مَا ذَكَرَ[3] !

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى قَبَائِلَ بِمِنًى :

وَأَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[4] عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنِّي لَغُلَامٌ شَابٌّ مَعَ أَبِي بِمِنىً وَرَسُولُ الله ﷺ يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَقُولُ : «يَا بَنِي فُلَانٍ ! إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الأَنْدَادِ ، وَأَنْ تُؤمِنُوا بِي ، وَتُصَدِّقُوا بِي ، وَتَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَيِّنَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ » .

قالَ : وَخَلْفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ ، وَضِيءٌ ، لَهُ غَدِيرَتَانِ[5] عَلَيْهِ حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ . فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَولِهِ ، وَمَا دَعَا إِلَيهِ ؛ قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : يَا بَنِي

(١) أي : في أعلى نسبِ قومنا .
(٢) أي : يتكلّم بغير معقولٍ لمرضٍ أو غيره .
(٣) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ١٤٠) .
(٤) في سيرة ابن هشام : (١/ ٤٢٣) .
(٥) الغديرة : الذؤابة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فُلاَنٍ ! إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلىَ أَنْ تَسْلَخُوا اللاَّتَ ، وَالْعُزَّى[١] مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، وَحُلَفَاءَكُمْ مِّنَ الْجِنِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ إِلىَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ ، وَالضَّلاَلَةِ ، فَلاَ تُطِيعُوهُ ، وَلاَ تَسْمَعُوا مِنْهُ ! قَالَ : فَقُلْتُ لأَبِي : يَا أَبَتِ ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَتْبَعُهُ ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : هَذَا عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو لَهَبٍ .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْـوَةَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِمِنًى :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيّ[٢] عَنْ مُدْرِكٍ ؛ قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ أَبِي ، فَلَمَّا نَزَلْنَا مِنًى إِذَا نَحْنُ بِجَمَاعَةٍ ، فَقُلْتُ لأَبِي : مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ؟ قَالَ : هَذَا الصَّابِىءُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ؛ تُفْلِحُوا» .

عنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَارِثِ الْغَامِدِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي ؛ وَنَحْنُ بِمِنًى : مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ؟ قَالَ : هَؤُلاَءِ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِىءٍ لَّهُمْ . قَالَ : فَتَشَرَّفْتُ[٣] ؛ فَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلىَ تَوْحِيدِ اللهِ ؛ وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِت ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : حَجَجْتُ وَالنَّبِيّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، وَأَصْحَابُهُ يُعَذَّبُونَ ، فَوَقَفْتُ عَلَى عُمَرَ يُعَذِّبُ جَارِيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ الْمُؤَمَّلِ ، ثُمَّ ثَبَتَ عَلَى زِنِّيرَةَ ، فَيَفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ[٤] .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْـوَةَ عَلَى بَنِي شَيْبَانَ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله

(١) أي : تنزعونهما ، يعني : تتركون عبادتهما .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم : (٨٠٦) .
(٣) أي : نظرتُ من عُلُوٍّ .
(٤) كذا في « الإصابة » (٤/ ٣٦٢) .
(٥) في « دلائل النبوة » (ص : ٩٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عنهم ـ قَالَ : لَمَّا أَمَرَ الله تعالى نَبِيَّه ﷺ أَنْ يَّعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ ؛ خَرَجَ ؛ وَأَنَا مَعَهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى مِنًى ، حَتَّى دَفَعْنَا[1] إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَلَّمَ ـ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقْدِماً فِي كُلِّ حِينٍ ، وَكَانَ رَجُلاً نَّسَّابَةً ـ فَقَالَ : مِمَّنِ الْقَومُ ؟ قَالُوا : مِنْ رَبِيعَةَ ، قَالَ : وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُمْ ؟ ـ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ؛ وَفِيهِ قَالَ : ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَايِخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ ، وَهَيْئَاتٌ[2] ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ ـ قَالَ عَلِيٌّ : وَكَانَ مُقْدِماً فِي كُلِّ حِينٍ ـ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : نَحْنُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ . فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ! وَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِىءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ ، وَكَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ مَفْرُوقٌ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ بَيَاناً ، وَلِسَاناً ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ تَسْقُطَانِ عَلَى صَدْرِهِ . وَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِساً مِّنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعَدَدُ فِيكُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى الأَلْفِ ، وَلَنْ يُغْلَبَ أَلْفٌ مِّنْ قِلَّةٍ . قَالَ : فَكَيْفَ الْمَنَعَةُ فِيكُمْ ؟ قَالَ : عَلَيْنَا الْجُهْدُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ[3] . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ ، وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ؟ قَالَ مَفْرُوقٌ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ غَضَباً حِينَ نَلْقَى ، وَإِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءً إِذَا غَضِبْنَا ، وَإِنَّا لَنُؤْثِرُ الْجِيَادَ عَلَى الأَوْلَادِ ، وَالسِّلَاحَ عَلَى اللِّقَاحِ ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، يُدِيلُنَا مَرَّةً ، وّيُدِيلُ عَلَيْنَا مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قُرَيْشٍ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ : أَنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ فَهَا هُوَ ذَا . فَقَالَ مَفْرُوقٌ : قَدْ بَلَغَنَا : أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ .

(١) أي : انتهينا .
(٢) يعني : هم ذوو الوُجوه بين الناس .
(٣) أي : الحَظُّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ الْتَفَتَ إِلىَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : إِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟! فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يُظَلِّلُهُ بِثَوْبِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَدْعُوكُمْ إِلىَ شَهَادَةِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُؤْوُونِي ، وَتَمْنَعُونِي ، وَتَنْصُرُونِي حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللهِ تَعَالىَ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ الله[1] ، وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ ، وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » .

قالَ لَهُ : وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضاً يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟! فَتَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ـ ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣] فقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ : وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضاً يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؟! فَوَاللهِ مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الأَرْضِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ ؛ لَعَرَفْنَاهُ. فَتَلاَ رَسُولُ الله ﷺ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] . فَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ : دَعَوْتَ وَاللهِ يَا قُرَشِيُّ إِلىَ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ ! وَلَقَدْ أُفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ ، وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ !

وكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَّشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ هَانِىءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، فَقَالَ : وَهَذَا هَانِىءُ بْنُ قَبِيصَةَ شَيْخُنَا ، وَصَاحِبُ دِينِنا. فَقَالَ لَهُ هَانِيءٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ ! وَصَدَّقْتُ قَوْلَكَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَرْكَنَا دِينَنَا ، وَاتِّبَاعَنَا إِيَّاكَ عَلَى دِينِكَ ـ لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إِلَيْنَا ، لَيْسَ لَهُ أَوَّلُ وَلَا آخِرٌ لمَ نَتَفَكَّرْ فِي أَمْرِكَ ، وَنَـنْظُرْ فِي عَاقِبَةِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ ، وَطَيْشَةٌ فِي الْعَقْلِ ، وَقِلَّةُ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْعَجَلَةِ ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِنَا قَوْماً

(١) أي : تعاونت على حرب دين الله .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

نَكْرَهُ أَنْ نَّعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا . وَلَكِنْ تَرْجِعُ ، وَنَرْجِعُ ، وَتَنْظُرُ ، وَنَنْظُرُ .

وكَأَنَّهُ أَحبَّ أَنْ يَّشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، فَقَالَ : وَهَذَا الْمُثَنَّى شَيْخُنَا ، وَصَاحِبُ حَرْبِنَا . فَقَالَ الْمُثَنَّى : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ ، وَاسْتَحْسَنْتُ قَوْلَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ ! وَأَعْجَبَنِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ ، وَالْجَوابُ هُوَ جَوَابُ هَانِىءِ بْنِ قَبِيصَةَ ، إِنَّمَا نَزَلْنَا بَيْنَ صِيرَيْنِ[1] : أَحَدُهُمَا الْيَمَامَةُ ، وَالآخَرُ السَّمَامَةُ[2] . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَمَا هَذَانِ الصِّيرَانِ» فَقَالَ لَهُ : أَمَّا أَحَدُهُمَا ؛ فَطُفُوفُ[3] الْبَرِّ ، وَأَرْضُ الْعَرَبِ ، وَأَمَّا الآخَرُ ، فَأَرْضُ فَارِسَ ، وَأَنْهَارُ كِسْرَى ، وَإِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كِسْرَى أَنْ لَّا نُحْدِثَ حَدَثاً ، وَلَا نُؤْوِيَ مُحْدِثاً . وَلَعَلَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ تَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ ؛ فَذَنْبُ صَاحِبِهِ مَغْفُورٌ ، وَّعُذْرُهُ مَقْبُولٌ ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ فَارِسَ ؛ فَذَنْبُ صَاحِبِهِ غَيْرُ مَغْفُورٍ ، وَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ . فَإِنْ أَرَدتَّ أَنْ نَّنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي الْعَرَبَ ؛ فَعَلَيْنَا .

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا أَسَأْتُمُ الرَّدَّ ؛ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ ! إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ اللهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ» . ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَابِضاً عَلَى يَدِ أَبِى بَكْرٍ ، رضي الله عنه ، ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَىَ مَجْلِسِ الأَوْسِ ، وَالْخَزْرَجِ ، فَمَا نَهَضْنَا حَتَّى بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ : قَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : وَكَانُوا صُدُقاً صُبُراً ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ !

ورَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ[4] ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ : إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ اللهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ ؟ إِنْ لَمَّ

(١) الصِّير : الماء الذي يحضره الناس .
(٢) تسمَّى اليوم « ذي قار » وهي تقع في العراق .
(٣) جمع (طف) وهو ما أشرف من الأرض .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَمْنَحَكُمُ اللهُ بِلاَدَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، وَيُفْرِشَكُمْ بَنَاتِهِمْ ، أَتُسَبِّحُونَ اللهَ ، وَتُقَدِّسُونَهُ؟ ! » . فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ : اللَّهُمَّ! وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ! فَتَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَابِضاً عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ ، رضي الله عنه . قَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ! أَيَّةُ أَخْلاَقٍ لِّلْعَرَبِ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَشْرَفَهَا ! بِهَا يَتَحَاجَزُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ! » . قَالَ : ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الأَوْسِ ، وَالْخَزْرَجِ ؛ فَمَا نَهَضْنَا حَتَّى بَايَعُوا النَّبِي ﷺ . قَالَ عَلِيٌّ : وَكَانُوا صُدَقَاءَ ، صُبَرَاءَ ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَعْرِفَةِ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ بِأَنْسَابِهِمْ . قَالَ . فَلَمْ يَلْبَثْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « احْمَدُوا اللهَ كَثِيرًا ؛ فَقَدْ ظَفِرَتِ الْيَوْمَ أَبْنَاءُ رَبِيعَةَ بِأَهْلِ فَارِسَ ، قَتَلُوا مُلُوكَهُمْ ، وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَبِي نُصِرُوا » .

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ(١) عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حُبَابٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى ؛ قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ يَوْماً ـ وَهُوَ يَذْكُرُ الأَنْصَارَ ، وَفَضْلَهُمْ ، وَسَابِقَتَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَّنْ لَّمْ يُحِبَّ الاَنْصَارَ ، وَيَعْرِفْ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ ، هُمْ وَاللهِ رَبَّوُا الإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى الْفَلُوُّ(٢) فِي غَنَائِهِمْ(٣) بِأَسْيَافِهِمْ ، وَطُولِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ . لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ فِي الْمَوَاسِمِ فَيَدْعُو الْقَبَائِلَ ، مَا أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٥) .

(٢) الفلو : المهر ، أي : ولد الفرس ، يريد أنهم كانوا يعتنون بإحيائه اعتناءً بالغاً ، كما يعتني صاحبُ الفُلُوّ بتربيته .

(٣) أي : في كفايتهم ، ونفعهم الإسلام .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دُعَاءَهُ. فَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْقَبَائِلَ بِمَجَنَّةَ ، وَعُكَاظٍ ، وَبِمِنًى ؛ حَتَّى يَسْتَقْبِلَ الْقَبَائِلَ يَعُودُ إِلَيْهِمْ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ ؛ حَتَّى إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : مَا آنَ لَكَ أَنْ تَيْأَسَ مِنَّا ؟ مِنْ طُولِ مَا يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ ؛ حَتَّى أَرَادَ الله عز وجل مَا أَرَادَ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ ، فَاسْتَجَابُوا ، وَأَسْرَعُوا ، وَآوَوْا ، وَنَصَرُوا ، وَوَاسَوْا ـ فَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا ! ـ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ ، فَنَزَلْنَا مَعَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَلَقَدْ تَشَاحُّوا[١] فِينَا ؛ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَقْتَرِعُونَ عَلَيْنَا[٢] ، ثُمَّ كُنَّا فِي أَمْوَالِهِمْ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُمْ طَيِّبَةً بِذَلِكَ أَنْفُسُهُمْ ؛ ثُمَّ بَذَلُوا مُهَجَ[٣] أَنْفُسِهِمْ دُونَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضاً[٤] : عَنْ أُمِّ سَعْدٍ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَتْ : أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللهِ عز وجل ، فَيُؤْذَى ، وَيُشْتَمُ ؛ حَتَّى أَرَادَ اللهُ ﷺ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ مَا أَرَادَ مِنْ الْكَرَامَةِ . فَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى نَفَرٍ مِّنْهُمْ عِنْدَ الْعَقَبَةِ[٥] وَهُمْ يَحْلِقُونَ رُؤُوسَهُمْ . قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا أُمَّهْ ؟ قَالَتْ : سِتَّةُ نَفَرٍ ، أَوْ سَبْعَةٌ ، مِنْهُمْ مِّنْ بَنِي النَّجَّارِ ثَلاَثَةٌ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ، وَابْنَا عَفْرَاءَ ، وَلَمَ تُسَمِّ لِي مَنْ بَقِيَ . قَالَتْ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَاسْتَجَابُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَوَافَوْا قَابِلَ[٦] وَهِيَ الْعَقَبَةُ الأُولىٰ ، ثُمَّ كَانَتِ الْعَقَبَةُ الآخِرَةُ . قُلْتُ لأُمِّ سَعْدٍ : وَكَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقَامَ بِمَكَّةَ ؟ قَالَتْ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي صِرْمَةَ قَيْسِ بْنِ

(١) أي : تسابقوا إلينا متنافسين فينا .
(٢) أي : يضربون قُرعةً .
(٣) جمع (مهجة) وهي : دم القلب والرُّوح .
(٤) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٥) .
(٥) موضعٌ في مِنى .
(٦) أي : السَّنة المقبلة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَبِي أَنَس ـ رضي الله عنه ـ قُلْتُ : لَا أَدْرِيْ مَا قَالَ ، فَأَنْشَدَتْنِي قَوْلَهُ :

ثَوَى[١] فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يذَكِّرُ لَوْ لَاقَى صَدِيقاً مُّوَاتِيَا[٢]

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم أَيْضاً[٣] عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رضي الله عنه ، وَالزُّهْرِيِّ ؛ قَالَ : لَمَّا اشْتَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ رضي الله عنه ـ : «يَا عَمِّ ! إِنَّ الله عزَّ وجلَّ نَاصِرُ دِينِهِ بِقَوْمٍ يَهُونُ عَلَيْهِمْ رَغْمُ[٤] قُرَيْشٍ عِزًّا فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى ، فَامْضِ بِي إِلَى عُكَاظٍ ، فَأَرِنِي مَنَازِلَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وَأَنْ يَّمْنَعُونِي ، وَيُؤْوُونِي ؛ حَتَّى أُبَلِّغَ عَنِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ » .

قَالَ : فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا بْنَ أَخِي ! امْضِ إِلَى عُكَاظٍ فَأَنَا مَاضٍ مَّعَكَ حَتَّى أَدُلَّكَ عَلَى مَنَازِلِ الأَحْيَاءِ : فَبَدَأَ رَسُولُ الله ﷺ بِثَقِيفٍ ، ثُمَّ اسْتَقْرَىٰ[٥] الْقَبَائِلَ فِي سَنَتِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ ـ وَذَلِكَ حِينَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُّعْلِنَ الدُّعَاءَ ـ لَقِيَ السِّتَّةَ نَفَرٍ الْخَزْرَجِيِّينَ ، وَالأَوْسِيِّينَ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَأَبُو الْهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَانِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ . فَلَقِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَيَّامِ مِنًى عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ لَيْلاً ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عز وجل ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ ، وَالْمُوَازَرَةِ عَلَى دِينِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ ، وَرُسُلَهُ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَّعْرِضَ عَلَيْهِمْ مَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [إِبْرَاهِيمَ : ٣٥] ـ إلى آخرِ السُّورَةِ ، فَرَقَّ الْقَوْمُ ، وَأَخْبَتُوا[٦] حِينَ سَمِعُوا ، وَأَجَابُوهُ .

(١) أي : أقام .
(٢) أي : موافقاً .
(٣) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٥) .
(٤) رَغْمٌ : إذلالٌ .
(٥) أي : تتبَّع .
(٦) أي : خضعوا ، وتواضعوا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فمَرَّ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ وَهُوَ يُكَلِّمُهُمْ ، وَيُكَلِّمُونَهُ ، فَعَرَفَ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ابْنَ أَخِي ! مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : يَا عَمِّ ! سُكَّانُ يَثْرِبَ : الأَوْسُ ، وَالْخَزْرَجُ ، قَدْ دَّعَوْتُهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتُ إِلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأَحْيَاءِ ، فَأَجَابُونِي ، وَصَدَّقُونِي ، وَذَكَرُوا : أَنَّهُمْ يخْـرِجُونَنِي إِلَى بِلاَدِهِمْ. فَنَزَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ! هَذَا ابْنُ أَخِي ـ وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ـ فَإِنْ كُنْتُمْ صَدَّقْتُمُوهُ ، وَآمَنْتُمْ بِهِ ، وَأَرَدتُّمْ إِخْرَاجَهُ مَعَكُمْ ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقاً[١] تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي ، وَلَا تَخْذُلُوهُ ، وَلَا تَغُرُّوهُ[٢] ؛ فَإِنَّ جِيرَانَكُمُ الْيَهُودُ ، وَالْيَهُودُ لَهُ عَدُوٌّ ، وَلَا آمَنُ مَكْرَهُمْ عَلَيْهِ .

فقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ـ وَشَقَّ عَلَيْهِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ حِينَ اتَّهَمَ عَلَيْهِ سَعْدًا وَّأَصْحَابَهُ ـ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! ائْذَنْ لَنَا فَلْنُجِبْهُ غَيْرَ مُخَشِّنِينَ[٣] بِصَدْرِكَ ، وَلَا مُتَعَرِّضِينَ لِشَيْءٍ مِّمَّا تَكْرَهُ إِلَّا تَصْدِيقاً لإِجَابَتِنَا إِيَّاكَ ، وَإِيمَاناً بِكَ . فَقَالَ رَسُولُ ﷺ : « أَجِيبُوهُ غَيْرَ مُتَّهَمِينَ » . فَقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِكُلِّ دَعْوَةٍ سَبِيلاً ، إِنْ لِينٌ ، وَإِنْ شِدَّةٌ ، وَقَدْ دَعَوْتَ الْيَوْمَ إِلَى دَعْوَةٍ مُّتَجَهِّمَةٍ[٤] لِّلنَّاسِ مُتَوَعِّرَةٍ[٥] عَلَيْهِمْ ، دَعَوْتَنَا إِلَى تَرْكِ دِينِنا ، وَاتِّبَاعِكَ عَلَى دِينِكَ ـ وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ ـ فَأَجَبْنَاكَ إِلَى ذَلِكَ ، وَدَعَوْتَنَا إِلَى قَطْعِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْجِوَارِ ، وَالأَرْحَامِ الْقَرِيبِ ، وَالْبَعِيدِ ـ وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ ـ فَأَجَبْنَاكَ إِلَى ذَلِكَ ،

(١) أي : عهداً .
(٢) أي : تخدعوه .
(٣) مِنْ (خَشَّن صدره تخشيناً) ، أي : أوغره ، أي : أحماه من الغيظ .
(٤) أي : استقبال بوجهٍ كريهٍ .
(٥) أي : متعسِّرة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَدَعَوْتَنَا ، وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ فِي دَارِ عِزٍّ ، وَّمَنَعَةٍ ، لَا يَطْمَعُ فِيهَا أَحَـدٌ أَنْ يَّرْأَسَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِّنْ غَيْرِنَا قَدْ أَفْرَدَهُ قَوْمُهُ ، وَأَسْلَمَـهُ أَعْمَامُهُ ـ وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ ـ فَأَجَبْنَاكَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الرُّتَبِ مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَزَمَ الله عَلَى رُشْدِهِ ، وَالْتَمَسَ الْخَيْرَ فِي عَوَاقِبِهَا ، وَقَدْ أَجَبْنَاكَ إِلَى ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا ، وَصُدُورِنَا ، وَأَيْدِينَا إِيمَاناً بِمَا جِئْتَ بِهِ ، وَتَصْدِيقاً بِمَعْرِفَةٍ ثَبَتَتْ فِي قُلُوبِنَا ، نُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَنُبَايِعُ رَبَّنَا وَرَبَّكَ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِينَا ، وَدِمَاؤُنَا دُونَ دَمِكَ ، وَأَيْدِينَا دُونَ يَدِكَ ، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا ، وَأَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، فَإِنْ نَفِي بِذَلِكَ ؛ فَلِلَّه نَفِي ، وَإِنْ نَغْدِرْ ؛ فَبِاللهِ نَغْدِرُ وَنَحْنُ بِهِ أَشْقِيَاءُ ، هَذَا الصِّدْقُ مِنَّا يَا رَسُولَ اللهِ ! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُ لَنَا بِالْقَوْلِ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ وَاللهُ أَعْلَمُ مَا أَرَدتَّ بِذَلِكَ ؟! ذَكَرْتَ : أَنَّهُ ابْنُ أَخِيكَ ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَنَحْنُ قَدْ قَطَعْنَا الْقَرِيبَ إِلَيْنَا ، وَالْبَعِيدَ ، وَذَا الرَّحِمِ ، وَنَشْهَدُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، اللهُ أَرْسَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، لَيْسَ بِكَذَّابٍ ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ : أَنَّكَ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْنَا فِي أَمْرِهِ ؛ حَتَّى تَأْخُذَ مَوَاثِيقَنَا ؛ فَهَذِهِ خَصْلَةٌ لَّا نَرُدُّهَا عَلَى أَحَدٍ أَرَادَهَا لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَخُذْ مَا شِئْتَ . ثُـمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ! خُذْ لِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ ! وَاشْتَرِطْ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ !

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُـهُ ﷺ الدَّعْوَةَ فِي الأَسْوَاقِ

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَـازِ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ ـ وَكَانَ جَاهِلِيّاً فَأَسْلَمَ ـ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا ! » ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ : إِنَّهُ صَابِىء كَاذِبٌ ! يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ .

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ؛ قَالَ : إِنِّي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ ؛ إِذْ مَرَّ رَجُلٌ شَابٌّ عَلَيْهِ حُلَّةٌ مِّنْ بُرْدٍ أَحْمَرَ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ تُفْلِحُوا » ، وَرَجُلٌ خَلْفَهُ قَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ[٣] ، وَسَاقَيْهِ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ كَذَّابٌ ؛ فَلاَ تُطِيعُوهُ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : غُلاَمُ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِي يَزْعُمُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، وَهَذَا عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٤] عَنْ رَّجُلٍ مِّنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا ، يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) في مسنده (٣/ ٤٩٢ و ٤/ ٣٢١) .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم : (٨١٧٥) .
(٣) تثنية العرقوب : وهو من الإنسان : وترٌ غليظٌ فوق عقبه .
(٤) في مسنده : (٤/ ٦٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اللهُ ؛ تُفْلِحُوا » . قَالَ : وَأَبُو جَهْلٍ يَّحْثِي[١] عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَيَقُولُ : لَا يُغْوِيَنَّكُمْ[٢] هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ ؛ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ ، وَتَتْرُكُوا اللاَّتَ ، وَالْعُزَّى ؛ وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ . قُلْتُ : انْعَتْ لَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ . قَالَ : بَيْنَ بُرْدَيْنِ أَحْمَرَيْنِ ، مَرْبُوعٌ كَثِيرُ اللَّحْمِ ، حَسَنُ الْوَجْهِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، أَبْيَضُ ، شَدِيدُ الْبَيَاضِ ، سَابِغُ الشَّعْرِ .

(١) أي : يَصُبُّ ويهول .
(٢) أي : لا يُضِلّنّكم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى عَشِيرَتِـهِ الأَقْرَبِينَ

قَوْلُهُ ﷺ لِفَاطِمَةَ ، وَصَفِيَّةَ ـ رضي الله عنهما ـ وَغَيْرِهِمَا مِنْ عَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ عَائِشَـةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَـامَ رَسُولُ الله ﷺ فَـقَالَ : « يَا فَاطِمَةُ ابْنَـةَ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ! يَا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! يَا بَنِي عَبْـدِ الْمُطَّـلِبِ ! لَا أَمْلِكُ لَـكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً سَلُونِي مِنْ مَّالِي مَا شِئْتُمْ » .

جَمْعُـهُ ﷺ أَهْلَ بَيْتِهِ وَعَـشِيرَتَـهُ عَلَى الطَّعَامِ لِلدَّعْوَةِ إِلَىَ اللهِ تَعَالَىَ :

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضاً[٢] عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَاجْتَمَعَ ثَلاَثُونَ ، فَأَكَلُوا ، وَشَرِبُوا. قَالَ: وَقَالَ لَهُمْ : « مَنْ يَّضْمَنُ عَنِّي دَيْنِي ، وَمَوَاعِيدِي، وَيَكُـونُ مَعِـي فِـي الْجَنَّـةِ، وَيَكُـونُ خَلِيفَتِـي فِـي أَهْلِـي؟» فَقَـالَ رَجُـلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا[٣] ، مَنْ يَّقُومُ بِهَذَا ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ لآخَرَ ـ ثَلاَثاً. قَالَ: فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَا .

(١) في مسنده : (٦/ ١٣٦ و١٨٧) .
(٢) في مسنده : (١/ ١١١) .
(٣) أي : سعة الجود والكرم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخرَجَ أَحْمَدُ أَيْضاً عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ؛ قَالَ : جَمَعَ رَسُولُ الله ﷺ ـ أَوْ دَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ وَهُمْ رَهْطٌ وَكُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ[١] ، وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ[٢] ـ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِّنْ طَعَامٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ ، ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ[٣] فَشَرِبُوا ؛ حَتَّى رَوُوا ، وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ ، أَوْ لَمْ يُشْرَبْ . وَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! « إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً ، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَّكُونَ أَخِي ، وَصَاحِبِي ؟ » قَالَ : فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ. قَالَ : ـ فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ـ قَالَ : فَقَالَ : اجْلِسْ ، ثُمَّ قَالَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ لِي : اجْلِسْ ، حَتَّى كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي .

وأَخْرَجَ الْبَزَّارُ[٤] عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَلِيُّ ! ـ رضي الله عنه ـ اصْنَعْ رِجْلَ شَاةٍ بِصَاعٍ مِّنْ طَعَامٍ ، وَاجْمَعْ لِي بَنِي هَاشِمٍ» ـ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلاً ، أَوْ أَرْبَعُونَ غَيْرَ رَجُلٍ ـ قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالطَّعَامِ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَهُمْ. فَأَكَلُوا ؛ حَتَّى شَبِعُوا ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَّنْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ بِإِدَامِهَا ؛ ثُمَّ تَنَاوَلَ الْقَدَحَ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ ؛ حَتَّى رَوُوا ـ يَعْنِي مِنَ اللَّبَنِ ـ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَّا رَأَيْنَا كَالسِّحْرِ ـ يُرَوْنَ : أَنَّهُ أَبُو لَهَبٍ الَّذِي قَالَهُ ـ . فَقَالَ يَا عَلِيُّ ! اصْنَعْ رِجْلَ شَاةٍ بِصَاعٍ مِّنْ طَعَامٍ ، وَأَعْدِدْ قَعْباً[٥] مِّنْ لَّبَنٍ . قَالَ : فَفَعَلْتُ .

(١) هي من الإبل ما تمَّ له أربع سنين ، ومن البقر ، والمعز ما تمَّ له سنة .
(٢) مكيالٌ يسع ستةَ عشر رطلاً ، وهي اثنا عشر مداً .
(٣) القدح الصغير .
(٤) في مسنده برقم : (٤٣١) .
(٥) هو قدحٌ ضخمٌ غليظٌ كالقصعة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَأَكَلُوا كَمَا أَكَلُوا فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ ، وَشَرِبُوا كَمَا شَرِبُوا فِي الْمَرَّةِ الأُولىَ ، وَفَضَلَ كَمَا فَضَلَ فِي الْمَرَّةِ الأُولىَ . فَقَالَ : مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ فِي السِّحْرِ . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ! اصْنَعْ رِجْلَ شَاةٍ بِصَاعٍ مِّنْ طَعَامٍ ، وَأَعْدِدْ قَعْباً مِّنْ لَّبَنٍ » ، فَفَعَلْتُ . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ! اجْمَعْ لِي بَنِي هَاشِمٍ » ، فَجَمَعْتُهُمْ ، فَأَكَلُوا ، وَشَرِبُوا ، فَبَدَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي ؟ » قَالَ : فَسَكَتُّ ، وَسَكَتَ الْقَوْمُ . فَأَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَنْطِقَ ، فَقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ! فَقَالَ : « أَنْتَ يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ يَا عَلِيُّ ! » .

وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِمَعْنَاهُ ، وَفِي حَدِيثِهِ : فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي ؟ » قَالَ : فَسَكَتُوا ، وَسَكَتَ الْعَبَّاسُ ـ رضي الله عنه ـ خَشْيَةَ أَنْ يُحِيطَ ذَلِكَ بِمَالِهِ . قَالَ : وَسَكَتُّ أَنَا لِسِنِّ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قَالَهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ؛ قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : وَإِنِّي يَوْمَئِذٍ لأَسْوَأُهُمْ هَيْئَةً ، وَإِنِّي لأَعْمَشُ الْعَيْنَيْنِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، حَمْشُ[1] السَّاقَيْنِ[2] .

---

(١) حمش الساقين : أي : دقيقهما .

(٢) كذا في التفسير لابن كثير (٣/ ٣٥١) . وأخرجه البيهقي في الدلائل ، وابن جرير (١٩/ ١٢١ ـ ١٢٢) بأبسط منهذا السياق بزيادات أخر بإسناد ضعيف ، كما في التفسير لابن كثير (٣/ ٣٥٠) ، والبداية [والنهاية] (٣/ ٣٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَرْضُهُ ﷺ الدَّعْوَةَ فِي السَّفَرِ

دَعْوَتُهُ ﷺ فِي سَفَرِ الْهِجْرَةِ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنِ ابْنِ سَعْدٍ ـ رضي الله عنهما ـ وَسَعْدٌ الَّذِي دَلَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ علَى طَرِيقِ رَكُوبَةَ ـ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُمْ ؛ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ وكَانَتْ لأَبِي بَكْرٍ عِنْدَنَا بِنْتٌ مُسْتَرْضِعَةٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهَ ﷺ أَرَادَ الاِخْتِصَارَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ـ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: هَذَا الْغَائِرُ مِنْ رَّكُوبَةَ وَبِهِ لِصَّانِ مِنْ أَسْلَمَ ، يُقَالُ لَهُمَا : الْمُهَانَانِ ، فَإِنْ شِئْتَ ؛ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُذْ بِنَا عَلَيْهِمَا » . قَالَ سَعْدٌ : فَخَرَجْنَا ؛ حَتَّى أَشْرَفْنَا إِذَا أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هَذَا الْيَمَانِيُّ . فَدَعَاهُمَا رَسُولُ الله ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ ، فَأَسْلَمَا . ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ أَسْمَائِهِمَا، فَقَالاَ : نَحْنُ الْمُهَانَانِ. فَقَالَ: «بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ». وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْدَمَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ .

دَعْوَتُهُ ﷺ لِلأَعْرَابِيِّ فِي سَفَرٍ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ[٢] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ؛ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَيْنَ تُرِيدُ ؟ » قَالَ : إِلَى أَهْلِي ، قَالَ : « هَلْ لَّكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ » قَالَ : مَا هُوَ ؟

(١) في المسند (٤/ ٧٤) .
(٢) في « تاريخ مدينة دمشق » (٤/ ٣٦٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ : هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : « هَذِهِ الشَّجَرَةُ » . فَدَعَاهَا رَسُولُ الله ﷺ وَهِيَ عَلَى شَاطِىء الْوَادِي ، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا ، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَشْهَدَهَا ، ثَلاَثاً فَشَهِدَتْ : أَنَّهُ كَمَا قَالَ . ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا . وَرَجَعَ الأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : إِنْ يَّتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ وَكُنْتُ مَعَكَ .

دَعْوَتُهُ ﷺ لِبُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ ـ رضي الله عنه ـ وَمَنْ مَعَهُ فِي سَفَرِ الْهِجْرَةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[1] عَنْ عَاصِمٍ الأَسْلَمِيِّ ؛ قَالَ : لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ مَّكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَانْتَهَى إِلَى الْغَمِيمِ ؛ أَتَاهُ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ ، فَدَعَاهُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَأَسْلَمَ هُوَ وَمَنْ مَّعَهُ ـ وَكَانُوا زُهَاءَ ثَمَانِينَ بَيْتاً ـ فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الْعِشَاءَ ، فَصَلَّوْا خَلْفَهُ .

(١) في طبقاته الكبرى : (٣/ ٢٤٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَشْيُـهُ ﷺ عَلَى الْقَدَمَيْنِ لِلدَّعْوَةِ

خُرُوْجُهُ ﷺ مَاشِياً إِلَى الطَّائِـفِ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ ؛ خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ .

فانْصَرَفَ ﷺ فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضُعْفَ قُوَّتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي ، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي !

إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ ؛ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي .

أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ يَّنْزِلَ بِي غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ بِي سَخَطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ! » .

---

(١) في تاريخه : (١/ ٥٥٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اَلدَّعْـوَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْقِتَـالِ

مَا قَاتَلَ ﷺ قَوْماً حَتَّى دَعَاهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى :

أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : مَا قَاتَلَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْماً حَتَّى دَعَاهُمْ .

أَمْرُهُ ﷺ الْبُعُوثَ بِتَأْلِيفِ النَّاسِ وَدَعْوَتِهِمْ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَائِذٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ بَعْثاً ؛ قَالَ : « تَأَلَّفُوا النَّاسَ ، وَلَا تُغِيرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ ، فَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَدَرٍ ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا إِنْ تَأْتُونِّي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُونِّي بِنِسَائِهِمْ ، وَأَوْلَادِهِمْ ، وَتَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ »[٢] .

أَمْرُهُ ﷺ أَمِيرَ السَّرِيَّةِ بِالدَّعْوَةِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ[٣] عَنْ بُرَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، أَوْ جَيْشٍ ؛ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ، وَقَالَ : « إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) في مصنَّفه برقم : (٩٤٢٧) .
(٢) كذا في « كنز العمال » (٢/ ٢٩٤) .
(٣) في سننه برقم : (٢٦١٢ و ٢٦١٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَادْعُهُمْ إِلىَ أَحَدِ ثَلاَثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلاَلٍ ـ فَأَيَّتُهَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ : ادْعُهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَجَابُوا ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلىَ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلىَ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَعْلِمْهُمْ : أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَّا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَّا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ . فَإِنْ أَبَوْا ، وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ ؛ فَأَعْلِمْهُمْ : أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي كَانَ يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ ، وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ إِلَّا أَنْ يُّجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ، فَإِنْ أَجَابُوا ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ أَبَوْا ؛ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَقَاتِلْهُمْ . وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ ؛ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا يَحْكُمُ اللهُ فِيهِمْ ، وَلَكِنْ أَنْزِلُوهُمْ عَلَى حُكْمِكُمْ ، ثُمَّ اقْضُوا فِيهِمْ بَعْدُ مَا شِئْتُمْ » .

أَمرُهُ ﷺ عَلِيّاً ـ رضي الله عنه ـ بِأَنْ لَّا يُقَاتِلَ قَوْماً حَتَّى يَدْعُوَهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ قَوْمٍ يُّقَاتِلُهُمْ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلاً ، فَقَالَ : « لاَ تَدْعُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَقُلْ لَّهُ : لاَ تُقَاتِلْهُمْ حَتَّى تَدْعُوَهُمْ » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ رَاهَوَيْهِ عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ النَّبِيّ ﷺ بَعَثَهُ وَجْهاً ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ : « الْحَقْ ، وَلاَ تَدْعُهُ مِنْ خَلْفِهِ فَقُلْ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَظِرَهُ ، وَقُلْ لَّهُ : لاَ تُقَاتِلْ قَوْماً حَتَّى تَدْعُوَهُمْ »[2] .

(١) في « المعجم الأوسط » .
(٢) كذا في « كنز العمال » (٢/ ٢٩٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وعِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ[١] عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ لَهُ حِينَ بَعَثَهُ : « لَا تُقَاتِلْ قَوْماً حَتَّى تَدْعُوَهُمْ » .

أَمْرُهُ ﷺ فَرْوَةَ الْغُطَيْفِيَّ ـ رضي الله عنه ـ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْقِتَالِ :

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٢] عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الْغُطَيْفِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَا أُقَاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي بِمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ : « بَلَى » ؛ ثُمَّ بَدَا لِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! لَا ، بَلْ هُمْ أَهْلُ سَبَأٍ ، هُمْ أَعَزُّ ، وَأَشَدُّ قُوَّةً . فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَذِنَ لِي فِي قِتَالِ سَبَأٍ ، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ أَنْزَلَ اللهُ فِي سَبَأٍ مَّا أَنْزَلَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا فَعَلَ الْغُطَيْفِيُّ ؟ » فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَنْزِلِي ، فَوَجَدَنِي قَدْ سِرْتُ ، فَرَدَّنِي . فَلَمَّا أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَدْتُهُ قَاعِدًا وَّحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ : « ادْعُ الْقَوْمَ ، فَمَنْ أَجَابَ مِنْهُمْ ؛ فَاقْبَلْ ، وَمَنْ أَبَى ؛ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِ حَتَّى يُحَدَّثَ إِلَيَّ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا سَبَأٌ : أَرْضٌ أَوِامْرَأَةٌ ؟ قَالَ : « لَيْسَتْ بِأَرْضٍ ، وَلَا امْرَأَةٍ ، وَلَكِنْ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً مِّنَ الْعَرَبِ . فَأَمَّا سِتَّةٌ ، فَتَيَامَنُوا ، وَأَمَّا أَرْبَعَةٌ ؛ فَتَشَاءَمُوا . فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا : فَلَخْمٌ ، وَجُذَامٌ ، وَغَسَّانُ ، وَعَامِلَةُ ؛ وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَامَنُوا فَالأَزْدُ ، وَكِنْدَةُ ، وَحِمْيَرُ ، وَالأَشْعَرِيُّونَ ، وَالأَنْمَارُ ، وَمَذْحِجٌ » . فَقَالَ : يا رَسُولَ اللهِ ! وَمَا أَنْمَارُ ؟ قَالَ : « هُمُ الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمٌ ، وَبَجِيلَةُ » .

وعِنْدَ أَحْمَدَ[٣] عَنْ فَرْوَة ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) في مصنّفه برقم : (٩٤٢٤) .
(٢) في سننه برقم : (٣٢٢٢) .
(٣) في مسنده (١/ ١٤٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أُقَاتِلُ بِمُقْبِلِ قَوْمِي مُدْبِرَهُمْ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « نَعَمْ » ، فَقَاتِلْ بِمُقْبِلِ قَوْمِكَ مُدْبِرَهُمْ. فَلَمَّا وَلَّيْتُ ؛ دَعَانِي ، فَقَالَ: « لَا تُقَاتِلْهُمْ حَتَّى تَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرَأَيْتَ بِسَبَأٍ أَوَادٍ هُوَ ، أَمْ جَبَلٌ ، أَوْ مَا هُوَ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ هُوَ رَجُلٌ مِّنَ الْعَرَبِ وُلِدَ لَهُ عَشَرَةٌ » .

أَمْرُهُ ﷺ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ ـ رضي الله عنه ـ بِالدَّعْوَةِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ: «مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَسَمِعْتَ فِيهِمُ الأَذَانَ ؛ فَلَا تَعْرِضْ لَهُمْ ، وَمَنْ لَمْ تَسْمَعْ فِيهِمُ الأَذَانَ ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ » .

رَدُّهُ ﷺ الَّذِينَ سُبُوا فِي الْقِتَالِ بِغَيْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى مَأْمَنِهِمْ :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[2] عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُسَارَى مِنَ اللاَّتِ ، وَالْعُزَّى . قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ؟ » فَقَالُوا : لَا . فَقَالَ لَهُمْ : « هَلْ دَعَوْكُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ؟ » فَقَالُوا : لَا . قَالَ : « خَلُّوا سَبِيلَهُمْ ؛ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ » ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٦ ـ ٤٧] . ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] . إِلَى آخِرِ الآيَةِ .

(١) في « المعجم الصغير » .
(٢) في « السنن الكبرى » (٥/ ١٠٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وعِنْدَ الْحَارِثِ مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ[١] ، قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اللاَّتِ وَالْعُزَّى بَعْثاً ، فَأَغَارُوا عَلَى حَيٍّ مِّنَ الْعَرَبِ ، فَسَبَوْا مُقَاتِلَتَهُمْ ، وَذُرِّيَّتَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! أَغَارُوا عَلَيْنَا بِغَيْرِ دُعَاءٍ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ السَّرِيَّةِ ، فَصَدَّقُوهُمْ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « رُدُّوهُمْ إِلَى مَأْمَنِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُوهُمْ » .

(١) كذا في « كنز العمال » (٢/ ٢٩٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُهُ ﷺ الأَفْرَادَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

بَعْثُـهُ ﷺ مُصْعَباً ـ رضي الله عنه ـ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ الأَنْصَارَ لَمَّا سَمِعُوا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَوْلَهُ ، وَأَيْقَنُوا ، وَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلى دَعْوَتِهِ ، فَصَدَّقُوهُ وَآمَنُوا بِهِ ـ وَكَانُوا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ ، وَوَاعَدُوهُ الْمَوْسِمَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ـ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً مِّنْ قِبَلِكَ ، فَيَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللهِ ، فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يُـتَّـبَعَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَنَزَلَ فِي بَنِي غَنْمٍ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ يُحَدِّثُهُمْ ، وَيَقُصُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . فَلَمْ يَزَلْ مُصْعَبٌ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ يَدْعُو ، وَيَهْدِي اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ؛ حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِّنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لَّا مَحَالَةَ ، وَأَسْلَمَ أَشْرَافُهُمْ ، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ وَكُسِـرَتْ أَصْنَامُهُمْ . وَرَجَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ يُدْعَى الْمُقْرِىءَ .

وأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ عُرْوَةَ مُطَوَّلاً ـ فَذَكَرَ عَرْضَهُ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى الأَنْصَارِ ، وَفِيهِ: فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ يَدْعُوهُمْ سِرّاً، وَأَخْبَرُوهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ١٠٧) .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم : (٨٤٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَالَّذِي بَعَثَهُ اللهُ بِهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِالْقُرْآنِ ؛ حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لَّا مَحَالَةَ. ثُمَّ بَعَثُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً مِنْ قِبَلِكَ يَدْعُو النَّاسَ بِكِتَابِ اللهِ ، فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ. فَنَزَلَ فِي بَنِي غَنْمٍ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ ، وَيَفْشُو الإِسْلاَمُ ، وَيَكْثُرُ أَهْلُهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدُعَائِهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ دَعْوَةَ مُصْعَبٍ لِّسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَّإِسْلاَمَهُ ، وَإِسْلاَمَ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ـ كَمَا سَيَأْتِي فِي دَعْوَةِ مُصْعَبٍ ـ ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ بَنِي النَّجَّارِ أَخْرَجُوا مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ وَاشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، فَانْتَقَلَ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ ، إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو ، وَيَهْدِي اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ؛ حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِّنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لَّا مَحَالَةَ، وَأَسْلَمَ أَشْرَافُهُمْ ، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَكُسِرَتْ أَصْنَامُهُمْ. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَعَزَّ أَهْلِهَا ، وَصَلُحَ أَمْرُهُمْ. وَرَجَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ يُدْعَى الْمُقْرِىء .

بَعْثُهُ ﷺ أَبَا أُمَامَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلَىٰ قَوْمِهِ :

وَأَخْرَج الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَوْمِي أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ ـ تعالى ـ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِمْ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ ، فَأَتَيْتُهُمْ ؛ وَقَدْ سَقَوْا إِبِلَهُمْ ، وَحَلَبُوهَا ، وَشَرِبُوا. فَلَمَّا رَأَوْنِي ؛ قَالُوا: مَرْحَباً بِالصُّدَيِّ بْنِ عَجْلاَنَ! قَالُوا: بَلَغَنَا : أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ. قُلْتُ: لَا ، وَلَكِنْ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَبَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ أَعْرِضُ عَلَيْكُمُ الإِسْلاَمَ وَشَرَائِعَهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ؛ إِذْ جَاؤُوا بِقَصْعَتِهِمْ[2] فَوَضَعُوهَا ، وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهَا ، فَأَكَلُوا بِهَا . قَالُوا هَلُمَّ يَا صُدَيُّ ! قُلْتُ :

(١) في « المعجم الصغير » .
(٢) أي : وعاء .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَيْحَكُمْ ! إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مِّنْ عِنْدِ مَنْ يُحَرِّمُ هَذَا عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ كَمَا أَنْزَلَ اللهُ. قَالُوا: وَمَا قَالَ؟ قُلْتُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ (١) وَٱلْمَوْقُوذَةُ (٢) وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ (٣) وَٱلنَّطِيحَةُ (٤) وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ ، فَجَعَلْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَيَأْبَوْنَ. قُلْتُ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ ! ايتُونِي بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ ؛ فَإِنِّي شَدِيدُ الْعَطَشِ ! قَالَ : وَعَلَيَّ عِمَامَةٌ . قَالُوا : لَا . وَلَكِنْ نَّدَعُكَ تمَـوتُ عَطَشاً . قَالَ: فَاعْتَمَمْتُ ، وَضَرَبْتُ بِرَأْسِي فِي الْعِمَامَةِ ، وَنِمْتُ فِي الرَّمْضَاءِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ، فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي بِقَدَحِ زُجَاجٍ لمَ يَرَ النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَفِيهِ شَرَابٌ لمَ يَرَ النَّاسُ آلَفَ مِنْهُ ، فَأَمْكَنَنِي مِنْهَـا ، فَشَـرِبْتُهَـا ، فَحَيْـثُ فَـرَغْـتُ مِـنْ شَـرَابِـي ؛ اسْتَيْقَظْـتُ ، وَلَا وَاللهِ مَا عَطِشْتُ ، وَلَا عَرَفْتُ عَطَشاً بَعْدَ تِيكَ الشَّرْبَةِ !

بَعْثُـهُ ﷺ رَجُلاً إِلىَ بَنِي سَعْدٍ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ؛ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ إِذْ أَخَذَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي لَيْثٍ بِيَدِي فَقَالَ : أَلَا أُبَشِّرُكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : أَتَذْكُـرُ إِذْ بَعَـثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلىَ قَوْمِكَ ، فَجَعَلْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : إِنَّكَ لَتَدْعُونَا إِلىَ خَيْرٍ ، وَتَأْمُرُ بِهِ؛ وَإِنَّهُ لَيَدْعُو إِلىَ الْخَيْرِ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَحْنَفِ » . فَكَانَ الأَحْنَفُ يَقُولُ: فَمَا شَيْءٌ مِّنْ عَمَلِي

(١) هي التي تُخنق بحبل وشبهه .
(٢) هي المضروبة بالعصا أو حجر .
(٣) هي التي تسقط من جبلٍ ونحوه .
(٤) هي التي نطحتها بهيمة أخرى فماتت بالنطح .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَرْجَى عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ ؛ يَعْنِي : دَعْوَةَ النَّبِيِّ[١] .

وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَحْمَدُ[٢] وَفِي حَدِيثِهِ : إِذْ بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى قَوْمِكَ مِنْ بَنِي سَعْدٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : وَاللهِ مَا قَالَ إِلَّا خَيْراً ! أَوْ : لاَ أَسْمَعُ إِلَّا حَسَناً ! فَإِنِّي رَجَعْتُ وَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَقَالَتَكَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِلأَحْنَفِ » . قَالَ : فَمَا أَنَا لِشَيْءٍ أَرْجَى مِنِّي لَهَا .

بَعْثُهُ ﷺ رَجُلاً إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ :

وَأَخْرَجَ اَبُو يَعْلَى[٣] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً مِّنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ عُظَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَقَالَ : أَيْشٍ رَّبُّكَ الَّذِي تَدْعُونِي ؟ مِنْ حَدِيدٍ هُوَ ؟ مِنْ نُحَاسٍ هُوَ ؟ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ ؟ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ . فَأَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ الثَّانِيَةَ . فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ . فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ » فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] .

---

(١) كذا في الإصابة (١/ ١٠٠) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٤) بنحوه .
(٢) في مسنده : (٥/ ٣٧٢) .
(٣) في مسنده : (٣٣٤١) و (٣٣٤٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُـهُ ﷺ السَّرَايَا لِلدَّعْوَةِ إِلَىَ اللهِ تَعَالَىَ

بَعْثُهُ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلَىَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ لِلدَّعْوَةِ:

أَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ[١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ: «تَجَهَّزْ، فَإِنِّي بَاعِثُكَ فِي سَرِيَّةٍ» ـ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ؛ حَتَّى لَحِقَ بِأَصْحَابِهِ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ. فَلَمَّا دَخَلَهَا؛ دَعَاهُمْ إِلَىَ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ؛ أَسْلَمَ الأَصْبَغُ بْنُ عَمْرٍو الْكَلْبِيُّ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ نَصْرَانِيّاً وَكَانَ رَأْسَهُمْ. فَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ـ مَعَ رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، يُقَالُ لَهُ: رَافِعُ ابْنُ مَكِيثٍ ـ إِلَىَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَزَوَّجِ ابْنَةَ الأَصْبَغِ، فَتَزَوَّجَهَا؛ وَهِيَ تُمَاضِرُ[٢] الَّتِي وَلَدَتْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٣].

بَعْثُهُ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَىَ بَلِيٍّ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَىَ الإِسْلاَمِ:

وَأَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٤] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيِّ ـ رضي الله

(١) في « الأفراد » من طريق محمد بن الحسن الشيباني ، عن سعيد بن مسلم بن بانَك ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، كما في الإصابة (١/ ١٠٨) .
(٢) وهي اسمها ، والخنساء لقبها .
(٣) كذا في « الإصابة » (١/ ١٠٨) .
(٤) في « سيرة ابن هشام » (٢/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عنـه ـ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهُ ﷺ عَمْـرَو بْنَ الْعَاص ـ رضي الله عنه ـ يَسْتَنْفِرُ[١] الْعَرَبَ إِلىَ الإِسْلاَم، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ كَانَتْ مِنْ بَنِي بَلِيٍّ. فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ يَـتَأَلَّـفُهُمْ بِذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأَرْضِ جُذَامٍ يُقَالُ لَهُ السَّلاَسِلُ ـ وَبِهِ سُمِّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ ذَاتَ السَّلاَسِلِ ـ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَخَافَ بَعَثَ إِلىَ رَسُولِ الله ﷺ يَسْتَمِدُّهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، رضي الله عنهما .

بَعْثُهُ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلى الْيَمَنِ لِلدَّعْوَةِ إِلىَ اللهِ تَعَالى :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٢] عَنِ الْبَرَاءِ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلىَ الإِسْلاَم. قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَقَمْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، يَدْعُوهُمْ إِلىَ الإِسْلاَم ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب ـ رضي الله عنه ـ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ خَالِدًا إِلَّا رَجُلاً كَانَ مِمَّنْ مَّعَ خَالِدٍ ، فَأَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ ؛ فَلْيُعَقِّبْ مَعَهُ. قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ. فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ خَرَجُوا إِلَيْنَا ، ثُمَّ تَـقَدَّمَ فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ ثُمَّ صَفَّنَا صَفّاً وَّاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعاً ، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِسْلاَمِهِمْ. فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكِتَابَ ؛ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : « السَّلاَمُ عَلَى هَمْدَانَ ! السَّلاَمُ عَلَى هَمْدَانَ ! » .

(١) أي : يستعين بهم ، ويطلب منهم الإعانة والنصرةَ .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٩٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بَعْثُـهُ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ نَجْرَانَ :

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَّدْعُوَهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ قَبْلَ أَنْ يُّقَاتِلَهُمْ ثَلاَثاً ، فَإِنِ اسْتَجَابُوا ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَإِنْ لَمَ يَفْعَلُوا ؛ فَقَاتِلْهُمْ . فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَيَدْعُونَ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، وَيَقُولُونَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ! فَأَسْلَمَ النَّاسُ ؛ وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إِلَيْهِ . فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدٌ يُّعَلِّمُهُمُ الإِسْلاَمَ ، وَكِتَابَ اللهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمَ يُقَاتِلُوا . ثُمَّ كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ :

« بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ !

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ؛

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ .

أَمَّا بَعْدُ ! يَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليك ! فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلىَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَنْ لاَّ أُقَاتِلَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوَهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا ؛ قَبِلْتُ مِنْهُمْ ، وَعَلَّمْتُهُمْ مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ وَكِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِنْ لمَ يُسْلِمُوا؛ قَاتَلْتُهُمْ.

وإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَوْتُهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رُكْبَاناً : يَا بَنِي الْحَارِثِ ! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ! فَأَسْلَمُوا ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا ؛ وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ آمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ ، وَأُعَلِّمُهُمْ

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

والسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

كتابُ الرَّسولِ ﷺ إلى خالدٍ

فكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ إِلىَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ !

سلاَمٌ عَلَيْكَ !

فإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ يُخْبِرُ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ ، وَأَجَابُوا إِلىَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، وَشَهِدُوا أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللهُ بِهُدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ ، وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ ، وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ .

والسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

رُجُوعُ خَالِدٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ وَفْدِ بَنِي الْحَارِثِ :

فَأَقْبَلَ خَالِدٌ إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَآهُمْ ؛ قَالَ : «مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ ؟ »[1] قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَؤُلاَءِ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ. فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : نَشْهَدُ : أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ،

(١) أي : في الجمال ، وحُسنُ الهيئة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ » . ثُمَّ قَالَ : « أَنْتُمُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا ؛ اسْتَقْدَمُوا »[1] . فَسَكَتُوا ، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّانِيَةَ ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ ، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ ثُمَّ أَعَادَهَا الرَّابِعَةَ. قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ: نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ! نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا ؛ اسْتَقْدَمُوا ـ قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ ، وَلَمْ تُقَاتِلُوا ؛ لأَلْقَيْتُ رُؤُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ » . فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ : أَمَا وَاللهِ! مَا حَمِدْنَاكَ ، وَلَا حَمِدْنَا خَالِدًا. قَالَ: « فَمَنْ حَمِدْتُمْ؟ » قَالُوا : حَمِدْنَا اللهَ الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « صَدَقْتُمْ » . ثُمَّ قَالَ : « بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ » . قَالُوا: لَمْ نَكُ نَغْلِبُ أَحَدًا . قَالَ : « بَلَى قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ». قَالُوا: كُنَّا نَغْلِبُ مَنْ قَاتَلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا نَجْتَمِعُ ، وَلَا نَتَفَرَّقُ ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ ! قَالَ : « صَدَقْتُمْ » . ثُمَّ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ الْحُصَيْنِ[2] .

---

(١) أي : تقدَّموا ، ومالوا إلى الإسلام .

(٢) كذا في « البداية والنهاية » (٥/٩٨) ، وقد أسندها الواقديُّ من طريق عِكْرِمة بن عبد الرحمن بن الحارث ، كما في « الإصابة » (٣/ ٦٦٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اَلدَّعْوَةُ إِلى الْفَرَائِضِ أَثْنَاء الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ

دَعْوَتُهُ ﷺ جَرِيراً ـ رضي الله عنه ـ إِلى الشَّهَادَتَيْنِ وَالإِيمَانِ وَالْفَرَائِضِ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا جَرِيرُ ! لأَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ » قُلْتُ : أُسْلِمُ عَلَى يَدَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : فَأَلْقَى عَلَيَّ كِسَاءً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ ؛ فَأَكْرِمُوهُ » . ثُمَّ قَالَ : « يَا جَرِيرُ ! أَدْعُوكَ إِلىَ شَهَادَةِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَتُصَلِّيَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ » . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ . فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَرَانِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي .

تَعْلِيمُهُ ﷺ مُعَاذًا ـ رضي الله عنه ـ كَيْفَ يَدْعُو النَّاس إِلىَ الإِسْلاَمِ وَفَرَائِضِهِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ـ رضي الله عنه ، حِينَ بَعَثَهُ إِلىَ الْيَمَنِ ـ : « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ ؛ فَادْعُهُمْ إِلىَ أَنْ يَّشْهَدُوا أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ : أَنَّ اللهَ

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣٤٧) .

(٢) في كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ، ومعاذ إلى اليمن . . . برقم (٤٣٤٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَّلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ؛ فَأَخْبِرْهُمْ : أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بذَلِكَ ؛ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[١] ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » .

دَعْوَتُـهُ ﷺ حَوْشَبَ ذِي ظُلَيْمٍ إلى فَرَائِضِ الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَوْشَبٍ ذِي ظُلَيْمٍ ؛ قَالَ : لَمَّا أَنْ أَظْهَرَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ انْتَدَبْتُ إِلَيْهِ[٢] مِنَ النَّاسِ فِي أَرْبَعِيْنَ فَارِساً مَّعَ عَبْدِ شَرٍّ. فَقَدِمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ بِكِتَابِي ، فَقَالَ عَبْدُ شَرٍّ : أَيُّـكُمْ مُّحَمَّدٌ ؟ قَالُوا : هَذَا. قَالَ : مَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ ؟ فَإِنْ يَكُ حَقّاً ؛ اتَّبَعْنَاكَ ! قَالَ : « تُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَتُعْطُوا الزَّكَاةَ ، وَتَحْقِنُوا الدِّمَاءَ ، وَتَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ » . فَقَالَ عَبْدُ شَرٍّ : إِنَّ هَذَا لَحَسَنٌ؛ مُدَّ يَدَكَ أُبَايِعْكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قَالَ : عَبْدُ شَرٍّ ، قَالَ : « لَا ، بَلْ أَنْتَ عَبْدُ خَيْرٍ » فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ . وَكَتَبَ مَعَهُ الْجَوَابَ إِلَى حَوْشَبِ ذِي ظُلَيْمٍ ، فَآمَنَ[٣] .

دَعْوَتُـهُ ﷺ وَفْدَ عَبْدِ الْقَـيْسِ إلى شَرَائِـعِ الإِسْـلاَمِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَرْحَباً بِالْقَوْمِ غَيْرَ خَزَايَا[٥] ، ولاَ نَدَامَى[٦] ! فَقالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ ، وَإِنَّا

(١) أي : نفائس الأموال من أيّ صِنْفٍ كان .
(٢) أي : أجبتُ إليه .
(٣) كذا في « كنز العمال » (٥/ ٣٢٥) .
(٤) في كتاب المغازي ، باب وفد عبد القيس ، (١/ ٨٨) .
(٥) جمع (خِزْيان) : وهو المستحي .
(٦) أي : نادمين .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَحَدِّثْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الأَمْرِ ، إِنْ عَمِلْنَا بِهِ ؛ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ ، وَنَدْعُو بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا . قَالَ : آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : الإِيمَانِ بِاللهِ شَهَادَةِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمُسَ . وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبعٍ : مَا يُنْتَبَذُ فِي الدُّبَّاءِ ، وَالنَّقِيرِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ[1] .

وعِنْدَ الطَّيَالِسِيِّ بِنَحْوِهِ بِزِيَادَاتٍ مِنْهَا فِي آخِرِهِ : فَاحْفَظُوهُنَّ ، وَادْعُوا إِلَيْهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ .

حدِيثُ عَلْقَمَةَ ـ رضي الله عنه ـ في حَقِيقَةِ الإِيمَانِ ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الإِيمَانِ وَالْفَرَائِضِ :

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[2] عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ وأَنَا سَابِعُ سَبْعَةٍ مِّنْ قَوْمِي ـ فَسَلَّمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ فَكَلَّمْنَاهُ ، فَأَعْجَبَهُ كَلَامُنَا . وَقَالَ : « مَا أَنْتُمْ ؟ » قُلْنَا : مُؤْمِنُونَ . قَالَ : « لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ ؟ » قُلْنَا : خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً : خَمْسٌ أَمَرْتَنَا بِهَا ، وَخَمْسٌ أَمَرَتْنَا بِهَا رُسُلُكَ ، وَخَمْسٌ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَى الآنِ إِلَّا أَنْ تَنْهَانَا يَا رَسُولَ اللهِ !

قالَ : « وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِهَا ؟ »

قلْنَا : أَمَرْتَنَا أَنْ نُّؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ ، وَشَرِّهِ . قَالَ : « وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي ؟ » قُلْنَا : أَمَرَتْنَا

(١) أسماء لأوعية كان العربُ يصنعون بها النَّبيذ .
(٢) في « المستدرك » .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رُسُلُكَ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَنُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَنَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَنَحُجَّ الْبَيْتَ ؛ إِنِ اسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ السَّبِيلَ .

قالَ : « وَمَا الْخِصَالُ الَّتي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ »

قلْنَا : الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ[١] بِالْمُصِيبَةِ ؛ إِذَا حَلَّتْ بِالأَعْدَاءِ .

فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « فُقَهَاءُ ، أُدَبَاءُ كَادُوا أَنْ يَّكُونُوا أَنْبِيَاءَ مِنْ خِصَالٍ مَا أَشْرَفَهَا ! » وَتَبَسَّمَ إِلَيْنَا . ثُمَّ قَالَ : « وَأَنَا أُوصِيكُمْ بِخَمْسِ خِصَالٍ لِّيُكَمِّلَ اللهُ لَكُمْ خِصَالَ الْخَيْرِ : لَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَلَا تَنَافَسُوا فِيمَا غَدًا عَنْهُ تَزُولُونَ ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، وَعَلَيْهِ تَقْدَمُونَ ، وَارْغَبُوا فِيمَا إِلَيْهِ تَصِيرُونَ ، وَفِيهِ تَخْلُدُونَ »[٢] .

وأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ[٣] عَنْ سُوَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : وَفَدْتُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ منْ قوْمِي ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَكَلَّمْنَاهُ ، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمْتِنَا[٤] وَزِيِّنَا . فَقَالَ : « مَا أَنْتُمْ ؟ » قُلْنَا : مُؤْمِنُوْنَ . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ ، وَإِيمَانِكُمْ ؟ » قَالَ سُوَيْدٌ : فَقُلْنَا : خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً : خَمْسٌ مِّنْهَا أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا ، وَخَمْسٌ مِّنْهَا أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نَعْمَلَ بِهَا ، وَخَمْسٌ

(١) فرح العدوِّ ببلية تنزل بمن يعاديه .
(٢) كذا في « كنز العمال » (١/ ٦٩) .
(٣) في « حلية الأولياء » (٩/ ٢٧٩) .
(٤) أي : حُسْن هيئتنا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنْهَا تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئاً . فَذَكَرَهُ بِمَعْنَاهُ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ : وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ـ بَدَلَ : الْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . وَذَكَرَ : وَالصَّبْرُ عِنْدَ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ ، بَدَلَ : وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُه ﷺ الْكُتُبَ مَعَ أَصْحَابِـهِ ـ رضي الله عنهم ـ إِلىٰ مُلُوكِ الآفَاقِ وَغَيْرِهِمْ يَدْعُوْهُمْ إِلىٰ اللهِ تعَالىٰ

تَحْرِيضُهُ ﷺ أَصْحَابَهُ ـ رضي الله عنهم ـ عَلَى أَدَاءِ دَعْوَتِهِ ، وعَدَمِ الاِخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ ، وَبَعْثُـهُمْ إِلىٰ الآفَاقِ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِّلنَّاسِ كَافَّةً ، فَأَدُّوا عَنِّي ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ وَلَا تَخْتَلِفُوا كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فَإِنَّهُ دَعَاهُمْ إِلىَ مِثْلِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ. فَأَمَّا مَنْ بَعُدَ مَكَانُهُ فَكَرِهَهُ ، فَشَكَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ إِلىَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فَأَصْبَحُوا وَكُلُّ رَجُلٍ مِّنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ الْـقَوْمِ الَّذِينَ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ لهَمْ عِيسَى: هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِ فَافْعَلُوا » .

فقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : نحَنُ يَا رَسُولَ اللهِ ! نُؤَدِّي إِلَيْكَ ، فَابْعَثْنَا حَيْثُ شِئْتَ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ كِسْرَى ، وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ ، وَبَعَثَ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى صَاحِبِ هَجَرَ ، وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ جَيْفَرٍ ، وَّعَبَّادٍ

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (١٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ابْنَيِ الْجُلُنْدَى مَلِكَيْ عُمَانَ ، وَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ قَيْصَرَ ، وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الأَسَدِيَّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ ، وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ النَّجَاشِيِّ. فَرَجَعُوا جَمِيعاً قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيْرَ الْعَلاَءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ ؛ وَهُوَ بِالْبَحْرَيْنِ .

قَالَ الْحَافِظُ ابن حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ[1] ـ وَزَادَ أَصْحَابُ السِّيَرِ: أَنَّهُ بَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ، وَجَرِيراً ـ رضي الله عنهم ـ إِلىٰ ذِي الْكَلاَعِ ، وَالسَّائِبَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ مُسَيْلِمَةَ وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ الْمُقَوْقِسِ . انتهىٰ

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ[2] عَنْ أَنَس ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَبَ قَبْلَ مَوْتِهِ إِلىٰ كِسْرَى ، وَقَيْصَرَ وَإِلىٰ النَّجَاشِيِّ ، وَإِلىٰ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ اللهِ عز وجل وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ .

كتَـابُـهُ ﷺ إِلى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَـةِ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[3] عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ؛ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ النَّجَاشِيِّ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ ـ رضي الله عنه ـ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَاباً :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّـدٍ رَّسُـولِ اللهِ إِلَى النَّجَـاشِيِّ الأَصْحَـمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ!

(١) فتح الباري : (٨/ ٨٩) .
(٢) في كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام (٥/ ١٦٦).
(٣) في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٠٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

سلاَمٌ عَلَيْكَ !

فإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ الْمُؤمِنَ الْمُهَيْمِنَ ، وَأَشْهَدُ : أَنَّ عِيسَىٰ رُوحُ اللهِ ، وَكَلِمَتُه أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْبَتُولِ[١] الطَّاهِرَةِ ، الطَّيِّبَةِ ، الْحَصِينَةَ[٢] ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَىٰ ، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ، وَنَفْخَتِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَنَفْخِهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي ، فَتُؤمِنَ بِي ، وَبِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ. وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَراً وَّمَعَهُ نَفَرٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا جَاؤُوكَ ؛ فَاقْرِهِمْ[٣] ، وَدَعِ التَّجَبُّرَ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ وَقَدْ بَلَّغْتُ ، وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي .

والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

فكَتَبَ النَّجَاشِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِلَىٰ مُحَمَّدٍ رَّسُولِ اللهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ الأَصْحَمِ بْنِ أَبْجَرَ :

سلاَمٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ! مِنَ اللهِ ورحمة الله وبركاته ؛

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي هَدَانِي إِلَىٰ الإِسْلاَمِ. فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ عِيسَىٰ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ .

(١) أي : المنقطعة عن الرجال ، ولا شهوة لها فيهم ، وسُمِّيت (مريم) بذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ، ودِيناً أو عن الدنيا إلى الله .

(٢) أي : العفيفة .

(٣) أي : أضِفْهم ، وأكْرِمْهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا؛ وَقَرَيْنَا ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَصْحَابَهُ فَأَشْهَدُ : أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ صَادِقاً ، وَمُصَدَّقاً ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ ، وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ أَرْهَا بْنِ الأَصْحَمِ بْنِ أَبْجَرَ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيَكَ ؛ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ! فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ »[١] .

كِتَابُـهُ ﷺ إِلىٰ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ :

أَخْرَجَ الْبَزَّارُ[٢] عَنْ دِحْيَةَ الْكَلْبِيّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكِتَابٍ إِلىَ قَيْصَرَ ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَعْطَيْتُهُ الْكِتَابَ ؛ وَعِنْدَهُ ابْنُ أَخٍ لَّهُ أَحْمَرُ أَزْرَقُ[٣] سَبْطُ الرَّأْسِ . فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ كَانَ فِيهِ :

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَّسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ إِلىَ هِرَقْلَ صَاحِبِ الرُّومِ ! » .

قَالَ : فَنَخَرَ[٤] ابْنُ أَخِيهِ نَخْرَةً، وَقَالَ : لَا يُقْرَأُ هَذَا الْيَوْمَ . فَقَالَ لَهُ قَيْصَرُ : لِمَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، وَكَتَبَ «صَاحِبِ الرُّومِ» وَلَمْ يَكْتُبْ « مَلِكِ الرُّومِ » . فَقَالَ قَيْصَرُ : لَتَقْرَأَنَّهُ . فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ؛ أَدْخَلَنِي عَلَيْهِ، وَأَرْسَلَ إِلىَ الأُسْقُفِّ ـ وَهُوَ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ ـ فَأَخْبَرُوهُ، وَأَخْبَرَهُ وَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ . فَقَالَ لَهُ الأُسْقُفُّ : هَذَا الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ ، وَبَشَّرَنَا بِهِ عِيسَى عليه الصَّلاة والسَّلام . قَالَ لَهُ قَيْصَرُ : كَيْفَ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ لَهُ الأُسْقُفُّ : أَمَّا أَنَا فَمُصَدِّقُهُ ، وَمُتَّبِعُهُ ! فَقَالَ لَهُ قَيْصَرُ : أَمَّا أَنَا إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ؛ ذَهَبَ مُلْكِي .

(١) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٨٣) .
(٢) في مسنده .
(٣) أي : أحمر الوجه ، أزرق العينين .
(٤) أي : مَدَّ الصوتَ والنفس في خياشيمه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ . فَأَرْسَلَ قَيْصَرُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ؛ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَهُ .

قالَ : حَدِّثْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي خَرَجَ بِأَرْضِكُمْ مَا هُوَ؟

قالَ : شَابٌّ .

قالَ : فَكَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ ؟

قالَ : هُوَ فِي حَسَبٍ مِنَّا لَا يَفْضُلُ عَلَيْهِ أَحَـدٌ !

قالَ : هَذِهِ آيَةُ النُّبُوَّةِ !

قالَ : كَيْفَ صِدْقُهُ ؟

قالَ : مَا كَذَبَ قَطُّ !

قالَ : هَذِهِ آيَةُ النُّبُوَّةِ !

قالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِكُمْ إِلَيْهِ هَلْ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ؟

قالَ : لَا .

قالَ هَذِهِ آيَةُ النُّبُوَّةِ !

قالَ : هَلْ يَنْكُثُ[1] أَحْيَاناً إِذَا قَاتَلَ هُوَ فِي أَصْحَابِهِ ؟

قالَ : قَدْ قَاتَلَهُ قَوْمٌ ، فَهَزَمَهُمْ وَهَزَمُوهُ .

قالَ : هَذِهِ آيَةُ النُّبُوَّةِ !

قالَ ثُمَّ دَعَانِي ، فَقَالَ : أَبْلِغْ صَاحِبَكَ : أَنِّي أَعْلَمُ : أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَلِكِنْ لَا أَتْرُكُ مُلْكِي .

قالَ : وَأَمَّا الأُسْقُفُّ فَإِنَّهُ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ ؛ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، وَقَعَدَ

(١) أي : هل ينقض العهدَ ؟

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِلىَ يَوْمِ الأَحَدِ الآخَرِ فَكُنْتُ أَدْخُلُ إِلَيْهِ فَيُكَلِّمُنِي ، وَيَسْأَلُنِي . فَلَمَّا جَاءَ الأَحَدُ الآخَرُ ؛ انْتَظَرُوهُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، وَاعْتَلَّ عَلَيْهِمْ بِالْمَرَضِ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا . وَبَعَثُوا إِلَيْهِ لَتَخْرُجَنَّ إِلَيْنَا ، أَوْ لَنَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ ، فَنَقْتُلُكَ ، فَإِنَّا قَدْ أَنْكَرْنَاكَ مُنْذُ قَدِمَ هَذَا الْعَرَبِيُّ ! فَقَالَ الأُسْقُفُّ : خُذْ هَذَا الْكِتَابَ ، وَاذْهَبْ إِلىٰ صَاحِبِكَ ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ، وَأَخْبِرْهُ : أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ ، وَأَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِهِ ، وَصَدَّقْتُهُ ، وَاتَّبَعْتُهُ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَنْكَرُوا عَلَيَّ ذَلِكَ ، فَبَلِّغْهُ مَا تَرَى . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوهُ .

وأَخْرَجَ عَبْدَانُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِدِحْيَةَ ـ رضي الله عنه ـ : وَيْحَكَ ! إِنِّي وَاللهِ ! لأَعْلَمُ : أَنَّ صَاحِبَكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَأَنَّهُ لَلَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ ، وَنَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا ، وَلَكِنِّي أَخَافُ الرُّومَ عَلَى نَفْسِي ، وَلَوْ لاَ ذَلِكَ ؛ لا تَّبَعْتُهُ ؛ فَاذْهَبْ إِلىٰ ضَغَاطِرَ[1] الأُسْقُفِّ ، فَاذْكُرْ لَهُ أَمْرَ صَاحِبِكُمْ ، فَهُوَ أَعْظَمُ فِي الرُّومِ مِنِيِّ ، وَأَجْوَزُ قَوْلاً[2] . فَجَاءَهُ دِحْيَةُ ، فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ : صَاحِبُكَ ـ وَاللهِ ! ـ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ نَعْرِفُهُ بِصِفَتِهِ وَاسْمِهِ . ثُمَّ دَخَلَ ، فَأَلْقَى ثِيَابَهُ ، وَلَبِسَ ثِيَاباً بِيضاً ، وَخَرَجَ عَلَى الرُّومِ ، فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ ، فَقَتَلُوهُ[3] .

خَبَرُ أَبِي سُفْيَان ـ رضي الله عنه ـ مَعَ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[4] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ أَبَا سُفيَانَ

(١) هو اسمُه .

(٢) أي : أنفذُ قولاً .

(٣) وهكذا ذكره الطَّبري في « تاريخ الأمم والملوك » (٢/ ٦٥٠ ـ ٦٥٧) ، عن ابن إسحاق ، كذا في « الإصابة » (٢/ ٢١٦) .

(٤) في كتاب الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ـ وَكَانُوا تُجَّاراً بِالشَّامِ ـ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ ، وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ[١] ، فَأَتَوْهُ ؛ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ[٢] . فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ؛ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، وَدَعَا بِالتَّرْجُمَانِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ : أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَباً ، قَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ . ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَّهُمْ : إِنِّي سَائِلُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِي ؛ فَكَذِّبُوهُ . قَالَ : فَوَاللهِ ! لَوْلَا أَنْ يَأْثُرُوا عَنِّي كَذِباً ؛ لَكَذَبْتُ عَنْهُ .

ثمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ . قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَّلِكٍ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ ، أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ قُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ . قَالَ : أَيَزِيدُونَ ، أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ . قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِّنْهُمْ سَخْطَةً لِّدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ[٣] ؟ قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَّا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا . قَالَ : وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ . قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[٤] ، يَنَالُ مِنَّا ، وَنَنَالُ مِنْهُ . قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ :

---

(١) يعني بعد صُلْح الحُدَيْبية .
(٢) اسم مدينةٍ ببيت المقدس . ومعناه : « بيت الله » .
(٣) أي : فهل ينقض عهدَه ، ويترك الوفاء به ؟ .
(٤) أي : نوبةٌ لنا ، ونوبةٌ له .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالصِّلَةِ .

فقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَّهُ : سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ ، فَزَعَمْتَ : أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا .

وسَأَلْتُكَ : هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ؛ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَّتَأَسَّى بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ .

وسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَّا ، فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؛ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ .

وسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَّقُولَ مَا قَالَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقَدْ أَعْرِفُ : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِّيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ ، أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، فَذَكَرْتَ : أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ .

وسَأَلْتُكَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ، فَذَكَرْتَ : أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ ؛ حَتَّى يَتِمَّ .

وسَأَلْتُكَ : أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ مِّنْهُمْ سَخْطَةً[1] لِّدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَّدْخُلَ فِيهِ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَّا ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ .

وسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَّا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ .

وسَأَلْتُكَ : بِمَ يَأْمُرُكُمْ ، فَذَكَرْتَ : أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً ؛ فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ . وَقَدْ كُنْتُ

(١) يعني : كراهيةً لدينه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَعْلَمُ : أَنَّهُ خَارِجٌ لمَ أَكُنْ أَظُنُّ : أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَعْلَمُ : أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ ؛ لَتَجَشَّمْتُ[١] لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ ؛ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ .

ثمَّ دَعَا بِكَتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مَعَ دِحْيَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىٰ عَظِيمِ بُصْرَى ، فَدَفَعَهُ إِلىٰ هِرَقْلَ ، فَإِذَا فِيهِ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلىَ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ !

سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ،

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ . فَإِنْ تَوَلَّيْتَ ؛ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيْسِيِّينَ[٢] » .

وَ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

قالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ؛ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ ، وَأُخْرِجْنَا . فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا : لَقَدْ أَمِرَ[٣] أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٤] يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[٥] . فَمَا زِلْتُ مُوقِناً : أَنَّهُ سَيَظْهَرُ ، حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ .

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبَ إِيلِيَاءَ ، وَهِرَقْلَ أُسْقُفٌّ عَلَى نَصَارَى

(١) أي : لتكلَّفتُ على مشقّة لقائه .
(٢) هم الفلاَّحون ، والخَدَم ، والأكارون ، وهم فرقة من فِرَق النَّصارى .
(٣) أي : اشْتَدَّ وعَظُم .
(٤) هو أبو كبشة ، زوج حليمة السَّعدية ، وكان كُفَّار قريش يُطلقون على رسول الله ﷺ هذا الاسم سخريةً ، واستهزاءً .
(٥) أي : الرُّوم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الشَّام يُحَدِّثُ : أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْماً خَبِيثَ النَّفْسِ. فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً[١] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ. فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ وَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ ، فَلْيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِّنَ الْيَهُودِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ[٢] أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ[٣] ، فَخَبَّرَهُمْ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ الله . فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ ؛ قَالَ: اذْهَبُوا ، فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ ، فَحَدَّثُوهُ : أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ. وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ ، فَقَال هُمْ يَخْتَتِنُونَ . فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ .

ثمَّ كَتَبَ إِلَى صَاحِبٍ لَّهُ بِرُومِيَّةَ ـ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ـ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ ، فَلَمْ يَرِمْ[٤] بِحِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِّنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ، وَهُوَ نَبِيٌّ. فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[٥] لَهُ بِحِمْصَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ! هَلْ لَّكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَّثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ فَتَتَابَعُوا لِهَذَا النَّبِيِّ ، فَحَاصُوا[٦] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ .

فلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ ؛ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ:

(١) هو الذي يحرز الأشياء ، ويقدِّرها بظنِّه .
(٢) من قتلِ اليهود .
(٣) هو من جملة ملوك اليمن .
(٤) أي : لم يَبرح منها ، ولم يصلها .
(٥) بناء على هيئة القصر ، فيه منازل ، وبيوتٌ للخَدَم .
(٦) أي : جالوا يطلبون الفرارَ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِنِّي إِنَّمَا قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفاً أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ . فَقَدْ رَأَيْتُ ، فَسَجَدُوا لَهُ ، وَرَضُوا عَنْهُ . فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ .

كِتَابُـهُ ﷺ إِلىٰ كِسْرَى مَلِكِ فَارِسَ :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[1] مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ مَعَ رَجُلٍ إِلىَ كِسْرَى وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلىَ عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلىَ كِسْرَى ، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى ؛ مَزَّقَهُ . قَالَ : فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيِّبِ قَالَ : فَدَعا عَلَيْهِمْ[2] رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ .

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدٍ الْقَارِيِّ ـ رضي الله عنهم ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ خَطِيباً ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَتَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْضَكُمْ إِلىَ مُلُوكِ الأَعَاجِمِ ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّا لاَ نَخْتَلِفُ عَلَيْكَ فِي شَيْءٍ أَبَدًا فَمُرْنَا ، وَابْعَثْنَا . فَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ كِسْرَى . فَأَمَرَ كِسْرَى بِإِيوَانِهِ أَنْ يُزَيَّنَ ثُمَّ أَذِنَ لِعُظَمَاءِ فَارِسَ ، ثُمَّ أَذِنَ لِشُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ . فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَمَرَ كِسْرَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْبَضَ مِنْهُ . فَقَالَ شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ : لاَ ، حَتَّى أَدْفَعَهُ أَنَا إِلَيْكَ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَقَالَ كِسْرَى : ادْنُهْ ! فَدَنَا ، فَنَاوَلَهُ الْكِتَابَ ، ثُمَّ دَعَا كَاتِباً لَّهُ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ ، فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ :

« مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلىٰ كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ! »

(١) في كتاب المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى (٢/ ٦٣٧) .
(٢) أي : على كسرى وجنوده .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ : فَأَغْضَبَهُ حِينَ بَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ وَصَاحَ ، وَغَضِبَ ، وَمَزَّقَ الْكِتَابَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ بِشُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ ، فَأُخْرِجَ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ؛ قَعَدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، ثُمَّ سَارَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ ! مَا أُبَالِي عَلَى أَيِّ الطَّرِيقَيْنِ أَكُونُ ؛ إِذْ أَدَّيْتُ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

قالَ : وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ كِسْرَى سَوْرَةُ غَضَبِهِ[١] ؛ بَعَثَ إِلَى شُجَاعٍ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ ، فَالْتُمِسَ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَطُلِبَ إِلَى الْحِيرَةِ ، فَسَبَقَ . فَلَمَّا قَدِمَ شُجَاعٌ عَلَى النَّبِيِّ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كِسْرَى ، وَتَمْزِيقِهِ لِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَزَّقَ كِسْرَى مُلْكَهُ » .

وَأَخْرَجَ أَبُو سَعْدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ « شَرَفِ الْمُصْطَفَى » مِنْ طَرِيْقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ـ رضي الله عنهم ـ قَالَ : لَمَّا قُدِّمَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى كِسْرَى ، وَقَرَأَهُ ، وَمَزَّقَهُ ؛ كَتَبَ إِلَى بَاذَانَ ـ وَهُوَ عَامِلُهُ بِالْيَمَنِ ـ أَنِ ابْعَثْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ ؛ فَلْيَأْتِيَانِي بِهِ . فَبَعَثَ بَاذَانُ قَهْرَمَانَهُ ـ وَهُوَ أَبَانَوْه ، وَكَانَ كَاتِباً حَاسِباً ـ بِكِتَابِ فَارِسَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَ الْفُرْسِ ، يُقَالُ لَهُ « جَدُّ جَمِيرَةَ» وَكَتَبَ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْمُرُهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ مَعَهُمَا إِلَى كِسْرَى ، وَقَالَ لِقَهْرَمَانِهِ[٢] : انْظُرْ إِلَى الرَّجُلِ ، وَمَا هُوَ ، وَكَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ .

فخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الطَّائِفَ . فَوَجَدَا رِجَالاً مِّنْ قُرَيْشٍ تُجَّاراً فَسَأَلَاهُمْ عَنْهُ . فَقَالُوا : هُوَ بِيَثْرِبَ ، وَاسْتَبْشَرُوا . فَقَالُوا : قَدْ نَصَبَ لَهُ[٣] كِسْرَى ، كُفِيتُمُ الرَّجُلَ . فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ ، فَكَلَّمَهُ أَبَانَوْه ، فَقَالَ : إِنَّ كِسْرَى كَتَبَ

(١) أي : حِدَّةُ غضبه .
(٢) أي : وكيله .
(٣) أي : جَدَّ ، واهْتَمَّ له .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِلَىَ بَاذَانَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ ، وَقَدْ بَعَثَنِي لِتَنْطَلِقَ مَعِيَ . فَقَالَ : « ارْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَدًا » . فَلَمَا غَدَوَا عَلَيْهِ ؛ أَخْبَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّ اللهَ قَتَلَ كِسْرَى ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ « شِيرُوَيْهِ » فِي لَيْلَةِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا . فَقَالَا : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ أَنَكْتُبُ بِهَذَا إِلَىَ بَاذَانَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ . وَقُولَا لَهُ : إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ » ثُمَّ أَعْطَى « جَدَّ جَمِيرَةَ » مِنْطَقَةً كَانَتْ أُهْدِيَتْ لَهُ فِيهَا ذَهَبٌ ، وَفِضَّةٌ .

فقَدِمَا عَلَى بَاذَانَ ، فَأَخْبَرَاهُ . فَقَالَ : وَاللهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ مَلِكٍ ، وَلَنَنْظُرَنَّ مَا قَالَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ « شِيرُوَيْهِ » :

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنِّي قَتَلْتُ كِسْرَى غَضَباً لِفَارِسَ لِمَا كَانَ يَسْتَحِلُّ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهَا ؛ فَخُذْ لِيَ الطَّاعَةَ مِمَّنْ قِبَلَكَ ، وَلَا تُهَجِّنِ[1] الرَّجُلَ الَّذِي كَتَبَ لَكَ كِسْرَى بِسَبَبِهِ بِشَيْءٍ ! فَلَمَّا قَرَأَهُ ؛ قَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، فَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَتِ الأَبْنَاءُ مِنْ آلِ فَارِسَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ جَمِيعاً[2] .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[3] مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ؛ قَالَ : وَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلَىَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ مَلِكِ فَارِسَ وَكَتَبَ مَعَهُ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ رَّسُولِ اللهِ إِلَىَ كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ !

سلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

(١) لا تُثيره .
(٢) كذا في « الإصابة » (١/ ٢٥٩) .
(٣) في تاريخه : (٢/ ٦٥٤ ـ ٦٥٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلىَ النَّاسِ كَافَّةً ؛ لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَإِنْ تُسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ » .

قالَ : فَلَمَّا قَرَأَهُ شَقَّهُ ؛ وَقَالَ : يَكْتُبُ إِلَيَّ بِهَذَا ؛ وَهُوَ عَبْدِي ! قَالَ : ثُمَّ كَتَبَ كِسْرَى إِلىَ بَاذَامَ ، فَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَفِيهِ : وَدَخَلاَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ حَلَقَا لِحَاهُمَا ، وَأَعْفَيَا شَوَارِبَهُمَا ، فَكَرِهَ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا ، وَقَالَ : «وَيْلَكُمَا مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا ؟ » قَالاَ : أَمَرَنَا رَبُّنَا ـ يَعْنِيَانِ : كِسْرَى ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَلَكِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي ، وَقَصِّ شَارِبِي »[1] .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[2] عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعَثَ كِسْرَى إِلىَ عَامِلِهِ عَلَى أَرْضِ الْيَمَنِ وَمَنْ يَّلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ ـ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : بَاذَامُ ـ : أَنَّهُ بَلَغَنِي : أَنَّهُ خَرَجَ رَجُلٌ قِبَلَكَ يَزْعُمُ : أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقُلْ لَهُ : فَلْيَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ ، أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ، أَوْ يَقْتُلُ قَوْمَهُ .

قالَ : فَجَاءَ رَسُولُ بَاذَامَ إِلىَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ هَذَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ كَانَ شَيْءٌ فَعَلْتُهُ مِنْ قِبَلِي كَفَفْتُ وَلَكِنَّ اللهَ تعالى بَعَثَنِي » . فَأَقَامَ الرَّسُولُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ رَبِّي قَتَلَ كِسْرَى ، وَلاَ كِسْرَى بَعْدَ الْيَوْمِ ؛ وَقَتَلَ قَيْصَرَ ، وَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

قالَ : فَكَتَبَ قَوْلَهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي حَدَّثَهُ ، وَالْيَوْمَ الَّذِي حَدَّثَهُ ، وَالشَّهْرَ الَّذِي حَدَّثَهُ فِيهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلىَ بَاذَامَ ، فَإِذَا كِسْرَى قَدْ مَاتَ ، وَإِذَا قَيْصَرُ قَدْ قُتِلَ .

---

(١) كذا في « الإصابة » (٤/ ٢٦٩) .

(٢) في « المعجم الكبير » .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

كتَابُـهُ ﷺ إِلىَ الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الإِسْكَنْدَرِيَّـةِ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ ـ رضي الله عنهم ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ حَاطِبَ ابْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ الْمُقَوْقِسِ صَاحِبِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَمَضَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ ، فَقَبَّلَ الْكِتَابَ وَأَكْرَمَ حَاطِباً وأَحْسَنَ نُزُلَهُ وَسَرَّحَهُ[٢] إِلىَ النَّبِيِّ ، وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِبٍ كِسْوَةً وَبَغْلَةً بِسَرْجِهَا وَجَارِيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ[٣] وَأَمَّا الأُخْرَى[٤] ؛ فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمحُمَدِّ بْنِ قَيْسٍ الْعَبْدِيِّ ، رضي الله عنه .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٥] أَيْضاً عَنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلىٰ الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، قَالَ : فَجِئْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَنِي فِي مَنْزِلِهِ ، وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ ؛ وَقَدْ جَمَعَ بَطَارِقَتَهُ ، وَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ كَلاَمٍ فَأُحِبُّ أَنْ تَفْهَمَ عَنِّي ، قَالَ قُلْتُ : هَلُمَّ ! قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِكَ أَلَيْسَ هُوَ نَبِيٌّ ؟ قُلْتُ : بَلَى هُوَ رَسُولُ اللهِ ! قَالَ : فَمَا لَهُ حَيْثُ كَانَ هَكَذَا لمَ يَدْعُ عَلَى قَوْمِهِ ؛ حَيْثُ أَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ إِلىَ غَيْرِهَا ؟ قَالَ قُلْتُ : عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ أَلَيْسَ تَشْهَدُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ : بَلَى .

قُلْتُ : فَمَا لَهُ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ أَلاَّ يَكُونَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ ؛ حَيْثُ رَفَعَهُ اللهُ إِلىَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ؟! فَقَالَ لِي : أَنْتَ حَكِيمٌ ، قَدْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ. هَذِهِ هَدَايَا أَبْعَثُ بِهَا مَعَكَ إِلىَ مُحَمَّدٍ

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٥) .
(٢) أي : أرسله .
(٣) هي مارية .
(٤) هي سيرين .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ـ ﷺ ـ وَأُرْسِلُ مَعَكَ بِبَذْرَقَةٍ[١] يُـبَذْرِقُونَكَ إِلىَ مَأْمَنِكَ[٢] .

قالَ : فَأَهْدَى إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ جَوَارٍ مِنْهُنَّ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ الله ﷺ ، وَوَاحِدَةٌ وَّهَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَـابِتٍ الأَنْصَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِطُرَفٍ[٣] مِّنْ طُرَفِهِمْ .

كِتَابُـهُ ﷺ إِلىَ أَهْلِ نَجْـرَانَ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٤] عَنْ يُونُسَ بْنِ بُـكَيْرٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ يَسُوعَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ يُونُسُ ـ وَكَانَ نَصْرَانِيّاً ، فَأَسْلَمَ ـ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ: طَس سُلَيْمَانَ[٥] :

« بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ .

مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ إِلىَ أُسْقُفِّ نَجْرَانَ ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ !

سِلْمٌ أَنْتُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ إِلـهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ.

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلىَ عِبَادَةِ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلىَ وِلاَيَةِ اللهِ مِنْ وِلاَيَةِ الْعِبَادِ؛ فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَالْجِزْيَةُ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبٍ . وَالسَّلاَمُ ! » .

فَلَمَّا أَتَى الأُسْقُفَّ الْكِتَابُ وَقَرَأَهُ ؛ فَظِعَ بِهِ ، وَذَعِرَ بِهِ[٦] ذَعَراً شَدِيدًا ، وَبَعَثَ إِلىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ : شُرَحْبِيلُ بْنُ وَدَاعَةَ ـ وَكَانَ مِنْ

(١) أي : خفارة ، أو حرس .
(٢) يعني : المدينة المنوَّرة .
(٣) أي : التُّحَف من الهدايا .
(٤) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣٨٥) .
(٥) أي : سورة النمل ؛ التي فيها قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] .
(٦) أي : دهش .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هَمْدَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُدْعَى إِذَا نَزَلَتْ مُعْضِلَةٌ قَبْلَهُ ، لَا الأَيْهَمُ[١] ، وَلَا السَّيِّدُ ، وَلَا الْعَاقِبُ[٢] . فَدَفَعَ الأُسْقُفُّ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى شُرَحْبِيلَ ، فَقَرَأَهُ. فَقَالَ الأُسْقُفُّ: يَا أَبَا مَرْيَمَ ! مَا رَأْيُكَ ؟ فَقَالَ شُرَحْبِيلُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ إِسْمَاعِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ ، فَمَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ذَاكَ الرَّجُلَ لَيْسَ لِي فِي أَمْرِ النُّبُوَّةِ رَأْيٌ ، وَلَوْ كَانَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ؛ لأَشَرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ بِرَأْيِي ، وَاجْتَهَدْتُ لَكَ. فَقَالَ لَهُ الأُسْقُفُّ: تَنَحَّ ، فَاجْلِسْ ، فَتَنَحَّى شُرَحْبِيلُ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةً .

فبَعَثَ الأُسْقُفُّ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللهِ بْنُ شُرَحْبِيلَ ـ وَهُوَ مِنْ ذِي أَصْبَحَ مِنْ حِمْيَرَ ـ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ فَقَالَ الأُسْقُفُّ: تَنَحَّ ، فَاجْلِسْ ، فَتَنَحَّى عَبْدُ اللهِ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةً ،

فبَعَثَ الأُسْقُفُّ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، يُقَالُ لَهُ : جَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ مِّنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ أَحَدِ بَنِي الْحِمَاسِ ، فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ ، وَعَبْدِ اللهِ. فَأَمَرَهُ الأُسْقُفُّ ، فَتَنَحَّى ، فَجَلَسَ نَاحِيَةً .

فلَمَّا اجْتَمَعَ الرَأْيُ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ جَمِيعاً ؛ أَمَرَ الأُسْقُفُّ بِالنَّاقُوسِ[٣] فَضُرِبَ بِهِ ، وَرُفِعَتِ النِّيرَانُ ، وَالْمُسُوحُ فِي الصَّوَامِعِ[٤] ـ وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا فَزِعُوا بِالنَّهَارِ ؛ وَإِذَا كَانَ فَزَعُهُمْ لَيْلاً ؛ ضَرَبُوا

(١) هو الجريء الذي لا يُستطاع دفعه .
(٢) من رؤساء النصارى ، يتلو السيِّد ، اسمه : عبد المسيح .
(٣) وهي خشبةٌ طويلةٌ تضرب بخشبة أصغر منها ، والنَّصارى يُعلمون بها أوقات صلاتهم . (النهاية في غريب الحديث) .
(٤) أي : معابد رهبان النَّصارى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِالنَّاقُوسِ ، وَرُفِعَتِ النِّيرَانُ فِي الصَّوَامِعِ . فَاجْتَمَعُوا ـ حِينَ ضُرِبَ بِالنَّاقُوسِ وَرُفِعَتِ الْمُسُوحُ ـ أَهْلُ الْوَادِي أَعْلاَهُ ، وَأَسْفَلِهِ ، وَطُولُ الْوَادِي مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ السَّرِيعِ ، وَفِيهِ ثَلاَثٌ وَّسَبْعُونَ قَرْيَةً وَعِشْرُونَ وَمِئَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ـ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ .

فاجْتَمَعَ رَأْيُ أَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا شُرَحْبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهَمْدَانِيَّ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ شُرَحْبِيلَ الأَصْبَحِيَّ ، وَجَبَّارَ بْنَ فَيْضٍ الْحَارِثِيَّ ، فَيَأْتُونَهُمْ بِخَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ ؛ وَضَعُوا ثِيَابَ السَّفَرِ عَنْهُمْ ، وَلَبِسُوا حُلَلاً لَّهُمْ يَجُرُّونَهَا مِنْ حِبَرَةٍ[1] ، وَّخَوَاتِيمَ الذَّهَبِ . ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ ، وَتَصَدَّوْا لِكَلاَمِهِ نَهَارًا طَوِيلاً ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ ، وَعَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحُلَلُ ، وَخَوَاتِيمُ الذَّهَبِ . فَانْطَلَقُوا يَتْبَعُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ـ رضي الله عنهما ـ وَكَانُوا يَعْرِفُونَهُمَا .

فوَجَدُوهُمَا فِي نَاسٍ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ فِي مَجْلِسٍ ، فَقَالُوا : يَا عُثْمَانُ وَيَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ! إِنَّ نَبِيَّكُمْ كَتَبَ إِلَيْنَا كِتَاباً ، فَأَقْبَلْنَا مُجِيبِينَ لَهُ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ سَلاَمَنَا ، وَتَصَدَّيْنَا[2] لِكَلاَمِهِ نَهَارًا طَوِيلاً ، فَأَعْيَانَا أَنْ يُّكَلِّمَنَا ! فَمَا الرَّأْيُ مِنْكُمَا ؟ أَتَرَوْنَ أَنْ نَّرْجِعَ ؟

فقَالاَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ وَهُوَ فِي الْقَوْمِ : مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ لِّعُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَرَى أَنْ يَضَعُوا حُلَلَهُمْ هَذِهِ ، وَخَوَاتِيمَهُمْ هَذِهِ ، وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

ففَعَلُوا ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ سَلاَمَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ

(١) نوع من برود اليمن .
(٢) أي : تعرَّضْنا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَقَدْ أَتَوْنِي الْمَرَّةَ الأُوْلَى ؛ وَإِنَّ إِبْلِيسَ لَمَعَهُمْ ! » . ثُمَّ سَأَلَهُمْ ، وَسَأَلُوهُ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ وَبِهِمُ الْمَسْأَلَةُ ؛ حَتَّى قَالُوا لَهُ : مَا تَقُولُ فِي عِيسَى ؟ فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا ؛ وَنَحْنُ نَصَارَى يَسُرُّنَا ـ إِنْ كُنْتَ نَبِيّاً ـ أَنْ نَّسْمَعَ مَا تَقُولُ فِيهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا ، فَأَقِيمُوا حَتَّى أُخْبِرَكُمْ بِمَا يَقُولُ لِي رَبِّي فِي عِيسَى » . فَأَصْبَحَ الْغَدَ ؛ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ ـ ٦١] . فَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِذَلِكَ .

فلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَدَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ؛ أَقْبَلَ مُشْتَمِلاً عَلَى الْحَسَنِ ، وَالْحُسَيْنِ ـ رضي الله عنهما ـ فِي خَمِيلٍ لَّهُ ، وَفَاطِمَةُ ـ رضي الله عنها ـ تَمْشِي عِنْدَ ظَهْرِهِ لِلْمُلاَعَنَةِ ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِدَّةُ نِسْوَةٍ. فَقَالَ شُرَحْبِيلُ لِصَاحِبَيْهِ: لَقَدْ عَلِمْتُمَا : أَنَّ الْوَادِيَ إِذَا اجْتَمَعَ أَعْلاَهُ ، وَأَسْفَلُهُ لَمْ يَرِدُوا ، وَلَمْ يَصْدُرُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِي ، وَإِنِّي ـ وَاللهِ ـ أَرَى أَمْرًا ثَقِيلاً ! وَاللهِ لَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَبْعُوثاً ، فَكُنَّا أَوَّلَ الْعَرَبِ طَعْناً فِي عَيْنَيْهِ ، وَرَدًّا عَلَيْهِ أَمْرَهُ ؛ لاَ يَذْهَبُ لَنَا مِنْ صُدُورِهِ وَلاَ مِنْ صُدُورِ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُصِيبُونَا بِجَائِحَةٍ ، وَّإِنَّا لأَدْنَى الْعَرَبِ مِنْهُمْ جِوَارًا. وَلَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ نَبِياً مُّرْسَلاً ، فَلاَعَنَّاهُ لاَ يَبْقَى مِنَّا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ شَعَرٌ ، وَلاَ ظُفُرٌ إِلَّا هَلَكَ .

فقَالَ صَاحِبَاهُ: فَمَا الرَّأْيُ يَا أَبَا مَرْيَمَ ؟! فَقَالَ : أَرَى أَنْ أُحَكِّمَهُ ، فَإِنِّي أَرَى رَجُلاً لَّا يَحْكُمُ شَطَطاً أَبَدًا ! فَقَالاَ لَهُ: أَنْتَ ، وَذَاكَ ! قَالَ: فَتَلَقَّى شُرَحْبِيلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ خَيْرًا مِّنْ مُلاَعَنَتِكَ. فَقَالَ: وَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ: حُكْمُكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَيْلَتَكَ إِلَى الصَّبَاحِ ، فَمَهْمَا

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حَكَمْتَ فِينَا ؛ فَهُوَ جَائِزٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَدًا يُثَرِّبُ عَلَيْكَ[١] » . فَقَالَ شُرَحْبِيلُ : سَلْ صَاحِبَيَّ ، فَسَأَلَهُمَا . فَقَالَا : مَا يَرِدُ الْوَادِي[٢] ، وَلَا يَصْدُرُ[٣] إِلَّا عَنْ رَأْيِ شُرَحْبِيلَ . فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يُلَاعِنْهُمْ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَوْهُ ، فَكَتَبَ لَهُمْ هَذَا الْكِتَابَ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذَا مَا كَتَبَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ لِنَجْرَانَ : ـ إِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ ـ فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ وَكُلِّ صَفْرَاءَ ، وَبَيْضَاءَ[٤] ، وَسَوْدَاءَ[٥] ، وَرَقِيقٍ فَاضِلٍ[٦] عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ : فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ ، وَفِي كُلِّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلَّةٍ » .

وَذَكَرَ تَمَامَ الشُّرُوطِ[٧] .

وزَادَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْر فِي « الْبِدَايَةِ[٨] » بَعْدَ قَوْلِهِ ـ وَذَكَرَ تَمَامَ الشُّرُوطِ : إِلَىَ أَنْ شَهِدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَغَيْلَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ بَنِي نَصْرٍ ، وَالأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ ، وَالْمُغِيرَةُ ، وَكَتَبَ حَتَّى إِذَا قَبَضُوا كِتَابَهُمُ ؛ انْصَرَفُوا إِلَىَ نَجْرَانَ : وَمَعَ الأُسْقُفِّ أَخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ مِنَ النَّسَبِ ، يُقَالُ لَهُ : بَشِيرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو عَلْقَمَةَ . فَدَفَعَ الْوَفْدُ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىَ الأُسْقُفِّ .

---

(١) أي : يلوم ، ويعير .
(٢) أي : لا يحضرون .
(٣) أي : لا يرجعون ، ولا ينصرفون .
(٤) أي : ذهب وفِضّة .
(٥) أي : المال الكثير .
(٦) أي : زائد .
(٧) كذا في التفسير لابن كثير : (١/ ٣٦٩) .
(٨) البداية والنهاية : (٥/ ٥٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَؤهُ ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ مَعَهُ ، وَهُمَا يَسِيرَانِ ؛ إِذْ كَبَتْ[١] بِبَشِيرٍ نَاقَتُهُ ، فَتَعَّسَ بَشِيرٌ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكْنِي[٢] عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقَالَ لَهُ الأُسْقُفُّ عِنْدَ ذَلِكَ : قَدْ ـ وَاللهِ ـ تَعَّسْتَ نَبِيّاً مُرْسَلاً ! فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا جَرَمَ وَاللهِ لَا أَحُلُّ عَنْهَا عَقْدًا حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَصَرَفَ وَجْهَ نَاقَتِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَثَنَى[٣] الأُسْقُفُّ نَاقَتَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : افْهَمْ عَنِّي إِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِيَبْلُغَ عَنِّي الْعَرَبَ ، مَخَافَةَ أَنْ يَرَوْا أَنَّا أَخَذْنَا حَقَّهُ . أَوَ رَضِينَا بِصَوْتِهِ ، أَوْ بَخَعْنَا[٤] لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَا لَمْ تَبْخَعْ بِهِ الْعَرَبُ وَنَحْنُ أَعَزُّهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ دَاراً ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا وَاللهِ لَا أَقْبَلُ مَا خَرَجَ مِنْ رَأْسِكَ أَبَدًا ! فَضَرَبَ بَشِيرٌ نَاقَتَهُ ـ وَهُوَ مَوَلِّي الأُسْقُفِّ ظَهْرَهُ ، وَارْتَجَزَ يَقُولُ :

إِلَيْكَ تَغْدُو قَلِقاً وَضِينُهَا[٥] مُعْتَرِضاً فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخَالِفاً دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ ؛ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ .

قالَ : وَدَخَلَ الْوَفْدُ نَجْرَانَ. فَأَتَى الرَّاهِبَ بْنَ أَبِي شِمْرٍ الزَّبِيدِيَّ وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَتِهِ. فَقَالَ لَهُ : إِنَّ نَبِيّاً بُعِثَ بِتِهَامَةَ ، فَذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ وَفْدِ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمُلَاعَنَةَ ، فَأَبَوْا؛ وَأَنَّ بَشِيرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ دَفَعَ إِلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ. فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَنْزِلُونِي ، وَإِلَّا أَلْقَيْتُ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ. قَالَ: فَأَنْزَلُوهُ ، فَأَخَذَ مَعَهُ هَدِيَّةً ، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا

(١) أي : انكبت على وجهها .
(٢) أي : دعا على رسول الله ﷺ بالهلاك .
(٣) أي : عطف .
(٤) أي : أقررنا مقهورين .
(٥) الوضين : بطانٌ منسوجٌ بعضه على بعض يُشدُّ به الرجلُ على البعير .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هذَا الْبُرْدُ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْخُلَفَاءُ ، وَقَعْبٌ[١] ، وَعَصاً . فَأَقَامَ مُدَّةً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْمَعُ الْوَحْيَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ الإِسْلاَمُ ، وَوَعَدَ : أَنَّهُ سَيَعُودُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ؛ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . وَأَنَّ الأُسْقُفَّ أَبَا الْحَارِثِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ السَّيِّدُ ، وَالْعَاقِبُ ، وَوُجُوهُ قَوْمِهِ ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَسْمَعُونَ مَا يُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ لِلأُسْقُفِّ هَذَا الْكِتَابَ ، وَلأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ بَعْدَهُ :

كِتَابُـهُ ﷺ إِلى الأُسْقُفِّ أَبِي الْحَارِثِ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِلأُسْقُفِّ أَبِي الْحَارِثِ ، وَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ ، وَكَهَنَتِهِمْ ، وَرُهْبانِهِمْ ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكِثيرٍ !

جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ لَا يُغَيَّـرُ أُسْقُفٌ مِّنْ أُسْقُفِيَّتِهِ ، وَلَا رَاهِبٌ مِّنْ رَهْبَانِيَّتِهِ ، وَلَا كَاهِنٌ مِّنْ كَهَانَتِهِ ، وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِّنْ حُقُوقِهِمْ؛ وَلَا سُلْطَانُهُمْ ، وَلَا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ .

جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَبَدًا مَّا أَصْلَحُوا ، وَنَصَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُبْتَلِينَ بِظُلْمٍ ، وَلَا ظَالِمِينَ » .

وَكَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ[٢] .

كِتَابُـهُ ﷺ إِلَى بَـكْرِ بْنِ وَائِلٍ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٣] عَنْ مَرْثَدِ بْنِ ظَبْيَانَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : جَاءَنَا كِتَابٌ

(١) قدحٌ ضخمٌ وغليظ .
(٢) أي : هذا الكتاب بخطِّه .
(٣) في المسند : (٥/ ٦٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَمَا وَجَدْنَا لَهُ قَارِئاً يَقْرَؤهُ عَلَيْنَا ؛ حَتَّى قَرَأَهُ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي ضَبِيعَةَ : « مِنْ رَّسُولِ الله ﷺ إِلىَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ : أَسْلِمُوا ؛ تَسْلَمُوا » .

كِتَابُهُ ﷺ إِلَى بَنِي جُذَامَةَ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ عُمَيْرِ بْنِ مَعْبَدٍ الْجُذَامِيِّ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : وَفَدَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْجُذَامِيُّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَكَتَبَ لَهُ كِتَاباً ، فِيهِ :

«مِنْ مُحَمَّدٍ رَّسُولِ الله لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ !

إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلىَ قَوْمِهِ عَامَّةً ، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلىَ الله ، وَإِلىَ رَسُولِهِ ؛ فَمَنْ آمَنَ ؛ فَفِي حِزْبِ الله ، وَحِزْبِ رَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ ؛ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ » .

فلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ ؛ أَجَابُوهُ .

---

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٤٥٦٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قصصُهُ ﷺ
فِي الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ الْمُفْضِيَـةِ إِلىَ هِدَايَـةِ النَّاسِ

إِسْلاَمُ زَيْدِ بْنِ سَعْـنَـةَ الْحَبْرِ الإِسْرَائِيلِيِّ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ؛ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : مَا مِنْ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلاَ تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْماً . قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً مِنَ الْحُجُرَاتِ[٢] ـ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! لِي نَفَرٌ فِي قَرْيَةِ بَنِي فُلاَنٍ قَدْ أَسْلَمُوا ، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا ؛ أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رغَدًا[٣] ، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ[٤] ، وَشِدَّةٌ، وَقَحْطٌ مِّنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ ! أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلاَمِ طَمَعاً ، كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعاً؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُغِيثُهُمْ بِهِ ؛ فَعَلْتَ . فَنَظَرَ إِلىَ رَجُلٍ إِلىَ جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيّاً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ .

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٥١٤٧) .
(٢) هي بيوت زوجات النبي ﷺ ، والتي كانت بجانب المسجد النبوي .
(٣) أي : واسعاً .
(٤) أي : جدبٌ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ! هَلْ لَّكَ أَنْ تَبيعَنِي تَمْراً مَّعْلُوماً فِي حَائِطِ بَنِي فُلاَنٍ إِلىَ أَجَلٍ مَعْلُومٍ إِلىَ أَجَلِ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : « لاَ تُسَمِّ[١] حَائِطَ[٢] بَنِي فُلاَنٍ » قُلْتُ : نَعَمْ ، فَبَايَعَنِي ، فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي ، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالاً مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلىَ أَجَلِ كَذَا ، وَكَذَا ، فَأَعْطَى الرَّجُلَ ، وَقَالَ : « اعْدِلْ عَلَيْهِمْ ، وَأَغِثْهُمْ » .

قالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ـ رضي الله عنهم ـ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ ، وَدَنَا إِلىَ الْجِدَارِ ؛ لِيَجْلِسَ إِلَيْهِ ؛ أَتَيْتُهُ ، فَأَخَذْتُهُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ ، وَرِدَائِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ، قُلْتُ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ! أَلاَ تَقْضِينِي حَقِّي ؟ فَوَاللهِ مَا عُلِمْتُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا مُطُلاً[٣] ! ولَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ . وَنَظَرْتُ إِلىَ عُمَرَ ، وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللهِ ! أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ ؟ وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ ما أُحَاذِرُ فَوْتَهُ[٤] ؛ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ ! وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ فِي سكُونٍ ، وتُؤَدَةٍ[٥] . فَقَالَ : « يَا عُمَرُ ! أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلىَ غَيْرِ هَذَا : أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ ! اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ ، فَأَعْطِهِ حَقَّهُ ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِّنْ تَمْرِ مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ » .

قالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ ، فَأَعْطَانِي حَقِّي ، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعاً مِّنْ

(١) أي : لا تُعيِّن .
(٢) الحائط : البستان .
(٣) أي : أجَّل موعد الوفاء بالحقِّ مرةً بعد الأخرى .
(٤) أي : من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه .
(٥) أي : برزانةٍ ، وتأنٍّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَمْرٍ . فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟! قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُكَ . قَالَ : وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟! قَالَ : لَا . قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ . قَالَ : اَلْحَبْرُ[1] ؟! قُلْتُ : اَلْحَبْرُ . قَالَ : فَمَا دَعَاكَ إِلَىٰ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا فَعَلْتَ ، وَقُلْتَ لَهُ : مَا قُلْتَ ؟ قُلْتُ : يَا عُمَرُ ! لَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ ، لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْماً ، وَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا ، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ ! أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً ، وبِالإِسْلَامِ دِيناً ، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً ، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي ـ إِنِّي أَكْثَرُهَا مَالاً ـ صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ . قَالَ عُمَرُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ ، قُلْتُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ .

فرَجَعَ عُمَرُ ، وَزَيْدٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ : فَقَالَ زَيْدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! وَآمَنَ بِهِ ، وَصَدَّقَهُ ، وَبَايَعَهُ ، وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَ ةً ؛ ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ ، رَحِمَ اللهُ زَيْدًا !

(١) العالِم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّـةُ صُلْـحِ الْحُدَيْبِيَّـةِ

ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ وَصَدِّهِمْ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ زِيَارَةِ الْبَـيْتِ الْحَرَامِ :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ[٢] قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[٣] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً[٤] فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ . فَوَاللهِ ! مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيراً لِقُرَيْشٍ ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي هَبَطَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ . فَقَالَ النَّاسُ : حَلْ ! حَلْ[٥] ! فَأَلَحَّتْ . فَقَالُوا : خَلأَتِ[٦] الْقَصْوَاءُ[٧] ! خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ[٨] ! » . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِّي خُطَّةً[٩] يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا !

(١) في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد . . . (١/ ٣٧٧) .
(٢) هو مروان بن الحكم .
(٣) موضع بين رابغ والجحفة .
(٤) أي : مقدمة الجيش .
(٥) كلمة تقال للنَّاقة إذا تركت السَّيْر .
(٦) أي : حرنت .
(٧) لقب ناقة رسول الله ﷺ .
(٨) وهو الله تعالى ، إشارةً فيه إلى قصة غارة أبرهة على الكعبة بقصد هدمها .
(٩) أي : خصلة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثُمَّ زَجَرَهَا ، فَوَثَبَتْ ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ(١) قَلِيلِ الْمَاءِ ، يَتَبَرَّضُهُ(٢) تَبَرُّضاً ؛ فَلَمْ يُلْبِثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ(٣) . وَشُكِيَ إِلَىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَطَشُ ، فَانْتَزَعَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ . فَوَاللهِ ! مَا زَالَ يَجِيشُ(٤) لَهُمْ بِالرِّيِّ ؛ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ !

خَبَرُ بُدَيْلٍ مَعَهُ ﷺ :

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ ـ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ(٥) رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ـ فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُوذُ(٦) الْمَطَافِيلُ(٧) وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ ، وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَجِىء لِقِتَالِ أَحَدٍ ، ولَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُّهُمْ مُدَّةً(٨) وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرْ ؛ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ؛ فَعَلُوا ، وَإِلَّا ؛ فَقَدْ جَمُّوا(٩) ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا ؛ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ، وَلَيُنْفَذَنَّ أَمْرُ اللهِ !

قالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَّا تَقُولُ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشاً ، فَقَالَ : إِنَّا قَدْ

(١) الماء القليل الذي لا مادة له .
(٢) أي : يأخذه قليلاً قليلاً .
(٣) أي : انفدوه .
(٤) أي : يفور .
(٥) أي : موضعَ نصحٍ .
(٦) العوذ : النوق .
(٧) ذوات الألبان لكونها ولدت قريباً .
(٨) يريد : اتفقت لهم على مُدَّةٍ .
(٩) أي : استراحوا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَّعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ ؛ فَعَلْنَا . فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ذَوُوالرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ! قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا ، وَكَذَا ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

خَبَرُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ مَعَهُ ﷺ :

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ ! أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ ؟ قَالُوا : بَلَى ! قَالَ : أَلَسْتُ بِالْوَلَدِ ؟ قَالُوا : بَلَى ! قَالَ : فَهَلْ تَتَّهِمُونِّي ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ : أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ[١] أَهْلَ عُكَاظٍ ، فَلَمَّا بَلَّحُوا[٢] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ؟ قَالُوا : بَلَى ! قَالَ : فَإِنَّ هذَا عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِيهِ . فَقَالُوا : ائْتِهِ . فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْواً مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ . فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيْ مُحَمَّدُ ! أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ[٣] ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، اجْتَاحَ[٤] أَهْلَهُ قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى ؛ فَإِنِّي وَاللهِ لَا أَرَى وُجُوهاً ، وَإِنِّي لأَرَى أَشْوَاباً[٥] مِّنَ النَّاسِ خَلِيقاً[٦] أَنْ يَفِرُّوا ، وَيَدَعُوكَ !

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ : امْصُصْ بَظْرَ[٧] اللاَّتِ ! أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟! قَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ !

(١) أي : دعوتهم إلى نصركم .
(٢) أي : أبوا كأنهم أعيوا عن الخروج معه ، وإعانته .
(٣) أي : أهلكت بالكلية .
(٤) أي : أهلك .
(٥) أي : أخلاطاً .
(٦) أي : حقيقاً .
(٧) هي كلمةٌ تقولها العربُ عند الذَّمِّ والمشاتمة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا ؛ لأَجَبْتُكَ . قَالَ : وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ ؛ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ . فَكُلَّمَا أَهْوَى[1] عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ؛ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ ، وَقَالَ لَهُ : أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ! فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ . فَقَالَ : أَيْ غُدَرُ[2] ! أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ ؟! وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ صَحِبَ قَوْماً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَّا الإِسْلَامُ ؛ فَأَقْبَلُ ، وَأَمَّا الْمَالُ ؛ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ » . ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ[3] أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَيْنَيْهِ . قَالَ : فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً[4] إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ، ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ ؛ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ ؛ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَّهُ .

فرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيْ قَوْمِي ! فَوَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ! وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ؛ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ ؛ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ ؛ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً ، لَّهُ ؛ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ ، فَاقْبَلُوهَا .

---

(١) أي : مالَ .
(٢) يعني : يا غادر .
(٣) أي : يلحظ بمؤخَّر العين .
(٤) بُصاقٌ غليظٌ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

خَبَرُ رَجُلٍ مِّنْ بَنِي كِـنَـانَـةَ مَعَـهُ ﷺ :

فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي كِنَانَةَ : دَعُونِي آتِيهِ. فَقَالُوا: اِئتِـهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « هَذَا فُلاَنٌ وهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ[1] ، فَابْعَثُوهَا لَهُ » . فَبُعِثَتْ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ؛ قَالَ : « سُبْحَانَ اللهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ » . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ[2] وَأُشْعِرَتْ[3] ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ ، فَقَالَ : دَعُونِي آتِيهِ . قَالُوا : اِئتِـهِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَذَا مِكْرَزٌ ، وهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ » ، فَجَعَلَ يُـكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو .

خَبَرُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو مَعَـهُ ﷺ وَشُـرُوطُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّـةِ :

قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ : أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَقَدْ سُهِّلَ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ » .

قالَ مَعْمَرٌ : قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلٌ ، فَقَالَ : هَاتِ ، فَاكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَاباً . فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اكْتُبْ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

فقَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا الرَّحْمَنُ ؛ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ! وَلَـكِنِ اكْتُبْ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، كَمَا كُنْتَ تَـكْتُبُ .

(١) جمع بدنة : وهي النَّاقة .
(٢) أي : علِّق في عُنقها شيء .
(٣) أي : طُعنت في سنامها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللهِ ! لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ !

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » .

فقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللهِ ! لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ : أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ؛ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنِ اكْتُبْ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ .

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي ، اكْتُبْ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ » ـ قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ : لَا يَسْأَلُونِّي خُطَّةً يعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ـ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَطُوفَ بِهِ » .

قالَ سُهَيْلٌ : وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[1] ! وَلَكِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ . فَكَتَبَ . فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ ـ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ ـ إِلَّا رَدَدْتَّهُ إِلَيْنَا .

قالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللهِ ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِماً ؟!

قِصَّةُ أَبِي جَنْدَلٍ ، رضي الله عنه :

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ ! أَوَّلُ مَنْ أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ .

(١) أي : اضطراراً ، وقهراً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْـدُ » .

قالَ : فَوَاللهِ ! إِذاً لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيءٍ أَبَدًا .

قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَأَجِزْهُ لي » .

قالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ .

قالَ : بَلَى ! فَافْعَلْ .

قالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ .

قالَ مِكْرَزٌ : بَلَى ! قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ . قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ : أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! أُرَدُّ إِلىَ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِماً ؟! أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيت ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَاباً شَدِيدًا فِي اللهِ .

فقَالَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ : فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقّاً ؟ قَالَ : « بَلَى » . قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : « بَلَى » . قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[1] فِي دِينِنَا إِذاً ؟ قَالَ : « إِنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي » . قُلْتُ : أَوَ لَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا : أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ ، فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : « بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : « فَإِنَّكَ آتِيهِ ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ » . قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ! أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقّاً ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذاً؟ قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[2]، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ! قُلْتُ : أَلَيْسَ كَانَ

(١) النَّقيصة والخصلة الخسيسة .

(٢) أي : بأمره ، وترك المخالفة له .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُحَدِّثُنَا : أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ : بَلَى ؛ أَفَأَخْبَرَكَ : أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ : لَا . قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً .

قَالَ : فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ : « قُومُوا فَانْحَرُوا ، ثُمَّ احْلِقُوا » . قَالَ : فَوَالله ! مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ ؛ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِّنْهُمْ أَحَدٌ ؛ دَخَلَ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ الله ! أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِّنْهُمْ كَلِمَةً ؛ حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ ، فيَحْلِقَكَ .

فخَرَجَ ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِّنْهُمْ ؛ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ : نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ ، فَحَلَقَهُ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ ؛ قَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضاً ؛ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضاً غَمّاً[1] ، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ .

خَبَرُ أَبِي بَصِيرٍ ـ رضي الله عنه ـ مَعَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أُرْسِلاَ فِي طَلَبِهِ :

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ ـ رضي الله عنه ـ رَجُلٌ مِّنْ قُرَيْشٍ ـ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ ، فَقَالُوا : الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا . فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَا بِهِ ؛ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَنَزَلُوا

(١) أي : ازدحاماً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَّهُمْ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللهِ إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا ! فَاسْتَلَّهُ[١] الآخَرُ ، فَقَالَ : أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ، ثُمَّ جَرَّبْتُ ! فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ. فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ ، فَضَرَبَهُ ؛ حَتَّى بَرَدَ[٢] ، وَفَرَّ الآخَرُ ؛ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ : «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْراً» . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي ، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ ! فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَّنِي إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِيَ اللهُ مِنْهُمْ ! فَقَالَ النَّبِيُّ : « وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ ، لَّوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ ! » . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ : أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ ؛ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ[٣] .

لُحُوقُ أَبِي جَنْدَلٍ بِأَبِي بَصِيرٍ ـ رضي الله عنهما ـ وَاعْتِرَاضُهُمَا لِعِيرِ قُرَيْشٍ :

قَالَ : وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَّجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلاَّ لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ؛ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ ، فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلىٰ الشَّامِ إِلاَّ اعْتَرَضُوا لَهَا ، فَقَتَلُوهُمْ ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ . فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ

(١) أي : أخرجه من غمده .
(٢) أي : ماتَ .
(٣) أي : السَّاحل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤ ـ ٢٦] . وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ : أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا : أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِـ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ ، وَبَيْنَ الْبَيْتِ(١) .

إِرْسَالُهُ ﷺ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ إِلى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ بَعْدَ النُّزُولِ بِالْحُدَيْبِيَّـةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُرْوَةَ فِي نُزُولِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ؛ قَالَ : وَفَزِعَتْ قُرَيْشٌ لِّنُزُولِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَحَبَّ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَّبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ لِيَبْعَثَهُ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي لأَخْلَعُهُمْ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي كَعْبٍ يَغْضَبُ لِي إِنْ أُوذِيتُ ، فَأَرْسِلْ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ فَإِنَّ عَشِيرَتَهُ بِهَا ، وَإِنَّهُ يُبَلِّغُ لَكَ مَا أَرَدْتَّ .

فدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَأَرْسَلَهُ إِلىَ قُرَيْشٍ ، وقَالَ : « أَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ ، وإِنَّمَا جِئْنَا عُمَّاراً(٢) ، وَادْعُهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ » . وَأَمَرَهُ أَنْ يَّأْتِيَ رِجَالاً بِمَكَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنِسَاءً مُّؤْمِنَاتٍ ، فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرَهُمْ بِالْفَتْحِ ، وَيُخْبِرَهُمْ : أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُوشِكُ أَنْ يُظْهِرَ دِينَهُ بِمَكَّةَ ؛ حَتَّى لاَ يُسْتَخْفَى فِيهَا بِالإِيمَانِ تَثْبِيتاً يُثَبِّتُهُمْ .

(١) قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٤/ ١٧٧) : « هذا سياق فيه زيادات ، وفوائدُ حسنةٌ ليست في رواية ابن إسحاق عن الزُّهري . وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/ ٢١٨) أيضاً بطُوله .

(٢) أي : لأداء العمرة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ : فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ ، فَمَرَّ عَلَى قُرَيْشٍ بِبَلْدَحٍ[١] . فَقَالَتْ قُرَيشٌ : أَيْنَ؟ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْكُمْ لأَدْعُوَكُمْ إِلىَ الله ﷻ وَإِلىَ الإِسْلاَمِ ، وَنُخْبِرَكُمْ : أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وإِنَّمَا جِئْنَا عُمَّاراً . فَدَعَاهُمْ عُثْمَانُ كَمَا أَمَرَهُ ﷺ فَقَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ فَانْفُذْ لِحَاجَتِكَ ، وَقَامَ إِلَيْهِ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَسْرَجَ[٢] فَرَسَهُ . فَحَمَلَ عُثْمَانَ عَلَى الْفَرَسِ ، فَأَجَارَهُ[٣] ، وَرَدِفَهُ[٤] أَبَانٌ حَتَّى جَاءَ مَكَّةَ . ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً بَعَثُوا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيَّ ، وَأَخَا بَنِي كِنَانَةَ ، ثُمَّ جَاءَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفيُّ . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ[٥] .

رَأْيُ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ في صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٦] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ : لَقَدْ صَالَحَ رَسُولُ الله ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ عَلَى صُلْحٍ ، وَأَعْطَاهُمْ شَيْئاً ، لَوْ أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ أَمَّرَ عَلَيَّ أَمِيراً ، فَصَنَعَ الَّذِي صَنَعَ نَبِيُّ الله ﷺ مَا سَمِعْتُ ، وَلاَ أَطَعْتُ ، وَكَانَ الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ : أَنَّ مَنْ لَحِقَ مِنَ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ ؛ رَدُّوهُ ، وَمَنْ لَحِقَ بِالْكُفَّارِ ؛ لَمْ يَرُدُّوهُ .

---

(١) موضعٌ قرب مكة .
(٢) أي : شدَّ عليه السَّرْجَ .
(٣) أي : آمنه .
(٤) أي : ركب خلفه .
(٥) كذا في « كنز العمال » (٥/ ٢٨٨) . وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة من وجهٍ آخر بطُوله عن عروة ، كما في « كنز العمال » أيضاً (٥/ ٢٩٠) . وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/ ٢٢١) عن موسى بن عقبة .
(٦) في « الطبقات الكبرى » (٢/ ١٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رأْيُ أَبِي بَـكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ في صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّـةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ ؛ قَالَ : كَانَ أَبُو بَـكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ : مَا كَانَ فَتْحٌ أَعْظَمَ فِي الإِسْلاَمِ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ قَصُرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ورَبِّهِ وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ ، وَاللهُ لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ ؛ حَتَّى يُبْلِغَ الأُمُورَ مَا أَرَادَ . لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَىَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَائِماً عِنْدَ الْمَنْحَرِ[١] يُقَرِّبُ إِلَىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بُدْنَهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ نَحَرَهَا بِيَدِهِ ، وَدَعَا الْحَلاَّقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ؛ وَأَنْظُرُ إِلَىَ سُهَيْلٍ يَلْتَقِطُ مِنْ شَعْرِهِ ﷺ وَأَرَاهُ يَضَعُهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَأَذْكُرُ إِبَاءَهُ[٢] أَنْ يُقِرَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِأَنْ يَـكْتُبَ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَيَأْبَى أَنْ يُكْتَبَ : مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ ﷺ ، فَحَمِدْتُّ اللهَ الَّذِي هَدَاهُ لِلإِسْلاَمِ[٣] !

قِصَّةُ إِسْلاَمِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٤] عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا انْصَرَفْنَا يَوْمَ الأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالاً مِّنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي ، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَّعْلُو الأُمُورَ عُلُوًّا مُّنْكَراً ! وَإِنِّي لَقَدْ رَأَيْتُ أَمْراً فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا : وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَّلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ ، فَنَكُونَ عِنْدَهُ ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا ؛ كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ ، فَإِنَّا أَنْ نَّكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَّكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ؛ وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا ؛ فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا ، فَلَنْ يَّأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ .

(١) موضع نحر الهدي وغيره في منى .
(٢) أي : امتناعه .
(٣) كذا في « كنز العمال » (٥/ ٢٨٦) .
(٤) سيرة ابن هشام : (٢/ ٢٧٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالُوا : إِنَّ هَذَا لَرَأْيٌ . قُلْتُ : فَاجْمَعُوا لَنَا مَا نُهْدِي لَهُ ، فَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمُ[١] ، فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَماً كَثِيراً ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ . فَوَاللهِ ! إِنَّا لَعِنْدَهُ ؛ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، الضَّمْرِيُّ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ ، وأَصْحَابِهِ . قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ : فَقُلْتُ لأَصْحَابِي : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَعْطَانِيهِ ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، فَإِذَا فَعَلْتُ ؛ رَأَتْ قُرَيْشٌ : أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا[٢] حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ . فَقَالَ : مَرْحَباً بِصَدِيقِي ! هَلْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلاَدِكَ شَيْئاً ؟ قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ! قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أَدَماً كَثِيرًا . قَالَ : ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ ، فَأَعْجَبَهُ ، وَاشْتَهَاهُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَّنَا ، فَأَعْطِنِيهِ لأَقْتُلَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا ، وَخِيَارِنَا ! قَالَ : فَغَضِبَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ ، فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ : أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ ، فَلَوِ انْشَقَّتِ الأَرْضُ ؛ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقاً[٣] . ثُمَّ قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ : أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ ! قَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ[٤] الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ، فَتَقْتُلَهُ ؟! قَالَ قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَكَذَاكَ هُوَ ؟ قَالَ : وَيْحَكَ ! يَا عَمْرُو ! أَطِعْنِي ، وَاتَّبِعْهُ ؛ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحقِّ ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ . قَالَ : قُلْتُ : أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ .

(١) أي : الجِلْدُ .
(٢) أي : كفيتُ عنها في أخذ الثَّأر من محمد ﷺ .
(٣) أي : خوفاً .
(٤) أي : جبريل عليه السلام .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ خَرَجْتُ عَلَى أَصْحَابِي ؛ وَقَدْ حَالَ[١] رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلاَمِي . ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأُسْلِمَ ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ ؛ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِّنْ مَّكَّةَ . فَقُلْتُ : أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟! فَقَالَ : وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ الْمِيسَمُ[٢] ! وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ ! فَحَتَّى مَتَى ؟! قَالَ : قُلْتُ : وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لأُسْلِمَ . قَالَ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَأَسْلَمَ ، وَبَايَعَ ، ثُمَّ دَنَوْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي ، وَلاَ أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَمْرُو ! بَايِعْ فَإِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ[٣] مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا » . قَالَ : فَبَايَعْتُهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ[٤] .

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ[٥] مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ بِأَبْسَطَ مِنْهُ ، وَأَحْسَنَ . وَفِي حَدِيثِهِ : ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَّةِ[٦] ؛ فَإِذَا رَجُلاَنِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يُرِيدَانِ مَنْزِلاً ، وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي الْخَيْمَةِ ، وَالآخَرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ . قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ . قَالَ قُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : مُحَمَّدًا ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلاَمِ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمٌ[٧] ، وَاللهِ ! لَوْ أَقَمْتُ ؛ لأُخِذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا . قُلْتُ : وَأَنَا وَاللهِ ! قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّداً ، وَأَرَدْتُ الإِسْلاَمَ .

(١) أي : تحوَّل ، وتغيَّر .
(٢) الحديدة التي تُوسَم بها الإبل والمعنى : إنَّ هذا الأمر قد صحَّ ونجح .
(٣) أي : يهدم .
(٤) كذا في « البداية والنهاية » (٤/ ١٤٢) . وأخرجه أيضاً أحمد في المسند (٤/ ١٩٨) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٦) .
(٦) موضعٌ بين مكَّة ، والطَّائف .
(٧) أي : عقلٌ وجزمٌ ، أي أنَّ الرجال العقلاء قد أسلموا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ـ رضي الله عنه ـ فَرَحَّبَ بِي ، فَنَزَلْنَا جَمِيعاً فِي الْمَنْزِلِ. ثُمَّ اتَّفَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لَّقِينَاهُ بِبِئْرِ أَبِي عُتْبَةَ يَصِيحُ : يَا رَبَاحُ ! يَا رَبَاحُ ! يَا رَبَاحُ ! فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ وَسِرْنَا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ : قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ[١] بَعْدَ هَذَيْنِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ سَرِيعاً. فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِنَا ، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ. وَأَنَخْنَا[٢] بِالْحَرَّةِ[٣] فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا ، ثُمَّ نُودِيَ بِالْعَصْرِ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلاً ؛ وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلاَمِنَا ،

فتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَبَايَعَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَبَايَعَ ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ فَوَاللهِ ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي حَيَاءً مِّنْهُ. قَالَ : فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي ، وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ : « إِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَالْهِجْرَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا » . قَالَ : فَوَاللهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِّنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرٍ حَزَبَهُ[٤] مُنْذُ أَسْلَمْنَا[٥] !

قِصَّةُ إِسْلاَمِ خَالِـدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[٦] عَنْ خَالِدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي

(١) أي : أعطتْ القيادةَ للمسلمين .
(٢) أي : أبركنا جمالنا .
(٣) أرض ذات حجارة سود .
(٤) حَزَبه : أي : أهمَّه .
(٥) كذا في « البداية والنهاية » (٤/ ٢٣٧) .
(٦) في مغازيه : (٢/ ٧٤٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَا أَرَادَ مِنَ الْخَيْرِ قَذَفَ[١] فِي قَلْبِيَ الإِسْلاَمَ ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي ، فَقُلْتُ : قَدْ شَهِدْتُّ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَيْسَ فِي مَوْطِنٍ أَشْهَدُهُ إِلاَّ أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مُوضِعٌ فِي غَيْرِ شَيءٍ[٢]، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ .

فلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ خَرَجْتُ فِي خَيْلٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَقِيتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ ، وَتَعَرَّضْتُ لَهُ. فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا ، فَهَمَمْنَا أَنْ نُّغِيرَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يُعْزَمْ لَنَا ـ وَكَانَتْ فِيهِ خِيرَةٌ ـ فَاطَّلَعَ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الْهَمِّ بِهِ. فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الْعَصْرِ : صَلاَةَ الْخَوْفِ. فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنَّا مَوْقِعاً ، وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مَمْنُوعٌ ، فَاعْتَزَلَنَا ، وَعَدَلَ عَنْ سَيْرِ خَيْلِنَا ، وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ .

فلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشاً بِالْحُدَيْبِيَّةِ ، وَدَافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بِالرَّاحِ[٣] ؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيءٍ بَقِيَ ؟ أَيْنَ أَذْهَبُ إِلىٰ النَّجَاشِيِّ ! فَقَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّداً ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ آمِنُونَ ؛ فَأَخْرُجُ إِلىَ هِرَقْلَ ، فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إِلىَ نَصْرَانِيَّةٍ ، أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَأُقِيمُ فِي عَجَمٍ ، فَأُقِيمُ فِي دَارِي بِمَنْ بَقِيَ. فَأَنَا فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ[٤] الْقَضِيَّةِ[٥] فَتَغَيَّبْتُ ، وَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَّخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، فَطَلَبَنِي ، فَلَمْ يَجِدْنِي ، فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَاباً ، فَإِذَا فِيهِ :

---

(١) قَذَف : أي : أَوْقَع .
(٢) أي : أني عاملٌ في غير فائدةٍ .
(٣) وهذا مثلٌ يُضرَب في المنع ، تقول : دافعتُه بالرَّاح ، فاندفع .
(٤) هي العمرة التي كانت بعد الحُديبية .
(٥) القَضية : هي الحديبية .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلاَمِ ؛ وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ[١] ! وَمِثْلُ الإِسْلاَمِ جَهِلَهُ أَحَدٌ ؟ وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْكَ ، وَقَالَ : أَيْنَ خَالِدٌ ؟ فَقُلْتُ : يَأْتِي اللهُ بِهِ . فَقَالَ : مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلاَمَ ! وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ[٢] وَجِدَّهُ[٣] مَعَ الْمُسْلِمِينَ ؛ كَانَ خَيْرًا لَّهُ ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ ! فَاسْتَدْرِكْ يا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ مِنْ مَوَاطِنَ صَالِحَةٍ ! » .

قَالَ : فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ ، نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الإِسْلاَمِ ، وَسَرَّنِي سُؤَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِّي ، وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلاَدٍ ضَيِّقَةٍ مُّجْدِبَةٍ[٤] فَخَرَجْتُ فِي بِلاَدٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَرُؤيَا .

فلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ؛ قُلْتُ : لأَذْكُرَنَّهَا لأَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ : مَخْرَجُكَ الَّذِي هَدَاكَ اللهُ لِلإِسْلاَمِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ .

قالَ : فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلى رَسُولِ الله ﷺ قُلْتُ مَنْ أُصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ ! أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ إِنَّمَا نَحْنُ كَأَضْرَاسٍ[٥] ، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَّاتَّبَعْنَاهُ ! فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَّنَا شَرَفٌ ! فَأَبَى أَشَدَّ الإِبَاءِ ، فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي ؛ مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا ! فَافْتَرَقْنَا ، وَقُلْتُ هَذَا رَجُلٌ

(١) يريد : إنَّ عقلك كبيرٌ .
(٢) نكى في العدوِّ : قتل فيهم وجرحه .
(٣) جِدَّه : أي جُهده .
(٤) مُصابة بالجنة والقحط .
(٥) أي : قِلَّة ، يُضرب بالأضراس لقلَّتها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قُتِلَ أَخُوهُ ، وَأَبُوهُ بِبَدْرٍ . فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ . قُلْتُ : فَاكْتُمْ عَلَيَّ ! قَالَ : لَا أَذْكُرُهُ ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي ، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى أَنْ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ . فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي صَدِيقٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَرْجُو . ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُذَكِّرَهُ . ثُمَّ قُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ ؟ وَأَنَا رَاحِلٌ مِّنْ سَاعَتِي . فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الأَمرُ إِلَيْهَ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ لَّوْ صُبَّ فِيهِ ذَنُوبٌ[١] مِنْ مَاءٍ ؛ لَخَرَجَ ، وَقُلْتُ لَهُ نَحْواً مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبَيَّ ، فَأَسْرَعَ الإِجَابَةَ . وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي غَدَوْتُ الْيَوْمَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَجِّ[٢] مُنَاخَةً . قَالَ : فَاتَّعَدْتُ[٣] أَنَا وَهُوَ يَأْجُجَ[٤] إِنْ سَبَقَنِي ؛ أَقَامَ ، وَإِنْ سَبَقْتُهُ ؛ أَقَمْتُ عَلَيْهِ .

قالَ : فَادَّلَجْنَا[٥] سَحَراً ، فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى الْتَقَيْنَا بِيَأْجُجَ . فَغَدَوْنَا ؛ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدَّةِ[٦] ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا . قَالَ : مَرْحَباً بِالْقَوْمِ ! فَقُلْنَا : وَبِكَ . فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ مَسِيرُكُمْ ؟ فَقُلْنَا : وَمَا أَخْرَجَكَ ؟ فَقَالَ : وَمَا أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدُّخُولُ فِي الإِسْلَامِ ، وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ . قَالَ : وَذَاكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي .

فاصْطَحَبْنَا جَمِيعاً ؛ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَأَنَخْنَا بِظَهْرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا . فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسُرَّ بِنَا . فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي ، ثُمَّ عَمَدْتُّ إِلَى

(١) الذنوب : أي : الدَّلْو .
(٢) وادٍ بمكَّة .
(٣) اتَّعد القومُ : وعد بعضُهم بعضاً .
(٤) موضع على ثمانية أميال بمكَّة .
(٥) أي : سرْنا من آخر الليل .
(٦) موضع بمكة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَقِيَنِي أَخِي ، فَقَالَ : أَسْرِعْ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ. فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عليْهِ بِالنُّبُوَّةِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ بِوَجْهٍ طَلِقٍ . فَقُلْتُ : إِنِّي أَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ : « تَعَالَ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلاً[١] رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا لِّلْحَقِّ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الإِسْلاَمُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ! عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : « اللَّهُـمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ[٢] فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ » . قَالَ خَالِدٌ : وَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ ، وَعَمْرٌو ـ رضي الله عنهما ـ فَبَايَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ . قَالَ : وَكَانَ قُدُومُنَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ ؛ قَالَ : وَاللهِ! مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْدِلُ بِي أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ[٣] .

---

(١) أي : عقلاً كبيراً .

(٢) يقال : أوضع البعير : أي : جعله يسرح في سيره ، أي : ما سار من مسيرٍ .

(٣) كذا في « البداية والنهاية » (١/ ٢٣٨) ، وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه مطوَّلاً ، كما في « كنز العمال » (٧/ ٣٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّـةُ فَتْـحِ مَكَّـةَ

خُرُوجُـهُ ﷺ لِفَتْـحِ مَكَّـةَ الْمُكَرَّمَـةِ وَنُزُولُـهُ بِمَـرِّ الظَّهْـرَانِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْغِفَارِيَّ ـ رضي الله عنه ـ وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَّمَضَانَ. فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكُدَيدِ[٢] ـ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ ـ أَفْطَرَ ، ثُمَّ مَضَى ؛ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ[٣] فِي عَشَـرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَلْفٍ مِنْ مُزَيْنَةَ ، وَسُلَيْمٍ ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ ، وسِلَاحٌ ، وَأَوْعَبَ[٤] مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، لمَ يَتَخَلَّفْ مِّنْهُمْ أَحَدٌ .

تَجَسُّسُ رُؤساء قُرَيْش الأَخْبَارَ :

فلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وَقَدْ عُمِّيَتِ[٥] الأَخْبَارُ عَلَى قُرَيشٍ ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَبَرٌ ، وَّلمَ يَدْرُوا مَا هُوَ فَاعِلٌ. خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ ، وَيَنْظُرُونَ : هَلْ يَجِدُونَ خَبَراً ، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ؟ وَقَدْ كَانَ

(١) في « المعجم الصغير » برقم : (١٢٩) .
(٢) يُعرف اليوم باسم « الحُمض » .
(٣) وادٍ فحل من أودية الحجاز .
(٤) أوعبوا : أي : خرجوا جميعهم .
(٥) عُمِّيَتْ : أي : أُخْفِيَتْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ رضي الله عنه ـ تَلَقَّى رَسُولَ الله ﷺ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ . فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ! ابْنُ عَمِّكَ ، وَابْنُ عَمَّتِكَ ، وَصِهْرُكَ . قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا . أَمَّا ابْنُ عَمِّي ؛ فَهَتَكَ عِرْضِي بِمَكَّةَ ، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي ، وَصِهْرِي[1] فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ » .

فَلَمَّا خُرِجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ؛ وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ ، فَقَالَ : وَاللهِ ! لَتَأْذَنَنَّ لِي ، أَوْ لآخُذَنَّ بِيَدَيْ بُنَيِّي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ بِالأَرْضِ ؛ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشاً وجُوعاً . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا ، فَدَخَلاَ ، فَأَسْلَمَا .

تَرْغِيْبُ العَبَّاسِ قُرَيْشَاً أَنْ يَسْتَأمِنُوهُ ﷺ :

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ؛ قَالَ الْعَبَّاسُ : وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ[2] ! واللهِ ! لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَّسْتَأْمِنُوهُ ، إِنَّهُ لَهَلاَكُ قُرَيْشٍ آخِرَ الدَّهْرِ . قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ . فَقُلْتُ لَعَلِّي : أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يأْتِي مَكَّةَ ، فَيُخْبِرَهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَنْوَةً .

خَبَرُ أَبِي سُفْيَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ ، وَعُمَرَ ، رضي الله عنهما :

قَالَ : فَوَاللهِ ! إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا ، وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ ؛ إِذْ سَمِعْتُ

(١) هو عبد الله بن أبي أمية .
(٢) يقال عند الإنذار بالغارة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

كَلاَمَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ[١] وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَاناً ، ولاَ عَسْكَرًا . قَالَ : يَقُولُ بُدَيلٌ : هَذِهِ وَاللهِ ! نِيرَانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْهَا[٢] الْحَرْبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُزَاعَةُ وَاللهِ أَذَلُّ ، وَأَلأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا ، وَعَسْكَرَهَا ! قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ ! فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! فَقُلْتُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ ، وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ واللهِ ! قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟! قَالَ قُلْتُ : لَئِنْ ظُفِرَ بِكَ لَيُضْرَبَنَّ عُنُقُكَ . فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ ؛ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ .

قالَ : فَرَكِبَ خَلْفِي ، وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ ، وَحَرَّكْتُ بِهِ . فَكُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِّنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ ؛ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ ؛ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ، وَقَامَ إِلَيَّ . فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ[٣] ؛ قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ ! الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمْكَنَ اللهُ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ ولاَ عَهْدٍ[٤] . ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ[٥] . فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ، ولاَ عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ ! فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ !

(١) أي : يراجع كلٌّ منهما الآخر في القول .
(٢) أي : أحرقتها .
(٣) أي : مؤخرها .
(٤) أي : بغير أمانٍ .
(٥) أي : نزلتُ ووثبتُ عنها بغير رويةٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِنِّي أَجَرْتُهُ ! ثُمَّ جَلَسْتُ إِلىَ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ : لَا وَاللهِ ! لَا يُنَاجِيهِ[١] اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي .

قالَ : فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ ؛ قُلْتُ : مَهْلاً يَا عُمَرُ ! أَمَا وَاللهِ ! أَنْ لَّوْ كَانَ مِنْ رِّجَالِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَّا قُلْتَ هَذَا ، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ : أَنَّهُ مِنْ رِّجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ . فَقَالَ : مَهْلاً يا عَبَّاسُ ! وَاللهِ ! لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِ أَبِي لَوْ أَسْلَمَ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ : أَنَّ إِسْلاَمَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلىَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اذْهَبْ بِهِ إِلىَ رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ ! فَإِذَا أَصْبَحْتَ ؛ فَائْتِنِي بِهِ » ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلىَ رَحْلِي ، فَبَاتَ عِنْدِي . فَلَمَّا أَصْبَحَ ؛ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

شَهَادَةُ أَبِي سُفْيَانَ بِكَمَالِ خُلُقِهِ ﷺ وَدُخُولُهُ فِي الإِسْلاَمِ :

فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ[٢] لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ » .

قالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! مَا أَكْرَمَكَ ، وَأَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَّوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرٌ لَّقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئاً .

قالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ : أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟! » .

قالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، هَذِهِ وَاللهِ كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الآنَ .

قالَ الْعَبَّاسُ ـ رضي الله عنه ـ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَسْلِمْ ، وَاشْهَدْ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَّسُولُ اللهِ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُكَ . قَالَ : فَشَهِدَ

(١) أي : لا يسارُّه .
(٢) أي : لم يحِنْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَأَسْلَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ ، فَاجْعَلْ لَّهُ شَيْئاً. قَالَ : « نَعَمْ ! مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ » .

فلَمَّا ذَهَبَ أَبُوْ سُفْيَانَ لِيَنْصَرِفَ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَبَّاسُ ! احْبِسْهُ بِالْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ؛ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ، فَيَرَاهَا » . قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ[1] الْوَادِي ؛ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ .

قالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، فَكُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ ؛ قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ ؟! فَأَقُولُ : بَنُو سُلَيْمٍ . فَيَقُولُ : مَا لِي وَلِسُلَيْمٍ ؟ قَالَ ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : مُزَيْنَةُ. فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ ؟ حَتَّى نَفَذَتِ الْقَبَائِلُ ـ يَعْنِي : جَاوَزَتْ ـ لَا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلَّا قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ: بَنُو فُلَانٍ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِبَنِي فُلَانٍ؟ حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْخَضْرَاءِ[2]، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ ، وَالأَنْصَارُ ، لَا يُرَى مِنْهُمْ سِوَى الْحَدَقِ[3]، قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ! مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ ! قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ. قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ ، ولَا طَاقَةٌ وَاللهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ! لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيماً. قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ ! إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ: فَنَعَمْ إِذًا. قُلْتُ: الْتَجِىءْ إِلىٰ قَوْمِكَ .

قالَ: فَخَرَجَ؛ حَتَّى جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا قُرَيْشُ! هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ. فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ ؛ فَهُوَ آمِنٌ. فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسِمَ الأَحْمَسَ[4]

(١) أي : ما ضاق منه .
(٢) يعني : كتيبته الخضراء .
(٣) جمع (الحدقة) ، هي : السَّواد المستدير وسط العين .
(٤) أي : الأسود الدنيء .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَبِئْسَ طَلِيعَةُ[١] قَوْمٍ. قَالَ : وَيْحَكُمْ ! لَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ. قَالُوا: وَيْحَكَ ! وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَىٰ دُورِهِمْ ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ .

صِفَةُ دُخُولِهِ ﷺ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ :

وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً الْبَيْهَقِيُّ[٢] بِطُولِهِ مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رضي الله عنهما ، فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ ، وَفِي سِيَاقِهِ :

ثمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ بَعْدَ مَا خَرَجَ : « احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي إِلَىٰ خَطْمِ الْجَبَلِ ؛ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا » . قَالَ الْعَبَّاسُ: فَعَدَلْتُ بِهِ[٣] فِي مَضِيقِ الْوَادِي إِلَىٰ خَطْمِ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا حَبَسْتُ أَبَا سُفْيَانَ ؛ قَالَ: غَدْراً يا بَنِي هَاشِمٍ ؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِنَّ أَهْلَ النُّبُوَّةِ لَا يَغْدِرُونَ ، وَلَكِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَهَلَّا بَدَأْتَ بِهَا أَوَّلًا ؟! فَقُلْتَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَكَانَ أَفْرَغَ لِرُوعِي[٤] . قَالَ الْعَبَّاسُ : لَمْ أَكُنْ أُرَاكَ تَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ[٥] !

وعَبَّأَ[٦] رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ ، وَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى قَادَتِهَا ، وَالْكَتَائِبُ عَلَى رَايَاتِهَا. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي بَنِي

(١) الطليعة : الحارس .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣٢ ـ ٣٥) .
(٣) أي : ملتُ به يعني فخرجتُ به .
(٤) الرُّوع : القلب والعقل ، والمعنى : ليذهب فزعك وخوفك ، فإن الأمر ليس على ما تحاذر (انظر « النهاية » ٣/ ٤٢٥) .
(٥) يعني : تتوهم هذا التوهُّم .
(٦) أي : رَتَّبَ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

سُلَيْم ، وَهُمْ أَلْفٌ فِيهِمْ لِوَاءٌ يَحْمِلُهُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ ، وَلِوَاءٌ يَحْمِلُهُ خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ ، وَرَايَةٌ يَحْمِلُهَا الْحَجَّاجُ بْنُ عِلاَطٍ .

قالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ الْعَبَّاسُ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. قَالَ: الْغُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فلَمَّا حَاذَى[1] خَالِدٌ الْعَبَّاسَ ، وَإِلَى جَنْبِهِ أَبُو سُفْيَانَ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً ، ثُمَّ مَضَوْا ، ثُمَّ مَرَّ عَلَى إِثْرِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي خَمْسِمِئَةٍ ، مِنْهُمْ مُهَاجِرُونَ ، وَأَفْنَاءُ النَّاسِ وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ .

فلَمَّا حَاذَى الزُّبَيْرُ أَبَا سُفْيَانَ ؛ كَبَّرَ ثَلاَثاً ، وكَبَّرَ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ . قَالَ : ابْنُ أُخْتِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

ومَرَّتْ نَفَرٌ مِّنْ غِفَارٍ فِي ثَلاَثِمِئَةٍ يَّحْمِلُ رَايَتَهُمْ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ ، وَيُقَالُ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ ، فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً. قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: بَنُو غِفَارٍ. قَالَ وَمَا لِي وَلِبَنِي غِفَارٍ .

ثمَّ مَضَتْ أَسْلَمُ فِي أَرْبَعِمِئَةٍ فِيهَا لِوَاءَانِ: يَحْمِلُ أَحَدَهُمَا بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ ، وَالآخَرَ نَاجِيَةُ بْنُ الأَعْجَمِ؛ فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً . فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: أَسْلَمُ. قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ: مَا لِي وَلأَسْلَمَ. مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا تِرَةٌ[2] قَطُّ . قَالَ الْعَبَّاسُ : هُمْ قَوْمٌ مُّسْلِمُونَ دَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ .

ثمَّ مَرَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو فِي خَمْسِمِئَةٍ يَحْمِلُ رَايَتَهُمْ بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ . قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : بَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو. قَالَ: نَعَمْ ، هَؤُلَاءِ حُلَفَاءُ مُحَمَّدٍ؛ فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً .

ثمَّ مَرَّتْ مُزَيْنَةُ فِي أَلْفٍ فِيهَا ثَلاَثَةُ أَلْوِيَةٍ ، وفِيهَا مِئَةُ فَرَسٍ يَحْمِلُ أَلْوِيَتَهَا

(١) أي : صار بحذائه .

(٢) التِّرَة : الثَّأر ، يريد لم يكن بيننا وبينهم ثأر ، وعداوة تؤدي إلى التبعة والحسرة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ ، وَبِلاَلُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ؛ فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا . فَقَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ : مُزَيْنَةُ ، قَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ! مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ قَدْ جَاءَتْنِي تُقَعْقِعُ[١] مِنْ شَوَاهِقِهَا[٢] .

ثمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ فِي ثَمَانِمِئَةٍ مَّعَ قَادَتِهَا فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلْوِيَةٍ : لِوَاءٌ مَعَ أَبِي رَوْعَةَ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ ، وَلِوَاءٌ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ صَخْرٍ ، وَلِوَاءٌ مَعَ رَافِعِ بْنِ مَكِيثٍ ، وَلِوَاءٌ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَدْرٍ ؛ فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً .

ثمَّ مَرَّتْ كِنَانَةُ : بَنُو لَيْثٍ وَّضَمْرَةَ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فِي مِئَتَيْنِ يَحْمِلُ لِوَاءَهُمْ أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ ؛ فَلَمَّا حَاذَوْهُ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً . فَقَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ : بَنُو بَكْرٍ . قَالَ : نَعَمْ ، أَهْلُ شُؤْمٍ وَاللهِ ! هَؤُلاَءِ الَّذِينَ غَزَانَا مُحَمَّدٌ بِسَبَبِهِمْ ، أَمَا وَاللهِ ! مَا شُوورْتُ فِيهِ ، وَلاَ عَلِمْتُهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ لَهُ كَارِهاً حَيْثُ بَلَغَنِي ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ حُمَّ[٣] ! قَالَ الْعَبَّاسُ : قَدْ خَارَ اللهُ لَكَ[٤] فِي غَزْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكُمْ ، وَدَخَلْتُمْ فِي الإِسْلاَمِ كَافَّةً .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ حِمَاسٍ ؛ قَالَ : مَرَّتْ بَنُو لَيْثٍ وَحْدَهَا ، وَهُمْ مِئَتَانِ وَخَمْسُونَ ، يَحْمِلُ لِوَاءَهَا الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ ؛ فَلَمَّا مَرَّ ؛ كَبَّرُوا ثَلاَثاً . فَقَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ : بَنُو لَيْثٍ .

ثمَّ مَرَّتْ أَشْجَعُ ، وَهُمْ آخِرُ مَنْ مَرَّ ، وَهُمْ فِي ثَلاَثِمِئَةٍ مَّعَهُمْ لِوَاءٌ يَحْمِلُهُ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ ، وَلِوَاءٌ مَّعَ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : هَؤُلاَءِ كَانُوا أَشَدَّ الْعَرَبِ عَلَى مُحَمَّدٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : أَدْخَلَ اللهُ الإِسْلاَمَ قُلُوبَهُمْ ، فَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ . فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا مَضَى بَعْدُ مُحَمَّدٌ ؟! قَالَ الْعَبَّاسُ : لِمَ

(١) يعني : تحدث صوتاً عند التحريك ، أو التحرُّك .
(٢) الشَّواهق : جمع (الشاهق) هو المرتفع من الجبل .
(٣) هُمَّ : أي : قُدِّرَ .
(٤) أي : جعل الله لك الخيرَ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَمْضِ بَعْدُ. لَوْ رَأَيْتَ الْكَتِيبَةَ الَّتِي فِيهَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَأَيْتَ الْحَدِيدَ ، وَالْخَيْلَ ، وَالرِّجَالَ ، وَمَا لَيْسَ لأَحَدٍ بِهِ طَاقَةٌ. قَالَ: أَظُنُّ وَاللهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ! وَمَنْ لَّهُ بِهَؤُلَاءِ طَاقَةٌ .

فلَمَّا طَلَعَتْ كَتِيبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَضْرَاءُ[١] ؛ طَلَعَ سَوَادٌ ، وغَبَرَةٌ[٢] مِنْ سَنَابِكِ[٣] الْخَيْلِ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا مَرَّ مُحَمَّدٌ؟ فَيَقُولُ الْعَبَّاسُ: لَا ، حَتَّى مَرَّ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وأُسَيْدِ ابْنِ حُضَيْرٍ ؛ وهُوَ يُحَدِّثُهُمَا. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ ، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ ، وَالأَنْصَارُ ، فِيهَا الرَّايَاتُ ، وَالأَلْوِيَةُ ، مَعَ كُلِّ بَطْنٍ مِنَ الأَنْصَارِ رَايَةٌ ولِوَاءٌ فِي الْحَدِيدِ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ ، وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِيهَا زَجَلٌ[٤] وعَلَيْهِ الْحَدِيدُ بِصَوْتٍ عَالٍ ؛ وهُوَ يَزَعُهَا[٥] . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ ! مَنْ هَذَا الْمُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ بَنِي عَدِيٍّ بَعْدَ ـ وَاللهِ ! ـ قِلَّةٍ وَّذِلَّةٍ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ ! إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ مَنْ يَّشَاءُ بِمَا يَشَاءُ ، وَإِنَّ عُمَرَ مِمَّنْ رَّفَعَهُ الإِسْلَامُ. وَقَالَ: فِي الْكَتِيبَةِ أَلْفَا دِرْعٍ. وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَايَتَهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَهُوَ أَمَامَ الْكَتِيبَةِ .

فلَمَّا مَرَّ سَعْدٌ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ ! الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ[٦]، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللهُ قُرَيْشاً ! فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا حَاذَى أَبَا سُفْيَانَ ؛ نَادَاهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَمَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ ؟ زَعَمَ سَعْدٌ ،

(١) غلب عليها لبسُ الحديد ، شُبِّه سواده بالخضرة .
(٢) أي : غُبار .
(٣) جمع (السُّنْبُك) وهو : طرف الحافر .
(٤) الزّجل : الصوت الرفيع العالي .
(٥) أي : يرتبهم ، ويسويهم ، ويصفهم للحرب .
(٦) أي : يومُ حربٍ ، والمراد المقتلة العظمى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ومَنْ مَعَهُ حِينَ مَرَّ بِنَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ ! الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللهُ قُرَيْشاً ! وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ فِي قَوْمِكَ ، فَأَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ !

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : يَا رَسُولَ اللهِ! مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَّكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ[١] . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا أَبَا سُفْيَانَ ! الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ[٢] ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشاً» . قَالَ : وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ ، فَعَزَلَهُ ، وَجَعَلَ اللِّوَاءَ إِلَى قَيْسٍ . وَرَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَنَّ اللِّوَاءَ لَمَ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ . فَأَبَى سَعْدٌ أَنْ يُّسَلِّمَ اللِّوَاءَ إِلَّا بِالأَمَارَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ . فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ بِعِمَامَتِهِ ، فَعَرَفَهَا سَعْدٌ ، فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنْ أَبِي لَيْلَى ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي الأَرَاكِ ، فَدَخَلْنَا ، فَأَخَذْنَاهُ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَحْوُونَهُ[٤] بِجُفُونِ سُيُوفِهِمْ ؛ حَتَّى جَاؤُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! قَدْ جِئْتُكُمْ بِالدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ ، فَأَسْلِمُوا ؛ تَسْلَمُوا » ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ لَهُ صَدِيقاً . فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاس ـ رضي الله عنه ـ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ يُحِبُّ الصَّوْتَ[٥] . فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِياً يُّنَادِي بِمَكَّةَ : « مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلاَحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » . ثُمَّ بَعَثَ مَعَهُ الْعَبَّاسَ ؛ حَتَّى جَلَسَا عَلَى عَقَبَةِ[٦]

(١) أي : السَّطْوة في الحرب .
(٢) أي : الرَّحمة .
(٣) في « المعجم الكبير » برقم : (٦٤١٩) .
(٤) أي : يحوطونه .
(٥) أي : الصِّيْت .
(٦) هو الحبل الطَّويل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الثَّنِيَّةِ[١] . فَأَقْبَلَتْ بَنُو سُلَيْم ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَذِهِ بنُو سُلَيْمٍ . فَقَالَ : وَمَا أَنَا وَسُلَيْمٌ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ فِي الْمُهَاجِرِينَ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ . ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الأَنْصَارِ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْمَوْتُ الأَحْمَرُ ، ذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الأَنْصَارِ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَقَدْ رَأَيْتُ مُلْكَ كِسْرَى ، وَقَيْصَرَ ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ مُلْكِ ابْنِ أَخِيكَ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّمَا هِيَ النُّبُوَّةُ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ عُرْوَةَ ـ رحمه الله ـ مُرْسَلاً ؛ قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ ، وَأَسْلَمَ ، وَغِفَارٍ ، وجُهَيْنَةَ ، وَبَنِي سُلَيْمٍ ، وَقَادُوا الْخُيُولَ حَتَّى نَزَلُوا بمَرِّ الظَّهْرَانِ ، وَلَمْ تَعْلَمْ بِهِمْ قُرَيْشٌ ، وَبَعَثُوا بِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، وأَبِي سُفْيَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا : خُذْ لَنَا مِنْهُ جِوَاراً أَوْ آذِنُوهُ بِالْحَرْبِ . فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ فَلَقِيَا بُدَيلَ بْنَ وَرْقَاءَ ، فَاسْتَصْحَبَاهُ ؛ حتَّىٰ إِذَا كَانَا بِالأَرَاكِ مِنْ مَّكَّةَ ، وَذَلِكَ عِشَاءً ؛ رَأَوُا الْفَسَاطِيطَ[٣] ، وَالْعَسْكَرَ ، وَسَمِعُوا صَهِيلَ الْخَيْلِ ، فَرَاعَهُمْ[٤] ذَلِكَ ، وَفَزِعُوا مِنْهُ ، وَقَالُوا : هَؤُلَاءِ بَنُو كَعْبٍ هَاشَتْهَا[٥] الْحَرْبُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : هَؤُلَاءِ أَكْبَرُ مِنْ بَنِي كَعْبٍ ما بَلَغَ تَأْلِيبُهَا[٦] هَذَا أَفَتَنْتَجِعُ[٧] هَوَازِنُ أَرْضَنَا ؟ وَاللهِ ! مَا نَعْرِفُ هَذَا أَيْضاً ، إِنَّ هَذَا لَمِثْلُ

(١) طريق العقبة .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم : (٧٢٦٣) .
(٣) جمع (الفسطاط) وهو : نوعٌ من الأبنية في السَّفر .
(٤) أي : أفزعهم .
(٥) أي : أفسدتها .
(٦) أي : جمعها .
(٧) أي : أفتتطلب الكلأ ، ومساقط الغيث ، يعني أتغتصبها ؟ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حَاجِّ النَّاسِ[١] . وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلاً تَقْبِضُ الْعُيُونَ[٢] ، وَخُزَاعَةُ عَلَى الطَّرِيقِ لَا يَتْرُكُونَ أَحَدًا يَمْضِي .

فلَمَّا دَخَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ أَخَذَتْهُمُ الْخَيْلُ تحتَ اللَّيْلِ ، وَأَتَوْا بِهِمْ خَائِفِينَ الْقَتْلَ . فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ إلى أَبِي سُفْيَانَ فَوَجَأَ[٣] فِي عُنُقِهِ ، وَالْتَزَمَهُ الْقَوْمُ ، وَخَرَجُوا بِهِ لِيُدْخِلُوهُ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَافَ الْقَتْلَ ـ وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ رضي الله عنه ـ خَالِصَةً لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[٤] ـ فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَلَّا تَأَمَّرُوا لِي إِلىٰ عَبَّاسٍ ؟ فَأَتَاهُ عَبَّاسٌ ، فَدَفَعَ عَنْهُ ، وَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَمَشَى فِي الْقَوْمِ مَكَانُهُ ، فَرَكِبَ بِهِ عَبَّاسٌ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَسَارَ بِهِ فِي عَسْكَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَبْصَرُوهُ أَجْمَعُ ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَدْ قَالَ لأَبِي سُفْيَانَ حِينَ وَجَأَ عُنُقَهُ : وَاللهِ لَا تَدْنُو مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمُوتَ ! فَاسْتَغَاثَ بِعَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي مَقْتُولٌ فَمَنَعَهُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْتَهِبُوه[٥] . فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ النَّاسِ وَطَاعَتَهُمْ ؛ قَالَ : لَمْ أَرَ كَاللَّيْلَةِ جَمْعاً لِّقَوْمٍ . فَخَلَّصَهُ الْعَبَّاسُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَقَالَ : إِنَّكَ مَقْتُولٌ إِنْ لم تُسْلِمْ ، وَتَشْهَدْ : أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ . فَجَعَلَ يُرِيدُ يَقُولُ الَّذِي يَأْمُرُهُ الْعَبَّاسُ ، فَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ فَبَاتَ مَعَ عَبَّاسٍ .

وأَمَّا حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فَدَخَلاَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَا وَجَعَلَ يَسْتَخْبِرُهُمَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ . فَلَمَّا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ ـ صَلاَةِ الصُّبْحِ ـ تَحَيَّنَ الْقَوْمُ . فَفَزِعَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ! مَاذَا تُرِيدُونَ ؟

(١) أي : أنه يشبه جموعَ الحجَّاج .
(٢) أي : تمسك الجواسيس .
(٣) أي : طَعَن .
(٤) أي : صديقاً حميماً له .
(٥) أي : يتناولونه في كلامهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ : هُمُ الْمُسْلِمُونَ يَتَيَسَّرُونَ[١] بِحُضُورِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فخَرَجَ بِهِ عَبَّاسٌ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ ؛ قَالَ : يَا عَبَّاسُ! أَمَا يَأْمُرُهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا فَعَلُوهُ؟ فَقَالَ عَبَّاسٌ : لَوْ نَهَاهُمْ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ؛ لأَطَاعُوهُ ! قَالَ[٢] : عَبَّاسُ[٣] ! فَكَلِّمْهُ فِي قَوْمِكَ هَلْ عِنْدَهُ مِنْ عَفْوٍ عَنْهُمْ ؟ فَأَتَى الْعَبَّاسُ بِأَبِي سُفْيَانَ ؛ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ عَبَّاسٌ : يا رَسُولَ اللهِ! هَذَا أَبُو سُفْيَانَ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي قَدِ اسْتَنْصَرْتُ إِلَهِي ، وَاسْتَنْصَرْتَ إِلَهَكَ ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا قَدْ ظَهَرْتَ عَلَيَّ ! فَلَوْ كَانَ إِلَهِي مُحِقّاً ، وَإِلَهُكَ مُبْطِلاً ، لَظَهَرْتُ عَلَيْكَ ! فَشَهِدَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ .

فقَالَ عَبَّاسٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي آتِي قَوْمَكَ ، فَأُنْذِرُهُمْ ما نَزَلَ ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ. فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ عَبَّاسٌ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! بَيِّنْ لِي مِنْ ذَلِكَ أَمَاناً يَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَقُولُ لَهُمْ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَوَضَعَ سِلاَحَهُ ؛ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ ؛ فَهُوَ آمِنٌ » .

فقَالَ عَبَّاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ عَمِّنَا، وَأَحَبَّ أَنْ يَّرْجِعَ مَعِيَ، فَلَوِ اخْتَصَصْتَهُ بِمَعْرُوفٍ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ؛ فَهُوَ آمِنٌ ». فَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَسْتَفْقِهُهُ[٤] ، وَدَارُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، وَكَفَّ يَدَهُ ؛ فَهُوَ آمِنٌ ، وَدَارُ حَكِيمٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ .

(١) أي : ينتشرون .
(٢) القائل هو : أبو سفيان .
(٣) أي : يا عبَّاس .
(٤) أي : يطلب منه الفهمَ لهذا الكلام .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَبَّاساً عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي كَانَ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ ـ رضي الله عنه ـ. فَانْطَلَقَ عَبَّاسٌ بِأَبِي سُفْيَانَ ؛ قَدْ أَرْدَفَهُ. فَلَمَّا سَارَ عَبَّاسٌ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي إِثْرِهِ ، فَقَالَ : أَدْرِكُوا عَبَّاساً ، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، وَحَدَّثَهُمْ بِالَّذِي خَافَ عَلَيْهِ ، فَأَدْرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ فَكَرِهَ عَبَّاسٌ الرُّجُوعَ ، وَقَالَ : أَيَرْهَبُ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ أَبُو سُفْيَانَ رَاغِباً فِي قِلَّةِ النَّاسِ ، فَيَكْفُرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ ؟ فَقَالَ : احْبِسْهُ ، فَحَبَسَهُ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَغَدْراً يَا بَنِي هَاشِمٍ ! فَقَالَ عَبَّاسٌ : إِنَّا لَسْنَا نَغْدِرُ ، وَلَكِنَّ لِي إِلَيْكَ بَعْضَ الْحَاجَةِ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؛ أَقْضِيهَا لَكَ ؟ قَالَ : تُفَادُهَا حِينَ يَقْدَمُ عَلَيْكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ .

فوَقَفَ عَبَّاسٌ بِالْمَضِيقِ دُونَ الأَرَاكِ مِنْ مَرٍّ[2] ؛ وقَدْ وَعَى أَبُو سُفْيَانَ مِنْهُ حَدِيثَهُ. ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَيْلَ بَعْضَهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ. وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَيْلَ شَطْرَيْنِ ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ ، وَرَدِفَهُ خَيْلٌ بِالْجَيْشِ مِنْ أَسْلَمَ ، وَغِفَارٍ ، وقُضَاعَةَ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا يَا عَبَّاسُ؟ قَالَ: لَا ، وَلَكِنْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ. فَقَالَ: «الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ».

ثمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَتِيبَةِ الإِيمَانِ: الْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ وُجُوهاً كَثِيرَةً لا يَعْرِفُهَا ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ! أَكْثَرْتَ ـ أَوِ اخْتَرْتَ ـ هَذِهِ الْوُجُوهَ عَلَى قَوْمِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، وَقَوْمُكُ ، إِنَّ هَؤُلاَءِ صَدَّقُونِي إِذْ كَذَّبْتُمُونِي ، وَنَصَرُونِي إِذْ أَخْرَجْتُمُونِي »، ومَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ،

(١) أي : يخاف .
(٢) هو مَرُّ الظهران .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ ، رضي الله عنهم ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ يَا عَبَّاسُ ! قَالَ : هَذِهِ كَتِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ هَذِهِ الْمَوْتُ الأَحْمَرُ ، هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ ، وَالأَنْصَارُ . قَالَ : امْضِ يَا عَبَّاسُ ! فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ جُنُودًا قَطُّ ، وَلَا جَمَاعَةً ! فَسَارَ الزُّبَيْرُ فِي النَّاسِ ؛ حَتَّى وَقَفَ بِالْحَجُونِ[١] ، وَانْدَفَعَ خَالِدٌ حَتَّى دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَلَقِيَهُ أَوْبَاشُ[٢] بَنِي بَكْرٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ـ فَهَزَمَهُمُ اللهُ عز وجل ـ وَقُتِلُوا بِالْحَزْوَرَةِ[٣] حَتَّى دَخَلُوا الدُّورَ ، وَارْتَفَعَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ عَلَى الْخَيْلِ عَلَى الْخَنْدَمَةِ[٤] وَاتَّبَعَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ ، وَنَادَى مُنَادٍ : مَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَنَادَى أَبُو سُفْيَانَ بِمَكَّةَ : أَسْلِمُوا ؛ تَسْلَمُوا ، وَكَفَّهُمُ اللهُ عز وجل عَنْ عَبَّاسٍ . وَأَقْبَلَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِلِحْيَةِ أَبِي سُفْيَانَ ، ثُمَّ نَادَتْ : يَا آلَ غَالِبٍ ! اقْتُلُوا هَذَا الشَّيْخَ الأَحْمَقَ . قَالَ : فَأَرْسِلِي لِحْيَتِي فَأُقْسِمُ بِاللهِ ! إِنْ أَنْتِ لَمْ تُسْلِمِي لَتُضْرَبَنَّ عُنُقُكِ . وَيْلَكِ ! جَاءَ بِالْحَقِّ ، فَادْخُلِي أَرِيكَتِكِ ـ أَحْسَبُهُ قَالَ ـ : وَاسْكُتِي .

إِسْلَامُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ وَشَهَادَتُهُ بِدَمَاثَةِ أَخْلَاقِهِ ﷺ :

وَأَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[٥] عَنْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ وَظَهَرَ ؛ اقْتَحَمْتُ بَيْتِي[٦] ، وَأَغْلَقْتُ عَلَيَّ بَابِي ، وَأَرْسَلْتُ ابْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ سُهَيْلٍ أَنِ اطْلُبْ لِي جِوَارًا مِّنْ مُّحَمَّدٍ ! فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ أُقْتَلَ .

(١) هو الجبل المشرف ممَّا يلي شعب الجزَّارين بمكة المكرمة .
(٢) هم الأخلاط ، والسَّفَلة .
(٣) موضع بمكَّة .
(٤) جبل معروف عند مكة المكرمة .
(٥) في المغازي : (٢/ ٨٤٧) .
(٦) أي : دخلتُ فيه مسرعاً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فذَهَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سُهَيْلٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَبِي تُؤَمِّنُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ ، فَلْيَظْهَرْ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ : «مَنْ لَّقِيَ مِنْكُمْ سُهَيْلاً ؛ فَلاَ يَشُدَّ إِلَيْهِ النَّظَرَ ، فَلْيَخْرُجْ ، فَلَعَمْرِي ! إِنَّ سُهَيْلاً لَّهُ عَقْلٌ ، وشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الإِسْلاَمَ ، وَلَقَدْ رَأَى مَا كَانَ يُوضِعُ فِيهِ ، إِنَّهُ لمْ يَكُنْ لَهُ بِنَافِعٍ » .

فخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلىَ أَبِيهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ سُهَيْلٌ : كَانَ وَاللهِ ! بَرًّا صَغِيرًا وكَبِيرًا . فَكَانَ سُهَيْلٌ يُقْبِلُ ، وَيُدْبِرُ ، وَخَرَجَ إِلىَ حُنَيْنٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْجِعِرَّانَةِ[1] ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ .

قَوْلُـهُ ﷺ لأَهْلِ مَكَّـةَ الْمُكَرَّمَـةِ يَـوْمَ الْـفَـتْحِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ ؛ أَرْسَلَ إِلىَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَإِلىٰ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وإِلىٰ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ . قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ : قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُمْ لأُعَرِّفَنَّهُمْ بِمَا صَنَعُوا ؛ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ[2] عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ قَالَ عُمَرُ : فَانْفَضَحْتُ حَيَاءً مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَكُونَ بَدَرَ مِنِّي ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ[3] .

وأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ[4] مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلاَّمِ بْنِ مِسْكِينٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ فَذَكَرَ

(١) وهي موضع بين مكَّة والطَّائف .
(٢) أي : لا توبيخ ، ولا تقريع .
(٣) كذا في « كنز العمال » (٥/ ٢٩٢) .
(٤) في « السنن الكبرى » (٩/ ١١٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ: قَالَ: ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ ، فَقَالَ: « مَا تَقُولُونَ ؟ وَمَا تَظُنُّونَ ؟ » قَالُوا نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ ، وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ. قَالَ: وَقَالُوا ذَلِكَ ثَلاَثاً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ . قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ ، فَدَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ .

قالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَفِيمَا حَكَى الشَّافِعِيُّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ : « مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ ؟! » قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ! قَالَ : « اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ[1] » .

(١) جمع (طليق) هو الأسير إذا أُطلق سبيله .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّـةُ إِسْلَامِ عِكْرِمَـةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ـ رضي الله عنه ـ

أَمَانُ عِكْرِمَةَ حِينَ اسْتَأْمَنَتْ لَهُ زَوْجَتُـهُ أُمُّ حَكِيمٍ ، رضي الله عنها :

أَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[١] وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ! قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، فَآمِنْهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هُوَ آمِنٌ » .

فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ ، وَمَعَهَا غُلَامٌ لَّهَا رُومِيٌّ ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا[٢] فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ ؛ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى حَيٍّ مِّنْ عَكٍّ[٣] ، فَاسْتَعَانَتْهُمْ عَلَيْهِ ، فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطاً ، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ ؛ وَقَدِ انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ ؛ فَرَكِبَ الْبَحْرَ ، فَجَعَلَ نُوتِيُّ[٤] السَّفِينَةِ يَقُولُ لَهُ : أَخْلِصْ . قَالَ : أَيُّ شَيءٍ أَقُولُ ؟ قَالَ : قُلْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . قَالَ عِكْرِمَةُ مَا هَرَبْتُ إِلَّا مِنْ هَذَا . فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا مِنَ الأَمْرِ ، فَجَعَلَتْ تُلِيحُ[٥] إِلَيْهِ ، وَتَقُولُ : يَا بنَ عَمِّ ! جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ ، وَأَبَرِّ النَّاسِ ، وَخَيْرِ النَّاسِ ، لَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ !

---

(١) في المغازي : (٢/ ٨٥٠) .
(٢) أي : طلب أن يفجر بها ، والمراودة : أن تنازع غيرك في الإرادة ، فتريد غير ما يريد .
(٣) قبيلة .
(٤) أي : الملَّاح .
(٥) أي : تحرِّك إليه ثوبها ؛ ليرجع من مكانٍ بعيدٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي قَدِ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ . قَالَ : أَنْتِ فَعَلْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! أَنَا كَلَّمْتُهُ فَآمَنَكَ . فَرَجَعَ مَعَهَا ، وَقَالَتْ : مَا لَقِيتُ مِنْ غُلاَمَكَ الرُّومِيِّ ! وَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ ، فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ ؛ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لمَ يُسْلِمْ .

فلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ : « يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِناً مُهَاجِرًا ، فَلاَ تَسُبُّوا أَبَاهُ ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ ، وَلاَ يَبْلُـغُ الْمَيِّتَ » .

قالَ : وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا ، فتَأْبَى عَلَيْهِ ، وَتَقُولُ : إِنَّكَ كَافِرٌ ؛ وَّأَنَا مُسْلِمَةٌ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا مَّنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ. فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عِكْرِمَةَ ؛ وَثَبَ إِلَيْهِ ، وَمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِدَاءٌ فَرَحاً بِعِكْرِمَةَ. ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ مُتَنَقِّبَةً[1] فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي : أَنَّكَ آمَنْتَنِي ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « صَدَقَتْ ، فَأَنْتَ آمِنٌ » . قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِلاَمَ تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ ؟! قَالَ : « أَدْعُوكَ إِلىَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَفْعَلَ ، وَتَفْعَلَ» حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلاَمِ .

فقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللهِ ! مَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلىَ الْحَقِّ ، وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ؛ قَدْ كُنْتَ وَاللهِ فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلىَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثاً ، وَّأَبَرُّنَا بِرًّا! ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ : أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيءٍ أَقُولُهُ ! فَقَالَ : تَقُولُ : « أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : تَقُولُ : « أُشْهِدُ

(١) أي : مغطيةً وجهها بالنِّقاب .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اللهَ ، وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُّجَاهِدٌ مُّهَاجِرٌ » . فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ .

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئاً أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَهُ». قَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ ، أَوْ مَقَامٍ لَّقِيتُكَ فِيهِ ، أَوْكَلَامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ ، أَوْ أَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ .

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا ، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَىَ مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ ، وَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ ! » . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللهِ ! ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ! لَا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ! وَلَا قِتَالًا كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ! ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا . وَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ الأَوَّلِ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قصَّـةُ إِسْلاَمِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّـةَ ، رضي الله عنه

أَمَانُ صَفْوَانَ حِينَ اسْتَأْمَنَ لَـهُ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[١] وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمَتِ امْرَأَةُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، الْبَغُومُ بِنْتُ الْمُعَذَّلِ مِنْ كِنَانَةَ ، وَأَمَّا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ؛ فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى الشِّعْبَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لِغُلاَمِهِ يَسَارٍ ـ وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ ـ : وَيْحَكَ ! انْظُرْ مَنْ تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ صَفْوَانُ : مَا أَصْنَعُ بِعُمَيْرٍ ؟ واللهِ مَا جَاءَ إِلَّا يُرِيدُ قَتْلِي ! قَدْ ظَاهَرَ[٢] مُحَمَّدًا عَلَيَّ ، فَلَحِقَهُ . فَقَالَ : يَا عُمَيْرُ ! مَا كَفَاكَ مَا صَنَعْتَ بِي حَمَّلْتَنِي عَلَيَّ دَيْنَكَ ، وَعِيَالَكَ ، ثُمَّ جِئْتَ تُرِيدُ قَتْلِي ؟! قَالَ : أَبَا وَهْبٍ ! جُعِلْتُ فِدَاكَ ! جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَبَرِّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلِ النَّاسِ ! وَقَدْ كَانَ عُمَيْرٌ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ! سَيِّدُ قَوْمِي خَرَجَ هَارِباً ؛ لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَخَافَ أَلَّا تُؤَمِّنَهُ ، فَآمِنْهُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَدْ آمَنْتُهُ » . فَخَرَجَ فِي إِثْرِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ آمَنَكَ .

فَقَالَ صَفْوَانُ : لَا وَاللهِ ! لَا أَرْجِعُ مَعَكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِعَلاَمَةٍ أَعْرِفُهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُذْ عِمَامَتِي » ؛ فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إِلَيْهِ بِهَا ، وَهُوَ الْبُرْدُ

(١) في « المغازي » : (٢/ ٨٥٣) .
(٢) أي : عاوَنَ وناصَرَ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الَّذِي دخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ مُعْتَجِرًا[١] بِهِ بُرْدُ حِبَرَةٍ[٢] .

فخَرَجَ عُمَيْرٌ فِي طَلَبِهِ الثَّانِيَةَ حَتَّى جَاءَ بِالْبُرْدِ ، فَقَالَ : أَبَا وَهْبٍ ! جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ ، وَأَوْصَلِ النَّاسِ ، وَأَبَرِّ النَّاسِ ، وَأَحْلَمِ النَّاسِ ، مَجْدُهُ مَجْدُكَ ، وَعِزُّهُ عِزُّكَ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ، ابْنُ أُمِّكَ وَأَبِيكَ ، وَأُذَكِّرُكَ اللهَ فِي نَفْسِكَ !

قالَ لَهُ : أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ . قَالَ : قَدْ دَّعَاكَ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الإِسْلاَمِ فَإِنْ يَسُرُّكَ ، وَإِلَّا سَيَّرَكَ[٣] شَهْرَيْنِ ، فَهُوَ أَوْفَى النَّاسِ ، وَأَبَرُّهُمْ ، وَقَدْ بَعَث إِلَيْكَ بِبُرْدِهِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ مُعْتَجِرًا أَفتَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخْرَجَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، هُوَ ! هُوَ !

فرَجَعَ صَفْوَانُ ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعَصْرَ فِي الْمَسْجِدِ فوَقَفَا . فَقَالَ صَفْوَانُ : كَمْ يُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : خَمْسَ صَلَوَاتٍ . قَالَ : يُصَلِّي بِهِمْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا سَلَّمَ صَاحَ صَفْوَانُ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ جَاءَنِي بِبُرْدِكَ ، وَزَعَمَ : أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْكَ ، فَإِنْ رَضِيتُ أَمْرًا ، وَإِلَّا سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ ؟ قَالَ : « انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ ! » . قَالَ : لَا وَاللهِ ! حَتَّى تُبَيِّنَ لِي . قَالَ : « بَلْ لَّكَ أَنْ تُسَيَّرَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ » ، فَنَزَلَ صَفْوَانُ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ ؛ وَهُوَ كَافِرٌ ، وأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ سِلاَحَهُ ، فَأَعَارَهُ سِلاَحَهُ مِئَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا[٤] . فَقَالَ

(١) مِنْ : « اعْتَجَرَ » وهو : أن يلف العمامةَ على رأسه ، ويرد طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه .

(٢) ما كان موشَّى مخططاً ، وهو برد يمانٍ .

(٣) أي : أعطاه مهلة مُدَّة شهرين قبل أن يقرِّر .

(٤) أي : بما يتبعها من ملحقاتها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

صَفْوَانُ طَوْعاً ، أَوْ كَرْهاً ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عَارِيَةٌ رَادَّةٌ[١] » فَأَعَارَهُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمَلَهَا إِلىَ حُنَيْنٍ ، فَشَهِدَ حُنَيْناً ، والطَّائِفَ ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلى الْجِعِرَّانَةِ .

فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ـ وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ـ فَجَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ يَنْظُرُ إِلىَ شِعْبٍ مُلاَءٍ نَعَماً ، وشَاءً ، ورِعَاءً ، فَأَدَامَ النَّظْرَ إِلَيْهِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْمُقُهُ ، فَقَالَ : « أَبَا وَهْبٍ ! يُعْجِبُكَ هَذَا الشِّعْبُ » . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « هُوَ لَكَ ، وَمَا فِيهِ ! » . فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ ! أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ .

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[٢] عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعاً ، فَقَالَ : أَغَصْباً يَّا مُحَمَّدُ ؟! قَالَ : « بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً[٣] » قَالَ : فَضَاعَ بَعْضُهَا ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ. قَالَ: أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي الإِسْلاَمِ أَرْغَبُ ! انْتَهَى .

---

(١) أي : مردودةٌ .
(٢) في المسند : (٦/ ٤٦٥) .
(٣) أي : العارية إذا تلفت وجب ضمانها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّـةُ إِسْلَامِ حُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، رضي الله عنه

دَعْوَةُ أَبِي ذَرٍّ لِحُوَيْطِبٍ ـ رضي الله عنهما ـ وَدُخُولُـهُ في الإِسْلَامِ :

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[١] عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَهْمٍ ؛ قَالَ : قَالَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَـكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ خِفْتُ خَوْفاً شَدِيدًا ، فَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي ، وَفَرَّقْتُ عِيَالِي في مَوَاضِعَ يَأْمَنُونَ فِيهَا ؛ فَانْتَهَيْتُ إِلَى حَائِطِ عَوْفٍ ، فَكُنْتُ فِيهِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ، رضي الله عنه ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خُلَّةٌ[٢] ، والْخُلَّةُ أَبَدًا مَّانِعَةٌ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هَرَبْتُ مِنْهُ . فَقَالَ : أَبَا مُحَمَّدٍ ! فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : الْخَوْفُ . قَالَ : لَا خَوْفَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ الله عزَّ وجلَّ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ . قُلْتُ : هَلْ لي سَبِيلٌ إِلَى مَنْزِلِي ؟ وَاللهِ ! مَا أُرَانِي أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَيّاً حَتَّى أُلْفَى[٣] ، فَأُقْتَلَ ، أَوْ يُدْخَلَ عَلَيَّ مَنْزِلِي ، فَأُقْتَلَ ، وَإِنَّ عِيَالِي لَفِي مَوَاضِعَ شَتَّى . قَالَ : فَاجْمَعْ عِيَالَكَ في مَوْضِعٍ ، وأَنَا أَبْلُغُ مَعَكَ إِلَى مِنْزِلِكَ . فَبَلَغَ مَعِي وَجَعَلَ يُنَادِي عَلَيَّ إِنَّ حُوَيْطِباً آمِنٌ ، فَلَا يُهَجْ[٤] .

---

(١) في « المستدرك » (٣/ ٤٩٣) .

(٢) الخُلّة : الصَّداقة ، والمحبة التي تخلَّلت في القلب ، فصارت خلاله ، ومنه : الخليل .

(٣) أي : حتى أُوْجَدَ .

(٤) أي : فلا يُثَرْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : أَوَلَيْسَ قَدْ أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِمْ ؟ قَالَ : فَاطْمَأْنَنْتُ وَرَدَدْتُ عِيَالِي إِلىَ مَنَازِلِهِمْ ، وَعَادَ إِلَيَّ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ! حَتَّى مَتَى ؟ وَإِلىَ مَتَى ؟ قَدْ سُبِقْتَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَفاتَكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَبَقِيَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، فَائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَرُّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، شَرَفُهُ شَرَفُكَ ، وَعِزُّهُ عِزُّكَ .

قالَ قُلْتُ : فَأَنَا أَخْرُجُ مَعَكَ فَآتِيهِ ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ؛ حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ[1] وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ـ رضي الله عنهما ـ فَوَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَسَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ : كَيْفَ يُقَالُ إِذَا سُلِّمَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ! فَقُلْتُهَا ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ حُوَيْطِبُ ! » فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ » . قَالَ : وَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِسْلاَمِي ، وَاسْتَقْرَضَنِي مَالاً ، فَأَقْرَضْتُهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وشَهِدْتُّ مَعَهُ حُنَيْناً ، والطَّائِفَ ، وَأَعْطَانِي مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِئَةَ بَعِيرٍ .

---

(١) اسم لمكانٍ متسعٍ بين مكّة ، ومنى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّةُ إِسْلَامِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، رضي الله عنه

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِكْرِمَةَ ؛ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى أُمِّ هَانِىءٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، رضي الله عنها ، فَاسْتَجَارَا بِهَا ، فَقَالَا : نَحْنُ فِي جِوَارِكِ ! فَأَجَارَتْهُمَا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا ، فَشَهَرَ[٢] عَلَيْهِمَا السَّيْفَ ، فَتَفَلَّتَ عَلَيْهِمَا[٣] ، وَاعْتَنَقَتْهُ ، وَقَالَتْ : تَصْنَعُ بِي هَذَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؟ لَتَبْدَأَنَّ بِي قَبْلَهُمَا . فَقَالَ : تُجِيرِينَ الْمُشْرِكِينَ ! فَخَرَجَ .

قالَتْ أُمُّ هَانِىءٍ : فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا لَقِيتُ مِنِ ابْنِ أُمِّي ـ عَلِيٍّ ـ مَّا كِدْتُّ أُفْلِتُ مِنْهُ ، أَجَرْتُ حَمْوَيْنِ لي مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَانْفَلَتَ عَلَيْهِمَا ؛ لِيَقْتُلَهُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ ! قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ ، وَآمَنَّا مَنْ آمَنْتِ ! » . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمَا ، فَأَخْبَرْتُهُمَا ، فَانْصَرَفَا إِلَىَ مَنَازِلِهِمَا . فَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ جَالِسَانِ فِي نَادِيهِمَا مُتَنَضِّلَيْنِ فِي الْمِلاَءِ الْمُزَعْفَرَةِ[٤] . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمَا ، قَدْ آمَنَّاهُمَا » .

قالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : وَجَعَلْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ الله ﷺ

(١) في « المستدرك » (٣/ ٧٧٢) .
(٢) أي : سلَّه فرفعه .
(٣) أي : توثَّب عليهما .
(٤) أي : مفتخرين ، وهما لابسان الملاء المصبوغة بالزَّعفران .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَذْكُرُ رُؤْيَتَهُ إِيَّايَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ أَذْكُرُ بِرَّهُ ، وَرَحْمَتَهُ ، فَأَلْقَاهُ وَهُوَ دَاخِلُ الْمَسْجِدِ ، فَتَلَقَّانِي بِالْبِشْرِ ، وَوَقَفَ حَتَّى جِئْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُّ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَقَالَ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ ، مَا كَانَ مِثْلُكَ يَجْهَلُ الإِسْلاَمَ ! » . قَالَ الْحَارِثُ : فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الإِسْلاَمِ جُهِلَ !

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَّةُ إِسْلاَمِ النُّضَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْعَبْدَرِيِّ ، رضي الله عنه

أَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ الْعَبْدَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ النُّضَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ ، وَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالإِسْلاَمِ ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ نَمُتْ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الآبَاءُ ، لَقَدْ كُنْتُ أُوضِعُ مَعَ قُرَيْشٍ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ؛ حَتَّى كَانَ عَامُ الْفَتْحِ ، وَخَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ ؛ وَنَحْنُ نُرِيدُ إِنْ كَانَتْ دَبْرَةٌ[1] عَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ نُعِينَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُمْكِنَّا ذَلِكَ . فَلَمَّا صَارَ بِالْجِعِرَّانَةِ فَوَاللهِ ! إِنِّي لَعَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ إِنْ شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَلَقَّانِي بِفَرْحَةٍ ، فَقَالَ : « النُّضَيْرُ ! » قُلْتُ : لَبَّيْكَ ! قَالَ : « هَذَا خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ! » .

قَالَ : فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ سَرِيعاً ، فَقَالَ ﷺ : « قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا أَنْتَ فِيهِ » . فَقُلْتُ : قَدْ أَرَى ! فَقَالَ : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتاً » قَالَ : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ؛ لَكَانَ قَلْبِي حَجَرًا ثَبَاتاً فِي الدِّينِ ، وَنُصْرَةً فِي الْحَقِّ! ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِرَجُلٍ مِّنْ بَنِي الدُّؤَلِ يَقُولُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ! قَدْ أَمَرَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِئَةِ بَعِيرٍ ، فَأَجِزْ لِي مِنْهَا ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْناً . قَالَ : فَأَرَدْتُ أَنْ لَّا آخُذَهَا ، وَقُلْتُ : مَا هَذَا مِنْهُ إِلَّا تَأَلُّفٌ ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَرْتَشِيَ[2] عَلَى الإِسْلاَمِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللهِ مَا طَلَبْتُهَا ، وَلَا سَأَلْتُهَا ، فَقَبَضْتُهَا وَأَعْطَيْتُ الدُّؤَلِيَّ مِنْهَا عَشْرًا[3] .

(١) أي : هزيمة .
(٢) أي : آخذ رشوةً .
(٣) كذا في « الإصابة » (٣/ ٥٥٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قصَّـةُ إِسْلاَمِ ثَقِيفٍ أَهْلِ الطَّائِفِ

اِنْصِرَافُـهُ ﷺ عَنْ ثَقِيفٍ وَإِسْلاَمُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، رضي الله عنه :

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ ثَقِيفٍ ؛ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ؛ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلىَ الْمَدِينَةِ ، فَأَسْلَمَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلىَ قَوْمِهِ بِالإِسْلاَمِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ » وَعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الاِمْتِنَاعِ لِلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ. فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ[1] . وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبَّباً مُّطَاعاً .

دَعْوَةُ عُرْوَةَ لِقَوْمِهِ إِلى الإِسْلاَمِ واسْتِشْهَادُه في الله :

فخَرَجَ عُرْوَةُ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلىَ الإِسْلاَمِ رَجَاءَ أَنْ لَّا يُخَالِفُوهُ بِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى عُلِّيَّةٍ[2] لَّهُ ؛ وَقَدْ دَّعَاهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ ؛ رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ ، فَقَتَلَهُ. فَقِيلَ لِعُرْوَةَ مَا تَرَى فِي دَمِكَ ؟ قَالَ : كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِيَ اللهُ بِهَا ، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللهُ إِلَيَّ ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يَّرْتَحِلَ عَنْكُمْ ، فَادْفِنُونِي مَعَهُمْ ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ. فَزَعَمُوا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِيهِ : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يَاسِينَ[3] فِي قَوْمِهِ » .

(١) أي : بناتهم .
(٢) أي : الغرفة في الطبقة الثانية من الدار .
(٣) هو حبيب النجَّار الذي دعا أهلَ أنطاكية للإيمان برسل المسيح عليه السلام فقتلوه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُ ثَقِيفٍ عَبْدَ يَالِيلَ بْنَ عَمْرٍو وَفْدًا إِلَيْهِ ﷺ وَخَبَرُهُمْ مَعَهُ :

ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا ، ثُمَّ إِنَّهُمُ ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ ، وَرَأَوْا : أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ وَقَدْ بَايَعُوا ، وَأَسْلَمُوا . ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يُرْسِلُوا رَجُلاً مِنْهُمْ، فَأَرْسَلُوا عَبْدَ يَالِيلَ بْنَ عَمْرٍو ومَعَهُ اثْنَانِ مِنَ الأَحْلاَفِ ، وَثَلاَثَةٌ مِّنْ بَنِي مَالِكٍ. فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَنَزَلُوا قَنَاةَ[١] ؛ أَلْفَوا[٢] الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَرْعَى فِي نَوْبَتِهِ رِكَابَ[٣] أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَلَمَّا رَآهُمْ ؛ ذَهَبَ يَشْتَدُّ ؛ لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ. فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبِ ثَقِيفٍ أَنْ قَدِمُوا يُرِيدُونَ الْبَيْعَةَ ، وَالإِسْلاَمَ ؛ إِنْ شَرَطَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ شُرُوطاً، وَيَكْتُبُوا كِتَاباً فِي قَوْمِهِمْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِّلْمُغِيرَةِ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَا تَسْبِقْنِي إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ. فَفَعَلَ الْمُغِيرَةُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ. ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلىَ أَصْحَابِهِ ، فَرَوَّحَ الظَّهْرَ[٤] مَعَهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ قُبَّةٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ ، وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ إِذَا جَاءَهُمْ بِطَعَامٍ مِنْ عِنْدِهِ ؛ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ حَتَّى يَأْكُلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَبْلَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ كِتَابَهُمْ .

قَالَ: وَكَانَ مِمَّا اشْتَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاغِيَةَ[٥] ثَلاَثَ سِنِينَ . فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً ، وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ ؛ حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْرًا وَّاحِدًا بَعْدَ

(١) أحد أودية المدينة .
(٢) أي : وجدوا .
(٣) أي : الإبل المركوبة .
(٤) الظَّهر : الإبل ، أي : أرجعها إلى المدينة .
(٥) الطَّاغية : اللاَّت ، وكانت عند ثقيف بالطَّائف .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَقْدَمِهِمْ لِيَتَأَلَّفُوا سُفَهَاءَهُمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَهَا شَيْئاً مُسَمّىً إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ لِيَهْدِمَاهَا ، وَسَأَلُوهُ مَعَ ذَلِكَ أَلَّا يُصَلُّوا ، وَأَلَّا يَكْسِرُوا أَصْنَامَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَ : « أَمَّا كَسْرُ أَصْنَامِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ ؛ فَسَنُعْفِيكُمْ ، وَأَمَّا الصَّلاَةُ ؛ فَلاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لا صَلاَةَ فِيهِ ! » . فَقَالُوا : سَنُؤْتِيكَهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً[١] .

وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٢] عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ : أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ ؛ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ فَاشْتَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلَّا يُحْشَرُوا[٣] ، وَلَا يُعَشَّرُوا[٤] ، وَلَا يُجَبُّوا[٥] ، وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَكُمْ أَنْ لَّا تُحْشَرُوا ، وَلَا تُجَبُّوا ، وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ ، وَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَّا رُكُوعَ فِيهِ[٦] » . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ : يَا رَسُولَ اللهِ ! عَلِّمْنِيَ الْقُرْآنَ ، وَاجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي .

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ[٧] أَيْضاً عَنْ وَهْبٍ سَأَلْتُ جَابِرًا ـ رضي الله عنه ـ عَنْ شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ، قَالَ: اشْتَرَطَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلَّا صَدَقَةَ عَلَيْهَا ، وَلَا جِهَادَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : « سَيَتَصَدَّقُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا » .

---

(١) أي : خساسةً ، يريدون بها السُّجود على الأرض !
(٢) في المسند : (٢/٢١٨) .
(٣) أي : لا يجمعوا للخروج للجهاد .
(٤) أي : لا يُؤخذ منهم العشر ركاز زروعهم .
(٥) أي : لا يعيَّن لهم جابٍ لجباية صدقاتهم .
(٦) أي : لا صلاة فيه .
(٧) في كتاب الفيء والإمارة ، باب ما جاء في خبر الطائف ، برقم (٣٠٢٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] ، وَأَبُو دَاوُدَ[٢] ، وَابْنُ مَاجَهْ[٣] عَنْ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ في وَفْدِ ثَقِيفٍ، قَالَ : فَنَزَلَتِ الأَحْلاَفُ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شعْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ وَأَنْزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي مَالِكٍ في قُبَّةٍ لَّهُ كُلَّ لَيْلَةٍ يَأْتِينَا بَعْدَ الْعِشَاءِ ، يُحَدِّثُنَا قَائِماً عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يُرَاوِحَ[٤] بَيْنَ رِجْلَيْهِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ. فَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُنَا مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : « لاَ آسَى[٥] ، وَكُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ بِمَكَّةَ . فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلىَ الْمَدِينَةِ ؛ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ[٦] ، نُدَالُ عَلَيْهِمْ ، وَيُدَالُونَ عَلَيْنَا[٧] » فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةٌ أَبْطَأَ عَنَّا الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ ، فَقُلْنَا : لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتِمَّهُ » .

---

(١) في المسند : (٤/ ٢٩ و ٣٤٣) .
(٢) في كتاب الصلاة ، باب تَحْزيب القرآن ، برقم (١٣٩٣) .
(٣) في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فيم يستحب ختم القرآن ، برقم (١٣٤٥) .
(٤) أي : يعتمد على إحداهما مرّةً ، وعلى الأخرى مرةً ؛ ليوصل الرَّاحة إلى كلٍّ منهما .
(٥) أي : لا أحزن .
(٦) أي : نوبة لنا ، ونوبة لهم .
(٧) أي : نغلب عليهم مرة ، ويغلبون علينا مرة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ لِلأَفْرَادِ وَالأَشْخَاصِ

دَعْوَةُ أَبِي بَـكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رضي الله عنه :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] : فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَـكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ وَأَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ دَعَا إِلىَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَّجُلاً مَأْلَفاً[٢] لِّقَوْمِهِ وَمُحَبَّباً سَهْلاً ، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ . وَكَانَ رَجُلاً تَاجِرًا ذَا خُلُقٍ ومَعْرُوفٍ ، وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ ، وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الأَمْرِ لِعِلْمِهِ ، وَتِجَارَتِهِ ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ . فَجَعَلَ يَدْعُو إِلىَ اللهِ وَإِلىَ الإِسْلاَمِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنْ يَغْشَاهُ ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ. فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ فِيمَا بَلَغَنِي : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، رضي الله عنهم ، فَانْطَلَقُوا إِلىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، وَأَنْبَأَهُمْ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، فَآمَنُوا . وَكَانَ هَؤُلاَءِ النَّفَرُ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا فِي الإِسْلاَمِ صَدَّقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ[٣] .

---

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) .

(٢) أي : مكان الألفة ومنشأها .

(٣) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٢٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ عُمَـرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[١] عَنْ أَسْبَقَ ؛ قَالَ : كُنْتُ مَمْلُوكاً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ وَأَنَا نَصْرَانِيٌّ . فَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ ، وَيَقُولُ : إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ ؛ اسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَى أَمَانَتِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَسْتَعِينَ بِكَ عَلَى أَمَانَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَسْتَ عَلَى دِينِهِمْ ! فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ . فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ؛ أَعْتَقَنِي ؛ وَأَنَا نَصْرَانِيٌّ ، وَقَالَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ .

وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ[٢] وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَسْلَمَ ؛ قَالَ : لَمَّا كُنَّا بِالشَّامِ أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ بِمَاءٍ تَوَضَّأَ مِنْهُ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا الْمَاءِ ؟ فَمَا رَأَيْتُ مَاءً عَذْباً ولَا مَاءَ السَّمَاءِ أَطْيَبَ مِنْهُ . قُلْتُ : جِئْتُ بِهِ مِنْ بَيْتِ هَذِهِ الْعَجُوزِ النَّصْرَانِيَّةِ . فَلَمَّا تَوَضَّأَ ؛ أَتَاهَا ، فَقَالَ : أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ ، أَسْلِمِي بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ ، فَكَشَفَتْ عَنْ رَأْسِهَا ، فَإِذَا مِثْلُ الثَّغَامَةِ[٣] ، فَقَالَتْ : عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، وَإِنَّمَا أَمُوتُ الآنَ . فَقَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ[٤] !

---

(١) لم أجده في « الطبقات الكبرى » .
(٢) في سننه (١/ ٣٢) .
(٣) نبت أبيض الزهر والثمر ، المراد هنا وضوح الشَّيب .
(٤) كذا في « كنز العمال » (٥/ ١٤٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْـرٍ

دَعْوَةُ مُصْعَبٍ لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَإِسْلاَمُـهُ ، رضي الله عنهما :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَـكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ : أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرَ ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ابْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ. فَدَخَلَ بِهِ حَائِطاً[٢] مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرَ عَلَى بِئْرٍ يُقَالُ لَهُ : بِئْرُ مَرَقٍ. فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِالأَشْهَلِ ، وَكِلاَهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ. فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ ؛ قَالَ سَعْدٌ لأُسَيْدٍ: لَا أَبَاً لكَ ، انْطَلِقْ إِلَىَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا ؛ لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا ؛ فَازْجُرْهُمَا ، وَانْهَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا فَإِنَّهُ لَوْلَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ؛ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي ، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَماً[٣] .

قالَ : فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا ، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ؛ قَالَ لِمُصْعَبٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَقَدْ جَاءَكَ ، فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ. قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ؛ أُكَلِّمْهُ. قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً ، فَقَالَ: مَا جَاءَ

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٤٣٥) .
(٢) حائطاً : بستاناً .
(٣) أي : إتياناً في مقابلته ، يريد : لا أستطيع أن آتيه في مقابلته .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا ؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ . فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ : أَوَ تَجْلِسُ ، فَتَسْمَعَ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا ؛ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ . قَالَ : أَنْصَفْتَ ! قَالَ : ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا ، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالإِسْلاَمِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ . فَقَالاَ فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا : وَاللهِ ! لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ(١) ، وَتَسَهُّلِهِ(٢) ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا ، وَأَجْمَلَهُ ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا فِي هَذَا الدِّينِ ؟ قَالاَ لَهُ : تَغْتَسِلُ ، فَتَطَهَّرُ ، وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّي . فَقَامَ فَاغْتَسَلَ ، وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنِ اتَّبَعَكُمَا ؛ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الآنَ ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ .

دَعْوَةُ مُصْعَبٍ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، رضي الله عنهما ، وَإِسْلاَمُـهُ :

ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وقَوْمِهِ ؛ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً ؛ قَالَ : أَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ! فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي ؛ قَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً ، وقَدْ نَهَيْتُهُمَا ، فَقَالاَ نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ ، وَقَدْ حُدِّثْتُ : أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ؛ لِيَقْتُلُوهُ ، وَذَلِكَ : أَنَّهُمْ عَرَفُوا : أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ ؛ لِيَحْقِرُوكَ .

قَالَ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُغْضَباً مُبَادِرًا مُخَوَّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ ، وَأَخَذَ الْحَرْبَةَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا سَعْدٌ ، فَلَمَّا رَآهُمَا مُطْمَئِنَّيْنِ ؛ عَرَفَ : أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ

(١) أي : تلألأ وجهه حسناً .
(٢) أي : ميلانه إلى لِيْنٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنْهُمَا ، فَوَقَفَ مُتَشَتِّماً ، ثُمَّ قَالَ لأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ : يَا أَبَا أُمَامَةَ ! أَمَا وَاللهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ[١] هَذَا مِنِّي ! أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا[٢] بِمَا نَكْرَهُ ؟

قالَ : وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ لِمُصْعَبٍ : أَيْ مُصْعَبُ ! جَاءَكَ وَاللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ اثْنَانِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ : أَوْ تَقْعُدُ ، فَتَسْمَعَ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا ، ورَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ! قَالَ سَعْدٌ : أَنْصَفْتَ . ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ ، وَجَلَسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ـ وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ أَوَّلَ الزُّخْرُفِ ـ ، قَالاَ : فَعَرَفْنَا وَاللهِ فِي وَجْهِهِ الإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ ، وَتَسَهُّلِهِ ! ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ ، وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟ قَالاَ : تَغْتَسِلُ ، فَتَطَهَّرُ ، وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ . قَالَ : فَقَامَ فَاغْتَسَلَ ، وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ ، فَأَقْبَلَ عَائِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ ؛ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ .

دَعْوَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ لِبَنِي عَبْدِ الأَشْهَل وخَبَرُ إِسْلاَمِهِم :

فلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً ؛ قَالُوا : نَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ! فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ ؛ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ! كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا : سَيِّدُنَا ، وَأَفْضَلُنَا رَأْياً ، وأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً[٣] ! قَالَ : فَإِنَّ كَلاَمَ رِجَالِكُمْ ، وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ ؛ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ !

(١) أي : ما قصدتَ .
(٢) أي : أتأتينا في حيِّنا .
(٣) النَّقيبة : النَّفس ، والعقل ، والمشورة ، ونفاد الرأي ، والطبيعة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ فَوَاللهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجُلٌ ، ولَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِماً ، أَوْ مُسْلِمَةً ! وَرَجَعَ سَعْدٌ ، ومُصْعَبٌ إِلىَ مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، فَأَقَامَا عِنْدَهُ يَدْعُوَانِ النَّاسَ إِلىَ الإِسْلَام ؛ حَتَّى لمَ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ ، ونِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَخَطْمَةَ ، وَوَائِلٍ ، ووَاقِفٍ ، وَتِلْكَ أَوْسٌ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ طُلَيْـبِ بْـنِ عُمَيْـر ، رضي الله عنه

دَعْوَةُ طُلَيْبٍ لأُمِّـهِ أَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، رضي الله عنهما :

أَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[١] عَنْ مُحَمَّدِ[٢] بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ ؛ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ طُلَيْبُ ابْنُ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ لَهَا : قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَتَبِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ وَذَكَرَ الْخَبَرَ ، وَفِيهِ : أَنَّهُ قَالَ لَهَا : مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تُسْلِمِي ، وَتَتَّبِعِيهِ ؟! فَقَدْ أَسْلَمَ أَخُوكِ حَمْزَةُ ، رضي الله عنه . فَقَالَتْ : أَنْتَظِرُ مَا يَصْنَعُ أَخَوَاتِي؟ ثُمَّ أَكُونُ إِحْدَاهُنَّ . قَالَ : فَقُلْتُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكِ بِاللهِ إِلَّا أَتَيْتِهِ ، وَسَلَّمْتِ عَلَيْهِ ، وَصدَّقْتِهِ ، وَشَهِدْتِّ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . قَالَتْ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ : أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ . ثُمَّ كَانَتْ بَعْدُ تَعْضُدُ[٣] النَّبِيَّ ﷺ بِلِسَانِهَا ، وَتَحُضُّ ابْنَهَا عَلَى نُصْرَتِهِ ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ[٤] .

وأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ[٥] مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ

(١) الطبقات الكبرى : (٣/ ١٢٣) .
(٢) في الطبقات الكبرى : عن ابنه موسى بن محمد بن إبراهيم .
(٣) أي : تُعينه ، وتنصره .
(٤) كذا في « الاستيعاب » (٤/ ٢٢٥) وأخرجه العُقَيليُّ من طريق الواقدي بمثله كما في « الإصابة » (٤/ ٢٢٧) .
(٥) في « المستدرك » (٣/ ٢٣٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : أَسْلَمَ طُلَيْبُ بْنُ عُمَيْر ـ رضي الله عنه ـ فِي دَارِ الأَرْقَم[١] ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ـ وَهِيَ أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ فَقَالَ : تَبِعْتُ مُحَمَّدًا وأَسْلَمْتُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، جلَّ ذِكْرُهُ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : إِنْ أَحَقَّ مَنْ وَّازَرْتَ[٢] ، وَمَنْ عَاضَدْتَّ[٣] ابْنُ خَالِكَ . وَاللهِ ! لَوْ كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ ؛ لَتَبِعْنَاهُ ، وَلَذَبَبْنَا عَنْهُ[٤] . قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أُمَّاهُ ! وَمَا يَمْنَعُكِ ؟ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ .

---

(١) كانت قريبةٌ من الصَّفا ، وكان يصلّي فيها المسلمون سِرّاً في صدر البعثة .
(٢) أي : عاونتَ .
(٣) أي : ناصرتَ .
(٤) أي : دفعنا عنه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعْوَةُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ الْجُمَحِيِّ ، رضي الله عنه ، وقِصَّةُ إِسْلاَمِهِ

خَبَرُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَبْلَ إِسْلاَمِهِمَا :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ بِيَسِيرٍ ، وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ شَيْطَاناً مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ، وَيَلْقَوْنَ مِنْهُ عَنَاءً وهُوَ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْرٍ ، فَذُكِرَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ[٢] ، وَمُصَابُهُمْ . فَقَالَ صَفْوَانُ : وَاللهِ مَا إِنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ ! قَالَ لَهُ عُمَيْرٌ : صَدَقْتَ ! أَمَا وَاللهِ لَوْلاَ دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ[٣] بَعْدِي ؛ لَرَكِبْتُ إِلَىَ مُحَمَّدٍ ؛ حَتَّى أَقْتُلَهُ ؛ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً[٤] ، ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ. قَالَ : فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ : عَلَيَّ دَيْنُكَ ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُوَاسِيهِمْ مَا بَقُوا لَا يَسَعُنِي شَيءٌ وَّيَعْجِزُ عَنْهُمْ !

فقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ : فَاكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي ، وَشَأْنَكَ ! قَالَ : سَأَفْعَلُ . قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٦٦١ ـ ٦٦٣) .
(٢) هو البئر التي لم تُطو ، التي أُلقي فيها المشركون من قتلى بدر .
(٣) أي : ضياعهم .
(٤) أي : حُجّة احتجَّ بها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ ، فَشُحِذَ لَهُ ، وَسُمَّ ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ. فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فِي نَفَرٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ ، ويَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ ، وَمَا أَرَاهُمْ فِي عَدُوِّهِمْ ؛ إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ وَّقَدْ أَنَاخَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحاً[١] السَّيْفَ. فَقَالَ : هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ ! عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ ما جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ ، وَهُوَ الَّذِي حَرَّشَ[٢] بَيْنَنَا ، وَحَزَرَنَا[٣] لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ .

خَبَرُ عُمَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ :

ثمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! هَذَا عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحاً سَيْفَهُ. قَالَ : « فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ ». قَالَ : فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ[٤] سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ ، فَلَبَّبَهُ بِهَا ، وَقَالَ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَارِ : ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ ، وَاحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ. ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ. قَالَ : « أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ ! ادْنُ يَا عُمَيْرُ ! » فَدَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَنْعِمْ صَبَاحاً[٥] ـ وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِّنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ ! بِالسَّلَامِ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قَالَ : أَمَا وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ بِهَا لَحَدِيثَ عَهْدٍ ! قَالَ : « فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ » قَالَ : جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ ؛ فَأَحْسِنُوا فِيهِ. قَالَ : « فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ ؟ » قَالَ : قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ! وهَلْ أَغْنَتْ

(١) أي : متقلِّداً .
(٢) أي : أفسد .
(٣) أي : قَدَّرَنا عددنا تخميناً .
(٤) أي : علاقة السيف .
(٥) من (نعم الشيء) أي : صار ناعماً لَيناً ، وأنعم اللهُ عليك من النعمة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَنَّا شَيْئاً ؟! قَالَ : « اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ ؟ » قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ . قَالَ : « بَلْ قَعَدتَّ أَنْتَ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ . ثُمَّ قُلْتَ : لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ ، وعِيَالٌ عِنْدِي ؛ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً ، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِدَيْنِكَ ، وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ! » .

إِسْلَامُ عُمَيْر ودَعْوَتُهُ لأَهْلِ مَكَّةَ :

فقَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ : أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَّمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا ، وَصَفْوَانُ ! فَوَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللهُ ! فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلَامِ ، وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ . ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ ، وَعَلِّمُوهُ الْقُرْآنَ ، وَأَطْلِقُوا أَسِيرَهُ » فَفَعَلُوا . ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ جَاهِداً عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ ، شَدِيدَ الأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي ، فَأَقْدَمَ مَكَّةَ ، فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى الإِسْلَامِ ، لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ ، وَإِلَّا آذَيْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا كُنْتُ أُوذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ ! فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ . وَكَانَ صَفْوَانُ حِينَ خَرَجَ عُمَيرُ بْنُ وَهْبٍ يَقُولُ : أَبْشِرُوا بِوَقْعَةٍ[1] تَأْتِيكُمُ الآنَ فِي أَيَّامٍ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ . وَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ ؛ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلَامِهِ ، فَحَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَهُ أَبَداً ، ولَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا[2] !

---

(١) أي : صدمة الحرب .

(٢) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٣١٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إسْلاَمُ أُناسٍ كُثُـرٍ عَلَى يَدِ عُمَيْرٍ ، رضي الله عنه :

هَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[١] عَنْ عُرْوَةَ بِطُولِهِ ، وَزَادَ : فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ ـ رضي الله عنه ـ مَـكَّةَ ؛ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَيُؤْذِي مَنْ خَالَفَهُ أَذىً شَدِيداً ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ .

قَوْلُ عُمَرَ فِي عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ ـ رضي الله عنهما ـ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ :

وَرُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ نَحْوُهُ مُرْسَلاً ، وَقَالَ فِيهِ : فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ هَدَاهُ اللهُ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ لَخِنْزِيرٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حِينَ اطَّلَعَ ، وَهُوَ الْيَومَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ بَنِيَّ[٢] .

وأَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ ـ رضي الله عنه ـ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ؛ نَزَلَ بِأَهْلِهِ ، وَلَمْ يَتَّفِقْ[٣] بِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَأَظْهَرَ الإِسْلاَمَ ، وَدَعَا إِلَيْهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ صَفْوَانَ ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ حِينَ لَمْ يَبْدَأْ بِي قَبْلَ مَنْزِلِهِ : أَنَّهُ قَدِ ارْتَـكَسَ[٤] ، وَصَبَأَ[٥] ، فَلاَ أُكَلِّمُهُ أَبَداً ، ولاَ أَنْفَعُهُ ، وَلاَ عِيَالَهُ بِنَافِعَةٍ ! فَوَقَفَ عَلَيْهِ عُمَيْرٌ وَّهُوَ فِي الْحِجْرِ ، وَنَادَاهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ : أَنْتَ سَيِّدٌ مِّنْ سَادَاتِنَا ، أَرَأَيْتَ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ وذَبْحٍ لَهُ ؟ أَهَذَا دِينٌ ؟ أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! فَلَمْ يُجِبْهُ صَفْوَانُ بِكَلِمَةٍ[٦] .

---

(١) في تاريخه : (٢/ ٤٧٢) .
(٢) الإِصَابَةِ (٣/ ٣٦) .
(٣) أي : لم يلتق .
(٤) يعني : وقع في أمرٍ كان قد نجا منه .
(٥) أي : خرج من دينه .
(٦) كذا في « الاستيعاب » (٢/ ٤٨٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ أَبي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه

دَعْوَتُـهُ لأُمِّهِ وَإِسْلاَمُهَا ، رضي الله عنهما :

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنْتُ أَدْعُو أُمِّـي إِلىَ الإِسْلاَم ؛ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ ، فَدَعَوْتُهَا يَوْماً ، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله ﷺ مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْـكِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَم ، فَـتَأْبىٰ عَلَيَّ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللهَ أَن يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَقَالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ! » فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَلَمَّا جِئْتُ قَصَدْتُّ إِلَى الْبَابِ ؛ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ[٢] فَسَمِعَتْ أُمِّي حِسَّ قَدَمَيَّ[٣] فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! وَسَمِعْتُ حَصْحَصَةَ الْمَاءِ[٤] ، قَالَ : وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا[٥] ، وَأَعْجَلَتْ عَنْ خِمَارِهَا[٦] فَفَتَحَتِ الْبَابَ ، وَقَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ . قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَقَالَ خَيْراً[٧] .

---

(١) في كتاب الفضائل ، باب من فضائل أبي هريرة (٢/ ٣٠١) .
(٢) أي : مردودٌ .
(٣) أي : صوتهما الخفي .
(٤) أي : صوت تحريك الماء .
(٥) أي : قميصها .
(٦) أي : أنها بادرت إلى فتح الباب بعد لبس ثيابها قبل أن تلبس خمارها (المرقاة : ٩/ ١٨٧) .
(٧) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣١٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ قَالَ : وَاللهِ لَا يَسْمَعُ بِي مُؤْمِنٌ ، ولَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا أَحَبَّنِي ! قَالَ : قُلْتُ : وَمَا يُعْلِمُكَ ذَاكَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي . فَذَكَرَ نَحْوَهُ . وزَادَ فِي آخِرِهِ : فَجِئْتُ أَسْعَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَقُلْتُ : أَبْشِرْ يَا رَسُولَ اللهِ ! فَقَدْ أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ ، قَدْ هَدَى اللهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الإِسْلَامِ . ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! ادْعُ اللهَ أَن يُحَبِّبَنِي ، وَأُمِّي إِلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَإِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَّمُؤْمِنَةٍ . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا ، وَأُمَّهُ إِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَّمُؤْمِنَةٍ» فَلَيْسَ يَسْمَعُ بِي مُؤْمِنٌ ، وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا أَحَبَّنِي .

(١) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ٢٣٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ أُمِّ سُلَيْمٍ ، رضي الله عنها

دَعْوَةُ أُمِّ سُلَيْمٍ لأَبِي طَلْحَةَ ـ رضي الله عنهما ـ إِلى الإِسْلاَمِ حِينَ خَطَبَهَا وَدُخُولُهُ في الإِسْلاَمِ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ـ رضي الله عنه ـ خَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ ـ رضي الله عنها ـ يَعْنِي : قَبْلَ أَن يُسْلِمَ ـ فَقَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ! أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِلـهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ نَبَتَ مِنَ الأَرْضِ ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَتْ : أَفَلاَ تَسْتَحْيِي تَعْبُدُ شَجَرَةً ؟ إِنْ أَسْلَمْتَ ؛ فَإِنِيِّ لاَ أُرِيدُ مِنْكَ صَدَاقاً غَيْرَهُ ! قَالَ : حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي . فَذَهَبَ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ ! فَقَالَتْ : يَا أَنَسُ[٢] ! زَوِّجْ أَبَا طَلْحَةَ ، فَزَوَّجَهَا .

---

(١) في مسنده برقم : (١٨٤٨٥) .
(٢) قالت له ذلك ؛ لأنه ابنها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنه ـ في الْقَبَائِلِ وَأَقْوَامِ الْعَرَبِ

دَعْوَةُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَـةَ ـ رضي الله عنه ـ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَـكْرٍ

وُفُودُ ضِمَامٍ ـ رضي الله عنه ـ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَخَبَرُهُ مَعَـهُ ، وَدُخُولُهُ فِي الإِسْلاَمِ :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِداً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدِمَ إِلَيْهِ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ[٢] عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ عَقَلَهُ[٣] ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ؛ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَكَانَ ضِمَامٌ رَّجُلاً جَلْدًا[٤] أَشْعَرَ[٥] ذَا غَدِيرَتَيْنِ[٦]، فَأَقْبَلَ ؛ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: أَيُّكُمُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » . فَقَالَ : أَمُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قَالَ يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! إِنِّي سَائِلُكَ ، وَمُغَلِّظٌ عَلَيْكَ[٧] فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلاَ تَجِدَنَّ[٨] فِي نَفْسِكَ .

---

(١) سيرة ابن هشام : (٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥) .
(٢) أي : أقعده بقوله : نخ نخ .
(٣) أي : شَدّ ركبتيه .
(٤) جَلْداً : أي : شديداً قوياً .
(٥) أي : كثير الشعر .
(٦) تثنية الغديرة : وهي الشعر المضفور من الرَّأس .
(٧) أي : مشدَّد عليك .
(٨) أي : لا تغضبن .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ ﷺ : «لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي ، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ». فَقَالَ : أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ : آللهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولاً ؟! قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ ! » . قَالَ : فَأَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ : آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَّعْبُدَهُ وَحْدَهُ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وأَن نَّخْلَعَ هَذِهِ الأَنْدَادَ[١] الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ ؟! قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ ! » . قَالَ : فَأَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ : آللهُ أَمَرَكَ أَن نُّصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ؟! قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ ! » .

قالَ : ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً : الزَّكَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْحَجَّ ، وَشَرَائِعَ الإِسْلَامِ كُلَّهَا يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِّنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا ؛ حَتَّى إِذَا فَرَغَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَّسُولُ اللهِ ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ، وَلَا أَنْقُصُ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعاً . قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ[٢] ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

إِسْلَامُ بَنِي سَعْدٍ وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ضِمَام ، رضي الله عنه :

قَالَ : فَأَتَى بَعِيرَهُ ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ أَنْ قَالَ : بِئْسَتِ اللاَّتُ وَالْعُزَّى ! فَقَالُوا : مَهْ[٣] يَا ضِمَامُ ! اتَّقِ الْبَرَصَ[٤] ! اتَّقِ الْجُذَامَ ! اتَّقِ الْجُنُونَ ! فَقَالَ : وَيْلَكُمْ

(١) أي : أن نترك عبادة هذه الأصنام .
(٢) العقيصة : الشعر المعقوص ، وهو كالمضفور .
(٣) أي : اكفف .
(٤) بياض يقع في الجسد بعلَّة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ ! إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولاً ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَاباً اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِّنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ .

قالَ فَوَاللهِ ! مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ(١) رَجُلٌ ، ولَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِماً .

قالَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

(١) أي : في قبيلته .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ ـ رضي الله عنه ـ في قَوْمِـهِ

رُؤْيَا عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ فِي أَمْرِ بِعْـثَتِـه ﷺ :

أَخْرَجَ الرُّويَانِيُّ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ؛ وَأَنَا بِمَكَّةَ نُورًا سَاطِعاً مِّنَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَضَاءَ لِي جَبَلَ يَثْرِبَ ، وَأَشْعَرَ جُهَيْنَةَ وَسَمِعْتُ صَوْتاً فِي النُّورِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ: انْقَشَعَتِ[1] الظَّلْمَاءُ ، وَسَطَعَ الضِّيَاءُ ، وَبُعِثَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ . ثُمَّ أَضَـاءَ لِي إِضَاءَةً أُخْرَى ؛ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الْحِيرَةِ؛ وَأَبْيَضِ الْمَدَائِنِ ، وَسَمِعْتُ صَوْتاً فِي النُّورِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ: ظَهَرَ الإِسْلاَمُ ، وَكُسِرَتِ الأَصْنَامُ ، وَوُصِلَتِ الأَرْحَامُ. فَانْتَبَهْتُ فَزِعاً فَقُلْتُ لِقَوْمِي : وَاللهِ لَيَحْدُثَنَّ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ حَدَثٌ ! فَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ .

دُخُوْلُ عُمَرَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وقِصَّةُ إِسْلاَمِهِ :

فلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بِلاَدِنَا ؛ جَاءَ الْخَبَرُ : أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ : « أَحْمَدُ » قَدْ بُعِثَ ، فَخَرَجْتُ ؛ حَتَّى أَتَيْتُهُ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ ، فَقَالَ : « يَا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ ! أَنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ إِلَى الْعِبَادِ كَافَّةً ، أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَآمُرُهُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ[2] ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ ، وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَرَفْضِ الأَصْنَامِ ، وَبِحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ـ شَهْرٍ مِّنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً ـ ، فَمَنْ

(١) أي : انجلت .
(٢) أي : بحفظها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَجَابَ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ عَصَى ، فَلَهُ النَّارُ فَآمِنْ يَا عَمْرُو ! يُؤْمِنْكَ اللهُ مِنْ هَوْلِ جَهَنَّمَ » .

فقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، آمَنْتُ بِكُلِّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ حَلاَلٍ ، وحَرَامٍ ؛ وَإِنْ رَغِمَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِّنَ الأَقْوَامِ ! ثُمَّ أَنْشَدتُّهُ أَبْيَاتاً قُلْتُهَا حِينَ سَمِعْتُ بِهِ ـ وَكَانَ لَنَا صَنَمٌ وكَانَ أَبِي سَادِنَهُ[١] ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَكَسَرْتُهُ ، ثُمَّ لَحِقْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ : ـ

شَهِـــدتُّ بِـــأَنَّ اللهَ حَـــقٌّ وَأَنَّنِـــي ... لآلِـهَـــةِ الأَحْجَـــارِ أَوَّلُ تَـــارِكِ
وَشَمَّرْتُ[٢] عَنْ (سَاقِي) الإِزَارَ مُهَاجِراً ... أَجُوبُ[٣] إِلَيْكَ الْوَعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ[٤]
لأَصْحَبَ خَيْرَ النَّـاسِ نَفْساً وَّوَالِداً ... رسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَرْحَباً بِكَ يَا عَمْرُو ! » .

بَعْثُه ﷺ عَمْراً للدَّعْوَةِ إلى قَوْمِهِ ووَصِيَّتُه لَهُ :

فقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! ابْعَثْ بِي إِلىَ قَوْمِي لَعَلَّ اللهَ أَن يَمُنَّ بِي عَلَيْهِمْ كَمَا مَنَّ بِكَ عَلَيَّ . فَبَعَثَنِي ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ ، وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ ، وَلَا تَكُنْ فَظّاً ، ولَا مُتَكَبِّراً ، ولَا حَسُـوداً » . فَأَتَيْتُ قَوْمِي ، فَقُلْتُ : يَا بَنِي رِفَاعَةَ ! بَلْ يَا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ ! إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ إِلَيْكُمْ ، أَدْعُوكُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، وَآمُرُكُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ ، وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَرَفْضِ الأَصْنَامِ ، وَبِحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ـ شَهْرٍ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً ـ فَمَنْ أَجَابَ ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ عَصَى ؛ فَلَهُ النَّارُ .

(١) أي : خادمه .
(٢) أي : يرفع ذيل الإزار عن ساقيه .
(٣) أي : أقطع .
(٤) جمع (الدكدك) هي : ما تلبد من الرَّمل بالأرض ، ولم يرتفع كثيراً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ ! إِنَّ اللهَ جَعَلَكُمْ خِيَارَ مَنْ أَنتُمْ مِنْهُ وَبَغَّضَ إِلَيْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مَا حُبِّبَ إِلَى غَيْرِكُمْ مِّنَ الْعَرَبِ . فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ ، وَالْغَزَاةَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَام ، وَيَخْلُفُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَةِ أَبِيهِ ، فَأَجِيبُوا هَذَا النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ مِنْ بَنِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ؛ تَنَالُوا شَرَفَ الدُّنْيَا ، وَكَرَامَةَ الآخِرَةِ ! فَمَا جَاءَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِّنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا عَمْرَو بْنَ مُرَّةَ ! أَمَرَّ اللهُ عَيْشَكَ[١] أَتَأْمُرُنَا بِرَفْضِ آلِهَتِنَا ، وَأَنْ نُّفَرِّقَ جَمْعَنَا ، وَأَنْ نُّخَالِفَ دِينَ آبَائِنَا الشِّيَمِ[٢] الْعُلَى إِلَى مَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ هَذَا الْقُرَشِيُّ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ لَا حُبّاً ، ولَا كَرَامَةً ؟! ثُمَّ أَنْشَأَ الْخَبِيثُ يَقُولُ :

إِنَّ ابْـنَ مُـرَّةَ قَـدْ أَتَـى بِمَقَـالَـةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةَ مَن يُّرِيدُ صَلاَحاَ
إِنِّـي لأَحْسَـبُ قَـوْلَـهُ وَفِعَـالَـهُ يوْماً وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ ذُبَاحاَ[٣]
لِيُسَفِّـهَ الأَشْيَـاخَ مِمَّـنْ قَـدْ مضَى مَنْ رَامَ ذَلِكَ لاَأَصَابَ فَلاَحاَ

فَقَالَ عَمْرٌو : الْكَاذِبُ مِنِّي وَمِنْكَ أَمَرَّ اللهُ عَيْشَهُ ، وَأَبْكَمَ لِسَانَهُ ، وَأَكْمَهَ إِنْسَانَهُ ! قَالَ : فَوَاللهِ ! مَا مَاتَ حَتَّى سَقَطَ فُوهُ[٤] ، وَعَمِيَ ، وَخَرِفَ[٥] ، وَكَانَ لَا يَجِدُ طَعْمَ الطَّعَامِ .

قُدُوْمُ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكِتَابُهُ لَهُمْ :

فَخَرَجَ عَمْرٌو بِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ؛ حَتَّى أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَحَيَّاهُمْ ، وَرَحَّبَ بِهِمْ ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَاباً هَذِهِ نُسْخَتُهُ :

(١) أي : جعل الله عيشَك مُرّاً غير حلوٍّ .
(٢) جمع (الشيمة) وهي : الطبيعة ، والخُلُق ، والعادة .
(٣) وجعٌ في الحلق .
(٤) أي : وقعت أسنانُه على الأرض .
(٥) أي : فسد عقله .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذَا كِتَابُ أَمَانٍ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِحَقٍّ صَادِقٍ ، وكِتَابِ نَاطِقٍ مَعَ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ لِجُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدٍ : إِنَّ لَكُمْ بُطُونَ الأَرْضِ ، وَسُهُولَهَا ، وَتِلاَعَ[١] الأَوْدِيَةِ ، وَظُهُورَهَا عَلَى أَنْ تَرْعَوْا نَبَاتَهَا ، وَتَشْرَبُوا مَاءَهَا عَلَى أَنْ تُؤَدُّوا الْخُمُسَ ، وَتُصَلُّوا الْخَمْسَ ، وَفِي الْغُنَيْمَةِ ، وَالصُّرَيْمَةِ شَاتَانِ إِذَا اجْتَمَعَتَا ، فَإِنْ فُرِّقَتَا ؛ فَشَاةٌ شَاةٌ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْمُثِيرَةِ[٢] صَدَقَةٌ ، ولاَ عَلَى الْوَارِدَةِ[٣] اللَّبِقَةِ[٤] . وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا بَيْنَنَا ، وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . كِتَابُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ .

(١) جمع (تلعة) وهي : ما انهبط من الأرض .
(٢) المثيرة : البقرة التي تثير الأرض .
(٣) أي : الإبل .
(٤) أي : الحسنة ، يعني : الإبل المزيَّنة النفيسة للركوب .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ فِي ثَقِيفٍ

إِسْلَامُ عُرْوَةَ ـ رضي الله عنه ـ وَدَعْوَتُـهُ لِقَوْمِهِ إِلَى الإِسْلَامِ وَقَتْـلُهُمْ إِيَّاهُ شَهِيدًا :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا أَنْشَأَ النَّاسُ[٢] الْحَجَّ سَنَةَ تِسْعٍ ؛ قَدِمَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مُسْلِماً ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ الله ﷺ أَن يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنِّي أَخَافُ أَن يَقْتُلُوكَ » ، قَالَ : لَوْ وَجَدُونِي نَائِماً ما أَيْقَظُونِي . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ مُسْلِماً ، فَرَجَعَ عِشَاءً فَجَاءَ ثَقِيفٌ يُحَيُّونَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، فَاتَّهَمُوهُ ، وَأَغْضَبُوهُ ، وَأَسْمَعُوهُ ، فَقَتَلُوهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ عُرْوَةَ مَثَلُ صَاحِبِ يَاسِينَ ، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الله ، فَقَتَلُوهُ » .

فَرَحُ عُرْوَةَ ـ رضي الله عنه ـ بِقَتْلِهِ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى وَوَصِيَّـتُـهُ لِقَوْمِهِ :

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ يَحْيَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَكَرَهُ مُطَوَّلاً وَفِيهِ :

فقَدِمَ الطَّائِفَ عِشَاءً ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَأَتَتْهُ ثَقِيفٌ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِتَحِيَّةِ

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٣٧٤) .
(٢) أي : نهضوا ، وخرجوا للحجِّ .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٥/ ٣٦٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنْكَرَهَا عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : عَلَيْكُمْ بِتَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : السَّلاَم ، فَآذَوْهُ ، وَنَالُوا مِنْهُ ، فَحَلُمَ عَنْهُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ، فَجَعَلُوا يَأْتَمِرُونَ بِهِ[١] ، وَطَلَعَ الْفَجْرُ ، فَأَوْفَى[٢] عَلَى غُرْفَةٍ لَّهُ ، فَأَذَّنَ بِالصَّلاَةِ . فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ثَقِيفٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي مَالِكٍ ، يُقَالُ لَهُ : أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ[٣] ، وَلَمْ يَرْقَأ دَمُهُ؛ فَقَامَ غَيْلاَنُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَكِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَا لِيلَ ، وَالْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو ، وَوُجُوهُ الأَحْلاَفِ ، فَلَبِسُوا السِّلاَحَ ، وَحَشَدُوا ، وَقَالُوا : نَمُوتُ عَنْ آخِرِنَا ، أَوْ نَثْأَرُ بِهِ عَشَرَةً مِّنْ رُؤَسَاءِ بَنِي مَالِكٍ ، فَلَمَّا رَأَى عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ مَّا يَصْنَعُونَ ؛ قَالَ : لاَ تَقْتَتِلُوا فِيَّ قَدْ تَصَدَّقْتُ بِدَمِي عَلَى صَاحِبِهِ ؛ لأُصْلِحَ بِذَلِكَ بَيْنَكُمْ ، فَهِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِيَ اللهُ بِهَا ، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللهُ إِلَيَّ ، وَأَشْهَدُ : أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ الله ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا : أَنَّكُمْ تَقْتُلُونِّي . ثُمَّ دَعَا رَهْطَهُ ، فَقَالَ : إِذَا مِتُّ ؛ فَادْفِنُونِي مَعَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللهﷺ قَبْلَ أَنْ يَّرْتَحِلَ عَنْكُمْ ، فَمَاتَ ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ . وَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ مَقْتَلُهُ ، فَقَالَ : مَثَلُ عُرْوَةَ ، فَذَكَرَهُ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّةُ إِسْلاَمِ ثَقِيفٍ فِي قِصَصِهِ ﷺ فِي الأَخْلاَقِ ، وَالأَعْمَالِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى هِدَايَةِ النَّاسِ .

---

(١) أي : يتشاورون في قتله .
(٢) أي : اطلع .
(٣) وهو عرقٌ إذا قُطع ؛ لم يرقأ الدَّم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعْوَةُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ ـ رضي الله عنه ـ فِي قَوْمِهِ

قُدُومُ طُفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ وَخَبَرُهُ مَعَ قُرَيْشٍ :

أخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ يَبْذُلُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فِيهِ ، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنْهُمْ يُحَذِّرُونَهُ النَّاسَ ، وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ : أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ ؛ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَا ، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِّنْ قُرَيْشٍ وكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلاً شَرِيفاً شَاعِراً لَّبِيباً ، فَقَالُوا لَهُ : يَا طُفَيْلُ ! إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلاَدَنَا ، وَهَذَ الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ[٢] بِنَا : فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، وَإِنَّمَا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَّخَلَ عَلَيْنَا فَلاَ تُكَلِّمْهُ وَلاَ تَسْمَعْ مِنْهُ ،

قالَ : فَوَاللهِ مَا زَالُوا بِي ؛ حَتَّى أَجْمَعْتُ عَلَى أَلَّا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئاً ولاَ أُكَلِّمَهُ حَتَّى حَشَوْتُ أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفاً[٣] فَرَقاً مِنْ أَن يَبْلُغَنِي شَيءٌ مِنْ قَوْلِهِ ؛ وَأَنَا لاَ أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ .

إِسْلاَمُ طُفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو :

قالَ : فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُّصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ ؛

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ٧٨) .
(٢) أي : اشتدّ .
(٣) أي : قطناً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ : فَقُمْتُ قَرِيباً مِنْهُ ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَن يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ . قَالَ : فَسَمِعْتُ كَلاَماً حَسَناً . قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاثُكْلَ أُمِّي ! إِنِّي لَرَجُلٌ لَّبِيبٌ شَاعِرٌ مَّا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ ؟ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَناً ؛ قَبِلْتُهُ ، وإِنْ كَانَ قَبِيحاً ؛ تَرَكْتُهُ .

فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَيْتِهِ ، فَاتَّبَعْتُهُ ؛ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ؛ دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ قَوْمَكَ قَالُوا لِي كَذَا ، وَكَذَا ـ الَّذِي قَالُوا لِي ـ فَوَاللهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ ؛ حَتَّى سَدَدتُّ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِّئَلاَّ أَسْمَعَ قَوْلَكَ ، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ ، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَناً ، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ ! فَعَرَضَ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ ، وَتَلاَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ .

قَالَ : فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ ، وَلَا أَمْراً أَعْدَلَ مِنْهُ ، قَالَ : فَأَسْلَمْتُ ، وَشَهِدتُّ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! إِنِّي امْرُؤٌ مُّطَاعٌ فِي قَوْمِي ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَادْعُ اللهَ لِي أَن يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْناً عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ . قَالَ : فَقَالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً ! » .

رُجُوعُهُ ـ رضي الله عنه ـ إِلىَ قَوْمِهِ دَاعِياً لَهُمْ إلى الإِسْلاَمِ وَتَأْيِيدِ اللهِ تعَالىَ لَهُ بِآيَةٍ :

قَالَ : فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي ؛ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ[1] تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ ؛ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ . قَالَ : فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ ! فِي غَيْرِ وَجْهِ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا : أَنَّهَا مُثْلَةٌ[2] وَّقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِ دِينِهِمْ . قَالَ : فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي ، فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي

(١) هي الفرجة بين جبلين .
(٢) أي : عقوبة ، وتنكيل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ وَأَنَا هَابِطٌ إِلَيْهِمْ مِّنَ الثَّنِيَّةِ ؛ حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ .

دَعْوَتُهُ ـ رَضي اللهُ عنهُ ـ لأَبِيْهِ وصَاحِبَتِهِ وإِسْلاَمُهُما :

فلَمَّا نَزَلْتُ ؛ أَتَانِي أَبِي ـ وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً ـ قَالَ فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ ! فَلَسْتَ مِنِّي ، وَلَسْتُ مِنْكَ ! قَالَ : وَلِمَ أَيْ بُنَيَّ ؟! قَالَ : قُلْتُ : أَسْلَمْتُ ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ . قَالَ أَبِي : دِينِي دِينُكَ ، فَاغْتَسَلَ ، وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ ، فَأَسْلَمَ. قَالَ ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي ، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكِ عَنِّي ، فَلَسْتُ مِنْكِ ، وَلَسْتِ مِنِّي ! قَالَتْ : لِمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟! قَالَ : قُلْتُ : فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ الإِسْلاَمُ ، فَأَسْلَمَتْ. وَدَعَوْتُ دَوْساً إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَأَبْطَؤوا عَلَيَّ .

دُعَاؤُهُ ﷺ لِدَوْسٍ وَإِسْلاَمُهُمْ وَقُدُومُهُمْ مَعَ طُفَيْلٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ :

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ! إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي دَوْسٌ ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! اهْدِ دَوْساً ! ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ ، فَادْعُهُمْ ، وَارْفُقْ بِهِمْ » . قَالَ : فَرَجَعْتُ ، فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَضَى بَدْراً وأُحُدًا ، والْخَنْدَقَ . ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ ؛ حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ ، أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِّنْ دَوْسٍ[1] .

(١) وذكره في « البداية والنهاية » (٣/ ١٠٠) عن ابن إسحاق مع زيادة يسيرة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُ الصَّحَابةِ ـ رضي الله عنهم ـ الأَفْرَادَ وَالْجَمَاعَةَ للدَّعْوَةِ إِلىٰ الله

بَعْثُ هِشَامِ بْنِ الْعَاص ـ رضي الله عنه ـ وَغَيْرِهِ إِلَى هِرَقْلَ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[1] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الأُمَوِيِّ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرَقْلَ ـ صَاحِبِ الرُّوم ـ نَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَم ، فَخَرَجْنَا ؛ حَتَّى قَدِمْنَا الْغُوطَةَ ـ يَعْنِي : دِمَشْقَ ـ فَنَزَلْنَا عَلَى جَبْلَةَ بْنِ الأَيْهَمِ الْغَسَّانِيِّ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا بِرَسُولِهِ نُكَلِّمُهُ ، فَقُلْنَا : وَاللهِ لاَ نُكَلِّمُ رَسُولاً ، وَإِنَّمَا بُعِثْنَا إِلَى الْمَلِكِ ، فَإِنْ أَذِنَ لَنَا ؛ كَلَّمْنَاهُ ، وَإِلَّا ؛ لَمْ نُكَلِّمِ الرَّسُولَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ .

قالَ : فَأَذِنَ لَنَا ، فَقَالَ : تَكَلَّمُوا ، فَكَلَّمَهُ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ ، وَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَم ، فَإِذَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ سُودٌ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: وَمَا هَذِهِ الَّتِي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : لَبِسْتُهَا ، وَحَلَفْتُ أَلَّا أَنْزِعَهَا حَتَّى أُخْرِجَكُمْ مِّنَ الشَّامِ . قُلْنَا : وَمَجْلِسُكَ هَذَا فَوَاللهِ لَنَأْخُذَنَّهُ مِنْكَ وَلَنَأْخُذَنَّ مُلْكَ الْمَلِكِ الأَعْظَمِ إِنْ شَاءَ اللهُ ! أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ . قَالَ : لَسْتُمْ بِهِمْ ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَصُومُونَ بِالنَّهَارِ ، وَيَقُومُونَ بِاللَّيْلِ .

---

(١) في « دلائل النبوة » (١/ ٣٨٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ الْقُرَشِيِّ : أَنَّ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ ، وَنُعَيْمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ، وَرَجُلاً آخَرَ قَدْ سَمَّاهُ بُعِثُوا إِلَى مَلِكِ الرُّوم زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَى جَبْلَةَ بْنِ الأَيْهَمِ ؛ وَهُوَ بِالْغُوطَةِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ سُودٌ ، وَإِذَا كُلُّ شَيءٍ حَوْلَهُ أَسْوَدُ . فَقَالَ : يَا هِشَامُ ! كَلِّمْهُ ؛ فَكَلَّمَهُ ، وَدَعَاهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

(١) في « دلَائِلِ النبوة » (ص : ٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِرْسَالُ الصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْكُتُبَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ

كِتَابُ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى قَوْمِهِ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلاَم ، فَأُخْبِرْتُ : أَنَّهُ قَدْ بَعَثَ جَيْشاً إِلَى قَوْمِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! ارْدُدِ الْجَيْشَ ؛ وَأَنَا لَكَ بِإِسْلاَم قَوْمِي ، وَطَاعَتِهِمْ . فَقَالَ لِي : « اذْهَبْ فَرُدَّهُمْ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ رَاحِلَتِي قَدْ كَلَّتْ[٢] ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً ، فَرَدَّهُمْ .

قالَ الصُّدَائِيُّ : وَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ كِتَاباً ، فَقَدِمَ وَفْدُهُمْ بِإِسْلاَمِهِمْ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا أَخَا صُدَاءٍ ! إِنَّكَ لَمُطَاعٌ فِي قَوْمِكَ » . فَقُلْتُ : بَلِ اللهُ هَدَاهُمْ لِلإِسْلاَم ! فَقَالَ : « أَفَلاَ أُؤَمِّرُكَ عَلَيْهِمْ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : فَكَتَبَ لِي كِتَاباً أَمَّرَنِي . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مُرْ لِي بِشَيءٍ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ . قَالَ : « نَعَمْ » فَكَتَبَ لِي كِتَاباً آخَرَ .

قالَ الصُّدَائِيُّ : وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلاً ، فَأَتَاهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ يَشْكُونَ عَامِلَهُمْ ، وَيَقُولُونَ : أَخَذَنَا بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَوَ فَعَلَ ذَلِكَ ؟! »

(١) في « دلائل النبوة » (١/ ٣٨٦) .
(٢) أي : أعيتْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالُوا : نَعَمْ . فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ ؛ وَأَنَا فِيهِمْ فَقَالَ : « لَا خَيْرَ فِي الإِمَارَةِ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ » .

قالَ الصُّدَائِيُّ : فَدَخَلَ قَوْلُهُ فِي نَفْسِي . ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَعْطِنِي ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً ، فَصُدَاعٌ فِي الرَّأْسِ ، وَدَاءٌ فِي الْبَطْنِ » . فَقَالَ السَّائِلُ : أَعْطِنِي مِنَ الصَّدَقَةِ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ فِي الصَّدَقَاتِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حَكَمَ هُوَ فِيهَا ، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ ؛ أَعْطَيْتُكَ » .

قالَ الصُّدَائِيُّ : فَدَخَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي أَنِّي غَنِيٌّ ، وأَنِّي سَأَلْتُهُ مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ الصَّلاَةَ أَتَيْتُهُ بِالْكِتَابَيْنِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْفِنِي مِنْ هَذَيْنِ ، فَقَالَ: « مَا بَدَا لَكَ ؟! » ، فَقُلْتُ سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ: « لَا خَيْرَ فِي الإِمَارَةِ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ» وَأَنَا أُؤْمِنُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ! وَسَمِعْتُكَ تَقُولُ لِلسَّائِلِ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى فَهُوَ صُدَاعٌ فِي الرَّأْسِ ، وَدَاءٌ فِي الْبَطْنِ » ؛ وَسَأَلْتُكَ؛ وَأَنَا غَنِيٌّ . فَقَالَ: « هُوَ ذَاكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْبَلْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَدَعْ » . فَقُلْتُ : أَدَعُ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَدُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أُوَمِّرُهُ عَلَيْكُمْ » ، فَدَلَلْتُهُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَأَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ[1] .

كِتَابُ بُجَيْرِ بْنِ زُهَيرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ـ رضي الله عنه ـ إِلَى أَخِيهِ كَعْبٍ :

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[2] عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ ذِي الرُّقَيْبَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ

(١) كذا في « البداية والنهاية » (٥/ ٨٣) .
(٢) في « المستدرك » (٣/ ٥٧٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

جَدِّهِ ؛ قَالَ : خَرَجَ كَعْبٌ ، وبُجَيْرٌ ابْنَا زُهَيْرٍ ؛ حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ الْعَزَّافِ[١] . فَقَالَ بُجَيْرٌ لِّكَعْبٍ : اثْبُتْ فِي عِجْلٍ هَذَا الْمَكَانَ حَتَّى آتِيَ هَذَا الرَّجُلَ ـ يَعْنِي : رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ فَأَسْمَعَ مَا يَقُولُ. فَثَبَتَ كَعْبٌ ، وخَرَجَ بُجَيْرٌ ، فَجَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ ، فَأَسْلَمَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْباً ، فَقَالَ :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِّسَالَةً ... عَلَى أَيِّ شَيءٍ وَيْبَ[٢] غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَّمْ تُلْفِ أُمّاً ولاَ أَباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَّدِيَّةٍ ... وأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَا[٣]

فَلَمَّا بَلَغَتِ الأَبْيَاتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَهْدَرَ دَمَهُ ، فَقَالَ : «مَنْ لَّقِيَ كَعْباً ؛ فَلْيَقْتُلْهُ». فَكَتَبَ بِذَلِكَ بُجَيْرٌ إِلَى أَخِيهِ يَذْكُرُ لَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ : النَّجَاءَ[٤] وَمَا أُرَاكَ تُفْلِتُ[٥] .

ثمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ : اعْلَمْ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ يَّشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ إِلَّا قَبِلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَسْلِمْ ، وَأَقْبِلْ .

فأَسْلَمَ كَعْبٌ ، وَّقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ . ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِبَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ مَكَانَ الْمَائِدَةِ مِنَ الْقَوْمِ مُتَحَلِّقُونَ مَعَهُ حَلْقَةً دُونَ حَلْقَةٍ يَلْتَفِتُ إِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً ، فَيُحَدِّثُهُمْ ، وَإِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً ، فَيُحَدِّثُهُمْ .

قالَ كَعْبٌ : فَأَنَخْتُ رَاحِلَتِي بِبَابِ الْمَسْجِدِ ، فَعَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) موضع بين المدينة ، والرِّبذة .
(٢) وَيْب : وَيْل .
(٣) العلل : الشرب الثاني .
(٤) أي : انْجُ بنفسك .
(٥) أي : أي : تتخلّص .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بِصِفَةٍ فَتَخَطَّيْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَأَسْلَمْتُ ، فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، الأَمَانَ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « وَمَنْ أَنْتَ ؟ » قُلْتُ : أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ . قَالَ : « أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ » ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ : « كَيْفَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » فَأَنْشَدَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ :

سقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَّدِيَّةٍ وأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا قُلْتُ هَكَذَا . قَالَ : « وَكَيْفَ قُلْتَ ؟ » قَالَ : إِنَّمَا قُلْتُ :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَّوِيَّةٍ وأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَأْمُونٌ واللهِ ! » ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، فَذَكَرَ الْقَصِيدَةَ[1] .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ أَيْضاً[2] عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُلَيْحٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ؛ قَالَ : أَنْشَدَ النَّبِيَّ ﷺ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ « بَانَتْ سُعَادُ » فِي مَسْجِدِهِ بِالْمَدِينَةِ . فَلَمَّا بَلَغَ قَولَهُ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وصَارِمٌ مِّنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فِي فِتْيَةٍ مِّنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُوْلُوا

أَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ بِكُمِّهِ إِلَى الْخَلْقِ ؛ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ . قَالَ وَقَدْ كَانَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى يُخَوِّفُهُ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَقَالَ فِيهَا أَبْيَاتاً :

---

(١) هي القصيدة التي اشتهرتْ بعد بـ « البُردة » مطلعها :

بانت سعاد فقلبيَ اليوم متبولُ متيـمٌ إثـرهـا لـم يُفْـدَ مكبـول

(٢) في « المستدرك » (٣/ ٥٨٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَنْ مُبَلِّغٌ كَعْباً ؟ فَهَـلْ لَّـكَ فِي الَّتِي تلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهِيَ أَحْزَمُ[١] ؟
إِلَى اللهِ ـ لَا الْعُزَّى وَلَا اللاَّتِ ـ وَحْدَهُ فتَنْجُـو إِذَا كَانَ النَّجَـاءُ وَتَسْلَـمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُـو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ منَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِـمُ
فَدِيـنُ زُهَيْرٍ ـ وهُوَ لَا شَيءَ ـ بَاطِـلُ ودِيـنُ أَبِـي سُلْمَـى عَلَـيَّ مُحَـرَّمُ

كِتَابُ خَالِـدِ بْنِ الْوَلِيـدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ أَبِي وَائِـلٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى رُسْتُمَ ، وَمِهْرَانَ ، وَمَلأ فَارِسَ !

سلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ[٣] ؛ وأَنْتُمْ صَاغِرُونَ[٤] ؛ فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَإِنَّ مَعِي قَوْماً يُحِبُّونَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَا تُحِبُّ فَارِسُ الْخَمْرَ .

والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

كِتَابُ خَالِـدِ بْنِ الْوَلِيـدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى أَهْلِ الْمَدَائِـنِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٥] عَنْ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعَبِيِّ ؛ قَالَ : أَقْرَأَنِي بَنُو بُقَيْلَةَ كِتَابَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ :

(١) من (الحزم) وهو : أخذ الرجل بالثقة .
(٢) في « المعجم الكبير » برقم : (٣٨٠٦) .
(٣) أي : بأيديهم لا يؤكِّلون بها غيرهم .
(٤) أي : أذلّاء .
(٥) في تاريخه : (٢/٥٥٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

«مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَازِبَةِ[١] أَهْلِ فَارِسَ !

سلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى .

أَمَّا بَعْدُ : فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّ خَدَمَتَكُمْ[٢] ، وَسَلَبَ مُلْكَكُمْ ، وَوَهَّنَ كَيْدَكُمْ ، وَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ ؛ الَّذِي لَهُ مَا لَنَا ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا .

أَمَّا بَعْدُ . فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي ؛ فَابْعَثُوا إِلَيَّ بِالرُّهُنِ ، وَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ[٣] ، وَإِلَّا فَوَالَّذِي لَا إِلَـهَ غَيْرُهُ ؛ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ قَوْماً يُحِبُّونَ الْمَوْتَ ، كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ ! » .

فَلَمَّا قَرَؤُوا الْكِتَابَ أَخَذُوا يَتَعَجَّبُونَ ، وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ .

كِتَابُ خَالِـدِ بْنِ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى هُرْمُزَ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٤] أَيْضاً عَنِ الْمُجَالِدِ عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ : كَتَبَ خَالِدٌ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى هُرْمُزَ قَبْلَ خُرُوجِهِ مَعَ أَزَاذِبَةِ أَبِي الزِّيَاذِبَةِ الَّذِينَ بِالْيَمَامَةِ وَهُرْمُزُ صَاحِبُ الثَّغْرِ[٥] يَوْمَئِذٍ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ أَوِ اعْتَقِدْ لِنَفْسِكَ وَقَوْمِكَ الذِّمَّةَ ، وَأَقْرِرْ بِالْجِزْيَةِ ، وَإِلَّا فَلاَ تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ ، فَقَدْ جِئْتُكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ ! » .

---

(١) جمع (مَرْزُبان) وهو : الرئيس عند الفرس .
(٢) أي : فَرَّق جماعتكم .
(٣) أي : العهد .
(٤) في تاريخه : (٢/ ٥٥٤) .
(٥) الثغر : الموضع الذي يخاف منه هجوم العدوّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضاً[١] بِإِسْنَادِهِ : أَنَّ خَالِدًا لَمَّا غَلَبَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيِ السَّوَادِ ؛ دَعَا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ بِرَجُلٍ ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ ، وَهُمْ بِالْمَدَائِنِ مُخْتَلِفُونَ مُتَسَانِدُونَ[٢] لِمَوْتِ أَرْدَشِيرَ[٣] إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ أَنْزَلُوا بَهْمَنَ جَاذَوَيْهِ[٤] بِبُهَرَسِيرَ ، وَكَأَنَّهُ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، وَمَعَ بَهْمَنَ جَاذَوَيْهِ الأَزَاذِبَهْ فِي أَشْبَاهٍ لَّهُ ، وَدَعَا صَلُوبَا[٥] بِرَجُلٍ ، وكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا ؛ فَإِلَى الْخَاصَّةِ ، وَأَمَّا الآخَرُ ؛ فَإِلَى الْعَامَّةِ ، أَحَدُهُمَا حِيرِيٌّ ، وَالآخَرُ نَبَطِيٌّ . وَلَمَّا قَالَ خَالِدٌ لِّرَسُولِ أَهْلِ الْحِيرَةِ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : مُرَّةُ . قَالَ : خُذِ الْكِتَابَ فَائْتِ بِهِ أَهْلَ فَارِسَ لَعَلَّ اللهِ أَنْ يُّمِرَّ عَلَيْهِمْ عَيْشَهُمْ ، أَوْ يُسْلِمُوا ، أَوْ يُنِيبُوا[٦] ! وَقَالَ لِرَسُولِ صَلُوبَا : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : هِزْقِيلُ . قَالَ فَخُذِ الْكِتَابَ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ! أَزْهِقْ نُفُوسَهُمْ[٧] !

قالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَالْكِتَابَانِ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مُلُوكِ فَارِسَ !

أَمَّا بَعْدُ ! فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَلَّ نِظَامَكُمْ[٨] ، وَوَهَّنَ كَيْدَكُمْ ، وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِكُمْ ؛ كَانَ شَرّاً لَّكُمْ ،

(١) في « تاريخه » : (٢/ ٥٧١) ، انظر أيضاً « تاريخ الطبري » (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .
(٢) أي : متعاونون .
(٣) من ملوك المجوس المشهورين .
(٤) رسم رجلٍ من الملوك المجوس .
(٥) اسم مكانٍ .
(٦) أي : يقلبوا على طاعة الله .
(٧) أي : أهلكهم .
(٨) أي : فرَّق .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَادْخُلُوا فِي أَمْرِنَا ؛ نَدَعْكُمْ وَأَرْضَكُمْ ، وَنَجُوزُكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ عَلَى غَلَبٍ عَلَى أَيْدِي قَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ ، كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَازِبَةِ فَارِسَ :

أَمَّا بَعْدُ ! فَأَسْلِمُوا ؛ تَسْلَمُوا ، وَإِلَّا ؛ فَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ ، وَأَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَإِلَّا ؛ فَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ شُرْبَ الْخَمْرِ » . انْتَهَى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ الصَّحَابَـةِ رضي الله عنهم فِي الْقِتَالِ في عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ

دَعْوَةُ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الْكِنَانِيِّ ، حَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ التَّمِيمِيُّ : أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ فِي سَرِيَّةٍ. قَالَ : فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُغَارَ(١) ؛ اسْتَحْثَثْتُ فَرَسِي(٢) ، فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي ، وَاسْتَقْبَلَنَا الْحَيُّ بِالرَّنِينِ(٣) . فَقُلْتُ لَهُمْ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُحْرَزُوا(٤) ! فَقَالُوهَا ، وَجَاءَ أَصْحَابِي ، فَلاَمُونِي وَقَالُوا : حَرَمْتَنَا الْغَنِيمَةَ بَعْدَ أَنْ بَرَدَتْ(٥) فِي أَيْدِينَا . فَلَمَّا قَفَلْنَا(٦) ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَانِي ، فَحَسَّنَ مَا صَنَعْتُ ، وَقَالَ : « أَمَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ لَكَ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِّنْهُمْ كَذَا وَكَذَا » .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَأَنَا سَبَبُ ذَلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمَا إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَاباً ، وَأُوصِي بِكَ مَن يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ » .

(١) المُغَار : موضع الغارة .
(٢) أي : حملته على الإسراع في السَّير .
(٣) أي : بالصياح .
(٤) أي : تحفظوا أموالكم ، وأنفسكم .
(٥) أي : ثبتت واستقرَّت .
(٦) أي : رجعنا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَفَعَلَ ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ لِي : « إِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ ؛ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا : « اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ » سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ ؛ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَاراً مِّنَ النَّارِ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ ؛ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا : « اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ » سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ ؛ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَاراً مِّنَ النَّارِ » .

فلَمَّا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَتَيْتُ أَبَا بَكْر ـ رضي الله عنه ـ فَفَضَّهُ[١] ، فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ لِي ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ .

ثمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ .

قالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَارِثِ : فَتُوُفِّيَ الْحَارِثُ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ فَكَانَ الْكِتَابُ عِنْدَنَا ؛ حَتَّى وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ـ رحمه الله ـ فَكَتَبَ إِلىٰ عَامِلٍ قِبَلَنَا أَنْ أَشْخِصْ لي مُسْلِمَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنِ مُسْلِمٍ التَّمِيمِيَّ بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي كَتَبَهُ لأَبِيهِ . فَشَخَصْتُ بِهِ[٢] إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهُ ، وَأَمَرَ لِي ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ[٣] .

دَعْوَةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيِّ ، رضي الله عنه :

وَأَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ[٤] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ ؛ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَعْبَ بْنَ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيَّ ـ رضي الله عنهما ـ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً ؛ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذَاتِ أَطْلاَحٍ[٥] مِّنَ الشَّامِ ، فَوَجَدُوا جَمْعاً مِّنْ جَمْعِهِمْ

(١) أي : فَكَّه وفتحه .
(٢) أي : خرجتْ .
(٣) كذا في « كنز العمال » (٧/ ٢٨) و « المنتخب من كنز العمال » (٤/ ١٦٢) .
(٤) في المغازي : (٢/ ٧٥٢) .
(٥) هي من وراء وادي القرى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

كَثِيرًا فَدَعَوْهُمْ إِلىَ الإِسْلاَمِ ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَرَشَقُوهُمْ[١] بِالنَّبْلِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ؛ حَتَّى قُتِلُوا فَارْتُثَّ[٢] مِنْهُمْ رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلَى . فَلَمَّا أَنْ بَرَدَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ تَحَامَلَ ؛ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَهَمَّ بِالْبِعْثَةِ إِلَيْهِمْ فَبَلَغَهُ : أَنَّهُمْ سَارُوا إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ .

وأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِمِثْلِهِ؛ وَهَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ وَأَنَّ كَعْبَ بْنَ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ .

دَعْوَةُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ ، رضي الله عنه :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٤] مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ؛ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ[٥] ؛ رَجَعَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ ، فَبَعَثَ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ السُّلَمِيَّ ـ رضي الله عنه ـ فِي خَمْسِينَ فَارِساً ، فَخَرَجَ الْعَيْنُ[٦] إِلَى قَوْمِهِ ، فَحَذَّرَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ ، فَجَمَعُوا جَمْعاً كَثِيراً ، وَجَاءَهُمُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ ؛ وَالْقَوْمُ مُعِدُّونَ ، فَلَمَّا أَنْ رَأَوْهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَأَوْا جَمْعَهُمْ ؛ دَعَوْهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَهُمْ ، وَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ ، فَرَمَوْهُمْ سَاعَةً ، وجَعَلَتِ الأَمْدَادُ[٧] تَأْتِي حَتَّى أَحْدَقُوا[٨] بِهِمْ مِّنْ كُلِّ

(١) أي : رموهم .
(٢) الرثيث : الجريح فيه رمق وبقيةٌ .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٢/ ١٢٧) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤٢) .
(٥) تُسَمَّى أيضاً «عمرة القضاء» وكانت في السنة السابعة من الهجرة بعد صلح الحديبية بعامٍ.
(٦) أي : الجاسوس .
(٧) أي : الأعوانُ .
(٨) أي : أحاطوا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

جَانِبٍ ؛ فَقَاتَلَ الْقَوْمُ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ عَامَّتُهُمْ ، وَأُصِيبَ ابْنُ أَبِي الْعَوجَاءِ بِجِرَاحَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَتَحَامَلَ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِّنْ شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ إِلَى اللهِ تَعَالَى في عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ ، رضي الله عنه

أَمْرُ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ أُمَرَاءَهُ بِالدَّعْوَةِ حِينَ بَعَثَ الْجُنُودَ نَحْوَ الشَّامِ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[١] وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ لَمَّا بَعَثَ الْجُنُودَ نَحْوَ الشَّامِ ؛ أَمَّرَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، وَلَمَّا رَكِبُوا ؛ مَشَى أَبُو بَكْرٍ مَعَ أُمَرَاءِ جُنُودِهِ يُوَدِّعُهُمْ ؛ حَتَّى بَلَغَ ثَنِيَّةَ[٢] الْوَدَاعِ ، فَقَالُوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ! تَمْشِي وَنَحْنُ رُكْبَانٌ ؟! فَقَالَ : إِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ . ثُمَّ جَعَلَ يُوصِيهِمْ ، فَقَالَ :

أوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُ دِينِهِ ،

ولَا تَغُلُّوا[٣] ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تَجْبُنُوا ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، وَلَا تَعْصُوا مَا تُؤْمَرُونَ .

فَإِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ ؛ فَإِنْ

(١) في « السنن الكبرى » (٢/ ١٢٣) .
(٢) كان لكل طريق ثنيةٌ يودِّع فيها الناس بعضهم بعضاً .
(٣) أي : لا تخونوا في المغنم ، والسرقة من الغنيمة قبل التقسيم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هُمْ أَجَابُوكُمْ ؛ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ ، وَكُفُّوا عَنْهُمْ : ادْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكُمْ ؛ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ ، وَكُفُّوا عَنْهُمْ ؛ ثُمَّ ادْعُوهُمْ إِلىَ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ هُمْ فَعَلُوا ؛ فَأَخْبِرُوهُمْ : أَنَّ لَهُمْ مِّثْلَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ؛ وَعَلَيْهِمْ مَّا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ ، وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ عَلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ؛ فَأَخْبِرُوهُمْ : أَنَّهُمْ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْفَيءِ ، وَالْغَنَائِمِ شَىْءٌ حَتَّى يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا أَنْ يَّدخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ ؛ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْجِزْيَةِ ؛ فَإِنْ هُمْ فَعَلُوا ؛ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ ، وَكُفُّوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا ؛ فَاسْتَعِينُوا بِاللهِ عَلَيْهِمْ ، فَقَاتِلُوهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ .

ولاَ تُعْرِقُنَّ نَخْلاً ، ولاَ تُحْرِقُنَّهَا ، وَلاَ تَعْقِرُوا الْبَهِيمَةَ ، وَلاَ شَجَرَةَ ثَمَرٍ ، ولاَ تَهْدِمُوا بِيعَةَ[1] ، ولاَ تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ ، وَلاَ الشُّيُوخَ ، وَلاَ النِّسَاءَ ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَاماً حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ ، فَدَعُوهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَتَجِدُونَ آخَرِينَ اتَّخَذُوا لِلشَّيْطَانِ فِي أَوْسَاطِ رُؤُوسِهِمْ أَفْحَاصاً[2] ؛ فَإِذَا وَجَدتُّمْ أُولَئِكَ ؛ فَاضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ .

أَمْرُ أَبِي بَكْرٍ خَالِدًا ـ رضي الله عنهما ـ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْمُرْتَدِّينَ :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[3] عَنْ عُرْوَةَ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ـ رضي الله عنه ـ أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، وَيُبَيِّنَهُمْ بِالَّذِي لَهُمْ فِيهِ ، وَعَلَيْهِمْ ، وَيَحْرِصَ عَلَى

(١) البيعة : الكنيسة .
(٢) أي : حلقوا رؤوسهم ، وكأنهم اتخذوا ذلك شعاراً .
(٣) في « السنن الكبرى » (٨/ ٢٠١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هُدَاهُمْ ، فَمَنْ أَجَابَهُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ[١] كَانَ يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ ، فَإِذَا أَجَابَ الْمَدْعُوُّ إِلَى الإِسْلاَمِ وَصَدَقَ إِيمَانُهُ ؛ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ ، وكَانَ اللهُ هُوَ حَسِيبَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلاَمِ مِمَّنْ يَرْجِعُ عَنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ[٢] .

دَعْوَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ـ رضي الله عنه ـ لأَهْلِ الْحِيرَةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ[٣] عَنِ ابْنِ حُمَيدٍ عَنْ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ : أَنَّ خَالِدًا نَزَلَ الْحِيرَةَ[٤] ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهَا مَعَ قَبِيصَةَ بْنِ إِيَاسِ ابْنِ حَيَّةَ الطَّائِيِّ ـ وَكَانَ أَمَّرَهُ عَلَيْهَا كِسْرَى بَعْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ـ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ ولأَصْحَابِهِ: أَدْعُوكُمْ إِلَى اللهِ، وَإِلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَيْهِ ؛ فَأَنْتُمْ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَكُمْ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْكُمْ ما عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَيتُمْ ؛ فَالْجِزْيَةُ؛ فَإِنْ أَبَيْتُمُ الْجِزْيَةَ ؛ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ ، جَاهَدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ .

فقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ : مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ ، بَلْ نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا ، وَنُعْطِيكُمُ الْجِزْيَةَ . فَصَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ[٥] مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَفِيهِ: فَقَالَ خَالِدٌ : أَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَإِلَى أَنْ تَشْهَدُوا أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ ،

(١) أي : العجم والعرب .
(٢) كذا في « كنز العمال » (٣/ ١٤٣) .
(٣) في تاريخه : (٣/ ٣٤٤) .
(٤) كانت تقع بين النجف والكوفة ، وكانت قاعدة المناذرة .
(٥) في « السنن الكبرى » (٩/ ١٨٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَتُقِرُّوا بِأَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ لَكُمْ مِّثْلَ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْكُمْ مِّثْلَ مَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ هَانِىءٌ : وَإِنْ لَّمْ أَشَأْ ذَلِكَ فَمَهْ[١] ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ ؛ أَدَّيْتُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ . قَالَ : فَإِنْ أَبَيْنَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ ؛ وَطِئْتُكُمْ[٢] بِقَوْمٍ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِّنَ الْحَيَاةِ إِلَيْكُمْ .

فقَالَ هَانِىءٌ : أَجِّلْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ ، فَنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَدَا هَانِىءٌ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ أَمْرُنَا عَلَى أَنْ نُّؤَدِّيَ الْجِزْيَةَ ، فَهَلُمَّ فَلأُصَالِحْكَ ! فَذَكَرَ الْقِصَّةَ .

وقَالَ فِي الْبِدَايَةِ[٣] أَيْضاً : لَمَّا تَقَارَبَ النَّاسُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ ؛ تَقَدَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَمَعَهُمَا ضِرَارُ بْنُ الأَزْوَرِ ، والْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَّأَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ . وَنَادَوْا : إِنَّمَا نُرِيدُ أَمِيرَكُمْ لِنَجْتَمِعَ بِهِ . فَأَذِنَ لَهُمْ لِلدُّخُولِ عَلَى تَذَارُقَ[٤] ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي خَيْمَةٍ مِّنْ حَرِيرٍ ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ : لَا نَسْتَحِلُّ دُخُولَهَا . فَأَمَرَ لَهُمْ بِفَرْشٍ بُسِطَ مِنْ حَرِيرٍ . فَقَالُوا : وَلَا نَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ حَيْثُ أَحَبُّوا ، وَتَرَاوَضُوْا[٥] عَلَى الصُّلْحِ ، وَرَجَعَ عَنْهُمُ الصَّحَابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ بَعْدَمَا دَعَوْهُمْ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ .

دَعْوَةُ خَالِدٍ ـ رضي الله عنه ـ لِلأَمِيرِ الرُّومِيِّ جَرَجَةَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ وَقِصَّةُ إِسْلاَمِهِ :

وَذُكِرَ فِي الْبِدَايَةِ[٦] عَنِ الْوَاقِدِيِّ، وَغَيْرِهِ؛ قَالُوا: خَرَجَ جَرَجَةُ[٧] ـ أَحَدُ

(١) أي : أيُّ شيء يكون إن لم أفعل ذلك ؟
(٢) أراد به الغزو ، والقتال .
(٣) في « البداية والنهاية » (٧/ ٩) .
(٤) هو أخو هِرَقْل .
(٥) أي : تجاذبوا أطراف الحديث .
(٦) في « البداية والنهاية » (٧/ ٩) .
(٧) اسم مقدم عسكر الرُّوم يوم اليرموك .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الأُمَرَاءِ الْكِبَارِ ـ مِنَ الصَّفِّ أَيْ : يَومَ الْيَرْمُوكِ ، وَاسْتَدْعَى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ فَرَسَيْهِمَا ، فَقَالَ جَرَجَةُ : يَا خَالِدُ ! أَخْبِرْنِي فَاصْدُقْنِي ، وَلَا تَكْذِبْنِي ؛ فَإِنَّ الْحُرَّ لَا يَكْذِبُ ، وَلَا تُخَادِعْنِي ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُخَادِعُ الْمُسْتَرْسِلَ[١] ، بِاللهِ ! هَلْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ، فَأَعْطَاكَهُ ، فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَزَمْتَهُمْ ؟! قَالَ : لَا ، قَالَ : فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللهِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللهَ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ ، فَدَعَانَا ، فَنَفَرْنَا مِنْهُ ، وَنَأَيْنَا عَنْهُ[٢] جَمِيعاً ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ ، وَتَابَعَهُ ، وَبَعْضَنَا كَذَّبَهُ ، وَبَاعَدَهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ كَذَّبَهُ ، وَبَاعَدَهُ . ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا ، وَنَوَاصِينَا ، فَهَدَانَا بِهِ ، وَبَايَعْنَاهُ . فَقَالَ لِي : « أَنْتَ سَيْفٌ مِّنْ سُيُوفِ اللهِ ، سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ » وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ . فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللهِ بِذَلِكَ ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

فَقَالَ جَرَجَةُ : يَا خَالِدُ ! إِلَامَ تَدْعُونَ ؟ قَالَ : إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷺ . قَالَ : فَمَنْ لَّمْ يُجِبْكُمْ؟ قَالَ : فَالْجِزْيَةُ ، وَنَمْنَعُهُمْ . قَالَ : فَإِنْ لَّمْ يُعْطِهَا ؟ قَالَ : نُؤْذِنُهُ بِالْحَرْبِ ، ثُمَّ نُقَاتِلُهُ . قَالَ : فَمَا مَنْزِلَةُ مَنْ يُّجِيبُكُمْ ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الأَمْرِ[٣] الْيَوْمَ ؟ قَالَ : مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْنَا شَرِيفِنَا ، وَوَضِيعِنَا ، وَأَوَّلِنَا ، وَآخِرِنَا .

قَالَ جَرَجَةُ : فَلِمَنْ دَخَلَ فِيكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِّنَ الأَجْرِ ، وَالذُّخْرِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَفْضَلُ . قَالَ : وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ ؛ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ ؟ فَقَالَ خَالِدٌ : إِنَّا قَبِلْنَا هَذَا الأَمْرَ عَنْوَةً[٤] ، وَّبَايَعْنَا نَبِيَّنَا ؛ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ ، يُخْبِرُنَا بِالْكِتَابِ ، وَيُرِينَا الآيَاتِ ، وَحَقٌّ لِّمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا ،

(١) من الاسترسال : هو الاستئناس والطُّمأنينة إلى الإنسان والثقة به فيما يحدثه .
(٢) أي : بعدنا عنه .
(٣) أي : في دين الإسلام .
(٤) أي : قهراً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا أَن يُّسْلِمَ ، وَيُبَايِعَ ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَالْحُجَجِ ؛ فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ ، ونِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا .

فقَالَ جَرَجَةُ : بِاللهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي ، وَلَمْ تُخَادِعْنِي ! قَالَ : تَاللهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ ! وَإِنَّ اللهَ وَلِيُّ مَاسَأَلْتَ عَنْهُ .

فعِنْدَ ذَلِكَ قَلَبَ[١] جَرَجَةُ التُّرْسَ[٢] وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ ، وقَالَ : عَلِّمْنِيَ الإِسْلاَمَ . فَمَالَ بِهِ خَالِـدٌ إِلَى فُسْطَاطِهِ فَشَنَّ عَلَيْهِ[٣] قِرْبَةً مِّنْ مَاءٍ ثُمَّ صَلَّى بِهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَحَمَلَتِ الرُّومُ مَعَ انْقِلاَبِهِ إِلَى خَالِدٍ وهُمْ يُرَوْنَ : أَنَّهَا مِنْهُ حَمْلَةٌ ، فَأَزَالُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَّوَاقِفِهِمْ إِلَّا الْمُحَامِيَةَ[٤] عَلَيهِمْ : عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، وَّالْحَارِثَ ابْنَ هِشَامٍ. فَرَكِبَ خَالِدٌ وجَرَجَةُ مَعَهُ ؛ وَالرُّومُ خِلاَلَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَنَادَى النَّاسُ ، وَثَابُوا[٥] وَتَرَاجَعَتِ الرُّومُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ وَزَحَفَ خَالِدٌ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ ، فَضَرَبَ فِيهِمْ خَالِدٌ ، وَجَرَجَةُ مِنْ لَدُنِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى جُنُوحِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ صَلاَةَ الظُّهْرِ ، وَصَلاَةَ الْعَصْرِ إِيمَاءً ، وأُصِيبَ جَرَجَةُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَلَمْ يُصَلِّ للهِ إِلَّا تِلْكَ الرَّكْعَتَيْنِ مَعَ خَالِدٍ ، رضي الله عنه .

---

(١) أي : جعل أعلاه أسفله .
(٢) صفحةٌ حديديةٌ تُحمل للوقاية من السيف ونحوه .
(٣) أي : غسله .
(٤) أي : الجماعة المدافعة .
(٥) أي : اجتمعوا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دَعْوَةُ الصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْقِتَالِ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب ، رضي الله عنه

كتَابُ عُمَرَ إِلَى سَعْدٍ ـ رضي الله عنهما ـ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ :

أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ[١] عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ؛ قَال : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رضي الله عنهما ـ أَنِّي قَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَكَ قَبْلَ الْقِتَالِ ؛ فَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَهُ سَهْمٌ فِي الإِسْلَامِ ، وَمَنِ اسْتَجَابَ لَكَ بَعْدَ الْقِتَالِ ، أَوْ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ؛ فَمَالُهُ فَيْءٌ لِّلْمُسْلِمِينَ ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَحْرَزُوهُ[٢] قَبْلَ إِسْلَامِهِ. فَهَذَا أَمْرِي ، وَكِتَابِي إِلَيْكَ .

دَعوَةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ـ رضي الله عنه ـ يَوْمَ الْقَصْرِ الأَبْيَضِ ثَلَاثَـةَ أَيَّامٍ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٣] عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ أَنَّ جَيْشاً مِّنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَمِيرَهُمْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ـ رضي الله عنه ـ فَحَاصَرُوا قَصْراً مِنْ قُصُورِ فَارِسَ ، فقَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ[٤] ؟! قَالَ : دَعُونِي أَدْعُوهُمْ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنَا رَجُلٌ مِّنْكُمْ فَارِسِيٌّ أَتَرَوْنَ

(١) في « الأموال » (ص : ٣٦٨) .
(٢) أي : ضمُّوه إليهم ، وملكوه .
(٣) في « حلية الأولياء » (١/ ١٨٩) .
(٤) أي : ننهض إليهم للقتال .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْعَرَبَ تُطِيعُنِي ؟ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ ؛ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا ، وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا دِينكُمْ ؛ تَرَكْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَيْتُمُونَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَّأَنْتُمْ صَاغِرُونَ .

قالَ : وَرَطَنَ[١] إِلَيْهِمْ بِالْفَارِسِيَّةِ ، وَأَنْتُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ ؛ وَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ[٢] عَلَى سَوَاءٍ ، فَقَالُوا : مَا نَحْنُ بِالَّذِي نُؤْمِنُ ، وَمَا نَحْنُ بِالَّذِي نُعْطِي الْجِزْيَةَ ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُكُمْ ! قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ ؟ قَالَ : لَا ، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا . ثُمَّ قَالَ : انْهَدُوا إِلَيْهِمْ ! فَنَهَدُوا إِلَيْهِمْ .

قالَ : فَفَتَحُوا ذَلِكَ الْحِصْنَ .

وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً ابْنُ جَرِيرٍ[٣] عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ؛ قَالَ : كَانَ رَائِدَ الْمُسْلِمِينَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ جَعَلُوهُ دَاعِيَةَ أَهْلِ فَارِسَ . قَالَ عَطِيَّةُ : وَقَدْ كَانُوا أَمَرُوهُ بِدُعَاءِ أَهْلِ بَهُرَسِيرَ[٤] ، وَأَمَرُوهُ يَوْمَ الْقَصْرِ الأَبْيَضِ ، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثًا ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي دَعْوَةِ سَلْمَان ـ رضي الله عنه ـ بِمَعْنَاهُ .

دَعْوَةُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ وَّأَصْحَابِهِ ـ رضي الله عنهم ـ لِرُسْتُمَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ :

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبِدَايَةِ[٥] : أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رضي الله عنه ـ بَعَثَ جَمَاعَةً مِّنَ السَّادَاتِ ، مِنْهُمْ : النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ ، وَفُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ ، وَعُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ ، وَّالأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ،

(١) أي : تكلَّم بكلام غير عربيٍّ .
(٢) أي : قاتلناكم .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٧٣) .
(٤) موضع من نواحي سوار بغداد قُرب المدائن .
(٥) في « البداية والنهاية » (٧/ ٣٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

والْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ يَدْعُونَ رُسْتُمَ إِلَى اللهِ ، عزَّ وجلَّ . فَقَالَ لَهُمْ رُسْتُمُ: مَا أَقْدَمَكُمْ ؟ فَقَالُوا : جِئْنَا لِمَوْعُودِ[1] اللهِ إِيَّانَا أَخْذَ بِلاَدِكُمْ ، وَسَبْيَ نِسَائِكُمْ ، وَأَبْنَائِكُمْ ، وَأَخْذَ أَمْوَالِكُمْ ، فَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ !

وقَدْ رَأَى رُسْتُمُ فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ مَلَكاً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَخَتَمَ عَلَى سِلاَحِ الْفُرُسِ كُلِّهِ ، وَدَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ ، رضي الله عنه .

دَعْوَةُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ لِرُسْتُمَ :

وَقَالَ سَيْفٌ عَنْ شُيُوخِهِ: وَلَمَّا تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ ؛ بَعَثَ رُسْتُمُ إِلَى سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ عَالِمٍ بِمَا أَسْأَلُهُ عَنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، رضي الله عنه . فَلَمَّا قَدِمَ إِلَيْهِ ؛ جَعَلَ رُسْتُمُ يَقُولُ لَهُ : إِنَّكُمْ جِيرَانُنَا ، وَكُنَّا نُحْسِنُ إِلَيْكُمْ ، وَنَكُفُّ الأَذَى عَنْكُمْ ، فَارْجِعُوا إِلَى بِلاَدِكُمْ ، وَلاَ نَمْنَعُ تِجَارَتَكُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلاَدِنَا .

فقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ : إِنَّا لَيْسَ طَلَبُنَا الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا ، وَطَلَبُنَا الآخِرَةُ ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً ، قالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ سَلَّطْتُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَدِنْ بِدِينِي ، فَأَنَا مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْهُمْ وَأَجْعَلُ لَهُمُ الْغَلَبَةَ مَا دَامُوا مُقِرِّينَ بِهِ ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ لاَ يَرْغَبُ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ ، وَلاَ يَعْتَصِمُ بِهِ إِلَّا عَزَّ .

فقَالَ لَهُ رُسْتُمُ : فَمَا هُوَ ؟

---

(١) أي : لأجل وعده ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ : أَمَّا عَمُودُهُ[١] الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَيْءٌ مِّنْهُ إِلَّا بِهِ ؛ فَشَهَادَةُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ ، وَالإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

فقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا ! وَأَيُّ شَيءٍ أَيْضاً ؟

قالَ : وَإِخْرَاجُ الْعِبَادِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ .

قالَ : وَحَسَنٌ أَيْضاً ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضاً ؟

قالَ : وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ ، فَهُمْ إِخْوَةٌ لأَبٍ وَأُمٍّ .

قالَ : وَحَسَنٌ أَيْضاً ! ثُمَّ قَالَ رُسْتُمُ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلْنَا فِي دِينِكُمْ أَتَرْجِعُونَ عَنْ بِلاَدِنَا ؟

قالَ : إِي[٢] وَاللهِ ! ثُمَّ لَا نَقْرَبُ بِلاَدَكُمْ إِلَّا فِي تِجَارَةٍ ، أَوْ حَاجَةٍ .

قالَ : وَحَسَنٌ أَيْضاً !

قالَ : وَلَمَّا خَرَجَ الْمُغِيرَةُ مِنْ عِنْدِهِ ذَاكَرَ رُسْتُمُ رُؤَسَاءَ قَوْمِهِ فِي الإِسْلاَمِ فَأَنِفُوا ذَلِكَ ، وَأَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ ، قَبَّحَهُمُ اللهُ وَأَخْزَاهُمْ ! وَقَدْ فَعَلَ .

دَعْوَةُ رِبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ ـ رضي الله عنه ـ لِرُسْتُمَ :

قَالُوا: ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدٌ ـ رضي الله عنه ـ رَسُولاً آخَرَ بِطَلَبِهِ ، وَهُوَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ زَيَّنُوا مَجْلِسَهُ بِالنَّمَارِقِ[٣] الْمُذَهَّبَةِ ، وَالزَّرَابِيِّ[٤] الْحَرِيرِ ، وَأَظْهَرَ الْيَوَاقِيتَ ، وَاللآلِىءَ الثَّمِينَةَ ، وَالزِّينَةَ الْعَظِيمَةَ ؛ وَعَلَيْهِ تَاجُهُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَمْتِعَةِ الثَّمِينَةِ ؛ وَقَدْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ .

(١) عمود الأمر : قوامه .
(٢) أي : وهو بمعنى : نعم .
(٣) النَّمارق : الوسائد .
(٤) الزَّرابي : هي بسطٌ لها خملٌ ، وقيل : بسطٌ فاخرةٌ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ودَخَل رِبْعِيٌّ بِثِيَابٍ صَفِيقَةٍ(١) وَسَيْفٍ وَتُرْسٍ وَفَرَسٍ قَصِيرَةٍ وَّلَمْ يَزَلْ رَاكِبَهَا حَتَّى دَاسَ(٢) بِهَا عَلَى طَرَفِ الْبِسَاطِ ثُمَّ نَزَلَ وَرَبَطَهَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْوَسَائِدِ وَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ سِلاَحُهُ وَدِرْعُهُ وَبَيْضَتُهُ(٣) عَلَى رَأْسِهِ. فَقَالُوا لَهُ: ضَعْ سِلاَحَكَ ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكُمْ وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُونِي ، فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي هَكَذَا ؛ وَإِلَّا رَجَعْتُ. فَقَالَ رُسْتُمُ : ائذَنُوا لَهُ . فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ فَوْقَ النَّمَارِقِ ، فَخَرَّقَ عَامَّتَهَا. فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ: اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَـادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلاَمِ ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ؛ فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ ؛ قَبِلْنَا مِنْهُ ، وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَمَنْ أَبَى ؛ قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ(٤) إِلَى مَوْعُودِ اللهِ ، قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى ، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ .

فقَالَ رُسْتُمُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ ، فَهَلْ لَّكُمْ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ ، وَتَنْظُرُوا ؟ قَالَ: نَعَمْ ، كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ: يَوْماً ، أَوْ يَوْمَينِ ؟ قَالَ: لَا بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا ، وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا. فَقَالَ: مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُؤَخِّرَ الأَعْدَاءَ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثٍ ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ ، وَأَمْرِهِمْ ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِّنْ ثَلاَثٍ بَعْدَ الأَجَلِ. فَقَالَ: أَسَيِّدُهُمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلاَهُمْ .

فاجْتَمَعَ رُسْتُمُ بِرُؤَسَاءِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ أَعَزَّ ، وَأَرْجَحَ مِنْ كَلاَمِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا : مَعَاذَ اللهِ! أَنْ تَمِيلَ إِلَى شَيءٍ مِّنْ هَذَا ، وَتَدَعَ

(١) صفيقة : أي كثيفة النسج .
(٢) داسَ : أي : وطيء .
(٣) البيضة : هي الخوذة من حديدٍ تُوضَع على الرَّأس لوقايته .
(٤) أي : نَصِل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دِينَكَ إِلَى هَذَا الْكَلْبِ ! أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ ؟! فَقَالَ : وَيْلَكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ ، وَانْظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ ، وَالْكَلَامِ ، وَالسِّيرَةِ ، إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخِفُّونَ بِالثِّيَابِ ، وَالْمَأْكَلِ ، وَيَصُونُونَ الأَحْسَابَ[١] .

دَعْوَةُ حُذَيْفَة بْنِ مُحْصِن والمُغِيْر بْن شُعبة لرُسْتُم في اليومِ الثَّاني والثَّالث :

ثمَّ بَعَثُوا يَطْلُبُونَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي رَجُلاً ، فَبُعِثَ إِلَيْهِمْ حُذَيْفَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، فَتَكَلَّمَ نَحْوَ مَا قَالَ رِبْعِيٌّ؛ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ـ رضي الله عنهم ـ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَسَنٍ طَوِيلٍ ، قَالَ فِيهِ رُسْتُمُ لِلْمُغِيرَةِ: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي دُخُولِكُمْ أَرْضَنَا كَمَثَلِ الذُّبَابِ رَأَى الْعَسَلَ ، فَقَالَ : مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ ؟ فَلَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِ غَرِقَ فِيهِ ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْخَلَاصَ ، فَلَا يَجِدُهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَلَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ؟! وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ ثَعْلَبٍ ضَعِيفٍ دَخَلَ جُحْراً فِي كَرْمٍ[٢] ، فَلَمَّا رَآهُ صَاحِبُ الْكَرْمِ ضَعِيفاً رَحِمَهُ ، فَتَرَكَهُ ، فَلَمَّا سَمِنَ أَفْسَدَ شَيْئاً كَثِيراً فَجَاءَ بِخَشَبَةٍ ، وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِغِلْمَانِهِ ، فَذَهَبَ لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِسِمَنِهِ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَهَكَذَا تُخْرَجُونَ مِنْ بِلَادِنَا . ثُمَّ اسْتَشَاطَ غَضَباً ، وَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ[٣] لأَقْتُلَنَّكُمْ غَدًا !

فقَالَ الْمُغِيرَةُ : سَتَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ رُسْتُمُ لِلْمُغِيرَةِ : قَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِكِسْوَةٍ ، ولأَمِيرِكُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وكِسْوَةٍ، ومَرْكُوبٍ، وتَنْصَرِفُونَ عَنَّا . فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : أَبَعْدَ أَنْ أَوْهَنَّا[٤] مُلْكَكُمْ وَضَعَّفْنَا عِزَّكُمْ ؟ وَلَنَا مُدَّةٌ نَحْوَ بِلَادِكُمْ ، وَنَأْخُذُ

(١) جمع (الحَسَب) وهو : الشرف بالآباء ، وما يعدّه الناسُ من مفاخرهم ومآثرهم .
(٢) الكَرْم : شجر العِنب .
(٣) وكان المجوس يعبدون الشّمس .
(٤) أي : أضعفنا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْجِزْيَةَ مِنْكُمْ عَنْ يَدٍ وَّأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَسَتَصِيرُونَ لَنَا عَبِيدًا عَلَى رَغْمِكُمْ[١] !! . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ؛ اسْتَشَاطَ غَضَباً !

بَعْثُ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىَ كِسْرَى لِلدَّعْوَةِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٢] عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : قَالَ أَبُو وَائِلٍ : جَاءَ سَعْدٌ ـ رضي الله عنه ـ حَتَّى نَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَمَعَهُ النَّاسُ قَالَ : لَا أَدْرِى لَعَلَّنَا لَا نَزِيدُ عَلَى سَبْعَةِ آلَافٍ ، أَوْ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، والْمُشْرِكُونَ ثَلَاثُونَ أَلْفاً ـ كَذَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ .

وذُكِرَ فِي الْبِدَايَةِ[٣] عَنْ سَيْفٍ ، وغَيْرِهِ : أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفاً . وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَ رُسْتُمُ فِي مِئَةِ أَلْفٍ وَّعِشْرِينَ أَلْفاً يَتْبَعُهَا ثَمَانُونَ أَلْفاً ـ وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ وثَلَاثُونَ فِيلاً مِنْهَا فِيلٌ أَبْيَضُ كَانَ لِسَابُورَ[٤] فَهُوَ أَعْظَمُهَا ، وَأَقْدَمُهَا ، وَكَانَتِ الْفِيَلَةُ تَأْلَفُهُ[٥] . انْتَهَى وَنَحْوُ ذَلِكَ . فَقَالُوا : لَا يَدَ لَكُمْ وَلَا قُوَّةَ وَلَا سِلَاحَ ، مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ ارْجِعُوا . قَالَ : قُلْنَا : مَا نَحْنُ بِرَاجِعِينَ ! فَكَانُوا يَضْحَكُونَ مِنْ نَبْلِنَا ، وَيَقُولُونَ : « دُوكْ دُوكْ »[٦] وَيُشَبِّهُونَهَا بِالْمَغَازِلِ فَلَمَّا أَبَيْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ نَّرْجِعَ ؛ قَالُوا : ابْعَثُوا إِلَيْنَا رَجُلاً مِّنْ عُقَلَائِكُمْ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : أَنَا ، فَعَبَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقَعَدَ مَعَ رُسْتُمَ عَلَى السَّرِيرِ ، فَنَخَرُوا[٧] ، وَصَاحُوا . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَمْ يَزِدْنِي رِفْعَةً ، ولَمْ يَنْقُصْ

(١) الرَّغم : الكره .
(٢) في تاريخه : (٣/ ٤٩٧) .
(٣) في « البداية والنهاية » (٧/ ٣٨) .
(٤) اسم أحد الأكاسرة القدماء .
(٥) أي : تحبه وتأنس به .
(٦) لفظة فارسية ، تعني : المغزل .
(٧) نخروا : أي مدُّوا الصَّوت ، والنفس في خياشيمهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

صَاحِبَكُمْ . فَقَالَ رُسْتُمُ : صَدَقْتَ ! مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا كُنَّا قَوْماً فِي شَرٍّ ، وضَلاَلَةٍ ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا نَبيّاً ، فَهَدَانَا اللهُ بِهِ ، وَرَزَقَنَا عَلَى يَدَيْهِ ، فَكَانَ فِيمَا رَزَقَنَا حَبَّةٌ تَنْبُتُ فِي هَذَا الْبَلَدِ ، فَلَمَّا أَكَلْنَاهَا ، وَأَطْعَمْنَاهَا أَهْلِينَا ؛ قَالُوا : لَا صَبْرَ لَنَا عَنْهَا ، أَنْزِلُونَا هَذِهِ الأَرْضَ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الْحَبَّةِ. فَقَالَ رُسْتُمُ: إِذاً نَقْتُلُكُمْ. قَالَ: إِنْ قَتَلْتُمُونَا ؛ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكُمْ ؛ دَخَلْتُمُ النَّارَ ، أَوْ أَدَّيْتُمُ الْجِزْيَةَ . قَالَ : فَلَمَّا قَالَ : « أَوَأَدَّيْتُمُ الْجِزْيَةَ » نَخَرُوا ، وَصَاحُوا ، وَقَالُوا: لَا صُلْحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ! فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : تَعْبُرُونَ إِلَيْنَا ، أَوْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالَ رُسْتُمُ : بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَأْخَرَ[1] الْمُسْلِمُونَ حَتَّى عَبَرُوا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، فَهَزَمُوهُمْ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[2] أَيْضاً عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقَادِسِيَّةِ ؛ بُعِثَ بِالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى صَاحِبِ فَارِسَ . فَقَالَ : ابْعَثُوا مَعِيَ عَشَرَةً ، فَبَعَثُوا ، فَشَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ حَجَفَةً[3] ، ثُمَّ انْطَلَقَ ؛ حَتَّى أَتَوْهُ ، فَقَالَ : أَلْقُوا لِي تُرْساً ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْعِلْجُ[4] : إِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ ! قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَيْنَا ، أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تَجِدُونَ فِي بِلاَدِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ مَا تَشْبَعُونَ مِنْهُ ، فَخُذُوا نُعْطِيكُمْ مِنَ الطَّعَامِ حَاجَتَكُمْ، فَإِنَّا قَوْمٌ مَّجُوسٌ ، وَإِنَّا نَكْرَهُ قَتْلَكُمْ ، إِنَّكُمْ تُنَجِّسُونَ عَلَيْنَا أَرْضَنَا .

فقَالَ الْمُغِيرَةُ: وَاللهِ مَا ذَاكَ جَاءَ بِنَا ! وَلَكِنَّا كُنَّا قَوْماً نَعْبُدُ الْحِجَارَةَ ، وَالأَوْثَانَ، فَإِذَا رَأَيْنَا حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْ حَجَرٍ ؛ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا غَيْرَهُ، وَلَا نَعْرِفُ رَبّاً حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِنَا ، فَدَعَانَا إِلَى الإِسْلاَمِ ، فاتَّبَعْنَاهُ ، وَلَمْ نَجِىءْ لِلطَّعَامِ؛

(١) أي : تأخَّر .
(٢) في المستدرك » (٣/ ٤٥١) .
(٣) الجَحَفة : التُّرْس من جلدٍ بلا خشبٍ .
(٤) العِلْج : الرجل القوي الضخم ، والمراد به هنا : رُسْتُم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِنَّا أُمِرْنَا بِقِتَالِ عَدُوِّنَا مِمَّنْ تَرَكَ الإِسْلاَمَ ، وَلَمْ نَجِىءْ لِلطَّعَامِ ؛ وَلَكِنَّا جِئْنَا لِنَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ ، وَنَسْبِيَ ذَرَارِيَّكُمْ[١] ! وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ ؛ فَإِنَّا لَعَمْرِي مَا نَجِدُ مِنَ الطَّعَامِ مَا نَشْبَعُ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا لَمْ نَجِدْ رَيّاً مِّنَ الْمَاءِ أَحْيَاناً ، فَجِئْنَا إِلَى أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، فَوَجَدْنَا فِيهَا طَعَاماً كَثِيراً ، ومَاءً كَثِيراً ، فَوَاللهِ لَا نَبْرَحُهَا حَتَّى تَكُونَ لَنَا ، أَوْ لَكُمْ؛ فَقَالَ الْعِلْجُ بِالْفَارِسِيَّةِ : صَدَقَ . قَالَ[٢] : وَأَنْتَ تُفْقَأُ عَيْنُكَ غَدًا ، فَفُقِئَتْ عَيْنُهُ مِنَ الْغَدِ[٣] ، أَصَابَتْهُ نُشَّابَةٌ[٤] .

وَذُكِرَ فِي الْبِدَايَةِ[٥] عَنْ سَيْفٍ أَنَّ سَعْدًا ـ رضي الله عنه ـ كَانَ قَدْ بَعَثَ طَائِفَةً مِّنْ أَصْحَابِهِ إِلَى كِسْرَى يَدْعُونَهُ إِلَى اللهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ[٦] ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَى كِسْرَى فَأَذِنَ لَهُمْ وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَشْكَالِهِمْ ، وَأَرْدِيَتُهُمْ[٧] عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ، وَسِيَاطُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالنِّعَالُ فِي أَرْجُلِهِمْ ، وَخُيُولِهِمُ الضَّعِيفَةِ وَخَبْطِهَا[٨] الأَرْضَ بِأَرْجُلِهَا ؛ وَجَعَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا غَايَةَ الْعَجَبِ ، كَيْفَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ يَقْهَرُونَ جُيُوشَهُمْ مَّعَ كَثْرَةِ عَدَدِهَا ، وَعُدَدِهَا ؟. وَلَمَّا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الْمَلِكِ يَزْدَجِرْدَ أَذِنَ لَهُمْ ، وَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ـ وَكَانَ مُتَكَبِّراً قَلِيلَ الأَدَبِ ـ ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ مَلَابِسِهِمْ هَذِهِ مَا اسْمُهَا ـ عَنِ الأَرْدِيَةِ، وَالنِّعَالِ، وَالسِّيَاطِ ـ ثُمَّ كُلَّمَا قَالُوا لَهُ شَيْئاً مِّنْ ذَلِكَ ؛ تَفَاءَلَ ، فَرَدَّ اللهُ فَأْلَهُ عَلَى رَأْسِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَا الَّذِي أَقْدَمَكُمْ هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ أَظَنَنْتُمْ : أَنَّا لَمَّا تَشَاغَلْنَا بِأَنْفُسِنَا اجْتَرَأْتُمْ عَلَيْنَا ؟

(١) جمع (الذرية) اسم يجمع نسلَ الإنسان من ذكر وأنثى .
(٢) القائل هو : العلج .
(٣) أي : كان قد قدَّر الله تعالى كما قال .
(٤) النَّشَابة : السهم .
(٥) في « البداية والنهاية » (٧/ ٤١) .
(٦) الوقعة : الحرب والقتال .
(٧) الأردية : جمع (الرِّداء) : ما يُلْبس فوق الثياب كالجُبَّة والعباءة .
(٨) الخبط : الوطيء الشديد .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ ـ رضي الله عنه ـ: إِنَّ اللهَ رَحِمَنَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً يَّدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيُعَرِّفُنَا الشَّرَّ ، وَيَنْهَانَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ. فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا وَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً تُقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةً تُبَاعِدُهُ ؛ وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ. ثُمَّ أُمِرَ أَن يَنْهَدَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَيَبْدَأَ بِهِمْ ، فَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعاً عَلَى وَجْهَيْنِ مُكْرَهٍ عَلَيْهِ ، فَاغْتَبَطَ ، وَطَائِعٍ إِيَّاهُ فَازْدَادَ؛ فَعَرَفْنَا جَمِيعاً فَضْلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضِّيقِ ، وَأَمَرَنَا أَن نَّبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الأُمَمِ فَنَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِنْصَافِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلاَمِ حَسَّنَ الْحَسَنَ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ . فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخَرَ شَرٍّ مِنْهُ: الْجِزَاءِ[١] . فَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَالْمُنَاجَزَةُ. وَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا ؛ خَلَّفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ، وَأَقَمْنَاكُمْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنُكُمْ وَبِلاَدَكُمْ ، وَإِنْ أَتَيْتُمُونَا بِالْجِزَى[٢] ؛ قَبِلْنَا ، وَمَنَعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا ؛ قَاتَلْنَاكُمْ .

قالَ : فَتَكَلَّمَ يَزْدَجِرْدُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أُمَّةً كَانَتْ أَشْقَى، وَلَا أَقَلَّ عَدَدًا ، ولَا أَسْوَأَ ذَاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ[٣] ؛ وَقَدْ كُنَّا نُوَكِّلُ بِكُمْ قُرَى الضَّوَاحِي ؛ لِيَكْفُونَاكُمْ ، لَا تَغْزُوكُمْ فَارِسُ ، وَلَا تَطْمَعُونَ أَنْ تَقُومُوا لَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ عَدَدُكُمْ كَثُرَ ؛ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنَّا ؛ وَإِنْ كَانَ الْجَهْدُ[٤] دَعَاكُمْ[٥] ؛ فَرَضْنَا لَكُمْ قوتاً إِلَى خِصْبِكُمْ[٦] ، وَأَكْرَمْنَا وُجُوهَكُمْ ،

(١) الجزية .
(٢) جمع (الجزية) .
(٣) أي : الأهوال التي كانت بينكم من العداوة والبغضاء .
(٤) أي : ضيق العيش وعُسره .
(٥) أي : ألجأكم .
(٦) الخصب : رَغد العيش .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَكَسَوْنَاكُمْ ، وَمَلَّكْنَا عَلَيْكُمْ مَّلِكاً يَرْفُقُ بِكُمْ ! فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ[١] .

فقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ هَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْعَرَبِ ، وَوُجُوهُهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافٌ يَّسْتَحْيُوْنَ مِنَ الأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الأَشْرَافَ الأَشْرَافُ ، وَيُعَظِّمُ حُقُوقَ الأَشْرَافِ الأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا لَهُ جَمَعُوهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا ، وَلَا يَحْسُنُ بِمِثْلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، فَجَاوِبْنِي[٢] ، فَأَكُونَ أَنَا الَّذِي أُبَلِّغُكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ . إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ تَكُنْ بِهَا عَالِماً . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِّنَّا ؛ وَأَمَّا جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يُشْبِهُ الْجُوعَ . كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ[٣] وَالْجِعْلَانَ[٤] ، وَالْعَقَارِبَ ، وَالْحَيَّاتِ ، وَنَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا . وَأَمَّا الْمَنَازِلُ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ؛ دِينُنَا[٥] أَن يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضاً ، وَأَن يَبْغِيَ[٦] بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَدْفِنُ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ؛ وَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ . فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَجُلاً مَعْرُوفاً ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلِدَهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ خَيْرُ بُيُوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبَائِلِنَا ، وَهُوَ نَفْسُهُ كَانَ خَيْرَنَا فِي الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَصْدَقَنَا ، وَأَحْلَمَنَا . فَدَعَانَا إِلَى أَمْرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ أَوَّل مِنْ تِرْبٍ[٧] كَانَ لَهُ وَكَانَ الْخَلِيفَةَ مِنْ

(١) أي : انقطع كلامهم .
(٢) أي : رَاجِعْني الكلام .
(٣) الخنافس ، جمع (الخنفساء) وهي : دويبة سوداء ، كريهة الرائحة .
(٤) الجعلان : جمع (الجعل) وهو : نوعٌ من الخنافس .
(٥) أي : عادتنا .
(٦) أي : يظلم .
(٧) التِّرْب : المماثل في السِّنّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بَعْدِهِ[١] . فَقَالَ ، وَقُلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَّبْنَا ، وَزَادَ وَنَقَصْنَا ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً إِلَّا كَانَ ، فَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصْدِيقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ؛ فَصَارَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَمَا قَالَ لَنَا فَهُوَ قَوْلُ اللهَ ، وَمَا أَمَرَنَا فَهُوَ أَمْرُ اللهِ . فَقَالَ لَنَا إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : أَنَا اللهُ وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي كُنْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ ، وَكُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي ، وَأَنَا خَلَقْتُ كُلَّ شَيءٍ ، وَإِلَيَّ يَصِيرُ كُلُّ شَيءٍ ، وَإِنَّ رَحْمَتِي أَدْرَكَتْكُمْ ، فَبَعَثْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلَ ؛ لأَدُلَّكُمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي أُنْجِيكُمْ بِهَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِي ، وَلأُحِلَّكُمْ[٢] دَارِي دَارَ السَّلَامِ ، فَنَشْهَدُ عَلَيْهِ : أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ. وَقَالَ: مَنْ تَابَعَكُمْ عَلَى هَذَا فَلَهُ مَا لَكُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ؛ وَمَنْ أَبَى ؛ فَاعْرِضُوا عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ ، ثُمَّ امْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ؛ وَمَنْ أَبَى ؛ فَقَاتِلُوهُ؛ فَأَنَا الْحَكَمُ بَيْنَكُمْ ، فَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ ؛ أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ ؛ أَعْقَبْتُهُ[٣] النَّصْرَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُ[٤] ؛ فَاخْتَرْ إِنْ شِئْتَ الْجِزْيَةَ ؛ وَأَنْتَ صَاغِرٌ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالسَّيْفُ ، أَوْ تُسْلِمُ ، فَتُنْجِي نَفْسَكَ .

فَقَالَ يَزْدَجِرْدُ : أَتَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِ هَذَا؟ فَقَالَ : مَا اسْتَقْبَلْتُ إِلَّا مَنْ كَلَّمَنِي، وَلَوْ كَلَّمَنِي غَيْرُكَ لَمْ أَسْتَقْبِلْكَ بِهِ. فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ ؛ لَقَتَلْتُكُمْ، لَا شَيْءَ لَكُمْ عِنْدِي ، وَقَالَ ائْتُونِي بِوِقْرٍ[٥] مِنْ تُرَابٍ فَاحْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ ؛ ثُمَّ سُوقُوهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَبْيَاتِ الْمَدَائِنِ ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ، فَأَعْلِمُوهُ : أَنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْهِ رُسْتُمَ ، حَتَّى يَدْفِنَهُ وَجُنْدَهُ فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ ،

(١) أراد به الخليفة الأول : سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .
(٢) أي : أنزلكم .
(٣) أي : أورثُه .
(٤) أي : عاداه .
(٥) الوِقْر : الحمل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَيُنَكِّلَ بِهِ[١] وَبِكُمْ مِنْ بَعْدُ ؛ ثُمَّ أُورِدُهُ بِلاَدَكُمْ ؛ حَتَّى أُشْغِلَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بِأَشَدَّ مِمَّا نَالَكُمْ مِنْ سَابُورَ[٢] .

ثمَّ قَالَ : مَنْ أَشْرَفُكُمْ ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ وَافْتَات[٣] لِيَأْخُذَ التُّرَابَ : أَنَا أَشْرَفُهُمْ أَنَا سَيِّدُ هَؤُلاَءِ فَحَمِّلْنِيهِ . فَقَالَ : أَكَذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَحَمَّلَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَخَرَجَ بِهِ مِنَ الإِيوَانِ، وَالدَّارِ ؛ حَتَّى أَتَى رَاحِلَتَهُ ، فَحَمَلَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ انْجَذَبَ[٤] فِي السَّيْرِ لِيَأْتُوا بِهِ سَعْدًا ـ رضي الله عنه ـ وَسَبَقَهُمْ عَاصِمٌ ، فَمَرَّ بِبَابِ قُدَيْسَ[٥] فَطَوَاهُ[٦] وَقَالَ : بَشِّرُوا الأَمِيرَ بِالظَّفَرِ، ظَفِرْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . ثُمَّ مَضَى حَتَّى جَعَلَ التُّرَابَ فِي الْحَجَرِ[٧]، ثُمَّ رَجَعَ، فَدَخَلَ عَلَى سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : أَبْشِرُوا ، فَقَدْ وَاللهِ أَعْطَانَا اللهُ أَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ؛ وَتَفَاءَلُوا بِذَلِكَ أَخْذَ بِلاَدِهِمْ .

دَعْوَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَمِّ ـ رضي الله عنه ـ لِبَنِي تَغْلِبَ وَغَيْرِهِمْ يَوْمَ تَكْرِيتَ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضاً[٨] مِنْ طَرِيقِ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وطَلْحَةَ ، وَغَيْرِهِمَا قَالُوا : لَمَّا رَأَتِ الرُّومُ ـ أَيْ يَوْمَ وَقْعَةِ تَكْرِيتَ[٩] ـ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ خَرْجَةً إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ، وَيُهْزَمُونَ فِي كُلِّ مَا زَاحَفُوهُمْ[١٠]، تَرَكُوا أُمَرَاءَهُمْ،

(١) أي : يعاقبه بما يروعه ويروع غيره من إتيان مثل صنيعه .
(٢) أحد ملوك الأكاسرة .
(٣) افتات : أي : استبدَّ .
(٤) انجذب : أي : أسرع .
(٥) قديس : أحد قصور القادسية .
(٦) طواه : أي : جاوزه .
(٧) الحجر : البادية .
(٨) في تاريخه : (٤/ ١٨٣) .
(٩) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .
(١٠) أي : دانوهم ، وقاربوهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَنَقَلُوا مَتَاعَهُمْ إِلَى السُّفُنِ ، وَأَقْبَلَتِ الْعُيُونُ[١] مِنْ تَغْلِبَ ، وَإِيَادَ ، وَالنَّمِرِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَمِّ ـ رضي الله عنه ـ بِالْخَبَرِ ، وَسَأَلُوهُ لِلْعَرَبِ السِّلْمَ[٢] ، وَأَخْبَرُوهُ قَدِ اسْتَجَابُوا لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِذَلِكَ ؛ فَاشْهَدُوا أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ ، وَأَقِرُّوا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، ثُمَّ أَعْلِمُونَا رَأْيَكُمْ ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ ، فَرَدُّوهُمْ إِلَيْهِ بِالإِسْلاَمِ .

دَعْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ فِي وَقْعَةِ مِصْرَ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٣] مِنْ طَرِيقِ سَيْفٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ خَالِدٍ ، وعُبَادَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالاَ : خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى مِصْرَ بَعْدَمَا رَجَعَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ أَلْيُونَ[٤] ، وَأَتْبَعَهُ الزُّبَيْرُ ، فَاجْتَمَعَا ـ رضي الله عنهما ـ فَلَقِيَهُمْ هُنَالِكَ أَبُو مَرْيَمَ ـ جَاثَلِيقُ[٥] مِصْرَ ـ وَمَعَهُ الأُسْقُفُّ فِي أَهْلِ النِّيَّاتِ[٦] ؛ بَعَثَهُ الْمُقَوْقِسُ لِمَنْعِ بِلاَدِهِمْ . فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ عَمْرٌو ـ رضي الله عنه ـ قَاتَلُوهُ ، فَأَرْسَلَ[٧] إِلَيْهِمْ : لَا تُعَجِّلُونَا لِنُعْذِرَ إِلَيْكُمْ ، وَتَرَوْنَ رَأْيَكُمْ بَعْدُ؛ فَكَفُّوا أَصْحَابَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَمْرٌو : إِنِّي بَارِزٌ ، فَلْيَبْرُزْ إِلَيَّ أَبُو مَرْيَمَ ، وَأَبُو مَرْيَامَ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَآمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . فَقَالَ لَهُمَا عَمْرٌو : أَنْتُمَا رَاهِبَا هَذِهِ الْبَلْدَةِ ، فَاسْمَعَا : إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ ، وَأَمَرَهُ بِهِ . وَأَمَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَدَّى إِلَيْنَا كُلَّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ . ثُمَّ مَضَى ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ

(١) جمع (العين) الجاسوس .
(٢) السِّلم : الصُّلح .
(٣) في تاريخه : (٤/ ٢٢٧) .
(٤) اسم مدينة مصر قديماً .
(٥) هو رئيس النصارى .
(٦) أي : أهل العزائم منهم .
(٧) أي : عمرو بن العاص ، رضي الله عنه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَرَحْمَتُهُ ـ وَقَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، وَتَرَكَنَا عَلَى الْوَاضِحَةِ. وَكَانَ مِمَّا أَمَرَنَا بِهِ الإِعْذَارُ[١] إِلَى النَّاسِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَمَنْ أَجَابَنَا إِلَيْهِ ؛ فَمِثْلُنَا ، وَمَنْ لَّمْ يُجِبْنَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ ، وَبَذَلْنَا لَهُ الْمَنَعَةَ[٢] ، وَقَدْ أَعْلَمَنَا : أَنَّا مُفْتَتِحُوكُمْ ، وَأَوْصَانَا بِكُمْ حِفْظاً لِّرَحِمِنَا فِيكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ إِنْ أَجَبْتُمُونَا بِذَلِكَ ذِمَّةً[٣] إِلَى ذِمَّةٍ. وَمِمَّا عَهِدَ إِلَيْنَا أَمِيرُنَا اسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِيِّينَ خَيْراً ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَانَا بِالْقِبْطِيِّينَ خَيْراً ؛ لأَنَّ لَهُمْ رَحِماً ، وذِمّةً .

فقَالُوا : قَرَابَةٌ بَعِيدَةٌ لَا يَصِلُ مِثْلَهَا إِلَّا الأَنْبِيَاءُ مَعْرُوفَةٌ شَرِيفَةٌ كَانَتْ ابْنَةَ مَلِكِنَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ مَنْفٍ[٤] ، والْمُلْكُ فِيهِمْ ، فَأُدِيلَ عَلَيْهِمْ[٥] أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ[٦] فَقَتَلُوهُمْ ، وَسَلَبُوا مُلْكَهُمْ ، وَاغْتَرَبُوا[٧] ، فَلِذَلِكَ صَارَتْ إِلَىَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَرْحَباً بِهِ وَأَهْلاً ، آمِنًّا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ .

فقَالَ عَمْرٌو : إِنَّ مِثْلِي لَا يُخْدَعُ ، وَلَكِنِّي أُؤَجِّلُكُمَا ثَلاَثاً لِتَنْظُرَا[٨] ، وَلِتُنَاظِرَا[٩] قَوْمَكُمَا وَإِلَّا نَاجَزْتُكُمْ[١٠] قَالَا : زِدْنَا. فَزَادَهُمْ يَوْماً. فَقَالَا : زِدْنَا ، فَزَادَهُمْ يَوْماً. فَرَجَعَا إِلَى الْمُقَوْقِسِ ، فَهَمَّ ، فَأَبَى أَرْطَبُونُ[١١] أَنْ

(١) الإعذار : أي : إنذارهم وقطع أعذارهم قبل البدء بقتالهم .
(٢) المنعة : أي : القوة ، تمنع من يريدهم بسوء .
(٣) الذِّمة : العهد .
(٤) اسم مدينة فرعون بمصر .
(٥) أي : نصر ، وأظفر به .
(٦) اسم مدينة بمصر .
(٧) اغتربوا : أي : تزوَّجوا في غير أقاربهم .
(٨) أي : لتفكِّرا .
(٩) أي : لتباحثا .
(١٠) أي : قاتلتكم .
(١١) اسم أحد القواد .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُجِيبَهُمَا ، وَأَمَرَ بِمُنَاهَدَتِهِمْ[١] ، فَقَالَا لأَهْلِ مِصْرَ : أَمَّا نَحْنُ فَسَنَجْهَدُ أَنْ نَدْفَعَ عَنْكُمْ ، وَلَا نَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ بَقِيَتْ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ ، فَلَا تُصَابُونَ فِيهَا بِشَيءٍ إِلَّا رَجَوْنَا أَنْ يَّكُونَ لَهُ أَمَانٌ. فَلَمْ يَفْجَأْ عَمْراً ، وَالزُّبَيْرَ إِلَّا الْبَيَاتُ[٢] مِنْ فَرْقَبَ[٣] ، وَعَمْرٌو عَلَى عُدَّةٍ ، فَلَقُوهُ فَقُتِلَ وَمَنْ مَّعَهُ ، ثُمَّ رَكِبُوا أَكْسَاءَهُمْ[٤] وَقَصَدَ عَمْرٌو ، وَالزُّبَيْرُ ـ رضي الله عنهما ـ لِعَيْنِ شَمْسٍ .

وأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ أَيْضاً[٥] عَنْ أَبِي حَارِثَةَ ، وَأَبِي عُثْمَانَ ؛ قَالَا : لَمَّا نَزَلَ عَمْرٌو ـ رضي الله عنه ـ عَلَى الْقَوْمِ بِعَيْنِ شَمْسٍ ؛ قَالَ أَهْلُ مِصْرَ لِمَلِكِهِمْ : مَا تُرِيدُ إِلَى قَوْمٍ فَلُّوا[٦] كِسْرَى ، وَقَيْصَرَ ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَى بِلاَدِهِمْ ؟! صَالِحِ الْقَوْمَ ، وَاعْتَقِدْ مِنْهُمْ[٧] ، وَلَا تَعَرَّضْ لَهُمْ ، وَلَا تُعَرِّضْنَا لَهُمْ ، وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَأَبَى ، وَنَاهَدُوهُمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ وَارْتَقَى الزُّبَيْرُ سُورَهَا. فَلَمَّا أَحَسُّوهُ ؛ فَتَحُوا الْبَابَ لِعَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ وَخَرَجُوا إِلَيْهِ مُصَالِحِينَ . فَقَبِلَ مِنْهُمْ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الزُّبَيْرُ ـ رضي الله عنه ـ عَنْوَةً[٨] .

دَعْوَةُ الصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ فِي إِمَارَةِ سَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ الأَشجَعِيِّ ـ رضي الله عنه ـ فِي الْقِتَالِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ[٩] أَيْضاً عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ : أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ

(١) أي : أن ينهضوا بعضهم إلى بعض .
(٢) البيات : الهجوم الليلي .
(٣) اسم موضع .
(٤) أي : مؤخرة دوابهم .
(٥) في تاريخه : (٤/ ٢٢٨) .
(٦) فلّوا : أي : هزموا .
(٧) أي : خذ منهم عهداً .
(٨) أي : قهراً .
(٩) في تاريخه : (٥/ ٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ـ رضي الله عنه ـ كَانَ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِّنْ أَهْلِ الإِيمَانِ ؛ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سَلَمَةَ بْنَ قَيْسٍ الأَشْجَعِيَّ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ : سِرْ بِاسْمِ اللهِ ، قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ. فَإِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: ادْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا ، فَاخْتَارُوا دَارَهُمْ ، فَعَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمُ الزَّكَاةُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ ؛ وَإِنِ اخْتَارُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَكُمْ ؛ فَلَهُمْ مِّثْلُ الَّذِي لَكُمْ ، وَعَلَيْهِمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا ؛ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْخَرَاجِ[١] ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِالْخَرَاجِ ؛ فَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ مِّنْ وَرَائِهِمْ وَفَرِّغُوهُمْ لِخَرَاجِهِمْ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا ؛ فَقَاتِلُوهُمْ ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنْ تَحَصَّنُوا مِنْكُمْ فِي حِصْنٍ ، فَسَأَلُوكُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللهِ ، وَحُكْمِ رَسُولِهِ ؛ فَلاَ تُنْزِلُوهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا حُكْمُ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ ، وإِنْ سَأَلُوكُمْ أَن يَنْزِلُوا عَلَى ذِمَّةِ اللهِ ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ فَلاَ تُعْطُوهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَأَعْطُوهُمْ ذِمَمَ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ ؛ فَلاَ تَغُلُّوا[٢] ، وَلاَ تَغْدِرُوا ، وَلاَ تُمَثِّلُوا[٣] ، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا .

قالَ سَلَمَةُ : فَسِرْنَا حَتَّى لَقِينَا عَدُوَّنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَبَوْا أَنْ يُسْلِمُوا : فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْخَرَاجِ ، فَأَبَوْا أَن يُقِرُّوا ، فَقَاتَلْنَاهُمْ ، فَنَصَرَنَا اللهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَيْنَا الذُّرِّيَّةَ ، وَجَمَعْنَا الرِّثَّةَ[٤] ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ جِدّاً .

(١) أي : الجزية .
(٢) لا تغلّوا : أي : لا تخونوا في المغنم ، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة .
(٣) لا تمثلوا : أي : لا تشوّهوا جُثث القتلى بجذع أنوفهم ، وقطع أعضائهم .
(٤) الرِّثّة : هي : السقط من متاع البيت .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

دعْوَةُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ لأَهْلِ أَصْبَهَانَ قَبْلَ الْقِتَالِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[١] عَنْ بَشِيرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الأَشْعَرِيَّ ـ رضي الله عنهم ـ نَزَلَ بِأَصْبَهَانَ[٢] فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ ، فَأَبَوْا ؛ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَاتُوا عَلَى صُلْحٍ ؛ حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا ؛ أَصْبَحُوا عَلَى غَدْرٍ ، فَبَارَزَهُمُ الْقِتَالَ ، فَلَمْ يَكُنْ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ .

(١) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ١١٠) .
(٢) مدينة عظيمة مشهورة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قِصَصُ الصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ فِي الأَعْمَالِ وَالأَخْلاَقِ الْمُفْضِيَـةِ إِلَى هِدَايَـةِ النَّاسِ

قِصَّةُ إِسْلاَمِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَمَا فَعَلَ ابْنُـهُ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ـ رضي الله عنهم ـ لإِسْلاَمِهِ :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الأَنْصَارُ الْمَدِينَةَ بَعْدَمَا بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَهَرَ الإِسْلاَمُ بِهَا ، وَفِي قَوْمِهِمْ بَقَايَا عَلَى دِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَكَانَ ابْنُهُ مُعَاذٌ قَدْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا . وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ سَيِّدًا مِّنْ سَادَاتِ بَنِي سَلِمَةَ ، وَشَرِيفاً مِّنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَكَانَ قَدِ اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنَماً مِنْ خَشَبٍ ، يُقَالُ لَهُ : « مَنَاةُ » ، كَمَا كَانَتِ الأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ ، يَتَّخِذُهُ إِلَهاً ، وَيُطَهِّرُهُ . فَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ فِي فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ كَانُوا يَدَّلِجُونَ بِاللَّيْلِ[٢] عَلَى صَنَمِ عَمْرٍو ذَلِكَ ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفَرِ بَنِي سَلِمَةَ ، وَفِيهَا عِذَرُ[٣] النَّاسِ مُنَكَّساً[٤] عَلَى رَأْسِهِ . فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٌو ؛ قَالَ : وَيْلَـكُمْ مَنْ عَدَا عَلَى إِلَهِنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ : قَالَ : ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ ، وَطَهَّرَهُ ، وَطَيَّبَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاَيْمُ اللهِ ! لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ صَنَعَ بِكَ هَذَا لأُخْزِيَنَّهُ ! فَإِذَا أَمْسَى عَمْرٌو ، وَنَامَ عَدَوْا عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٩) .
(٢) أي : يسيرون في آخر الليل .
(٣) وهي : فضلات الناس .
(٤) أي : مقلوباً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ ؛ اسْتَخْرَجَـهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْماً ، فَغَسَلَهُ ، وَطَهَّرَهُ ، وَطَيَّبَهُ . ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ ، فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَفْعَلُ بِكَ مَا تَرَى ؟ فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَامْتَنِعْ بِهَذَا السَّيْفِ مَعَكَ . فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَدَوْا عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخَذُوا كَلْباً مَيِّتاً فَقَرَنُوهُ مَعَهُ بِحَبْلٍ ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بِئْرٍ مِّنْ أَبْيَارِ بَنِي سَلِمَةَ فِيهَا عَذِرَةٌ مِّنْ عَذِرِ النَّاسِ . وَغَدَا عَمْـرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ مَكَانَهُ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ ؛ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ مُنَكَّساً مَقْرُوناً بِكَلْبٍ مَيِّتٍ . فَلَمَّا رَآهُ ، وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ ، وَكَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، أَسْلَمَ ـ يَرْحَمُهُ اللهُ ـ وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ .

وزَادَ مِنْجَابٌ عَنْ زِيَادٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ ؛ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ ؛ أَسْلَمَتِ امْرَأَةُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ ، وَوَلَدُهُ ، قَالَ لِامْرَأَتِهِ : لَا تَدَعِي أَحَدًا مِنْ عِيَالِكِ فِي أَهْلِكِ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ، قَالَتْ : أَفْعَلُ ، وَلَكِنْ هَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِ ابْنِكَ فُلَانٍ مَا رَوَى عَنْهُ ! قَالَ : فَلَعَلَّهُ صَبَأَ . قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ مَعَ الْقَوْمِ[1] ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ ! فَقَرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

فقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ ! وَكُلُّ كَلَامِهِ مِثْلُ هَذَا ؟! فَقَالَ : يَا أَبَتَاهُ ! وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا . قَالَ : فَهَلْ لَّكَ أَنْ تُبَايِعَهُ ؟ قَدْ صَنَعَ ذَلِكَ عَامَّةُ قَوْمِكَ ! قَالَ : لَسْتُ فَاعِلاً حَتَّى أُؤامِرَ[2] مَنَاةَ ، فَأَنْظُرَ مَا يَقُولُ ؟

(١) أي : الذين أسلموا .
(٢) أي : أُشاوِر .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ: وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا كَلاَمَ مَنَاةَ جَاءَتْ عَجُوزٌ فَقَامَتْ خَلْفَهُ فَأَجَابَتْ عَنْهُ. قَالَ: فَأَتَاهُ، وَغُيبتِ الْعَجُوزُ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ، فَتَشَكَّرَ لَهُ[١]. وَقَالَ: يَا مَنَاةُ! تَشْعُرُ: أَنَّهُ قَدْ سِيلَ بِكَ؛ وَأَنْتَ غَافِلٌ، جَاءَ رَجُلٌ[٢] يَنْهَانَا عَنْ عِبَادَتِكَ، وَيَأْمُرُنَا بِتَعْطِيلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَايِعَهُ حَتَّى أُؤَامِرَكَ، وَخَاطَبَهُ طَوِيلاً، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ: أَظُنُّكَ قَدْ غَضِبْتَ؛ وَلَمْ أَصْنَعْ بَعْدُ شَيْئاً! فَقَامَ إِلَيْهِ فَكَسَرَهُ.

وَزَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَلَمَةَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ حِينَ أَسْلَمَ، وَعَرَفَ مِنَ اللهِ مَا عَرَفَ؛ وَهُوَ يَذْكُرُ صَنَمَهُ، وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَتَشَكَّرُ اللهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى، وَالضَّلاَلَةِ:

أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِمَّا مَضَى ... وَأَسْتَنْقِذُ اللهَ[٣] مِن نَارِهِ
وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِنَعْمَائِهِ ... إِلٰهِ الْحَرَامِ وَأَسْتَارِهِ[٤]
فَسُبْحَانَهُ عَدَدَ الْخَاطِئِيْنَ ... وَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمِدْرَارِهِ[٥]
هَدَانِي وَقَدْ كُنْتُ فِي ظُلْمَةٍ ... حَلِيفَ[٦] مَنَاةَ وَأَحْجَارِهِ
وَأَنْقَذَنِي بَعْدَ شَيْبِ الْقَذَالِ[٧] ... مِنْ شَيْنِ[٨] ذَاكَ وَمِنْ عَارِهِ
فَقَدْ كِدتُّ أَهْلِكُ فِي ظُلْمَةٍ ... تَدَارَكَ ذَاكَ بِمِقْدَارِهِ
فَحَمْداً وَشُكْراً لَّهُ مَا بَقِيتُ ... إِلَهِ الأَنَامِ وَجَبَّارِهِ
أُرِيدُ بِذَلِكَ إِذْ قُلْتُهُ ... مجَاوَرَةَ اللهِ فِي دَارِهِ

(١) أي : ذكر نعمته ، وأثنى عليه .
(٢) المراد به : النبي ﷺ .
(٣) أي : أطلب منه النجاة .
(٤) أستاره : أي : كسوة الكعبة .
(٥) أي : غزيره .
(٦) الحليف : المعانق .
(٧) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٨) الشين : العيب .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وقَالَ أَيْضاً يَذُمُّ صَنَمَهُ :

تـاللهِ لَـوْ كُنْـتَ إِلَهـاً لَـمْ تَكُـنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ[١]
أُفٍّ لِّمَصْـرَعِـكَ إِلَهـاً مُسْتَـدَنْ[٢] الآنَ فَتَّشْنَـاكَ عَـنْ سُـوءِ الْغَبَـنْ
اَلْحَمْـدُ للهِ الْعَلِـيِّ ذِي الْمِنَـنْ الْـوَاهِـبِ الـرَّزَّاقِ دَيَّـانِ الـدِّيَـنْ
هُـوَ الَّـذِي أَنْقَـذَنِـي مِـنْ قَبْـلِ أَنْ أَكُـونَ فِـي ظُلْمَـةِ قَبْـرٍ مُـرْتَهَـنْ[٣]

قِصَّةُ إِسْلاَمِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ ـ رضي الله عنهما ـ لِإِسْلاَمِهِ :

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٤] عَنِ الْوَاقِدِيِّ ؛ قَالَ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ـ فِيمَا ذُكِرَ ـ آخِرَ دَارِهِ إِسْلاَماً[٥] لَمْ يَزَلْ مُتَعَلِّقاً بِصَنَمٍ لَهُ ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهِ مِنْدِيلاً وكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ـ رضي الله عنه ـ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَيَأْبَى؛ فَيَجِيئُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَكَانَ لَهُ أَخاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَنِ الإِسْلاَمِ. فَلَمَّا رَآهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ خالَفَهُ[٦] فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، وَأَعْجَلَ امْرَأَتَهُ[٧] وَإِنَّهَا لَتَمْشُطُ رَأْسَهَا. فَقَالَ : أَيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ؟ فَقَالَتْ : خَرَجَ أَخُوكَ آنِفاً. فَدَخَلَ بَيْتَهُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الصَّنَمُ ، وَمَعَهُ الْقَدُومُ ، فَأَنْزَلَهُ وَجَعَلَ يُقَدِّدُهُ[٨] فِلَذًا فِلَذًا[٩] وَهُوَ يَرْتَجِزُ[١٠] سِرّاً مِّنْ أَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ كُلِّهَا[١١] .

(١) القرن : الحبل .
(٢) مستدن : أي : ذليل مستعبد .
(٣) أي : مقيَّد محبوس .
(٤) في « المستدرك » (٣/ ٣٣٦) .
(٥) أي : آخر أهل داره .
(٦) أي : جاءه حين غاب .
(٧) أي : سبقها .
(٨) أي : يشقه .
(٩) أي : قطعاً قطعاً .
(١٠) أي : ينشد أرجوزة .
(١١) أي : يَذُمّها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تبْرأ مِن أَسْمَاءِ الشَّيَاطِيْن كُلِّهَا ألَا كُلُّ مَا يُدْعَى مَعَ اللهِ بَاطِلٌ

ثمَّ خَرَجَ ، وَسَمِعَتِ الْمَرْأَةُ صَوْتَ الْقَدُوم[١] وَهُوَ يَضْرِبُ ذَلِكَ الصَّنَمَ ، فَقَالَتْ : أَهْلَكْتَنِي يَا بْنَ رَوَاحَةَ ! فَخَرَجَ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ حَتَّى أَقْبَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْمَرْأَةَ قَاعِدَةً تَبْكِي شَفَقاً مِنْهُ[٢] . فَقَالَ : مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ دَخَلَ عَلَيَّ فَصَنَعَ مَا تَرَى . فَغَضِبَ غَضْباً شَدِيدًا ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ عِنْدَ هَذَا خَيْرٌ لَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَسْلَمَ .

كِتَابُ عُمَرَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنهما ـ فِي أَمْرِ الْجِزْيَةِ وَالسَّبَايَا :

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ[٣] عَنْ زِيَادِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ قَالَ : افْتَتَحْنَا الإِسْكَنْدَرِيَّةَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ ، رضي الله عنه ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : ثُمَّ وَقَفْنَا بِبَلْهِيبَ[٤] ، وَأَقَمْنَا نَنْتَظِرُ كِتَابَ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ حَتَّى جَاءَنَا ، فَقَرَأَهُ عَلَيْنَا عَمْرٌو ـ رضي الله عنه ـ وَفِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنَّهُ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ : أَنَّ صَاحِبَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَرَضَ أَنْ يُعْطِيَكَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ مَا أُصِيبَ مِنْ سَبَايَا أَرْضِهِ ، وَلَعَمْرِي ! لَجِزْيَةٌ قَائِمَةٌ تَكُونُ لَنَا ، وَلِمَنْ بَعْدَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَيْءٍ يُقْسَمُ ، ثُمَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ! فَاعْرِضْ

(١) القدوم : الفأس .
(٢) أي : خوفاً منه .
(٣) في تاريخه : (٤/ ٢٢٧) .
(٤) من قُرى مصر .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَلَى صَاحِبِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَنْ يُعْطِيَكَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَنْ تُخَيِّرُوا مَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ سَبْيِهِمْ بَيْنَ الإِسْلاَمِ ، وَبَيْنَ دِينِ قَوْمِهِمْ؛ فَمَنِ اخْتَارَ مِنْهُمُ الإِسْلاَمَ ؛ فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ؛ وَمَنِ اخْتَارَ دِينَ قَوْمِهِ ، وُضِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِزْيَةِ مَا يُوضَعُ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ ، فَأَمَّا مَنْ تَفَرَّقَ مِنْ سَبْيِهِمْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ، فَبَلَغَ مَكَّةَ ، وَالْمَدِينَةَ ، وَالْيَمَنَ ، فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِمْ ، وَلَا نُحِبُّ أَن نُّصَالِحَهُ عَلَى أَمْرٍ لَّا نَفِي[١] لَهُ بِهِ .

ذِكْرُ مَا وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي فَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ :

قَالَ : فَبَعَثَ عَمْرٌو إِلَى صَاحِبِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ يُعْلِمُهُ الَّذِي كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : فَجَمَعْنَا مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ السَّبَايَا ، وَاجْتَمَعَتِ النَّصَارَى ، فَجَعَلْنَا نَأْتِي بِالرَّجُلِ مِمَّنْ فِي أَيْدِينَا ثُمَّ نُخَيِّرُهُ بَيْنَ الإِسْلاَمِ ، وَبَيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ ، فَإِذَا اخْتَارَ الإِسْلاَمَ ؛ كَبَّرْنَا تَكْبِيرَةً هِيَ أَشَدُّ مِنْ تَكْبِيرِنَا حِينَ تُفْتَحُ الْقَرْيَةُ .

قَالَ : ثُمَّ نَحُوزُهُ[٢] إِلَيْنَا ، وَإِذَا اخْتَارَ النَّصْرَانِيَّةَ ، نَخَرَتِ[٣] النَّصَارَى ثُمَّ حَازُوهُ إِلَيْهِمْ ، وَوَضَعْنَا عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ ، وَجَزِعْنَا مِنْ ذَلِكَ جَزَعاً شَدِيدًا حَتَّى كَأَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَّا إِلَيْهِمْ . قَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ الدَّأْبُ[٤] حَتَّى فَرَغْنَا مِنْهُمْ. وَقَدْ أُتِيَ فِيمَنْ أُتِينَا بِهِ بِأَبِي مَرْيَمَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . قَالَ الْقَاسِمُ : وَقَدْ أَدْرَكْتُهُ وَهُوَ عَرِيفُ[٥] بَنِي زُبَيْدٍ . قَالَ : فَوَقَّفْنَاهُ ، فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ ،

(١) أي : لا نتمه بالعمل .
(٢) أي : نضُمُّه .
(٣) أي : مدُّوا الصّوت في خياشيمهم .
(٤) الدَّأب : العادة .
(٥) هو القيِّم بأمور القبيلة ، والجماعة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَالنَّصْرَانِيَّةَ ـ وَأَبُوهُ ، وَأُمُّهُ ، وَإِخْوَتُهُ فِي النَّصَارَى ـ فَاخْتَارَ الإِسْلاَمَ ، فَحُزْنَاهُ إِلَيْنَا ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَأُمُّهُ ، وَإِخْوَتُهُ يُجَاذِبُونَنَا[١] حَتَّى شَقَّقُوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ثُمَّ هُوَ الْيَوْمَ عَرِيفُنَا كَمَا تَرَى ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

قِصَّةُ دِرْعِ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ وَمَا وَقَعَ لَهُ مَعَ نَصْرَانِيٍّ وَدُخُولِهِ فِي الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٢] عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ : خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى السُّوقِ ، فَإِذَا هُوَ بِنَصْرَانِيٍّ يَبِيعُ أَدْرُعاً ، فَعَرَفَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ الدِّرْعَ . فَقَالَ : هَذِهِ دِرْعِي ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ شُرَيْحاً[٣] ؛ كَانَ عَلِيٌّ اسْتَقْضَاهُ[٤] . فَلَمَّا رَأَى شُرَيْحٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَامَ مِنْ مَجْلِسِ قَضَائِهِ ، وَأَجْلَسَ عَلِيّاً فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ شُرَيْحٌ قُدَّامَهُ إِلَى جَنْبِ النَّصْرَانِيِّ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَمَا يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِماً ؛ لَقَعَدْتُ مَعَهُ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُصَافِحُوهُمْ ، وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، وَأَلْجِؤُوهُمْ إِلَى مَضَايِقِ الطَّرِيقِ ، وَصَغِّرُوهُمْ كَمَا صَغَّرَهُمُ اللهُ » . اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَا شُرَيْحُ !

فَقَالَ شُرَيْحٌ : مَا تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : هَذِهِ دِرْعِي ، وَقَعَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ . فَقَالَ شُرَيْحٌ : مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ ؟ فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ : مَا أَكْذَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! الدِّرْعُ دِرْعِي . فَقَالَ شُرَيْحٌ : مَا أَرَى أَنْ تَخْرُجَ مِنْ يَدِهِ فَهَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : صَدَقَ شُرَيْحٌ . فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ : أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ : أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الأَنْبِيَاءِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي

(١) أي : ينازعوننا إيّاه .
(٢) في « السنن الكبرى » (١٠/ ١٣٦) .
(٣) هو شُرَيْح بن الحارث .
(٤) أي : ولّاه قاضياً ، وطلب منه قضاءه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَلَيْهِ ، هِيَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِرْعُكَ ! اتَّبَعْتُكَ وَقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلِكَ الأَوْرَقِ[١] ، فَأَخَذْتُهَا ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ ؛ فَهِيَ لَكَ ! وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ .

وعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرٍ[٢] عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ : ضَاعَ دِرْعٌ لِّعَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ يَوْمَ الْجَمَلِ[٣] فَأَصَابَهَا رَجُلٌ ، فَبَاعَهَا ، فَعُرِفَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِّنَ الْيَهُودِ فَخَاصَمَهُ إِلَى شُرَيْحٍ ، فَشَهِدَ لِعَلِيٍّ الْحَسَنُ ، وَمَوْلَاهُ قَنْبَرٌ. فَقَالَ شُرَيْحٌ : زِدْنِي شَاهِدًا مَكَانَ الْحَسَنِ. فَقَالَ : أَتَرُدُّ شَهَادَةَ الْحَسَنِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ حَفِظْتُ عَنْكَ : أَنَّهُ لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْوَلَدِ لِوَالِدِهِ.

وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْكُنَى ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ[٤] مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، مُطَوَّلًا ، وَفِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ شُرَيْحٌ: أَمَّا شَهَادَةُ مَوْلَاكَ ؛ فَقَدْ أَجَزْنَاهَا ، وَأَمَّا شَهَادَةُ ابْنِكَ لَكَ ؛ فَلَا نُجِيزُهَا. فَقَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! أَمَا سَمِعْتَ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . ثُمَّ قَالَ لِلْيَهُودِيِّ : خُذِ الدِّرْعَ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ مَعِي إِلَى قَاضِي الْمُسْلِمِينَ ، فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَرَضِيَ !! صَدَقْتَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّهَا لَدِرْعُكَ سَقَطَتْ عَنْ جَمَلٍ لَّكَ الْتَقَطْتُهَا ؛ أَشْهَدُ أَن لَّا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ. فَوَهَبَهَا لَهُ عَلِيٌّ ، وَأَجَازَهُ بِسَبْعِمِئَةٍ ، ولَمْ يَزَلْ مَعَهُ ؛ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ[٥] .

(١) الأورق : أي الأسمر .
(٢) في « تاريخ مدينة دمشق » (٢٣/ ٢٦) .
(٣) أي : يوم حرب بين علي ، وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ على باب البصرة ، سنة ٣٦ هـ.
(٤) في « حلية الأولياء » (٤/ ١٣٩) .
(٥) موضع بقُرب (الرِّقَّة) على شاطىء الفُرات ، وقعت فيه حربٌ بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ سنة ٣٧ هـ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الباب الثالث

تَحَمُّلُ النبيِّ ﷺ
وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ الشدائدَ
في نشر الدعوة إلى الله تعالى

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الشَّدَائِدَ في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تَعَالىَ

قَوْلُ الْمِقْدَادِ ـ رضي الله عنه ـ فِي الْحَالِ الَّتِي بُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ(١) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ـ رضي الله عنه ـ يَوْماً ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاللهِ ! لَوَدِدْنَا : أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدتَّ ! فَاسْتَمَعْتُ ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مَا قَالَ إِلَّا خَيْراً . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا يَحْمِلُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَن يَّتَمَنَّى مَحْضَراً غَيَّبَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عَنْهُ ، لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ فِيهِ ؟! وَاللهِ لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْوَامٌ ـ كَبَّهُمُ(٢) اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ ـ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ ! أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللهَ إِذْ أَخْرَجَكُمُ اللهُ ـ عز وجل ـ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ مُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ كُفِيتُمُ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ ! وَاللهِ لَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مِّنَ الأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وجَاهِلِيَّةٍ مَا يَرَوْنَ دِيناً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ! فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرَى وَالِدَهُ ، أَوْ وَلَدَهُ ، أَو أَخَاهُ كَافِراً ؛ وَقَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَى قُفْلَ قَلْبِهِ لِلإِيمَانِ ، لِيَعْلَمَ : أَنَّهُ

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ١٧٥) .
(٢) أي : قلبهم وألقاهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَدْ هَلَكَ مَنْ دَخَلَ النَّارَ ، فَلاَ تَقِرُّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَمِيمَهُ فِي النَّارِ : وَإِنَّهَا لَلَّتِي قَالَ ـ اللهَ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان : ٧٤][1] .

قَوْلُ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ فِي هَذَا الْبَابِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[2] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ـ رضي الله عنه ـ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا بْنَ أَخِي ! قَالَ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : وَاللهِ! لَقَدْ كُنَّا نَجْتَهِدُ . قَالَ : وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ ؛ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ ، وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا ! قَالَ : فَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَا ابْنَ أَخِي ! وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي تَحَمُّلِهِمْ شِدَّةَ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةَ الْجُوعِ ، وَالْبَرْدِ .

وعِنْدَ مُسْلِمٍ[3] : فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ رِيحٍ شَدِيدَةٍ وَقُرٍّ[4] . . . فَذَكَرَهُ .

وعِنْدَ الْحَاكِمِ ، وَالْبَيْهَقِيِّ[5] : فَقَالَ حُذَيْفَةُ : لَا تَمَنَّوْا ذَلِكَ . . . فَذَكَرَهُ كَمَا سَيَأْتِي فِي تَحَمُّلِ الْخَوْفِ .

---

(١) أخرجه الطبراني أيضاً في « المعجم الكبير » برقم : (٦٠٠) و (٦٠٨) و (٦٥٧) بمعناه .

(٢) في « سيرة ابن هشام » : (٢/ ٢٣١) .

(٣) في كتاب الجهاد ، باب غزوة الأحزاب ، (٢/ ١٠٧) .

(٤) القُرّ : البرد .

(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ النَّبِيِّ ﷺ الشَّدَائِدَ وَالأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

قَوْلُـهُ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاَثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلاَلٍ ـ رضي الله عنه ـ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ[٢] إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِـطُ بِلاَلٍ » .

ما قَالَـهُ ﷺ لِعَمِّهِ حِينَ ظَنَّ ضُعْفَـهُ عَنْ نُصْرَتِـهِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَأْتِينَا فِي أَفْنِيَتِنَا ، وَفِي نَادِينَا ، فَيُسْمِعُنَا مَا يُؤْذِينَا بِهِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَـكُفَّهُ عَنَّا ؛ فَافْعَلْ . فَقَالَ لِي : يَا عَقِيلُ ! الْتَمِسْ لِي ابْنَ عَمِّكَ . فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ[٤] مِّنْ أَكْبَاسِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي مَعِي يَطْلُبُ الْفَيْءَ[٥] يَمْشِي فِيهِ ، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَيهِ ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي طَالِبٍ . فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : يَا بْنَ أَخِي ! وَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ كُنْتَ لِي لَمُطَاعاً ! وَقَدْ جَاءَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَ : أَنَّكَ تَأْتِيهِمْ

(١) في مسنده : (٣/ ١٢٠) .
(٢) ذو كبد : أي حيوان أعمّ من الإنسان .
(٣) في « المعجم الكبير » (٥١١) .
(٤) الكبس : البيت الصغير .
(٥) الفيءُ : الظِّلُّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فِي كَعْبَتِهِمْ ، وَفِي نَادِيهِمْ تُسْمِعُهُمْ مَّا يُؤْذِيهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَـكُفَّ عَنْهُمْ .

فحَلَّقَ ﷺ بِبَصَرِهِ[١] إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : « وَاللهِ مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ مَا بُعِثْتُ بِهِ مِنْ أَن يُشْعِلَ أَحَدُكُمْ مِّنْ هَذِهِ الشَّمْسِ شُعْلَةً مِن نَّارٍ». فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَاللهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ ! ارْجِعُوا رَاشِدِينَ !

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ[٢] : أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ للنبيِّ ﷺ : يَابْنَ أَخِي ! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُونِي ، وَقَالُوا كَذاَ ، وَكَذَا ، فَأَبْقِ عَلَيَّ ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ أَنَا ، وَلَا أَنْتَ ! فَاكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ قَوْلِكَ !

فظَـنَّ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنْ قَـدْ بَـدَا[٣] لِعَمِّـهِ فِيـهِ ، وَأَنَّـهُ خَـاذِلُـهُ[٤] ، وَمُسْلِمُهُ[٥] ، وَضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَمِّ ! لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي ؛ مَا تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ ؛ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ » ؛ ثُمَّ اسْتَعْبَرَ[٦] رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَى . فَلَمَّا وَلَّى ؛ قَالَ لَهُ ـ حِينَ رَأَى مَا بَلَغَ الأَمْرُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ـ : يَابْنَ أَخِي ! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : امْضِ عَلَى أَمْرِكَ ، وَافْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيءٍ أَبَدًا !

ما تَحَمَّلَهُ ﷺ مِنَ الأَذَى بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٧] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا

(١) أي : رفعه .
(٢) في « دلائل النبوة » (٢/ ١٨٧) .
(٣) أي : ظهر له رأيٌ .
(٤) الخذل : ترك الإعانة والنصرة .
(٥) مِنْ : أسلمه فلان : إذا ألقاه إلى الهلكة ، ولم يحمه من عدوِّه .
(٦) أي : جرت عبرته (أي : الدموع) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٥٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ؛ عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ سَفِيهٌ مِّنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ تُرَاباً فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ مِّنْ بَـنَاتِهِ تَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَتَبْكِي ، فَجَعَلَ يَقُولُ : «أَيْ بُنَيَّةُ ! لَا تَبْكِي ؛ فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ ! » . وَيَقُولُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ : « مَا نَالَتْ قُرَيْشٌ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ، ثُمَّ شَرَعُوا » .

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ؛ تَجَهَّمُوا[٢] بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « يَا عَمِّ ! مَا أَسْرَعَ مَا وَجَدْتُّ فَقْدَكَ ! » .

مَا لَقِيَـهُ ﷺ مِنَ الأَذَى مِنْ قُرَيْشٍ وَّمَا أَجَابَـهُمْ بِـهِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحارِثِ ؛ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي : مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِىءٍ لَّهُمْ. قَالَ : فَنَزَلْنَا فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ ـ عز وجل ـ وَالإِيمَانِ ، وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ ، وَيُؤْذُونَهُ ؛ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَانْصَدَعَ النَّاسُ عَنْهُ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَا نَحْرُهَا[٤] تَحْمِلُ قَدَحاً ، ومِنْدِيلاً فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا ، فَشَرِبَ ، وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « يَا بُنَـيَّةُ ! خَمِّرِي عَلَيْكِ نَحْرَكِ ، وَلَا تَخَافِينَ عَلَى أَبِيكِ ! » . قُلْنَا مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُهُ ، رضي الله عنها .

وعِنْدَهُ[٥] أَيْضاً عَنْ مُنِيبٍ الأَزْدِيِّ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ تُفْلِحُوا » .

(١) في « حلية الأولياء » (٨/ ٣٠٨) .
(٢) أي : استقبلوه بالغلظة والوجه الكريه .
(٣) في « المعجم الكبير » برقم : (٣٣٧٣) .
(٤) النَّحْرُ : الصَّدر .
(٥) أي : عند الطبراني في « المعجم الكبير » برقم : (٨٠٥) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَمِنْهُمْ مَنْ تَفَلَ[١] فِي وَجْهِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَثَا[٢] عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَبَّهُ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ. فَأَقْبَلَتْ جَارِيَةٌ بِعُسٍّ[٣] مِنْ مَّاءٍ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ، وَيَدَيْهِ ، وَقَالَ : « يَا بُنَيَّةُ ! لَا تَخْشَيْ عَلَى أَبِيكِ غِيلَةً[٤] ، وَلَا ذِلَّةً ! » . فَقُلْتُ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وَهِيَ جَارِيَةٌ وضِيئَةٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٥] عَنْ عُرْوَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ ؛ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى عُنُقِهِ ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ... ﴾ الآيَةَ .

وَعِنْدَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ[٦] عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : مَا رَأَيْتُ قُرَيْشاً أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَوْماً ، ائْتَمَرُوا بِهِ ؛ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ ، ثُمَّ جَذَبَهُ ؛ حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتَيْهِ سَاقِطاً ، وَتَصَايَحَ النَّاسُ ، فَظَنُّوا : أَنَّهُ مَقْتُولٌ . فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ يَشْتَدُّ ؛ حَتَّى أَخَذَ بِضَبْعَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن وَرَائِهِ وَيَقُولُ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ . ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى .

(١) أي : بصق .
(٢) أي : صَبَّ .
(٣) العُسُّ : القدح الكبير .
(٤) الغيلة : الخديعة ، والاغتيال .
(٥) في كتاب المناقب، تحت باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً . . .» (١/ ٥١٩).
(٦) في مصنَّفه : (١٤/ ٢٩٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ ؛ مَرَّ بِهِمْ ـ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْـكَعْبَةِ ـ فَقَالَ : «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا بِالذَّبْحِ ! » وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : مَا كُنْتَ جَهُولاً . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَنْتَ مِنْهُمْ » .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشاً أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ ؟ قَالَ : حَضَرْتُهُمْ ؛ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فِي الْحِجْرِ ، فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ : سَفَّهَ أَحْلاَمَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ !

قَالَ : فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَقْبَلَ الرُّكْنَ[٢] ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفاً بِالْبَيْتِ . فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ ؛ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ ، قَالَ : فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ مَضَى . فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ ؛ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ مَضَى . فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا ؛ فَقَالَ : « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؟! أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ! » .

فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ ؛ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَكَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً[٣] قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ[٤] بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! انْصَرِفْ رَاشِداً ، فَوَاللهِ

(١) في مسنده برقم : (٧٠٣٦) .
(٢) هو الحجر الأسود .
(٣) أي : عهداً ووصيةً .
(٤) أي : يسكِّنه ، ويرفق به .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مَا كُنْتَ جَهُولاً ! فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ ؛ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ ـ وَأَنَا مَعَهُمْ ـ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ ؛ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ ؛ تَرَكْتُمُوهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَأَطَافُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا ، وَكَذَا ؟! لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ ، وَدِينِهِمْ . قَالَ : فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « نَعَمْ ؛ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ ! » قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً مِّنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ دُونَهُ يَقُولُ : وَهُوَ يَبْكِي : أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ؟! ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشاً بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى[1] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّهُمْ قَالُوا لَهَا : مَا أَشَدَّ مَا رَأَيْتِ الْمُشْرِكِينَ بَلَغُوا مِنْ رَّسُولِ اللهِ ﷺ ؟! فَقَالَتْ : كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَعَدُوا فِي الْمَسْجِدِ يَتَذَاكَرُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يَقُولُ فِي آلِهَتِهِمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامُوا إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ ، فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالُوا : أَدْرِكْ صَاحِبَكَ ! فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا ؛ وَإِنَّ لَهُ لَغَدَائِرَ أَرْبَعَ[2] ؛ وَهُوَ يَقُولُ : وَيْلَكُمْ ! ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر : ٢٨] . فَلَهَوْا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ . قَالَتْ : فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئاً مِّنْ غَدَائِرِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ : تَبَارَكْتَ يَاذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ !

---

(١) في مسنده برقم : (٥٢) .

(٢) الغدائر : الذوائب ، وهي جمع (الغديرة) هي : ضفيرة الشَّعْرِ المرسلة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى[١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ الله ﷺ مَرَّةً ؛ حَتَّى غُشِيَ عَلَيهِ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَجَعَلَ يُنَادِي : وَيْلَكُمْ ! ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ؟! فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ الْمَجْنُونُ . فَتَرَكُوهُ ، وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ .

قَوْلُ عَلِيٍّ فِي شَجَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ فِي خُطْبَةٍ لَّهُ :

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ[٢] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ خَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ : أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا انْتَصَفْتُ مِنْهُ[٣] ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ الله ﷺ عَرِيشاً[٤] ، فَقُلْنَا : مَن يَكُونُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لِئَلاَّ يُهْوِيَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَوَالله مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ شَاهِرًا[٥] بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ لَا يُهْوِي[٦] إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ !

فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ .

قالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَهَذَا يُحَادُّهُ ، وَهَذَا يُتَلْتِلُهُ ، وَيَقُولُونَ : أَنْتَ جَعَلْتَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَّاحِدًا ؟! فَوَالله مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا ، وَيُجَاهِدُ هَذَا ، وَيُتَلْتِلُ[٧] هَذَا ؛ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) في مسنده برقم : (٣٦٩١) .
(٢) في مسنده برقم : (٧٦١) .
(٣) أي : انتقمتُ ، وأخذتُ منه حقِّي .
(٤) العريش : البيت الذي يستظل به .
(٥) شاهراً : رافعاً .
(٦) أي : يميل .
(٧) من التلتلة : هي : الزعزعة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَيْلَكُمْ ، أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَّقُولَ رَبِّيَ اللهُ ؟! ثُمَّ رَفَعَ عَلِيٌّ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ[1] لِحْيَتُـهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدُكُمُ اللهَ : أَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ ، أَمْ هُوَ ؟! فَسَكَتَ الْقَوْمُ . فَقَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : فَوَاللهِ لَسَاعَةٌ مِنْ أَبِي بَـكْرٍ خَيْرٌ مِّنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ، ذَاكَ رَجُلٌ يَـكْتُمُ إِيمَانَهُ ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ !

طَرْحُ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ الْفَرْثَ عَلَيْهِ ﷺ وَانْتِصَارُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ لَـهُ :

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ[2] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ ، وَشَيْبَةُ ، وَعُتْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، ورَجُلاَنِ آخَرَانِ كَانُوا سَبْعَةً وهُمْ فِي الْحِجْرِ ؛ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي ، فَلَمَّا سَجَدَ ؛ أَطَالَ السُّجُودَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَأْتِي جَزُورَ[3] بَنِي فُلاَنٍ ، فَيَأْتِينَا بِفَرْثِهَا فَنُكْفِئَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ؟! فَانْطَلَقَ أَشْقَاهُمْ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفَيْهِ ؛ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وأَنَا قَائِمٌ لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَـكَلَّمَ لَيْسَ عِنْدِي مَنَعَةٌ تَمْنَعُنِي فَأَنَا أَذْهَبُ ؛ إِذْ سَمِعَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَتْ ؛ حَتَّى أَلْقَتْ ذَلِكَ عَنْ عَاتِقِهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ قُرَيْشاً تَسُبُّهُمْ ، فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئاً ؛ وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجُودِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَتَهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ! ـ ثَلاَثاً ـ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ، وَعُقْبَةَ ، وَأَبِي جَهْلٍ ، وشَيْبَةَ ! » .

---

(١) أي : ابتلَّت .
(٢) في مسنده برقم : (٢٣٩٨) .
(٣) الجزور : البعير ذكراً كان أم أنثى .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ثمَّ خَرَجَ منَ الْمَسْجِدِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بِسَوْطٍ يَتَخَصَّرُ[١] بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ وَجْهَهُ ، فَقَالَ : مَالَكَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « خَلِّ عَنِّي ! » . قَالَ : عَلِمَ اللهُ لَا أُخَلِّي عَنْكَ ، أَوْ تُخْبِرَنِي مَا شَأْنُكَ ! فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ! فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ : أَنَّهُ غَيْرُ مُخَلٍّ عَنْهُ ؛ أَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطُرِحَ عَلَيَّ فَرْثٌ » . فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ ! فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، فَدَخَلاَ الْمَسْجِدَ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ ! أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْثُ ؟ قَالَ: نَعَمْ ! قَالَ: فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ. قَالَ: فَثَارَ الرِّجَالُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ؛ قَالَ: وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ: وَيْحَكُمْ ! هِيَ لَهُ ، إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ وَيَنْجُوَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ .

وفي أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ : أَنَّهُمْ لَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ؛ اسْتَضْحَكُوا ؛ حَتَّى جَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ إِلَى بَعْضٍ مِّنْ شِدَّةِ الضِّحْكِ .

وعِنْدَ أَحْمَدَ[٢] : وَقَالَ عَبْدُ اللهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعاً .

إِيذَاءُ أَبِي جَهْلٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَغَضَبُ حَمْزَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَلَى أَبِي جَهْلٍ :

وَأَخْرجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ مُرْسَلاً: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) أي : يمسكه بيده .
(٢) في مسنده : (١/ ٤١٧) .
(٣) في « المعجم الكبير » برقم : (٢٩٢٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بالصَّفَا ، فَآذَاهُ ، وَكَانَ حَمْزَةُ ـ رضي الله عنه ـ صَاحِبَ قَنْصٍ[١] ، وصَيْدٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ فِي قَنْصِهِ . فَلَمَّا رَجَعَ ؛ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ ـ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا أَبَا عُمَارَةَ ! لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ ـ تَعْنِي : أَبَا جَهْلٍ ـ بِابْنِ أَخِيكَ ! فَغَضِبَ حَمْزَةُ ـ رضي الله عنه ـ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ ؛ وَهُوَ مُعَلِّقٌ قَوْسَهُ فِي عُنُقِهِ ؛ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ ؛ حَتَّى عَلاَ رَأْسَهُ بِقَوْسِهِ ، فَشَجَّهُ[٢] ؛ فَقَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْزَةَ يُمْسِكُونَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حَمْزَةُ : دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ ، أَشْهَدُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، فَوَاللهِ ! لاَ أَنْثَنِي[٣] عَنْ ذَلِكَ . فَامْنَعُونِي مِنْ ذَلِكَ ؛ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ! فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ ـ رضي الله عنه ـ عَزَّ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَثَبَتَ لَهُمْ بَعْضُ أَمْرِهِمْ ، وَهَابَتْ قُرَيْشٌ ، وعَلِمُوا : أَنَّ حَمْزَةَ ـ رضي الله عنه ـ سَيَمْنَعُهُ .

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[٤] أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ مُرْسَلاً ، وَفِي حَدِيثِهِ : فَأَقْبَلَ مِنْ رَمْيِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عُمَارَةَ ! مَاذَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مِنْ أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ !! شَتَمَهُ ، وَتَنَاوَلَهُ[٥] ، وَفَعَلَ ، وَفَعَلَ !! فَقَالَ : هَلْ رَآهُ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : إِي وَاللهِ لَقَدْ رَآهُ نَاسٌ ! فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ ؛ وأَبُو جَهْلٍ فِيهِمْ . فَاتَّكَأَ عَلَى قَوْسِهِ ، وَقَالَ : رَمَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ؟ ثُمَّ جَمَعَ يَدَيْهِ بِالْقَوْسِ ، فَضَرَبَ بِهَا بَيْنَ أُذُنَيْ أَبِي جَهْلٍ ، فَدَقَّ

(١) القنص : الصَّيد .
(٢) أي : ضربه به .
(٣) أي : لا أنصرف .
(٤) في « المعجم الكبير » برقم : (٢٩٢٥) .
(٥) أي : بلسانه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

سِيَتَهَا[١] ثُمَّ قَالَ : خُذْهَا بِالْقَوْسِ ، وَأُخْرَى بِالسَّيْفِ ، أَشْهَدُ : أَنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. قَالُوا : يَا أَبَا عُمَارَةَ ! إِنَّهُ سَبَّ آلِهَتَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ ـ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْهُ ـ مَا أَقْرَرْنَاكَ . وَذَاكَ ! وَمَا كُنْتَ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَاحِشاً !

عَزْمُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى إِيذَائِهِ ﷺ وَكَيْفَ أَخْزَاهُ اللهُ تعالى :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٢] عَنِ الْعَبَّاسِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنْتُ يَوْماً فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ ـ لعنه الله ! ـ فَقَالَ : إِنَّ للهِ عَلَيَّ إِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا سَاجِدًا أَنْ أَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ! فَخَرَجْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ؛ فَخَرَجَ غَضْبَانَ حَتَّى جَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَعَجَّلَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ فَاقْتَحَمَ الْحَائِطَ[٣] . فَقُلْتُ : هَذَا يَوْمُ شَرٍّ ؛ فَاتَّزَرْتُ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ ـ ٢] . فَلَمَّا بَلَغَ شَأْنَ أَبِي جَهْلٍ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] ؛ فَقَالَ إِنْسَانٌ لأَبِي جَهْلٍ : يَا أَبَا الْحَكَمِ ! هَذَا مُحَمَّدٌ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟! وَاللهِ لَقَدْ سُدَّ أُفُقُ السَّمَاءِ عَلَيَّ ! فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آخِرَ السُّورَةِ ؛ سَجَدَ .

إِيذَاءُ أَبِي جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَانْتِصَارُ طُلَيْبِ بْنِ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ لَهُ ﷺ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٤] عَنِ بَرَّةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَاةَ ؛ قَالَتْ : عَرَضَ أَبُو جَهْلٍ

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها .
(٢) في « دلائل النبوة » (٢/ ١٩١) .
(٣) أي : هاجمه ، وانتهى إليه بغتةً .
(٤) في « الطبقات الكبرى » (٨/ ٤٢ ـ ٤٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَعِدَّةٌ[١] مَعَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَآذَوْهُ . فَعَمَدَ طُلَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى أَبِي جَهْلٍ ، فَضَرَبَهُ ، فَشَجَّهُ ، فَأَخَذُوهُ ، فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ في نُصْرَتِهِ . وَبَلَغَ أَرْوَى[٢] ، فَقَالَتْ : إِنَّ خَيْرَ أَيَّامِهِ يَوْمَ نَصَرَ ابْنَ خَالِهِ ، فَقِيلَ لأَبِي لَهَبٍ : إِنَّ أَرْوَى صَبَتْ[٣] ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يُعَاتِبُهَا ، فَقَالَتْ : قُمْ دُونَ ابْنِ أَخِيكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَظْهَرْ ؛ كُنْتَ بِالْخِيَارِ ، وَإِلَّا كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ[٤] في ابْنِ أَخِيكَ ! فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : وَلَنَا طَاقَةٌ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةً ؟! إِنَّهُ جَاءَ بِدِينٍ مُحْدَثٍ !

دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ حِينَ آذَاهُ وَخَبَرُ هَلَاكِهِ :

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلاً[٥] قَالَ : تَزَوَّجَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ وكَانَتْ رُقَيَّةُ عِنْدَ أَخِيهِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، فَلَمْ يَبْنِ[٦] بِهَا حَتَّى بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ . فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قَال أَبُو لَهَبٍ لِابْنَيْهِ : عُتْبَةَ ، وَعُتَيْبَةَ : رَأْسِي فِي رُؤُوسِكُمَا حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقَا ابْنَتَيْ مُحَمَّدٍ ، وَقَالَتْ أُمُّهُمَا[٧] بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ـ وَهِيَ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ـ : طَلِّقَاهُمَا يَا بَنِيَّ ! فَإِنَّهُمَا صَبَأَتَا ! فَطَلَّقَاهُمَا .

ولَمَّا طَلَّقَ عُتَيْبَةُ أُمَّ كُلْثُومٍ ؛ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ فَارَقَهَا ، فَقَالَ : كَفَرْتُ بِدِينِكَ ، وَفَارَقْتُ ابْنَتَكَ ، لَا تَجِيئُنِي ، وَلَا أَجِيئُكَ ! ثُمَّ سَطَا عَلَيهِ[٨] ، فَشَقَّ

(١) جماعة .
(٢) وهي : أروى بنت عبد المطلب ، رضي الله عنها ، عَمَّة رسول الله ﷺ .
(٣) أي : خرجتْ من دينها .
(٤) أعذرتَ : أي : ثبت لك عذرٌ .
(٥) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) عن شيخه الحاكم بسنده إلى عروة مرسلاً .
(٦) أي : لم يدخل .
(٧) وهي : أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان .
(٨) أي : وثب عليه ، وقهره .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَمِيصَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ خَارِجٌ نَّحْوَ الشَّامِ تَاجِراً . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبَهُ[١] » . فَخَرَجَ فِي تَجْرٍ[٢] مِّنْ قُرَيْشٍ ؛ حَتَّى نَزَلُوا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : « الزَّرْقَاءُ » لَيْلاً فَأَطَافَ بِهِمُ الأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَجَعَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ : وَيْلُ أُمِّي ! هَذَا وَاللهِ آكِلِي كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ ! قَاتِلِي ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ[٣] وَهُوَ بِمَكَّةَ ، وَأَنَا بِالشَّامِ ! فَلَقَدْ غَدَا[٤] عَلَيْهِ الأَسَدُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ فَضَغَمَهُ[٥] ضَغْمَةً ، فَقَتَلَهُ .

قالَ زُهَيْرُ بْنُ الْعَلاَءِ : فَحَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ الأَسَدَ لَمَّا أَطَافَ بِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ انْصَرَفَ ، فَنَامُوا؛ وَجُعِلَ عُتَيْبَةُ وَسْطَهُمْ. فَأَقْبَلَ السَّبُعُ يَتَخَطَّاهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ عُتَيْبَةَ فَفَدَغَهُ[٦] . وَخَلَفَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَ رُقَيَّةَ عَلَى أُمِّ كُلْثُومٍ ـ رضي الله عنه ـ .

إِيذَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَارَيْهِ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٧] عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: مَا أَسْمَعُكُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ قُرَيْشاً كَانَتْ تَنَالُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِنِّي أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ : أَنَّ مَنْزِلَهُ كَانَ بَيْنَ مَنْزِلِ أَبِي لَهَبٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ؛ وَكَانَ يَنْقَلِبُ إِلَى بَيْتِهِ ، فَيَجِدُ الأَرْحَامَ[٨] ، وَالدِّمَاءَ ، وَالأَنْحَاتَ[٩] قَدْ نُصِبَتْ

(١) أطلق الكلب هنا على الأسد ، والكلب : كل سبع عقورٍ .
(٢) جمع (تاجر) .
(٣) أراد به النبي ﷺ ، هي كنية زوج حليمة السعدية .
(٤) أي : جاء .
(٥) أي : عضَّه عضَّةً شديدة .
(٦) أي : كسره .
(٧) في « المعجم الأوسط » برقم : (٣٤١٢) .
(٨) الأرحام : جمع (الرحم) ، هو : وعاء الجنين في البطن .
(٩) الأنحات : وهي الرديء من كل شيء .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَلَى بَابِهِ فَيُنَحِّي ذَلِكَ بِسِيَةِ قَوْسِهِ ، وَيَقُولُ : « بِئْسَ الْجِوَارُ هَذَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! » .

ما تَحَمَّلَهُ ﷺ مِنَ الأَذَى فِي الطَّائِفِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] : عَنْ عُرْوَةَ : أَنَّ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ حَدَّثَتْهُ : أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ! وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ[٢] ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلىٰ مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ ؛ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٣] ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرَائِيلُ ـ عليه السلام ـ فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ[٤] لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ؛ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! فَقَالَ ذَلِكَ ، فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[٥] ؟ قَالَ النَّبِيّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَّعْبُدُ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً[٦] .

---

(١) في كتاب الأنبياء ، باب ذكر الملائكة (١/ ٤٥٨) .

(٢) رجل من أشراف أهل الطائف ، اسمه : كنانة الثقفي .

(٣) موضع على طريق الطائف .

(٤) أي : الذي سخر له الجبال .

(٥) الأخشبان : جبلان يطيفان بمكة ، وهما : أبو قيس ، والأحمر ، والمراد بإطباقهما : أن يلتقيان على من بمكّة .

(٦) وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ، والنَّسائي في « السنن الكبرى » .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] : عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ ، وَازْدَادَ مِنَ الْبَلاَءِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شِدَّةً ، فَعَمَدَ إِلَى ثَقِيفٍ يَرْجُو أَنْ يُؤْوُوهُ ، وَيَنْصُرُوهُ ، فَوَجَدَ ثَلاَثَـةَ نَفَرٍ مِّنْهُمْ ، سَادَةُ ثَقِيفٍ ، وهُمْ إِخْوَةٌ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنُ عَمْرٍو ، وحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو ، ومَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو؛ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَشَكَا إِلَيْهِمُ الْبَلاَءَ ، وَمَا انْتَهَكَ قَوْمُهُ مِنْهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :أَنَا أَسْرِقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ بَعَثَكَ بِشَيءٍ قَطُّ ، وَقَالَ الآخَرُ : وَاللهِ ! لاَ أُكَلِّمُكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَـذَا كَلِمَةً وَّاحِدَةً أَبَداً ، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولاً ؛ لأَنْتَ أَعْظَمُ شَرَفاً ، وَحَقّاً مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ ؛ وَقَالَ الآخَرُ : أَعَجَزَ اللهُ أَنْ يُّرْسِلَ غَيْرَكَ ؟ وَأَفْشَوْا ذَلِكَ فِي ثَقِيفٍ ـ الَّذِي قَالَ لَهُمْ ـ وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَعَدُوا لَهُ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوا بِأَيْدِيهِمُ الْحِجَارَةَ ، فَجَعَلَ لاَ يَرْفَعُ رِجْلَهُ ، وَلاَ يَضَعُهَا إِلاَّ رَضَخُوهَا[٢] بِالْحِجَارَةِ ؛ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ ، وَيَسْخَرُونَ .

فَلَمَّا خَلَصَ ﷺ مِنْ صَفَّيْهِمْ ، وَقَدَمَاهُ تُسِيلاَنِ الدِّمَاءَ ؛ عَمَدَ إِلَى حَائِطٍ[٣] مِنْ كُرُومِهِمْ ، فَأَتَى ظِلَّ حَبَلَةٍ مِنَ الْكَرْمِ[٤] ، فَجَلَسَ فِي أَصْلِهَا مَكْرُوباً مُوجَعاً تُسِيلُ قَدَمَاهُ الدِّمَاءَ فَإِذَا فِي الْكَرْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُمَا كَرِهَ أَنْ يَّأْتِيَهُمَا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَدَوَاتِهِمَا للهِ وَلِرَسُولِهِ ؛ وَبِهِ الَّذِي بِهِ فَأَرْسَلاَ إِلَيْهِ غُلاَمَهُمَا عَدَّاساً بِعِنَبٍ ، وهُوَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَضَعَ الْعِنَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « بِسْمِ اللهِ » فَعَجِبَ عَدَّاسٌ ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟! » قَالَ :

(١) في « دلائل النبوة » (ص : ١٠٣) .
(٢) أي : رموها ، وأدموها .
(٣) الحائط : أي : البستان .
(٤) الكَرْم : العنب .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَنَا مِنْ أَهْلِ نِينَوَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟ » فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى ؟! فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ مَا عَرَفَ .

وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَحْقِرُ أَحَدًا يُبَلِّغُهُ رِسَالَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ. قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَخْبِرْنِي خَبَرَ يُونُسَ بْنِ مَتَّى . فَلَمَّا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ ؛ خَرَّ سَاجِدًا لِلرَّسُولِ ﷺ ، ثُمَّ جَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ ، وَهُمَا تُسِيلَانِ الدِّمَاءَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَ عُتْبَةُ ، وَأَخُوهُ شَيْبَةُ مَا فَعَلَ غُلَامُهُمَا ؛ سَكَتَا ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا ؛ قَالَا لَهُ : مَا شَأْنُكَ سَجَدتَّ لِمُحَمَّدٍ ، وقَبَّلْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَمْ نَرَكَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَحَدٍ مِّنَّا ؟! قَالَ : هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ ، حَدَّثَنِي عَنْ أَشْيَاءَ عَرَفْتُهَا مِنْ شَأْنِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْنَا يُدْعَى يُونُسَ بْنَ مَتَّى ، فَأَخْبَرَنِي : أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ. فَضَحِكَا ، وَقَالَا : لَا يَفْتِنْكَ[1] عَنْ نَّصْرَانِيَّتِكَ ، إِنَّهُ رَجُلٌ يَخْدَعُ . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ .

وذُكِرَ فِي الْبِدَايَةِ[2] عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ : وَقَعَدَ لَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ ؛ جَعَلُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ ، وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ ؛ حَتَّى أَدْمَوْهُ ، فَخَلَصَ مِنْهُمْ ؛ وَهُمَا تُسِيلَانِ الدِّمَاءَ .

وفِيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ ؛ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ ـ فِيمَا ذُكِرَ لِي ـ « إِنْ فَعَلْتُمْ ما فَعَلْتُمْ ، فَاكْتُمُوا عَلَيَّ ! » . وَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ ، فَيُذْئِرَهُمْ[3] ذَلِكَ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَغْرَوْا[4] بِهِ سُفَهَاءَهُمْ ، وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ ، وَيَصِيحُونَ بِهِ ؛

(١) أي : لا يضلُّك .
(٢) في « البداية والنهاية » (٣/ ١٣٦) .
(٣) أذأره : أي : جرأه ، وأغراه .
(٤) أي : سلطوا ، وحرَّضوهم عليه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَلْجَؤُوهُ إِلَى حَائِطٍ لِّعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا فِيهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ . فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِّنْ عِنَبٍ ، فَجَلَسَ فِيهِ ؛ وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، وَيَرَيَانِ مَا يَلْقَى مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ . وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فِيمَا ذُكِرَ لِي ـ الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : « مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكِ ! »[١] .

دُعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ الرُّجُوعِ مِنَ الطَّائِفِ :

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ ؛ قَالَ : ـ فِيمَا ذُكِرَ لِي ـ : « اللَّهُمَّ ! إِلَيْكَ أَشْكُو ضُعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي[٢] ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[٣] ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَّلَّكْتَهُ أَمْرِي ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ ؛ فَلاَ أُبَالِي ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ! أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَّنْزِلَ بِي غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَى[٤] حَتَّى تَرْضَى ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ! » .

إِسْلاَمُ عَدَّاسٍ وشَهَادَتُـهُ بِأَنَّـهُ ﷺ نَبِيٌّ حَقٌّ :

قَالَ : فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ : عُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ وَمَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا[٥] فَدَعَوَا غُلاَماً لَهُمَا نَصْرَانِيّاً يُّقَالُ لَهُ : عَدَّاسٌ ، وَقَالاَ لَهُ : خُذْ قِطْفاً[٦] مِنْ هَذَا الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلْ

(١) الأحماء : جمع (الحمو) : أقارب الزوج .
(٢) الحيلة : القدرة ، والتدبير .
(٣) أي : يستقبلني بوجهٍ كريهٍ .
(٤) أي : الرجوع إلى ما ترضى .
(٥) أي : القرابة .
(٦) القِطْف : العنقود .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنْهُ ، فَفَعَلَ عَدَّاسٌ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُلْ ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فِيهِ ؛ قَالَ : «بِسْمِ اللهِ» ثُمَّ أَكَلَ ، ثُمَّ نَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ! إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ !! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ بِلَادٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟! وَمَا دِينُكَ ؟ » قَالَ : نَصْرَانِيٌّ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ نِينَوَى . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟ » فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ذَلِكَ أَخِي كَانَ نَبِيّاً وأَنَا نَبِيٌّ » . فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ ، وَيَدَيْهِ ، وَقَدَمَيْهِ ، قَالَ : يَقُول ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَمَّا غُلَامُكَ ؛ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ ! فَلَمَّا جَاءَ عَدَّاسٌ ؛ قَالَا لَهُ : وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ ! مَالَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَيَدَيْهِ ، وَقَدَمَيْهِ ؟! قَالَ : يَا سَيِّدِي مَا فِي الأَرْضِ شَيءٌ خَيْرٌ مِّنْ هَذَا ! لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَّا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ . قَالَا لَهُ : وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ ؛ فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِّنْ دِينِهِ[١] !

وذَكَرَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ فِي السِّيرَةِ لَـهُ : أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ[٢] . وَقَدْ ذَكَرَهُ فِي الصَّحَابَةِ .

وأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ رَأَيْتِنِي وَرَسُولَ اللهِ ﷺ إِذْ صَعِدْنَا الْغَارَ ، فَأَمَّا قَدَمَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَقَطَّرَتَا دَماً ، وَأَمَّا قَدَمَايَ ، فَعَادَتْ كَأَنَّهُمَا صَفْوَانٌ[٣] ! قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَعَوَّدِ الْحِفْيَةَ[٤] .

(١) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ١٣٥) .
(٢) كذا في « الإصابة » (٢/ ٤٦٦) .
(٣) الصفوان : الحجر الصَّلد .
(٤) كذا في « كنز العمال » (٨/ ٣٢٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ما لَقِيَهُ ﷺ مِنَ الأَذَى يَوْمَ أُحُدٍ :

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ[١] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[٢] يَوْمَ أُحُدٍ وشُجَّ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْلِتُ[٣] الدَّمَ عَنْ وجْهِهِ وَيَقُولُ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ؟! » فَنَزَلَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : « أُصِيبَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ ، فَمَصَّ جُرْحَهُ ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ[٥] ، فَقَالَ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ » .

وَأَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ[٦] عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ ؛ قَالَ : ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِطَلْحَةَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ[٧] يَوْمَ أُحُدٍ ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ دُونَهُ وَأُرَاهُ قَالَ حَمِيَّةً[٨] ، قَالَ فَقُلْتُ : كُنْ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي ، فَقُلْتُ : يَكُونُ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ ، وهُوَ يَخْطَفُ الْمَشْيَ خَطْفاً

(١) البخاري في كتاب المغازي ، باب « ليس لك من الأمر شيء » (٢/ ٢٨٥) ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب غزوة أحد (٢/ ١٠٧) .
(٢) الرباعية : وهي السن التي بين الثنية والنَّاب .
(٣) يسلت : أي : يمسح .
(٤) في « المعجم الكبير » برقم : (٥٤٣٠) .
(٥) اذرده : أي : ابتلعه .
(٦) في مسنده : (ص : ٣) .
(٧) أي : رَجَع .
(٨) أي : عاراً ، وأنفةً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَا أَخْطَفُهُ[١] ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، رضي الله عنه ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ دَّخَلَ فِي وَجْنَتِهِ[٢] حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ[٣] . قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « عَلَيْكُمَا صَاحِبَكُمَا » ـ يُرِيدُ طَلْحَةَ ؛ وَقَدْ نُزِفَ ـ فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ؛ قَالَ : وَذَهَبْتُ لأَنْزِعَ ذَلِكَ مِنْ وجْهِهِ ، فَقَالَ : أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّي ؛ لَمَا تَرَكْتَنِي ! فَتَرَكْتُهُ ، فَكَرِهَ تَنَاوُلَهَا بِيَدِهِ ، فَيُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ فَأَزَمَ عَلَيْهَا بِفِيهِ ، فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلْقَتَيْنِ ، وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ ، وَذَهَبْتُ لأَصْنَعَ مَا صَنَعَ ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي ؛ لَمَا تَرَكْتَنِي ! قَالَ : فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى ، فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتَماً[٤] ! فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِفَارِ[٥] ؛ فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وسَبْعُونَ طَعْنَةً ، ورَمْيَةً ، وضَرْبَةً ، وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ أُصْبُعُهُ ، فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ .

---

(١) أي : هو يسرع في المشي سرعةً لا أسرعه .
(٢) الوجنة : ما ارتفع من الخَدَّين .
(٣) المغفر : زرد من الدِّرع ، يلبس تحت القلنسوة .
(٤) الأهتم : هو الذي انكسرت ثناياه من أصولها .
(٥) الجفار : جمع (الجفرة) وهي : الحفرة في الأرض .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّـلُ الصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ الشَّدَائِدَ وَالأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَىَ اللهِ

تحَمُّلُ أَبِي بَـكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِـدَ :

أَخْرَجَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الأَطْرَابُلُسِيُّ[١] عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ـ وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وثَلاَثِينَ رَجُلاً ـ أَلَحَّ[٢] أَبُو بَـكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! إِنَّا قَلِيلٌ » . فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ ؛ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيباً ؛ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَىَ اللهِ ، وإِلَىَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْباً شَدِيداً ، وَوُطِىء أَبُو بَكْرٍ ، وضُرِبَ ضَرْباً شَدِيداً ، وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ[٣] ، وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ ، وَنَزَا[٤] عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ .

وجَاءَ بَنُو تَيْمٍ يتعَادَوْنَ[٥] ، فَأَجْلَتِ[٦] الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَمَلَتْ

(١) هو محدِّث الشام حَيْثَمة بن سليمان بن حَيْدَرة الأطرابُلُسي (المتوفى سنة ٣٤٣ هـ) من الأئمة الثقات .
(٢) ألحَّ : أي : أصَرَّ .
(٣) أي : مطبقتين غليظتين .
(٤) نزا : أي : وَثَب عليه .
(٥) أي : يَعْدون .
(٦) أي : طردتْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ ؛ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ؛ ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وَقَالُوا : وَاللهِ! لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ؛ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ(١) ، وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ ؛ حَتَّى أَجَابَ ، فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَمَسُّوا مِنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَعَذَلُوهُ(٢) ، ثُمَّ قَامُوا ، وَقَالُوا لأُمِّهِ أُمِّ الْخَيْرِ: انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئاً ، أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ ؛ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : وَاللهِ! مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ. فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْخَطَّابِ ، فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ ، فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ ، ولَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ، وَإِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكِ إِلَى ابْنِكِ ! قَالَتْ : نَعَمْ ؛ فَمَضَتْ مَعَهَا ؛ حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيعاً(٣) دَنِفاً(٤) ؛ فَدَنَتْ أُمُّ جَمِيلٍ ، وَأَعْلَنَتْ بِالصِّيَاحِ ، وَقَالَتْ : وَاللهِ! إِنَّ قَوْماً نَالُوا هَذَا مِنْكَ ؛ لأَهْلُ فِسْقٍ وكُفْرٍ ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ لَكَ مِنْهُمْ !

قَالَ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَتْ: هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ. قَالَ: فَلَا شَيْءَ عَلَيْكِ مِنْهَا ! قَالَتْ: سَالِمٌ صَالِحٌ . قَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَتْ: فِي دَارِ الأَرْقَمِ. قَالَ : فَإِنَّ للهِ عَلَيَّ أَلَّا أَذُوقَ طَعَاماً ، وَلَا أَشْرَبَ شَرَاباً ؛ أَوْ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ! فَأَمْهَلَتَا حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ ، وَسَكَنَ النَّاسُ ؛ خَرَجَتَا بِهِ يَتَّكِىء عَلَيْهِمَا ؛ حَتَّى أَدْخَلَتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

(١) هو : عثمان بن عمرو ، والد أبي بكر ، رضي الله عنهما .
(٢) أي : لاموه .
(٣) أي : مطروحاً .
(٤) أي : مُقبلاً على الموت .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ : فَأَكَبَّ عَلَيْهِ[١] رَسُولُ اللهِ ، فَقَبَّلَهُ ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ! لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وجْهِي ، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا ، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ ، فَادْعُهَا إِلَى اللهِ ، وَادْعُ اللهَ لَهَا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ !

قالَ : فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَاهَا إِلَى اللهِ ، فَأَسْلَمَتْ . وَأَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّارِ شَهْراً وهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلاَثُونَ رَجُلاً ؛ وَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ رضي الله عنه ـ أَسْلَمَ يَوْمَ ضُرِبَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ .

دُعَاؤُهُ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ وَإِسْلاَمُـهُ :

وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ أَوْ لأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَام ـ فَأَصْبَحَ عُمَرُ ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ ، فَأَسْلَمَ عُمَرُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ بِأَعْلَى مَكَّةَ ؛ وَخَرَجَ أَبُو الأَرْقَمِ ـ وَهُوَ أَعْمَى كَافِرٌ ـ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِبُنَيَّ عُبَيْدٍ الأَرْقَمِ ؛ فَإِنَّهُ كَفَرَ[٢] ! فَقَامَ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! عَلاَمَ نُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ ، وَيَظْهَرُ دِينُهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! قَالَ ﷺ : « يَا عُمَرُ ! إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِينَا » . فَقَالَ عُمَرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! لاَ يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الإِيمَانَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ مَرَّ بِقُرَيْشٍ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَام : يَزْعُمُ فُلاَنٌ : أَنَّكَ صَبَوْتَ[٣] ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

---

(١) أي : أقبل عليه .
(٢) أي : أنكر دينه واختار ديناً جديداً .
(٣) أي : خرجت عن دينك إلى دين آخر .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فوَثَبَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ ، وَوَثَبَ عَلَى عُتْبَةَ فَبَرَكَ[١] عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَأَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِي عَيْنَيْهِ ، فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ ، فَتَنَحَّى النَّاسُ فَقَامَ عُمَرُ ، فَجَعَلَ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَ بِشَرِيفٍ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ ، حَتَّى أَعْجَزَ النَّاسَ . وَاتَّبَعَ الْمَجَالِسَ الَّتِي كَانَ يُجَالِسُ فِيهَا ، فَيُظْهِرُ الإِيمَانَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ . قَالَ : مَا عَلَيْكَ بِأَبِي وَأُمِّي ! وَاللهِ مَا بَقِيَ مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الإِيمَانَ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا خَائِفٍ ! فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ مُؤْمِناً ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ ؛ وَمَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ .

والصَّحِيحُ : أَنَّ عُمَرَ إِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ خُرُوجِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ[٢] .

ابْتِلَاءُ المسلمين وَخُرُوجُ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ إِلَى الْحَبَشَةِ مُهَاجِرًا وقِصَّتُهُ مَعَ ابْنِ الدَّغِنَةِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٣] عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ[٤] ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً . فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ[٥] لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ

(١) أي : جلس .
(٢) في « البداية والنهاية » (٣/ ٣٠) ، وذكره الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤/ ٤٤٧) عن ابن عاصم .
(٣) في كتاب الكفالة ، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده . برقم (٢٢٩٧) .
(٤) أي : دين الإسلام .
(٥) موضع وراء مكة المكرمة على طريق اليمن .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْقَارَةِ[١] . فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ يَا أَبَا بَكْرٍ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ ، وَأَعْبُدَ رَبِّي . قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ ، وَلَا يُخْرَجُ ! إِنَّكَ تُكْسِبُ الْمَعْدُومَ[٢] ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[٣] ، وَتَقْرِي[٤] الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ[٥] الْحَقِّ ؛ فَأَنَا لَكَ جَارٌ ، ارْجِعْ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ ! فَرَجَعَ ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؟! .

فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ[٦] بِهِ . فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا ، وَأَبْنَاءَنَا ! فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لأَبِي بَكْرٍ .

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَا[٧] لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَتَقَذَّفُ[٨] عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَبْنَاؤُهُمْ ؛ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً ، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ

(١) قبيلة مشهورة من بني الهون .
(٢) المعدوم : الفقير .
(٣) الكلُّ : مَنْ يعتمد على غيره في معيشته ، واليتيم ، ومن لا ولد له ، ولا والد .
(٤) أي : تهييء له طعامه ، ونزله .
(٥) النَّوائب : ، جمع (النائبة) وهي : الحادثة ، والنَّازلة .
(٦) أي : لا يجهر .
(٧) أي : ظهر .
(٨) أي : يزدحم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ . وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ ابْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ ، فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ ، وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا ، وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ؛ فَعَلَ ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ ؛ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ[1] ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِي بَكْرٍ الاِسْتِعْلاَنَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رضي الله عنها ـ : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُّ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُّ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عزَّ وجلَّ . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فِي الْهِجْرَةِ[2] .

وَأَخْرَجَ أَيْضاً ابْنُ إِسْحَاقَ[3] بِنَحْوِهِ ، وَفِي سِيَاقِهِ: فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ مُهَاجِراً حَتَّى إِذَا سَارَ مِنْ مَكَّةَ يَوْماً ، أَوْ يَوْمَيْنِ ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ـ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِيشِ[4] ـ. فَقَالَ : إِلَىٰ أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟! قَالَ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، وَآذَوْنِي ، وَضَيَّقُوا عَلَيَّ ! قَالَ : وَلِمَ ؟ فَوَاللهِ ! إِنَّكَ لَتُزَيِّنُ الْعَشِيرَةَ ، وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ! ارْجِعْ ؛ فَإِنَّكَ فِي جِوَارِي. فَرَجَعَ مَعَهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ ؛ قَامَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، فَلاَ يَعْرِضْ

(١) أي : تنقض عهدك .
(٢) أي : البخاري .
(٣) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤) .
(٤) هم أحياء من القبيلة « القارة » .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ . قَالَ : فَكَفُّوا عَنْهُ . وفِي آخِرِهِ : فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ! إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ ، وَقَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ ، وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ ، فَادْخُلْ بَيْتَكَ ، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : أَوْ أَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ . قَالَ : فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي . قَالَ : قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ . قَالَ : فَقَامَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي ، فَشَأْنَكُمْ بِصَاحِبِكُمْ[1] !

وأَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[2] أَيْضاً عَنِ الْقَاسِمِ[3] قَالَ : لَقِيَهُ ـ يَعْنِي : أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ حِينَ خَرَجَ مِنْ جِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ ـ سَفِيهٌ مِّنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ؛ وهُوَ عَامِدٌ إِلىَ الْكَعْبَةِ ، فَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ تُرَاباً ، فَمَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ـ أَوْ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ ـ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا السَّفِيهُ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ ! وَهُوَ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ! أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ! أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ[4] !

وقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ ـ رضي الله عنها ـ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى[5] وَغَيْرِهِ قَالَتْ : فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلىٰ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا : أَدْرِكْ صَاحِبَكَ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا ؛ وَإِنَّ لَهُ لَغَدَائِرَ أَرْبَعَ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : وَيْلَكُمْ ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ؟ [غافر : ٢٨] فَلَهَوْا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ . قَالَتْ : فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئاً مِّنْ غَدَائِرِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ !

(١) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٩٤) .
(٢) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٧٤) .
(٣) وهو القاسم بن محمد بن أبي الصِّدِّيق ، رضي الله عنهم .
(٤) كذا في « البداية والنهاية » (٣/ ٩٥) .
(٥) في مسنده : (٥٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ ؟ فَقِيلَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ ، فَغَدَا عَلَيْهِ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ ، وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ ـ وَأَنَا غُلامٌ أَعْقِلُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ ـ حَتَّى جَاءَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَعَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنِّي أَسْلَمْتُ ، وَدَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟! قَالَ : فَوَاللهِ مَا رَاجَعَهُ ؛ حَتَّى قَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ ، وَاتَّبَعَهُ عُمَرُ ، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا ؛ حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! ـ وَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ـ أَلَا إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ .

قَالَ : يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ : كَذَبَ ، وَلَكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَشَهِدتُّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَّسُولُ اللهِ؛ وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ ، وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، قَالَ : وَطَلَحَ[٢] ، فَقَعَدَ ، وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ : افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَّوْ قَدْ كُنَّا ثَلاَثمئَةِ رَجُلٍ لَّقَدْ تَرَكْنَاهَا[٣] لَكُمْ ، أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا ! قَالَ : فَبَيْنَمَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٍ[٤] وقَمِيصٌ مُوَشَّىً[٥] ؟! حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا صَبَأَ عُمَرُ . قَالَ : فَمَهْ ؟! رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْراً ، فَمَاذَا تُرِيدُونَ ؟! أَتَرَوْنَ بَنِي عَدِيٍّ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا ؟ خَلُّوا عَنِ الرَّجُلِ .

---

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) .
(٢) طلح : أي : أعيا ، وتعب .
(٣) أي : مكة المكرمة .
(٤) نوع من برود اليمن .
(٥) أي : مخطَّط .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قالَ : فَوَاللهِ ! لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْباً كُشِطَ[١] عَنْهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لأَبِي ـ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ـ يَا أَبَتِ ! مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ ؛ وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ ؟ قَالَ : ذَاكَ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[٢] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ خَائِفاً ؛ إِذْ جَاءَهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو ـ وَعَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٍ ، وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ ـ وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وهُمْ حُلَفَاؤنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُكَ ؟ قَالَ: زَعَمَ قَوْمُكَ : أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي أَنْ أَسْلَمْتُ . قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ ! بَعْدَ أَنْ قَالَهَا أَمِنْتُ . فَخَرَجَ الْعَاصُ فَلَقِيَ النَّاسَ ـ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي ـ ؛ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ فَقَالُوا : نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَأَ. قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ! فَكَرَّ النَّاسُ[٣] .

تَحَمُّلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٤] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ؛ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ أَخَذَهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطاً[٥] ، وَقَالَ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُحْدَثٍ ؟! وَاللهِ لَا أَحُلُّكَ أَبَدًا ؛ حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ! فَقَالَ عُثْمَانُ: وَاللهِ لَا أَدَعُهُ أَبَدًا ولَا أُفَارِقُهُ ! فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ ؛ تَرَكَهُ .

---

(١) أي : كشف .
(٢) في كتاب المناقب ، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١/ ٥٤٥) .
(٣) أي : رجعوا وتفرّقوا .
(٤) في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٣٧) .
(٥) أي : شَدَّه بالحبل شداً محكماً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ مَسْعُودِ بْنِ حِرَاشٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ نَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا ، وَالْمَرْوَةِ إِذَا أُنَاسٌ كَثِيرٌ يَتْبَعُونَ فَتًى شَابّاً مُوثَقاً[٢] بِيَدِهِ فِي عُنُقِهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُ ؟ قَالُوا : هَذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ صَبَأَ ؛ وَامْرَأَةٌ وَرَاءَهُ تُدَمْدِمُ[٣] ، وَتَسُبُّهُ . قُلْتُ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : الصَّعْبَةُ بِنْتُ الْحَضْرَمِيِّ أُمُّهُ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٤] عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ؛ قَالَ : قَالَ لِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ـ رضي الله عنه ـ : حَضَرْتُ سُوقَ بُصْرَى[٥] فَإِذَا رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ يَقُولُ : سَلُوا أَهْلَ هَذَا الْمَوْسِمِ ، أَفِيهِمْ أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ الْحَرَمِ؟ قَالَ طَلْحَةُ ـ رضي الله عنه ـ : قُلْتُ : نَعَمْ ؛ أَنَا . فَقَالَ : هَلْ ظَهَرَ أَحْمَدُ بَعْدُ ؟ قَالَ قُلْتُ : وَمَنْ أَحْمَدُ ؟ قَالَ : ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، هَذَا شَهْرُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ ، وَهُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ ، مَخْرَجُهُ مِنَ الْحَرَمِ ، وَمُهَاجَرُهُ إِلَى نَخْلٍ وحَرَّةٍ[٦] ، وسِبَاخٍ[٧] فَإِيَّاكَ أَنْ تُسْبَقَ إِلَيهِ !

قالَ طَلْحَةُ : فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا قَالَ ، فَخَرَجْتُ سَرِيعاً حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَقُلْتُ : هَلْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَمِينُ تَنَبَّأَ[٨] ، وَقَدْ تَبِعَهُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي

(١) في « التاريخ الأوسط » (١/ ٨٨) وهو مطبوع باسم الصغير .
(٢) أي : مشدوداً .
(٣) أي : تغضب .
(٤) في « المستدرك » : (٣/ ٣٦٩) .
(٥) موضع في الشام .
(٦) الحَرَّة : أرض ذات تجارة سوداء .
(٧) جمع (السبخة) أرض ذات نزٍّ ، وملح .
(٨) أي : ادَّعى النبوة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

بَـكْرٍ ، فَقُلْتُ : أَتَبِعْتَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ ، فَادْخُلْ عَلَيْهِ ، فَاتَّبِعْهُ ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ ؛ فَأَخْبَرَهُ طَلْحَةُ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ . فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِطَلْحَةَ ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَسْلَمَ طَلْحَةُ ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ الله ﷺ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ ؛ فَسُرَّ رَسُولُ الله ﷺ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ ، وَطَلْحَةُ ؛ أَخَذَهُمَا نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ الْعَدَوِيَّةِ ، فَشَدَّهُمَا فِي حَبْلٍ وَاحِدٍ ، ولَمْ يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَيْمٍ ، وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ يُدْعَى : « أَسَدَ قُرَيْشٍ » فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ ، وطَلْحَةُ : الْقَرِينَيْنِ .

تَحَمُّلُ الزُّبَـيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِـدَ :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ ؛ قَالَ : أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ـ رضي الله عنه ـ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ ، وَهَاجَرَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ ، ويُدَخِّنُ عَلَيْهِ[٢] بِالنَّارِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ لَا أَكْفُرُ أَبَدًا !

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٣] أَيْضاً عَنْ حَفْصِ بْنِ خَالِدٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَوْصِلِ[٤] قَالَ : صَحِبْتُ الزُّبَـيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَصَابَتْهُ جَنَابَـةٌ بِأَرْضٍ قَفْرٍ[٥] ، فَقَالَ : اسْتُرْنِي ، فَسَتَرْتُهُ ، فَحَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِ الْتِفَاتَـةٌ فَرَأَيْتُـهُ مُجَدَّعاً[٦] بِالسُّيُوفِ ، قُلْتُ : وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ بِكَ آثَاراً مَا رَأَيْتُهَا بِأَحَدٍ قَطُّ . قَالَ : وَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ ؟! قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ :

(١) في « حلية الأولياء » : (١/ ٨٩) .
(٢) أي : يبخر عليه .
(٣) في « حلية الأولياء » (٨٩/ ٩٠) .
(٤) مدينة تقع على نهر دجلة .
(٥) الخلاء من الأرض من الماء والكلأ .
(٦) أي : مقطوعاً من نواحيه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَمَا وَاللهِ مَا مِنْهَا جِرَاحَةٌ إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللهِ .

وعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ أَيْضاً[١] عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ؛ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى الزُّبَيْرَ : وَإِنَّ فِي صَدْرِهِ لأَمْثَالَ الْعُيُونِ مِنَ الطَّعْنِ ، وَالرَّمْيِ .

تَحَمُّلُ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ الْمُؤَذِّنِ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[٢] وَابْنُ مَاجَهْ[٣] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ ، وَصُهَيْبٌ ، وَبِلاَلٌ ، وَالْمِقْدَادُ رضي الله عنهم . فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ[٤] فِي الشَّمْسِ ؛ فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ[٥] عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلاَلاً ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ؛ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَخَذُوهُ ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ !

ما لَقِيَ بِلَالٌ ـ رضي الله عنه ـ مِنَ الأَذَى فِي اللهِ :

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضاً[٦] مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ ، وَفِي حَدِيثِهِ: وَأَمَّا الآخَرُونَ ؛ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَبَلَغَ مِنْهُمُ الْجَهْدُ[٧] مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ حَرِّ الْحَدِيدِ ، وَالشَّمْسِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ

(١) يعني : في « حلية الأولياء » (١/ ٩٠) .
(٢) في مسنده : (١/ ٤٠٤) .
(٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل سلمان أبي ذر والمقداد ، برقم (١٥٠) .
(٤) صهروهم : أي : أذابوهم ، وأحرقوهم .
(٥) أي : وافقهم ، وطاوعهم .
(٦) في « حلية الأولياء » (١/ ١٤٠) .
(٧) أي : المشقَّة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْعَشِيِّ ؛ أَتَاهُمْ أَبُو جَهْلٍ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ وَمَعَهُ حَرْبَتُهُ ، فَجَعَلَ يَشْتِمُهُمْ ، وَيُوَبِّخُهُمْ .

وقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي حَدِيثِ مُجَاهِدٍ ـ وَّزَادَ فِي خَبَرِ بِلاَلٍ ـ : أَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِ ، وَالْحَبْلُ فِي عُنُقِهِ بَيْنَ أَخْشَبَيْ مَكَّةَ .

وَأَخْرَجَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رحمه الله ـ قَالَ : كَانَ بِلاَلٌ لِجَارِيَةٍ مِّنْ بَنِي جُمَحٍ ، وَكَانُوا يُعَذِّبُونَهُ بِرَمْضَاءِ[1] مَكَّةَ يُلْصِقُونَ ظَهْرَهُ بِالرَّمْضَاءِ لِكَيْ يُشْرِكَ ، فيَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ! فيَمُرُّ بِهِ ـ وَرَقَةُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ـ فيَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ يَا بِلاَلُ ! وَاللهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ ؛ لأَتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً[2] !

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[3] عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلاَلٍ وَّهُوَ يُعَذَّبُ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فيَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، اللهُ يَا بِلاَلُ! ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلاَلٍ فيَقُولُ : أَحْلِفُ بِاللهِ عزَّ وجلَّ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لأَتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً ؛ حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْماً وهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لأُمَيَّةَ : أَلاَ تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ ؟ حَتَّى مَتَى ؟! قَالَ : أَنْتَ أَفْسَدْتَّهُ ، فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَفْعَلُ ، عِنْدِي غُلاَمٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ ، وَأَقْوَى ، عَلَى دِينِكَ أُعْطِيكَهُ بِهِ . قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ؛ قَالَ : هُوَ لَكَ . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلاَمَهُ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ بِلاَلاً فَأَعْتَقَهُ ، ثُمَّ أَعْتَقَ مَعَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ ـ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَّكَّةَ ـ سِتَّ رِقَابٍ ، بِلاَلٌ سَابِعُهُمْ .

(١) الرمضاء : الرَّمل الشديد الحر .
(٢) الحنان : الرحمة والعطف . أراد : لأجعلن قبره موضع حنانٍ .
(٣) في « حلية الأولياء » (١/ ١٤٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْم[١] عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، كَانَ أُمَيَّةُ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتِ[٢] الظَّهِيرَةُ[٣] فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ ، فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : لَا تَزَالُ هَكَذَا ؛ حَتَّى تَمُوتَ ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللاَّتَ ، وَالْعُزَّى . فَيَقُولُ ـ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلاَءِ ـ: أَحَدٌ ، أَحَدٌ !

قالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ـ وَهُوَ يَذْكُرُ بِلاَلاً وأَصْحَابَهُ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلاَءِ وَإِعْتَاقَ أَبِي بَكْرٍ إِيَّاهُ ، وَكَانَ اسْمُ أَبِي بَكْرٍ عَتِيقاً ـ :

جزَى اللهُ خَيْرًا عَنْ بِلاَلٍ وَصَحْبِهِ ... عتِيقاً وَأَخْزَى فَاكِهاً[٤] وأَبَا جَهْلِ
عَشِيَّـةَ هَمَّا فِي بِلاَلٍ بِّسَـوْءَةٍ[٥] ... ولمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُوالْعَقْلِ
بِتَـوْحِيـدِهِ رَبَّ الأَنَـام وَقَـوْلِـهِ ... شهِـدْتُّ بِأَنَّ اللهَ رَبِّى عَلَى مَهَلِ[٦]
فَـإِنْ يَقْتُلُـونِـي يَقْتُلُـونِى فَلَـمْ أَكُـنْ ... لأشْرِكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ
فَيَـا رَبَّ إِبْـرَاهِيـمَ وَالْعَبْـدِ يُـونـسَ ... ومُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِى ثُمَّ لاَ تُبْلِ[٧]
لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى[٨] الْغَيَّ مِنْ آلِ غَالبِ ... علَى غيْرِ بِرٍّ كَانَ مِـنْـهُ وَلاَ عَـدْلِ

تحَمُّلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَهْلِ بَـيْتِهِ رضي الله عنهم الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٩] عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ١٤٨) .
(٢) حميت : أي : اشتدَّت .
(٣) الظهيرة : شدة الحر نصف ا لنهار .
(٤) اسم رجل ، وهو عمُّ أبي جهل .
(٥) خلة قبيحة .
(٦) المَهَل : الهينة .
(٧) أي : لا تمتحن .
(٨) أي : يحب .
(٩) في « المستدرك » (٣/ ٣٨٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ : « أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ » .

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ[١] وَابْنِ عَسَاكِرَ عَنْ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْبَطْحَاءِ ؛ إِذْ بِعَمَّارٍ ، وأَبِيهِ ، وَأُمِّهِ يُعَذَّبُونَ فِي الشَّمْسِ ؛ لِيَرْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ! الدَّهْرَ هَكَذَا[٢] !؟ فَقَالَ : « صَبْراً يَا آلَ يَاسِرٍ ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ ! وَقَدْ فَعَلْتَ » .

سمَيَّـةُ أُمُّ عَمَّارٍ ـ رضي الله عنهما ـ أَوَّلُ شَهِيدٍ في الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَاسِرٍ ، وعَمَّارٍ ، وَأُمِّ عَمَّارٍ ؛ وهُمْ يُؤْذَوْنَ فِي اللهِ تَعَالىَ ، فَقَالَ لَهُمْ : « صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ ! صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ ! فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ ! » .

ورَوَاهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ نَحْوَهُ ـ وَزَادَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَزَادَ : وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمَيَّةَ فِي قُبُلِهَا ، فَمَاتَتْ ، وَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ ، وَرُمِيَ عَبْدُ اللهِ فَسَقَطَ[٣] ـ .

وعِنْدَ أَحْمَدَ[٤] عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ قَالَ : أَوَّلُ شَهِيدٍ كَانَ فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةُ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا .

---

(١) في « الكُنى » .
(٢) أي : أيمرُّ الدهر هكذا ؟!
(٣) كذا في « الإصابة » (٣/ ٦٤٧) .
(٤) في مسنده : (٤/ ٢١١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

اشْتِدَادُ الأَذَى علَى عَمَّارٍ ـ رضي الله عنه ـ حَتَّى أُكْرِهَ عَلَى قَوْلِ الْكُفْرِ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ :

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[١] عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ ؛ قَالَ : أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّاراً ـ رضي الله عنه ـ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ ؛ حَتَّى سَبَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَا وَرَاءَكَ ؟ » قَالَ : شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ. فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ : « فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ » قَالَ : أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنّاً بِالإِيمَانِ ، قَالَ : « فَإِنْ عَادُوا ؛ فَعُدْ » .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ[٢] عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ نَحْوَهُ ، وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ عَمَّاراً ؛ وهُوَ يَبْكِي ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَخَذَكَ الْكُفَّارُ ، فَغَطَّوْكَ فِي الْمَاءِ ؛ فَقُلْتَ كَذَا ، وَكَذَا ، فَإِنْ عَادُوا ؛ فَقُلْ ذَاكَ لَهُمْ .

وأَخْرَجَ أَيْضاً[٣] عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ؛ قَالَ : أَحْرَقَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ بِالنَّارِ . قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِ ، وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى عَمَّارٍ ، كَمَا كُنْتِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ! تَقْتُلُكَ الْفِئَـةُ الْبَاغِيَةُ[٤] .

تحَمُّلُ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِـدَ :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْد[٥] عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : دَخَلَ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ ـ رضي الله

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ١٤٠) .
(٢) في « الطبقات الكبرى » : (٣/ ٢٤٩) .
(٣) في « الطبقات الكبرى » : (٣/ ١٧٧) .
(٤) أي : الظالمة .
(٥) في « الطبقات الكبرى » : (٣/ ١١٧) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عنه ـ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَّكَئِهِ[١] ، وَقَالَ : مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ واحِدٌ . قَالَ لَهُ خَبَّابٌ : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟! قَالَ : بِلاَلٌ . فَقَالَ خَبَّابٌ : مَا هُوَ بِأَحَقَّ مِنِّي ، إِنَّ بِلاَلاً كَانَ لَهُ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللهُ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي ! فَلَقَدْ رَأَيْتُنِى يَوْماً أَخَذُونِى فَأَوْقَدُوا لِي نَاراً ، ثُمَّ سَلَقُونِي[٢] فِيهَا ، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي ، فَمَا اتَّقَيْتُ الأَرْضَ ـ أَوْ قَالَ : بَرْدَ الأَرْضِ ـ إِلَّا بِظَهْرِي . قَالَ ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ[٣] .

ذِكْرُ مَا لَقِيَ خَبَّابٌ ـ رضي الله عنه ـ مِّنَ الأَذَى فِي اللهِ :

وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ[٤] عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ : سَأَلَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ بِلاَلاً عَمَّا لَقِيَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَقَالَ خَبَّابٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! انْظُرْ إِلَى ظَهْرِي . فَقَالَ عُمَرُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . قَالَ : أَوْقَدُوا لِي نَاراً ، فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكُ[٥] ظَهْرِي !! .

عنْ أَبِي لَيْلَى الْكِنْدِيِّ ؛ قَالَ : جَاءَ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ إِلىٰ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ فَقَالَ : ادْنُهُ ، فَمَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فَجَعَلَ خَبَّابٌ يُرِيهِ آثَاراً فِي ظَهْرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٦] عَنْ خَبَّابٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنْتُ رَجُلاً قَيْناً[٧]

(١) أي : مجلسه الخاص الذي كان يجلس عليه .
(٢) أي : ألقوني .
(٣) أي : صار في ظهره لمع البرص .
(٤) في « حلية الأولياء » : (١/ ١٤٤) .
(٥) الوَدَكُ : دسم اللَّحم ، والشَّحم .
(٦) في مسنده : (٥/ ١١٠ ـ ١١١) .
(٧) القَيْن : الحَدَّاد .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ. فَقَالَ : لَا ، وَاللهِ ! لَا أَقْضِيكَ ؛ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ . فَقُلْتُ : لَا وَاللهِ ! لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ، ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ : فَإِنِّي إِذَا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ جِئْتَنِي وَلِيَ ثَمَّ مَالٌ ، وَوَلَدٌ فَأُعْطِيكَ . فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم : ٧٧ ـ ٨٠] .

وأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ خَبَّابٍ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِبُرْدَةٍ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ؛ فَقُلْتُ : أَلَا تَدْعُو اللهَ ؟! فَقَعَدَ ـ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ ـ فَقَالَ : « لَقَدْ كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ[٢] مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ عزَّ وجلَّ ـ زَادَ بَيَانٌ ـ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ؛ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » .

تحَمُّلُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ إِرْسَالُ أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ أَخَاهُ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ بِعْثَتِهِ ﷺ :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَخِيهِ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي ، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ ؛ الَّذِي يَزْعُمُ : أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ ائْتِنِي . فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى

(١) في كتاب المناقب ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين . . . (١/ ٥٤٣) .
(٢) أي : تحت عظامه .
(٣) في كتاب المناقب ، باب إسلام أبي ذر رضي الله عنه : (١/ ٥٤٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَبِي ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، وَكَلاَماً مَا هُوَ بِالشِّعْرِ ، فَقَالَ : مَا شَفَيْتَنِي[1] مِمَّا أَرَدْتُّ .

فَتَزَوَّدَ أَبُوْ ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ وَحَمَلَ شَنَّةً[2] فِيهَا مَاءٌ ؛ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ ؛ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ اضْطَجَعَ ، فَرَآهُ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ فَعَرَفَ : أَنَّهُ غَرِيبٌ . فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيءٍ حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ ، وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ ؛ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ؟ فَأَقَامَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيءٍ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ . فَعَادَ عَلِيٌّ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَقَامَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِى أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ : إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقاً لَتُرْشِدَنِّي ؛ فَعَلْتُ ، فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ . قَالَ : فَإِنَّهُ حَقٌّ ، وهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَإِذَا أَصْبَحْتَ ؛ فَاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّى إِنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أَخَافُ عَلَيْكَ ؛ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ[3] ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي ؛ حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي ؛ فَفَعَلَ ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ ؛ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي » . قَالَ : وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ! لأَصْرُخَنَّ بِهَا[4] بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ . فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ! ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ ، فَضَرَبُوهُ ؛ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ ،

(١) أي : لم تُجِبني بجواب يشفيني .
(٢) أي : قربة صغيرة .
(٣) أي : أبول .
(٤) أي : بكلمة التوحيد .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فأَكَبَّ[١] عَلَيْهِ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ : أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ؛ ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا ، فَضَرَبُوهُ ، وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[٢] أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ : أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِىءِ ، فَقَامُوا ، فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ ، فَأَدْرَكَنِيَ الْعَبَّاسُ ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِّنْ غِفَارٍ ، وَمَتْجَرُكُمْ ، وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارٍ ؟! فَأَقْلَعُوا عَنِّي[٣] . فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِىءِ ، فَصُنِعَ بِي مِثْلُ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ ، فَأَدْرَكَنِيَ الْعَبَّاسُ ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِـهِ بِالأَمْسِ .

أَبُو ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ أَوَّلُ مَنْ حَيَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِتَحِيَّـةِ الإِسْلاَمِ :

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٤] مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضى الله عنهما ، فَذَكَرَ قِصَّةَ إِسْلاَمِهِ بِصِفَةٍ أُخْرَى؛ وَفِي حَدِيثِهِ: فَانْطَلَقَ أَخِي ، فَأَتَى مَكَّةَ ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَتَيْتُ مَكَّةَ فَرَأَيْتُ رَجُلاً يُسَمِّيهِ النَّاسُ الصَّابِىءَ هُوَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِكَ . قَالَ : فَأَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً يُسَمِّيهِ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ الصَّابِىءُ ؟ فَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيَّ ، فَقَالَ : صَابِىءٌ ! صَابِىءٌ ! فَرَمَانِي النَّاسُ حَتى كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ[٥] . فَاحْتَبَأْتُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا وَلَبِثْتُ فِيهَا بَيْنَ خَمْسَ

(١) أي : أقبل عليه .
(٢) في كتاب المناقب ، باب قصة زمزم : (١/ ٥٠٠) .
(٣) أي : كفّوا عني .
(٤) في كتاب الفضائل ، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه (٣/ ٢٥٩) .
(٥) يريد : أنهم ضربوه حتى أدموه ، و (النصب) : هو : حجر ، كانوا ينصبونه في =

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

عَشْرَةَ مِنْ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ، مَالِي طَعَامٌ ، ولَا شَرَابٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ .

قالَ : وَلَقِيَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ وَقَدْ دَخَلَا الْمَسْجِدَ ، فَوَاللهِ ! إِنِّي لأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، مَنْ أَنْتَ ؟ » فَقُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ . فَقَالَ صَاحِبُهُ[1] : ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ فِي ضِيَافَةِ اللَّيْلَةِ ! فَانْطَلَقَ بِي إِلَىٰ دَارٍ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَقَبَضَ لِي قَبَضَاتٍ مِنْ زَبِيبٍ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَى أَخِي ، فَأَخْبَرْتُهُ : أَنِّي أَسْلَمْتُ . قَالَ : فَإِنِّي عَلَى دِينِكَ ، فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ أُمِّنَا ؛ فَقَالَتْ : إِنِّي عَلَى دِينِكُمَا . قَالَ : وَأَتَيْتُ قَوْمِي فَدَعَوْتُهُمْ ، فَتَبِعَنِي بَعْضُهُمْ .

شجَاعَـةُ أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ في قِصَّةِ إِعْلَانِ إِسْلَامِهِ وَمَا لَقِيَـهُ مِنَ الأَذَى في ذَلِكَ :

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ[2] عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِمَكَّةَ ، فَعَلَّمَنِيَ الإِسْلَامَ وَقَرَأْتُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئاً ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُظْهِرَ دِينِي . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ » . قُلْتُ : لَا بُدَّ مِنْهُ ؛ وَإِنْ قُتِلْتُ . قَالَ : فَسَكَتَ عَنِّي ، فَجِئْتُ ـ وَقُرَيْشٌ حِلَقاً يَتَحَدَّثُونَ فِي الْمَسْجِدِ ـ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . فَانْتَقَضَتِ الْحِلَقُ ، فَقَامُوا فَضَرَبُونِي ؛ حَتَّى تَرَكُونِي كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ : أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُونِي ؛ فَأَفَقْتُ ، فَجِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَى مَا بِي مِنَ الْحَالِ ، فَقَالَ لِي : « أَلَمْ أَنْهَكَ ! » فَقُلْتُ :

= الجاهلية ، ويتخذونه صنماً للعبادة .

(١) هو : أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه .

(٢) في « حلية الأولياء » (١/ ١٥٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَا رَسُولَ اللهِ ! كَانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِي فَقَضَيْتُهَا . فَأَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « الْحَقْ بِقَوْمِكَ ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورِي ، فَائْتِنِي » .

تَحَمُّلُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ وَزَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ أُخْتِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهم ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ قَيْسٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ يَقُولُ : وَاللهِ ! لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ لَمُوثِقِي عَلَى الإِسْلاَمِ . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ عِنْدَهُ[٢] : لَوْ رَأَيْتُنِي مُوثِقِيَ عُمَرُ عَلَى الإِسْلاَمِ أَنَا وَأُخْتَهُ ، وَمَا أَسْلَمَ !

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي زُهْرَةَ ؛ قَالَ : أَيْنَ تَعْمِدُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا . قَالَ : وَكَيْفَ تَأْمَنُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَبَنِي زُهْرَةَ إِذَا قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ؟! قَالَ : فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أُرَاكَ إِلَّا قَدْ صَبَأْتَ ، وَتَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أُخْتُكَ ، وَخَتَنُكَ قَدْ صَبَأَا ، وَتَرَكَا دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ! قَالَ : فَمَشَى عُمَرُ ذَامِراً[٤] حَتَّى أَتَاهُمَا ، وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، يُقَالُ لَهُ : خَبَّابٌ ، رضي الله عنه . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ حِسَّ عُمَرَ ؛ تَوَارَى فِي الْبَيْتِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ[٥]

(١) في كتاب المناقب ، باب إسلام سعيد بن زيد ، رضي الله عنه .
(٢) أي : عند البخاري (١/ ٦٥٤٦) .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٣/ ١٩١) .
(٤) ذامراً : أي : متنهداً .
(٥) الهينمة : الكلام الخفي الذي لا يُفْهَم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ ؟! قَالَ : وَكَانُوا يَقْرَؤُونَ : « طَهَ » ، فَقَالَا : مَا عَدَا حَدِيثاً تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا ، قَالَ : فَلَعَلَّكُمَا قَدْ صَبَوْتُمَا . قَالَ : فَقَالَ لَهُ خَتَنُهُ : أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ ! إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ ؟ فَوَثَبَ عُمَرُ عَلَى خَتَنِهِ فَوَطِئَهُ وَطْئاً شَدِيدًا ، فَجَاءَتْ أُخْتُهُ ، فَدَفَعَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا ، فَنَفَحَهَا[1] بِيَدِهِ نَفْحَةً ، فَدَمَّى[2] وَجْهَهَا . فَقَالَتْ ـ وَهِيَ غَضْبَىٰ ـ : يَا عُمَرُ ! إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ !! أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللهِ !

فلَمَّا يَئِسَ عُمَرُ ؛ قَالَ : أَعْطُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَكُمْ ، فَأَقْرَأَهُ . ـ قَالَ : وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ الْكُتُبَ ـ فَقَالَتْ أُخْتُهُ : إِنَّكَ رِجْسٌ ، ولَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ! فَقُمْ فَاغْتَسِلْ ، أَوْ تَوَضَّأْ . قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ ، فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَ : « طَهَ » حَتَّى انْتَهَى إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه : ١٢ ـ ١٤] .

قالَ : فَقَالَ عُمَرُ : دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ . فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ قَوْلَ عُمَرَ ؛ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : أَبْشِرْ يَا عُمَرُ ! فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ : « اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ[3] » . قَالَ : وَرَسُولُ الله ﷺ في الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا ؛ فَانْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ . قَالَ : وَعَلَى بَابِ الدَّارِ حَمْزَةُ ، وَطَلْحَةُ ـ رضي الله عنهما ـ وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ . فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةُ وَجَلَ الْقَوْمِ مِنْ عُمَرَ ؛ قَالَ حَمْزَةُ : نَعَمْ ، فَهَذَا عُمَرُ ، فَإِنْ يُرِدِ اللهُ بِعُمَرَ خَيْراً ؛ يُسْلِمْ ، وَيَتَّبِعِ النَّبِيَّ ﷺ ، وَإِنْ يُرِدْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَيِّناً . قَالَ :

(١) أي : دفعها .
(٢) أي : ضرب وجهها حتى خرج منه الدم .
(٣) هو : أبو جهل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ دَاخِلٌ يُوحَى إِلَيْهِ . قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؛ حَتَّى أَتَى عُمَرَ ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ ، وَحَمَائِلِ[1] السَّيْفِ ، وَقَالَ : « أَمَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ ! حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ مِنَ الْخِزيِ[2] وَالنَّكَالِ[3] مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ؟! اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » . قَالَ فَقَالَ عُمَرُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ! فَأَسْلَمَ ، وَقَالَ : اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ !

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ[4] عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعْلِمَكُمْ أَوَّلَ إِسْلاَمِي ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَيْنَا أَنَا فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فِي بَعْضِ طُرُقِ مَكَّةَ ؛ إِذْ رَآنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَذْهَبُ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ؟ قُلْتُ : أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ : يَا بْنَ الْخَطَّابِ ! قَدْ دَخَلَ هَذَا الأَمْرُ فِي مِنْزِلِكَ ، وَأَنْتَ تَقُولُ هَذَا ! قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أُخْتَكَ قَدْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ . قَالَ : فَرَجَعْتُ مُغْضَباً ؛ حَتَّى قَرَعْتُ عَلَيْهَا الْبَابَ ؛ وَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَسْلَمَ بَعْضُ مَنْ لاَ شَيءَ لَهُ ضَمَّ الرَّجُلَ ، وَالرَّجُلَيْنِ إِلَى الرَّجُلِ يُنْفِقُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَانَ ضَمَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى زَوْجِ أُخْتِي . قَالَ : فَقَرَعْتُ الْبَابَ . فَقِيلَ لِي : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ وَقَدْ كَانُوا يَقْرَؤونَ كِتَاباً فِي أَيْدِيهِمْ ـ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتِي ؛ قَامُوا حَتَّى اخْتَبَؤوا[5] فِي مَكَانٍ ، وتَرَكُوا الْكِتَابَ . فَلَمَّا فَتَحَتْ لِي أُخْتِيَ الْبَابَ ؛ قُلْتُ : أَيَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا ! صَبَوْتِ ؟! قَالَ : وَأَرْفَعُ شَيْئاً ، فَأَضْرِبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا ، فَبَكَتِ

(١) الحمائل : جمع (الحمالة) وهي : علاقة السيف .
(٢) الخزي : الذّلّة .
(٣) النّكال : العقاب .
(٤) في مسنده ، برقم : (٢٧٩) .
(٥) أي : اختفوا .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْمَرْأَةُ ، وَقَالَتْ : يَابْنَ الْخَطَّابِ ! اصْنَعْ مَا كُنْتَ صَانِعاً ؛ فَقَدْ أَسْلَمْتُ . فَذَهَبْتُ ، وَجَلَسْتُ عَلَى السَّرِيرِ ؛ فَإِذَا بِصَحِيفَةٍ وَسْطَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَتْ لِي : دَعْنَا عَنْكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ! فَإِنَّكَ لَا تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَلَا تَتَطَهَّرُ ، وَهَذَا لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَّهَّرُونَ ! فَمَا زِلْتُ بِهَا حَتَّى أَعْطَتْنِيهَا . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ وَمَا وَقَعَ لَهُ بَعْدَهُ .

تحَمُّلُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[1] عَنْ عُثْمَانَ ؛ قَالَ : لَمَّا رَأَى عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ـ رضي الله عنه ـ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ ـ وَهُوَ يَغْدُو ، وَيَرُوحُ فِي أَمَانٍ مِّنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ـ قَالَ : وَاللهِ ! إِنَّ غُدُوِّي ، وَرَوَاحِي آمِناً بِجِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَأَصْحَابِي ، وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الأَذَى وَالْبَلَاءِ مَا لَا يُصِيبُنِي لَنَقْصٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِي . فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ! وَفَتْ[2] ذِمَّتُكَ قَدْ رَدَدْتُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ ! قَالَ : لِمَ يَا بْنَ أَخِي ! لَعَلَّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِهِ . قَالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَارْدُدْ ، عَلَيَّ جِوَارِي عَلَانِيَةً ، كَمَا أَجَرْتُكَ عَلَانِيَةً . قَالَ : فَانْطَلَقَا ، ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ : هَذَا عُثْمَانُ ـ رضي الله عنه ـ قَدْ جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جِوَارِي . قَالَ لَهُمْ : قَدْ صَدَقَ ، قَدْ وَجَدْتُّهُ وَفِيّاً كَرِيمَ الْجِوَارِ ، وَلَكِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ لَا أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللهِ ، فَقَدْ رَدَدْتُّ عَلَيْهِ جِوَارَهُ ! ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِلَابٍ الْقَيْسِيُّ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قُرَيْشٍ

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ١٠٣) .
(٢) أي : تمَّتْ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يُنْشِدُهُمْ فَجَلَسَ مَعَهُمْ عُثْمَانُ . فَقَالَ لَبِيدٌ : وَهُوَ يُنْشِدُهُمْ :

أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ

فَقَالَ عُثْمَانُ : صَدَقْتَ ! فَقَالَ :

وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

فَقَالَ عُثْمَانُ : كَذَبْتَ ، نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ ! قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! وَاللهِ مَا كَانَ يُؤْذَى جَلِيسُكُمْ ؛ فَمَتَى حَدَثَ فِيكُمْ هَذَا ؟! فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ : إِنَّ هَذَا سَفِيهٌ فِي سُفَهَاءَ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا ، فلاَ تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُثْمَانُ ؛ حَتَّى سَرَىٰ ـ أَيْ : عَظُمَ ـ أَمْرُهُمَا . فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ ، فَخَضَّرَهَا[1] وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ. فَقَالَ : أَمَا وَاللهِ يَابْنَ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغَنِيَّةً ، لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمَّةٍ مَّنِيعَةٍ ! فَقَالَ عُثْمَانُ : بَلَى وَاللهِ إِنَّ عَيْنِيَ الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إِلَىٰ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ ! وَإِنِّي لَفِي جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ ، وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ !

فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ـ رضي الله عنه ـ فِيمَا أُصِيبَ مِنْ عَيْنِهِ :

فَإِنْ تَكُ عَيْنِي فِي رِضَا الرَّبِّ نَالَهَا ... يدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمُهْتَدِ
فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ ... وَمَنْ يَرْضَهُ الرَّحْمَنُ يَا قَوْمِ يَسْعَدِ
فَإِنِّي ـ وَإِنْ قُلْتُمْ غَوِيٌّ مُضَلَّلٌ ... سَفِيهٌ ـ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ
أُرِيدُ بِذَاكَ اللهَ وَالْحَقُّ دِينُنَا ... عَلَى رَغْمِ مَنْ يَبْغِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ فِيمَا أُصِيبَ مِنْ عَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ :

(١) أي : جعلها خضراء ، أي : سوداء ، والعرب تطلق الخضرة على السَّواد أحياناً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أمِـنْ تَـذَكُّـرِ دَهـرٍ غَيْـرِ مَـأْمُـونِ أصْبَحْـتَ مُكْتَئِبـاً تَبْكِـي كَمَحْـزُونِ
أَمِـنْ تَـذَكـُّـرِ أقـوَامٍ ذَوِي سَفَـهٍ يغْشَوْنَ بِالظُّلْمِ مَنْ يَدْعُو إِلىَ الدِّينِ
لَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ مَا سَلِمُوا والْغَدْرُ فِيهِـمْ سَبِيلٌ غَيْرُ مَأْمُونِ
أَلَا تَـرَوْنَ ـ أَقَـلَّ اللهُ خَيْـرَهُـمُ ـ أنَّـا غَضِبْنَـا لِعُثْمَـانِ بْـنِ مَظْعُـونِ
إِذْ يَلْطِمُـونَ ـ وَلَا يَخْشَـوْنَ مُقْلَتَـهُ طعْناً دِرَاكاً[1] وَضَرْباً غَيْرَ مَأْفُونِ[2]
فَسَوْفَ يَجْزِيهِمْ إِنْ لمَ يَمُتْ عَجـلاً كَيْلاً بِكَيْلٍ جَـزَاءً غَيْرَ مَغْبُونِ[3] [4]

تحَمُّلُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْـرٍ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[5] عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَبْدَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَتَى مَكَّةَ شَبَاباً ، وَجَمَالاً ، وَسَبِيباً[6] ، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً[7] كَثِيرَةَ الْمَالِ ، تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرَقَّهُ ، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيَّ[8] مِنَ النِّعَالِ. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُهُ ، وَيَقُولُ : «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً ، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً ، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ». فَبَلَغَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلىَ الإِسْلَامِ فِي دَارِ أَرْقَمَ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ ، وَصَدَّقَ بِهِ ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفاً مِّنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ. فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرّاً ، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي ، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ ، وَقَوْمَهُ. فَأَخَذُوهُ ،

(١) الدِّراك : هو إتباع الشيء بعضه على بعض .
(٢) غير مأفونٍ : أي : غير ناقص .
(٣) مغبون : أي : منقوص .
(٤) كذا في « حلية الأولياء » (١/ ١٠٣) .
(٥) في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٨٢) .
(٦) سبيباً : غزير الشعر مع طولٍ ، ونعومة .
(٧) مليئة : غنيّة .
(٨) الحذاء المصنوع بحَضْرموت .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَحَبَسُوهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوساً حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الأُولَى ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا ، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ قَدْ حَرِجَ ـ يَعْنِي : غَلُظَ ـ فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَذْلِ[1] .

تحَمُّلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ـ رضي الله عنه ـ الشَّدَائِدَ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[2] عَنْ أَبِي رَافِعٍ ؛ قَالَ : وَجَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ جَيْشاً إِلَى الرُّومِ ؛ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ ـ رضي الله عنه ـ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسَرَهُ الرُّومُ ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ . فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ : هَلْ لَّكَ أَنْ تَنَصَّرَ ، وَأُشْرِكَكَ فِي مُلْكِي ، وَسُلْطَانِي ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ : لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ ، وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ مَا فَعَلْتُ ! قَالَ : إِذًا أَقْتُلَكَ . قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ . فَأَمَرَ بِهِ ، فَصُلِبَ ؛ وَقَالَ لِلرُّمَاةِ : ارْمُوهُ قَرِيباً مِنْ يَدَيْهِ ، قَرِيباً مِنْ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ يَأْبَى ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُنْزِلَ ، ثُمَّ دَعَا بِقِدْرٍ فَصُبَّ فِيهَا مَاءٌ ؛ حَتَّى احْتَرَقَتْ ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا ، فَأُلْقِيَ فِيهَا ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَهُوَ يَأْبَى ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا . فَلَمَّا ذُهِبَ بِهِ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَكَى ، فَظَنَّ : أَنَّهُ جَزِعَ ، فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ ؛ فَأَبَى . فَقَالَ : مَا أَبْكَاكَ إِذًا قَالَ : أَبْكَانِي : أَنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي تُلْقَى السَّاعَةَ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ فَتَذْهَبُ ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تُلْقَى فِي اللهِ . قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي ؟ وَأُخَلِّيَ عَنْكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ : وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى

(١) العَذْل : الملامة والعتاب .

(٢) في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٩٦) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/ ٣٥٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَقُلْتُ في نَفْسِي : عَدُوٌّ مِّنْ أَعْدَاءِ اللهِ ، أُقَبِّلُ رَأْسَهُ يُخَلِّي عَنِّي ، وَعَنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، لَا أُبَالِي ! فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الأُسَارَى . فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ ، رضي الله عنه ، فَأَخْبَرَ عُمَرَ بِخَبَرِهِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ ؛ وَأَنَا أَبْدَأُ ! فَقَامَ عُمَرُ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ عَامَّـةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ ورضي الله عنهم ـ الشَّدَائِدَ

ما لَقِيَ الصَّحَابَـةُ رضي الله عنهم مِنَ الْأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ :

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنْ حَكِيمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ قَالَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَاللهِ ! إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ ، وَيُجِيعُونَـهُ ، وَيُعَطِّشُونَهُ ، حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِساً مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي بِهِ ؛ حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَـةِ ؛ حَتَّى يَقُولُوا لَـهُ : اللَّاتُ وَالْعُزَّى إِلـهَانِ مِنْ دُونِ اللهِ . فَيَقُولُ : نَعَمْ ، حَتَّى إِنَّ الْجُعَل[٢] لَـيَـمُرُّ بِهِمْ ، فَيَقُولُونَ لَـهُ : أَهَذَا الْجُعَلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ افْتِدَاءً مِنْهُمْ بِمَا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِمْ .

خبَرُهُ ﷺ وَأَصْحَابُـهُ ـ رضي الله عنهم ـ في الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ :

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ[٣] عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ ـ وَآوَتْهُمُ الأَنْصَارُ ـ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَكَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا فِي السِّلَاحِ ، وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ . فَقَالُوا : تَرَوْنَ أَنَّا نَعِيشُ ؛ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهَ ؛ فَنَزَلَتْ :

(١) سيرة ابن هشام : (١/ ٣٢٠) .
(٢) الجُعَل : دُوَيْبَة سوداء من جنس الخنافس .
(٣) في « المستدرك » (٢/ ٤٠١) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] .

ولَفْظُ الطَّبَرَانِيِّ : عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ ـ وَآوَتْهُمُ الأَنْصَارُ ـ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَّاحِدَةٍ؛ فَنَزَلَتْ : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ وَمَا لَقِيَهُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم مِنَ الأَذَى :

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى[١] عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ[٢] ، فَنَقِبَتْ[٣] أَقْدَامُنَا ، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ ، فَسُمِّيَتِ الْغَزْوَةُ : « ذَاتَ الرِّقَاعِ » لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ[٤] عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخِرَقِ .

وأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو نُعَيْم[٥] بِنَحْوِهِ ، وَزَادَ : قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أَذْكُرَ هَذَا الْحَدِيثَ ! كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ . وَقَالَ : اللهُ يَجْزِي بِهِ .

---

(١) في مسنده : (٧٣٠٤) .
(٢) أي : يتعاقبون في الركوب واحداً بعد واحد .
(٣) أي : رَقَّتْ جلودها ، وتنفطت من المشي .
(٤) نعصب : أي : نربط .
(٥) في « حلية الأولياء » (١/ ٢٦٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ـ رضي الله عنهم ـ الْجُوعَ في الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ

تَحَمُّلُ النَّبِيّ ﷺ الْجُوعَ :

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ[١] عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَّا شِئْتُمْ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ[٢] مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ .

وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنِ النُّعْمَانِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي[٣] مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ[٤] .

شدَّةُ الْحِسَابِ لَا تُصِيبُ الْجَائِعَ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٥] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي جَالِساً . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرَاكَ تُصَلِّي جَالِساً ؛ فَمَا أَصَابَكَ ؟ قَالَ : « الْجُوعُ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! » فَبَكَيْتُ . فَقَالَ : « لَا تَبْكِ

(١) في كتاب الزهد ، فصل في بيان أن معيشة النبي ﷺ . . . (٢/ ١٤٠) .
(٢) الدَّقل : نوع من أردأ التمر .
(٣) أي : يضطرب من الجوع .
(٤) كذا في « الترغيب والترهيب » (٥/ ١٥٤) ، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده : (٢٤١ ـ و ٥٠) ، والطَّيالسي في مسنده (ص : ٥٧) ، وابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ٤٠٥) ، وابن ماجه في أبواب الزهد ، باب معيشة آل محمد ﷺ برقم (٤١٤٦) ، وأبو عوانة ، وغيرُهم كما في « كنز العمال » (٤/ ٤٠) .
(٥) في « حلية الأولياء » (٨/ ٤٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُصِيبُ الْجَائِعَ ؛ إِذَا احْتَسَبَ فِي دَارِ الدُّنْيَا » .

بيُوتُ النَّبِيِّ ﷺ لَا تُسْرَجُ وَلَا يُوقَدُ فِيهَا نَارٌ :

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[١] عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : أَرْسَلَ إِلَيْنَا آلُ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ بِقَائِمَةِ[٢] شَاةٍ لَيْلاً ، فَأَمْسَكْتُ ، وَقَطَعَ النَّبِيُّ ﷺ ـ أَوْ قَالَتْ : فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَطَعْتُ ـ . قَالَ : فَتَقُولُ لِلَّذِي تُحَدِّثُهُ : هَذَا عَلَى غَيْرِ مِصْبَاحٍ .

وأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[٣] أَيْضاً ، وَزَادَ : فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ! عَلَى مِصْبَاحٍ ، قَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا دُهْنٌ غَيْرُ مِصْبَاحٍ ؛ لأَكَلْنَاهُ .

وعِنْدَ أَبِي يَعْلَى[٤] : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنْ كَانَ لَيَمُرُّ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الأَهِلَّةُ[٥] مَا يُسْرَجُ فِي بَيْتِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سِرَاجٌ ، وَلَا يُوقَدُ فِيهِ نَارٌ ، إِنْ وجَدُوا زَيْتاً ؛ ادَّهَنُوا بِهِ ، وَإِنْ وجَدُوا وَدَكاً[٦] ؛ أَكَلُوهُ .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ[٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَانَ يَمُرُّ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ هِلَالٌ ، ثُمَّ هِلَالٌ لَا يُوقَدُ فِي بُيُوتِهِمْ شَيءٌ مِنَ النَّارِ ، لَا لِخُبْزٍ ، وَلَا لِطَبِيخٍ[٨] ! قَالُوا : بِأَيِّ شَيءٍ كَانُوا يَعِيشُونَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟!

(١) في مسنده : (٦/ ٩٤) .
(٢) القائمة : واحدة قوائم الدابة .
(٣) في « المعجم الأوسط » برقم : (٨٨٧٢) .
(٤) في مسنده : (٦٤٧٨) .
(٥) الأهِلَّة : الشهور العربية .
(٦) الوَدَك : دسم اللحم .
(٧) في مسنده : (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) .
(٨) بمعنى : المطبوخ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَالَ : الأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، وَكَانَ لَهُمْ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ ـ جَزَاهُمُ اللهُ خَيْراً ـ لَهُمْ مَنَائِحُ[١] يُرْسِلُونَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْ لَبَنٍ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ[٢] عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ : أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : وَاللهِ ! يَا بْنَ أُخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثَلاَثَـةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ ! قُلْتُ : يَا خَالَةُ ! فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ ، وَالْمَاءُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِّنَ الأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَّنَائِحُ ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا ، فَيَسْقِينَاهُ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ[٣] أَيْضاً عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : إِنْ كُنَّا لَنَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا نُوقِدُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَاراً ، ولَا غَيْرَهُ . قُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟ قَالَتْ : بِالأَسْوَدَيْنِ : بِالتَّمْرِ ، وَالْمَاءِ ؛ إِذَا وَجَدْنَا .

وأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٤] عَنْ مَسْرُوقٍ ؛ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ فَدَعَتْ لي بِطَعَامٍ ، فَقَالَتْ : مَا أَشْبَعُ ، فَأَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا بَكَيْتُ ! قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَتْ : أَذْكُرُ الْحَالَ الَّتِي فَارَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الدُّنْيَا ، وَاللهِ ! مَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ ، ولَحْمٍ مَرَّتَيْنِ فِي يَوْمٍ .

وعِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْهَا ؛ قَالَتْ : مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؛ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ .

---

(١) المنائح ، جمع (المنيحة) وهي : كعطيةٍ وزناً ومعنىً .

(٢) البخاري في كتاب الرقاق ، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ (٢/ ٩٥٥) ، ومسلم في كتاب الزهد ، باب في بيان أن معيشة النبي ﷺ كيف كانت (٢/ ٤٠٩) .

(٣) في تاريخه : (٢/ ٣٩١) .

(٤) برقم : (٢٣٥٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وعِنْدَهُ أَيْضاً عَنْهَا ؛ قَالَتْ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؛ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

وعِنْدَهُ أَيْضاً عَنْهَا ؛ قَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنَ الأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ ، وَالْمَاءِ[١] .

وفي رِوَايَةٍ لِّلْبَيْهَقِيِّ[٢] قَالَتْ : مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً ، ولَوْ شِئْنَا ؛ شَبِعْنَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ .

ما أَصَابَهُ ﷺ مِنْ شِدَّةِ الْعَيْشِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ الْحَسَن ـ رضي الله عنه ـ مُرْسَلاً ؛ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوَاسِي[٣] النَّاسَ بِنَفْسِهِ حَتَّى جَعَلَ يُرَقِّعُ إِزَارَهُ بِالأَدَمِ[٤] وَمَا جَمَعَ بَيْنَ غَدَاءٍ وَّعَشَاءٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وِلاَءً ؛ حَتَّى لَحِقَ بِالله عزَّ وجلَّ .

وعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[٥] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُوَانٍ[٦] ، ولمَ يَأْكُلْ خُبْزًا مُرَقَّقاً[٧] حَتَّى مَاتَ . وَفِي رِوَايَةٍ : وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطاً[٨] بِعَيْنِهِ قَطُّ !

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٩] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : كَانَ

(١) كذا في « كنز العمال » (٤/ ٣٨) .
(٢) كذا في « الترغيب والترهيب » (٥/ ١٤٩) .
(٣) أي : يجعلهم مساوين له فيها .
(٤) الأدم : الجلد .
(٥) في كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقّق . . . (٢/ ٨١١) .
(٦) الخوان : شيء مرتفعٌ عن الأرض يأكل عليه الناس لئلا يفتقر إلى التطأطأ ، والانحناء .
(٧) هو : رغيفٌ واسعٌ رقيق .
(٨) أي : مشوية .
(٩) في أبواب الزهد ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ برقم : (٢٣٦٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً[١] ، وأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً ، وإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمُ الشَّعِيرَ .

وعِنْدَهُ[٢] أَيْضاً ، وَالْبُخَارِيِّ[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ ، فَدَعَوْهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ ؛ وَقَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَلم يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٤] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنَّ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ نَاوَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ، فَقَالَ لَهَا : « هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » .

وأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[٥] ، وَزَادَ : فَقَالَ : « مَا هَذِهِ ؟ » فَقَالَتْ : قُرْصٌ خَبَزْتُهُ ، فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي ؛ حَتَّى أَتَيْتُكَ بِهَذِهِ الْكِسْرَةِ . فَقَالَ : . . . فَذَكَرَهُ .

وعِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ[٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَعَامٍ سُخْنٍ ، فَأَكَلَ . فَلَمَّا فَرَغَ ؛ قَالَ : « الْحَمْدُ للهِ ، مَا دَخَلَ بَطْنِي طَعَامٌ سُخْنٌ مُنْذُ كَذَا ، وَكَذَا ! » .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٧] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : مَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّقِيَّ[٨] مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ ؛ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ . فَقِيلَ : هَلْ كَانَ

(١) أي : جائعاً .
(٢) أي : عند الترمذي ، برقم (٢٣٥٨) .
(٣) في كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٢/ ٨١٥) .
(٤) في مسنده : (٣/ ٢١٣) .
(٥) في « المعجم الكبير » (٧٥٠) .
(٦) بإسناد حسن ، في أبواب الزهد ، باب معيشة آل محمد ﷺ (٤١٥٠) .
(٧) في كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٢/ ٨١٤) .
(٨) الخبز الأبيض .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْخُلٌ[١] ؟ قَالَ : مَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْخُلاً مِّنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ ؛ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ . فَقِيلَ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟! قَالَ : كُنَّا نَطْحَنُهُ ، وَنَنْفُخُهُ ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ ، وَمَا بَقِيَ ثَرَيْنَاهُ[٢] .

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : مَا كَانَ يَبْقَى عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ قَلِيلٌ ، ولَا كَثِيرٌ .

وفي رِوَايَةٍ لَهُ : مَا رُفِعَتْ مَائِدَةُ رَسُولِ اللهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ؛ وَعَلَيْهَا فَضْلَةٌ مِنْ طَعَامٍ قَطُّ .

وَضْعُهُ ﷺ وَالصَّحَابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْحَجَرَ عَلَى بُطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ :

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٣] عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ ، وَرَفَعْنَا ثِيَابَنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ عَلَى بُطُونِنَا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ .

وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ ابْنِ بُجَيْرٍ ـ رضي الله عنه ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ قَالَ : أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ جُوعٌ يَوْماً فَعَمَدَ إِلَى حَجَرٍ ، فَوَضَعَهُ عَلَى بَطْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ[٤] نَّاعِمَةٍ[٥] فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ[٦] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! أَلَا رُبَّ مُكْرِمٍ لِّنَفْسِهِ ؛ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ ! أَلَا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ ؛ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ ! » .

---

(١) أي : الغِرْبال .
(٢) أي : بللناه بالماء وعجناه .
(٣) في أبواب الزهد ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ ، برقم (٢٣٧١) .
(٤) متمتِّعة بأصناف الطعام .
(٥) مترفِّعة .
(٦) غير مستورة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

قَوْلُ عَائِشَةَ رضي الله عنـا في الشِّبَعِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : أَوَّلُ بَلاَءٍ حَدَثَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا الشِّبَعُ[٢] ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا شَبِعَتْ بُطُونُـهُمْ ؛ سَمِنَتْ أَبْدَانُـهُمْ ، فَضَعُفَتْ قُلُوبُـهُمْ ، وَجَمَحَتْ شَهَوَاتُهُمْ[٣] .

جُوعُهُ ﷺ وَجُوعُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَبِي بَـكْرٍ وَعُمَرَ ، رضي الله عنهم :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٤] ، وَابْنُ حِبَّانَ[٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : خَرَجَ أَبُو بَكْر ـ رضي الله عنه ـ بِالْهَاجِرَةِ[٦] إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَمِعَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ : يَا أَبَا بَـكْرٍ! مَّا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟! قَالَ : مَا أَخْرَجَنِي إِلَّا مَا أَجِدُ مِنْ حَاقِّ[٧] الْجُوعِ. قَالَ : وَأَنَا وَاللهِ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ !

فبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ ؛ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا أَخْرَجَكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ » قَالاَ : وَاللهِ مَا أَخْرَجَنَا إِلَّا مَا نَجِدُهُ فِي بُطُونِنَا مِنْ حَاقِّ الْجُوعِ ! قَالَ : « وَأَنَا ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ ! فَقُومَا » .

فانْطَلَقُوا ، فَأَتَوْا بَابَ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ يَدَّخِرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً كَانَ ، أَوْ لَبَناً فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ ، فَلَمْ يَأْتِ لِحِينِهِ ، فَأَطْعَمَهُ لأَهْلِهِ ، وَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلِهِ يَعْمَلُ فِيهِ.

---

(١) في كتاب « الضعفاء » .
(٢) الإكثار من الأكل .
(٣) أي : زادت ، وكثرت معاصيهم .
(٤) في « المعجم الصغير » (ص : ١٨٥) .
(٥) في صحيحه : (٥٢١٦) .
(٦) الهاجرة : اشتداد الحر نصف النَّهار .
(٧) أي : صادقه ، وشِدَّته .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فلَمَّا انْتَهَوْا إِلىَ الْبَابِ ؛ خَرَجَتْ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَتْ : مَرْحَباً بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ . قَالَ لَهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «أَيْنَ أَبُو أَيُّوبَ؟ فَسَمِعَهُ ـ وَهُوَ يَعْمَلُ فِي نَخْلٍ لَّهُ ـ فَجَاءَ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ : مَرْحَباً بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ . يَا نَبِيَّ اللهِ! لَيْسَ بِالْحِينِ الَّذِي كُنْتَ تَجِيءُ فِيهِ . فَقَالَ ﷺ : «صَدَقْتَ» . قَالَ : فَانْطَلَقَ فَقَطَعَ عِذْقاً[1] مِّنَ النَّخْلِ فِيهِ كُلٌّ مِنَ التَّمْرِ ، وَالرُّطَبِ ، وَالْبُسْرِ[2] . فَقَالَ ﷺ : « مَا أَرَدْتَّ إِلىَ هَذِهِ ؟ أَلاَ جَنَيْتَ لَنَا مِنْ تَمْرِهِ ؟ » قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! أَحْبَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ تَمْرِهِ ، وَرُطَبِهِ ، وَبُسْرِهِ ، وَلأَذْبَحَنَّ لَكَ مَعَ هَذَا . قَالَ : « إِنْ ذَبَحْتَ ؛ فَلاَ تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ[3] ! » . فَأَخَذَ عَنَاقاً[4] ، أَوْ جَدْياً[5] ، فَذَبَحَهُ ، وَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ : اخْبِزِي ، وَاعْجِنِي لَنَا ، وَأَنْتِ أَعْلَمُ بِالْخَبْزِ . فَأَخَذَ نِصْفَ الْجَدْيِ ، فَطَبَخَهُ ، وَشَوَى نِصْفَهُ . فَلَمَّا أَدْرَكَ الطَّعَامُ ، وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ أَخَذَ مِنَ الْجَدْيِ ، فَجَعَلَهُ فِي رَغِيفٍ ، وقَالَ : « يَا أَبَا أَيُّوبَ ! أَبْلِغْ بِهَذَا فَاطِمَةَ ، فَإِنَّهَا لمْ تُصِبْ مِثْلَ هَذَا مُنْذُ أَيَّامٍ » .

فذَهَبَ أَبُو أَيُّوبَ إِلىَ فَاطِمَةَ . فَلَمَّا أَكَلُوا ، وَشَبِعُوا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « خُبْزٌ ، وَلَحْمٌ ، وَتَمْرٌ ، وَبُسْرٌ ، وَرُطَبٌ ! وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! » . فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « بَلْ إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هَذَا ، فَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ ؛ فَقُولُوا : بِاسْمِ اللهِ ، فَإِذَا شَبِعْتُمْ ؛ فَقُولُوا : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هُوَ أَشْبَعَنَا ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا ، فَأَفْضَلَ ! فَإِنَّ هَذَا كَفَافٌ بِهَذَا » . فَلَمَّا نَهَضَ ؛ قَالَ لأَبِي أَيُّوبَ : « ائْتِنَا غَدًا »

(١) أي : القنو من النخلة .
(٢) من أنواع التمر .
(٣) أي : حليب .
(٤) الأنثى من أولاد المعز .
(٥) من ولد المعز .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَكَانَ لَا يَأْتِي أَحَدٌ إِلَيْهِ مَعْرُوفاً إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُجَازِيَهُ. قَالَ: وَإِنَّ أَبَا أَيُّوبَ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ غَدًا. فَأَتَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَأَعْطَاهُ وَلِيدَتَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ! اسْتَوْصِ بِهَا خَيْرًا، فَإِنَّا لَمْ نَرَ إِلَّا خَيْراً ما دَامَتْ عِنْدَنَا». فَلَمَّا جَاءَ بِهَا أَبُو أَيُّوبَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا أَجِدُ لِوَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ خَيْراً لَهَا مِنْ أَنْ أُعْتِقَهَا! فَأَعْتَقَهَا.

وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟!» فَقَالَ: أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكَ يَا رَسُولَ اللهِ! وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ؟!» قَالَ: أَخْرَجَنِيَ الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. فَقَعَدَ عُمَرُ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ بِكُمَا قُوَّةٌ تَنْطَلِقَانِ إِلَى النَّخْلِ فَتُصِيبَانِ طَعَاماً، وشَرَاباً، وَظِلاًّ» قَالَ: «سِيرُوا بِنَا إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ الأَنْصَارِيِّ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ.

جُوْعُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، رضي الله عنهما:

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[2] عَنْ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهَا يَوْماً، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنَايَ؟» ـ يَعْنِي: حَسْناً، وحُسَيْناً، رضي الله عنهما ـ قَالَتْ: أَصْبَحْنَا وَلَيْسَ فِي بَيْتِنَا شَيءٌ يَّذُوقُهُ ذَائِقٌ. فَقَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ: أَذْهَبُ بِهِمَا، فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَبْكِيَا عَلَيْكِ، وَلَيْسَ عِنْدَكِ شَيءٌ، فَذَهَبَ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَهُمَا يَلْعَبَانِ فِي شَرَبَةٍ[3]، بَيْنَ أَيْدِيهِمَا فَضْلٌ مِّنْ تَمْرٍ. فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ! أَلَا تُقْلِبُ ابْنَيَّ قَبْلَ

(١) في مسنده برقم: (٣٦٨١).
(٢) في «المعجم الكبير» برقم: (١٠٤٠).
(٣) حوض.

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَنْ يَّشْتَدَّ الْحَرُّ ؟ » قَالَ : أَصْبَحْنَا ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِنَا شَيءٌ ، فَلَوْ جَلَسْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ! حَتَّى أَجْمَعَ لِفَاطِمَةَ فَضْلَ تَمَرَاتٍ . فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى اجْتَمَعَ لِفَاطِمَةَ فَضْلٌ مِنْ تَمْرٍ ، فَجَعَلَهُ فِي خِرْقَةٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ ، فَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَحَدَهُمَا ، وَعَلِيٌّ الآخَرَ ، حَتَّى أَقْلَبَاهُمَا .

وَأَخْرَجَ هَنَّادٌ[١] عَنْ عَطَاءٍ ـ رحمه الله ـ قَالَ : نُبِّئْتُ : أَنَّ عَلِياً ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : مَكَثْنَا أَيَّاماً لَيْسَ عِنْدَنَا شَيءٌ ولَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ . فَخَرَجْتُ ؛ فَإِذَا أَنَا بِدِينَارٍ مَطْرُوحٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَمَكَثْتُ هُنَيْهَةً[٢] أُؤَامِرُ نَفْسِي فِي أَخْذِهِ ، أَوْ تَرْكِهِ؛ ثُمَّ أَخَذْتُهُ ؛ لِمَا بِنَا مِنَ الْجَهْدِ . فَأَتَيْتُ بِهِ الضَّفَّاطِينَ[٣] ، فَاشْتَرَيْتُ بِهِ دَقِيقاً ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ فَقُلْتُ : اعْجِنِي ، وَاخْبِزِي . فَجَعَلَتْ تَعْجِنُ ـ وَإِنَّ قُصَّتَهَا[٤] لَتَضْرِبُ حَرْفَ الْجَفْنَةِ مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي بِهَا ـ ثُمَّ خَبَزَتْ . فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : « كُلُوهُ فَإِنَّهُ رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ ، عزَّ وجلَّ » . وَأَخْرَجَهُ الْعَدَنِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ مُطَوَّلًا .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٥] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ : أَنَّ عَلِيّاً ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنِّي لأَرْبِطُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ! وَإِنَّ صَدَقَةَ مَالِي لَتَبْلَغُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ : وَإِنَّ صَدَقَتِيَ الْيَوْمَ لأَرْبَعُونَ أَلْفاً .

---

(١) في « الزهد » برقم : (٧٥٢) .
(٢) هنيهةً : أي : ساعةً يسيرةً .
(٣) الذين يجلبون المتاع إلى المدن .
(٤) القُصَّة : شعر النَّاصية .
(٥) في مسنده برقم : (١/ ١٥٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

أَمْرُهُ ﷺ أُمَّ سُلَيْمٍ ـ رضي الله عنها ـ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ـ رضي الله عنها ـ : قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اصْبِرِي ، فَوَاللهِ مَا فِي آلِ مُحَمَّدٍ شَيْءٌ مُنْذُ سَبْعٍ ، وَلَا أُوقِدَ تَحْتَ بُرْمَةٍ[٢] لَهُمْ مُنْذُ ثَلَاثٍ ! وَاللهِ لَوْ سَأَلْتُ اللهَ يَجْعَلُ جِبَالَ تِهَامَةَ[٣] كُلَّهَا ذَهَباً لَفَعَلَ ! » .

جُوْعُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، رضي الله عنه :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٤] عَنْ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنَّا قَوْماً يُصِيبُنَا ظَلَفُ الْعَيْشِ[٥] بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَشِدَّتُهُ ؛ فَلَمَّا أَصَابَنَا الْبَلَاءُ ؛ اعْتَرَفْنَا لِذَلِكَ ، وَمَرَنَّا عَلَيْهِ[٦] ، وَصَبَرْنَا لَهُ . وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ ، وَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ بِقَعْقَعَةِ[٧] شَيءٍ تَحْتَ بَوْلِي ، فَإِذَا قِطْعَةُ جِلْدِ بَعِيرٍ ، فَأَخَذْتُهَا ، فَغَسَلْتُهَا ، ثُمَّ أَحْرَقْتُهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ ، ثُمَّ أَسْتَفُّهَا[٨] ، وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَقَوِيتُ عَلَيْهَا ثَلَاثاً !

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ[٩] عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنِّي

(١) في « المعجم الكبير » برقم : (٢٩٥) .
(٢) البُرْمَة : القدر المتخذة من الحجر .
(٣) اسم لمكة المكرمة وما حولها من الأغوار .
(٤) في « حلية الأولياء » (١/ ٩٣) .
(٥) ظلف العيش : أي : بؤسه ، وشِدَّته .
(٦) أي : اعتدنا عليه .
(٧) حكاية حركة الشيء ، يسمع له صوتٌ .
(٨) أي : أخذتها .
(٩) البخاري في كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٢/ ٩٥٢) ، ومسلم في كتاب الزهد ، فصل في ذكر ما مضى على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الزهادة في الدنيا (٢/ ٤٠٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ[1] ، وَهَذَا السَّمُرِ ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ .

جُوْعُ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ وَصَاحِبَيْه ، رضي الله عنهم :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم[2] عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : جِئْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي قَدْ كَادَتْ تَذْهَبُ أَسْمَاعُنَا ، وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا يَقْبَلُنَا أَحَدٌ ، حَتَّى انْطَلَقَ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى رَحْلِهِ ـ وَلآلِ مُحَمَّدٍ ثَلاَثُ أَعْنُزٍ يَحْتَلِبُونَهَا ـ. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوَزِّعُ اللَّبَنَ بَيْنَنَا ، وَكُنَّا نَرْفَعُ[3] لِرَسُولِ اللهِ ﷺ نَصِيبَهُ. فَيَجِيءُ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً يُسْمِعُ الْيَقْظَانَ ، وَلاَ يُوقِظُ النَّائِمَ. فَقَالَ لِيَ الشَّيْطَانُ: لَوْ شَرِبْتَ هَذِهِ الْجُرْعَةَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْتِي الأَنْصَارَ ، فَيُتْحِفُونَهُ ، فَمَا زَالَ بِي حَتَّى شَرِبْتُهَا. فَلَمَّا شَرِبْتُهَا نَدَّمَنِي ، وَقَالَ: مَا صَنَعْتَ ؟ يَجِيءُ مُحَمَّدٌ ﷺ فَلاَ يَجِدُ شَرَابَهُ فَيَدْعُوَ عَلَيْكَ ، فَتَهْلِكَ ! وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَشَرِبَا شَرَابَهُمَا ، وَنَامَا ، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ يَأْخُذْنِيَ النَّوْمُ ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ[4] لِي إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي بَدَتْ مِنْهَا قَدَمَايَ ، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ بَدَا رَأْسِي. وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا كَانَ يَجِيءُ ، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُصَلِّيَ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى شَرَابِهِ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً فَرَفَعَ يَدَهُ ، فَقُلْتُ: يَدْعُو عَلَيَّ الآنَ ، فَأَهْلِكُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ منْ أَطْعَمَنِي ، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي » . فَأَخَذْتُ

(١) ثَمَرُ السَّمُر ، يشبه اللُّوبياء . وقيل : هو ثمر العِضاه .
(٢) في « حلية الأولياء » (١/ ١٧٣) .
(٣) أي : نحفظ .
(٤) كساء يتغطّى به ويتلفَّف فيه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الشَّفْرَةَ[١] وَأَخَذْتُ الشَّمْلَةَ ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى الأَعْنُزِ أَجُسُّهُنَّ أَيَّتُهُنَّ أَسْمَنُ كَيْ أَذْبَحَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ . فَإِذَا حُفَّلٌ[٢] كُلُّهُنَّ ، أَخَذْتُ إِنَاءً لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ ، فَحَلَبْتُهُ ؛ حَتَّى عَلَتْهُ الرَّغْوَةُ[٣] . ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَشَرِبَ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي ، فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ نَاوَلْتُهُ فَشَرِبَ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي ، فَشَرِبْتُ ؛ ثُمَّ ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ . فَقَالَ لِي : « إِحْدَى سَوْءَاتِكَ يَا مِقْدَادُ ! » فَأَنْشَأْتُ أُحَدِّثُهُ بِمَا صَنَعْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا كَانَتْ إِلَّا رَحْمَةً مِنَ اللهِ ، عزَّ وجلَّ ، لَوْ كُنْتَ أَيْقَظْتَ صَاحِبَيْكَ فَأَصَابَا مِنْهَا ! » . قُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! مَا أُبَالِي ! إِذَا أَصَبْتَهَا أَنْتَ ، وَأَصَبْتُ فَضْلَتَكَ مَنْ أَخْطَأْتُ مِنَ النَّاسِ !

جُوعُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[٤] عَنْ مُجَاهِدٍ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ كَانَ يَقُولُ : وَاللهِ ! إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ . وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِّنْ كِتَابِ الله ، عزَّ وجلَّ ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي[٥] ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَمَرَّ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِّنْ كِتَابِ اللهِ ـ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي ، فَلَمْ يَفْعَلْ ـ فَمَرَّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي ، وَمَا فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : « أَبَا هُرَيْرَةَ ! » قُلْتُ لَهُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! فَقَالَ « الْحَقْ » ، وَاسْتَأْذَنْتُ ، فَأَذِنَ لِي ؛ فَوَجَدْتُ لَبَناً

(١) الشفرة : السكين العريضة .
(٢) حفَّلٌ : (حافل) أي : ممتلئة الضروع .
(٣) الرَّغوة : هي زبدة اللبن الذي يعلوه .
(٤) في مسنده : (٢/ ٥١٥) .
(٥) أي : يطلب مني أن أتبعه ؛ ليُطعمني .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

في قَدَحٍ . قَالَ : « مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا اللَّبَنُ ؟ » فَقَالُوا : أَهْدَاهُ لَنَا فُلَانٌ ـ أَوْ آلُ فُلَانٍ ـ . قَالَ : « أَبَا هِرٍّ ! » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ[1] ، فَادْعُهُمْ لِي » .

قَالَ : ـ وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ لَمْ يَأْوُوا إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ ، إِذَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَدِيَّةٌ ؛ أَصَابَ مِنْهَا ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا ، وَإِذَا جَاءَتْهُ الصَّدَقَةُ ؛ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُصِبْ مِنْهَا . قَالَ : وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ ، وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُصِيبَ مِنَ اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِي ، وَلَيْلَتِي ، وَقُلْتُ : أَنَا الرَّسُولُ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَوْمُ كُنْتُ أَنَا الَّذِي أُعْطِيهِمْ ؛ وَقُلْتُ : مَا يَبْقَى لِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بُدٌّ ! فَانْطَلَقْتُ ، فَدَعَوْتُهُمْ . فَأَقْبَلُوا ، فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنَ لَهُمْ ؛ فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِّنَ الْبَيْتِ . ثُمَّ قَالَ : « أَبَا هِرٍّ ! خُذْ فَأَعْطِهِمْ » . فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِمْ ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْقَدَحَ ، فَيَشْرَبُ ؛ حَتَّى يَرْوَى ؛ ثُمَّ يَرُدُّ الْقَدَحَ ؛ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِمْ ، وَدَفَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ فِي يَدِهِ ، وَبَقِيَ فِيهِ فَضْلَةٌ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ ، وَتَبَسَّمَ ، وَقَالَ : « أَبَا هِرٍّ ! » قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « بَقِيتُ أَنَا ، وَأَنْتَ » . فَقُلْتُ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « فَاقْعُدْ ، فَاشْرَبْ » قَالَ : فَقَعَدْتُ ، فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : « اشْرَبْ » ، فَشَرِبْتُ ؛ فَمَا زَالَ يَقُولُ لِي : « اشْرَبْ » ، فَأَشْرَبُ ؛ حَتَّى قُلْتُ : لَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! مَا أَجِدُ لَهُ فِيَّ مَسْلَكاً . قَالَ : « نَاوِلْنِي الْقَدَحَ » ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ الْقَدَحَ ، فَشَرِبَ مِنَ الْفَضْلَةِ .

---

(١) هم فقراء المهاجرين ، وكانوا يسكنون في المسجد النبوي ، في موضعٍ مظلَّلٍ فيه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ما أَصَابَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَطْعَمْ ، فَجِئْتُ أُرِيدُ الصُّفَّةَ ، فَجَعَلْتُ أَسْقُطُ . فَجَعَلَ الصِّبْيَانُ يَقُولُونَ : جُنَّ أَبُو هُرَيْرَةَ . قَالَ : فَجَعَلْتُ أُنَادِيهِمْ ، وَأَقُولُ : بَلْ أَنْتُمُ الْمَجَانِينُ ؛ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الصُّفَّةِ . فَوَافَقْتُ[٢] رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِقَصْعَتَيْنِ مِنْ ثَرِيدٍ[٣] . فَدَعَا عَلَيْهَا أَهْلَ الصُّفَّةِ ؛ وَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، فَجَعَلْتُ أَتَطَاوَلُ[٤] كَيْ يَدْعُونِي ، حَتَّى قَامَ الْقَوْمُ ، وَلَيْسَ فِي الْقَصْعَةِ إِلَّا شَيْءٌ فِي نَوَاحِي الْقَصْعَةِ . فَجَمَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَارَتْ لُقْمَةً ، فَوَضَعَهُ عَلَى أَصَابِعِهِ ، فَقَالَ لي : « كُلْ بِاسْمِ اللهِ » ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! مَا زِلْتُ آكُلُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعْتُ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٥] عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ؛ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ[٦] مِنْ كَتَّانٍ[٧] . فَمَخَطَ فِي أَحَدِهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : بَخٍ بَخٍ[٨] ! يَمْتَخِطُ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الْكَتَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي ؛ وَإِنِّي لأَخِرُّ[٩] فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ مَغْشِيّاً عَلَيَّ فَيَجِيءُ الْجَائِي ، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي يَرَى : أَنَّ بِيَ الْجُنُونَ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْجُوعُ .

---

(١) في صحيحه ، برقم : (٦٥٣٣) .
(٢) أي : صادفتُ .
(٣) الثَّريد : هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم .
(٤) أتطاول : أي : أتمدَّد قائماً .
(٥) في كتاب الاعتصام ، باب ما ذكر النبي ﷺ وحضَّ على اتفاق أهل العلم (٢/ ١٠٨٩) .
(٦) ممشَّقان : أي : مصبوغان بالطين الأحمر .
(٧) ثوب منسوج من نبات خاصٍّ .
(٨) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا ، والإعجاب ﷺ .
(٩) أي : أسقط .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو نُعَيْم[١] نَحْوَهُ ، وَزَادَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَجِيرٌ لابْنِ عَفَّانَ ، وَابْنَةِ غَزْوَانَ بِطَعَامِ بَطْنِي ، وَعُقْبَةِ رِجْلِي ، أَسُوقُ بِهِمْ إِذَا رَكِبُوا ، وَأَخْدِمُهُمْ إِذَا نَزَلُوا. فَقَالَتْ لي يَوْماً: لَتَرِدَنَّهُ حَافِياً ، ولَتَرْكَبَنَّهُ قَائِماً ! قَالَ : فَزَوَّجَنِيهَا اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقُلْتُ لَهَا : لَتَرِدِنَّهُ حَافِيَةً ، ولَتَرْكَبِنَّهُ ؛ وَهُوَ قَائِمٌ .

وفي رِوَايَةٍ لابْنِ سَعْدٍ[٢] قَبْلَهَا : عَنْ سَلِيمِ بْنِ حَيَّانَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ : نَشَأْتُ يَتِيماً ، وهَاجَرْتُ مِسْكِيناً ، وَكُنْتُ أَجِيراً لِبُسْرَةَ بِنْتِ غَزْوَانَ بِطَعَامِ بَطْنِي ، وَعُقْبَةِ رِجْلِي ، فَكُنْتُ أَخْدِمُ إِذَا نَزَلُوا ، وَأَحْدُوا إِذَا رَكِبُوا ، فَزَوَّجَنِيهَا اللهُ ؛ فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قِوَاماً ، وجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَاماً[٣] .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ[٤] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ ؛ قَالَ : أَقَمْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً ، فَقَالَ لي ذَاتَ يَوْمٍ ؛ ونَحْنُ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا لَنَا ثِيَابٌ إِلَّا الأَبْرَادَ الْخَشِنَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى أَحَدِنَا الأَيَّامُ مَا يَجِدُ طَعَاماً يُقِيمُ بِهِ صُلْبَهُ ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَأْخُذُ الْحَجَرَ ، فَيَشُدُّ بِهِ عَلَى أَخْمَصِ[٥] بَطْنِهِ ، ثُمَّ يَشُدُّهُ بِثَوْبِهِ ، لِيُقِيمَ صُلْبَهُ .

وعِنْدَ أَحْمَدَ[٦] أَيْضاً عَنْهُ ؛ قَالَ : إِنَّمَا كَانَ طَعَامُنَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ التَّمْرَ ،

(١) في « حلية الأولياء » (١/ ٣٧٨) .
(٢) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ٣٢٦) .
(٣) هذا إظهارُ نعمة الله عليه ، كما في قوله تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ .
(٤) في مسنده : (٣/ ٣٢٤) .
(٥) أي : في وسطه .
(٦) في مسنده : (٢/ ٣٥٤) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَالْمَاءَ . وَاللهِ ! مَا كُنَّا نَرَى سَمْرَاءَكُمْ[١] هَذِهِ ، وَلَا نَدْرِي مَا هِيَ ! وَإِنَّمَا كَانَ لِبَاسُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ النِّمَارَ[٢] ، ـ يَعْنِي : بُرْدَ الأَعْرَابِ .

جُوْعُ أَسْمَاءَ بِـنْتِ أَبِي بَـكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنهما ـ :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَتْ : كُنْتُ مَرَّةً فِي أَرْضٍ أَقْطَعَهَا النَّبِيّ ﷺ لأَبِي سَلَمَةَ ، وَالزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ فِي أَرْضِ بَنِي النَّضِيرِ ، فَخَرَجَ الزُّبَـيْـرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَنَا جَارٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَذَبَحَ شَاةً فَطُبِخَتْ ، فَوَجَدْتُّ رِيحَهَا ، فَدَخَلَنِي مَا لَمْ يَدْخُلْنِي مِنْ شَيءٍ قَطُّ ، وَأَنَا حَامِلٌ بِابْنَتِي خَدِيجَةَ ، فَلَمْ أَصْبِرْ . فَانْطَلَقْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةِ الْيَهُودِيِّ أَقْتَبِسُ[٤] مِنْهَا نَارًا لَّعَلَّهَا تُطْعِمُنِي ـ وَمَا بِي مِنْ حَاجَةٍ إِلَى النَّارِ ـ ، فَلَمَّا شَمَمْتُ الرِّيحَ وَرَأَيْتُهُ ؛ ازْدَدْتُّ شَرَهاً[٥] ، فَأَطْفَأْتُهُ ، ثُمَّ جِئْتُ ثَانِياً أَقْتَبِسُ ؛ ثُمَّ ثَالِثَةً ؛ ثُمَّ قَعَدْتُّ أَبْكِي ، وَأَدْعُو اللهَ . فَجَـاءَ زَوْجُ الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ : أَدَخَلَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : الْعَرَبِيَّةُ تَقْتَبِسُ نَارًا . قَالَ : فَلاَ آكُلُ مِنْهَا أَبَدًا أَوْ تُرْسِلِي إِلَيْهَا مِنْهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيَّ بِقُدْحَةٍ ـ يَعْنِي : غُرْفَةً ـ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ فِي الأَرْضِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ تِلْكَ الأُكْلَةِ .

---

(١) السمراء : الحنطة .
(٢) النِّمار : جمع : (النمرة) وهي : الشملة المخطَّطة .
(٣) في « المعجم الكبير » ، برقم : (٢٧٨) .
(٤) أقتبس : أي : أطلب .
(٥) الشره إلى الطعام وغيره : شدَّة الحرص عليه ، واشتهاؤه له .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

جوْعُ عَامَّـةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ورضي الله عنهم

ما أَصَابَ الصَّحَابَـةَ ـ رضي الله عنهم ـ مِنَ الْجُوعِ وَالْقُرِّ لَيْلَـةَ الْخَنْدَقِ :

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم[١] عَنْ أَبِي جِهَـادٍ ـ رضي الله عنه ـ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتَاهُ ! رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ ! وَاللهِ ! لَوْ رَأَيْتُهُ ؛ لَفَعَلْتُ ، وَفَعَلْتُ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : اتَّقِ اللهَ ، وَسَدِّدْ[٢] ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَهُ لَيْلَةَ الْخَنْدَقِ ؛ وَهُوَ يَـقُولُ : «مَنْ يَـذْهَبُ فَيَأْتِينَـا بَخَبَرِهِمْ ؛ جَعَلَهُ اللهُ رَفِيقِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَمَا قَامَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ مِنْ صَمِيم[٣] مَا بِهِمْ مِنَ الْجُوعِ ، وَالْقُرِّ[٤] ، حَتَّى نَادَى فِي الثَّالِثَةِ : يَا حُذَيْفَةُ ! وَسَيَأْتِي حَدِيثُ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ بِطُولِهِ فِي تَحَمُّلِ الْقُرِّ بِمَعْنَاهُ .

وَأَخْـرَجَ الْبَـزَّارُ[٥] عَـنِ ابْـنِ مَسْعُـودٍ ـ رضـي الله عنـه ـ قَـالَ : نَظَـرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْجُوعِ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « أَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُغْدَى عَلَى أَحَدِكُمْ بِالْقَصْعَةِ مِنَ الثَّرِيدِ ، وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِمِثْلِهَا » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ » .

---

(١) في « معرفة الصحابة » : (٣/ ٣٣٥) .
(٢) أي : اطلب بعملك السَّداد ، والاستقامة .
(٣) الصميم : من البرد ، والحر : أشدُّه .
(٤) القُرّ : أي : البرد .
(٥) في مسنده : برقم : (١٧١٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ـ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَأْتِي عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَّا يَجِدُ شَيْئاً يَّأْكُلُهُ ، فَيَأْخُذُ الْجِلْدَةَ ، فَيَشْوِيهَا ، فَيَأْكُلُهَا ، فَإِذَا لمْ يَجِدْ شَيْئاً ؛ أَخَذَ حَجَراً ، فَشَدَّ صُلْبَهُ[١] .

وُقُوعُ بَعْضِ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ مِنْ قِيَامِهِمْ في الصَّلَاةِ مِنَ الْجُوعِ والضُّعْفِ :

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٢] وَابْنُ حِبَّانَ[٣] عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِّنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ[٤] ـ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ـ حَتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ : هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ ـ أَوْ مَجَانُونَ ـ . فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ؛ لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً ، وحَاجَةً » .

أَكْلُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْوَرَقَ في سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ وَبَعْضُ قِصَصِهِمْ في تَحَمُّلِ الْجُوعِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٥] عَنْ أَنَس ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنْ كَانَ السَّبْعَةُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَمُصُّونَ التَّمْرَةَ الْوَاحِدَةَ ، وَأَكَلُوا الْخَبَطَ[٦] ؛ حَتَّى وَرِمَتْ أَشْدَاقُهُمْ .

(١) كذا في « الترغيب والترهيب » (٥/ ١٧٩) .
(٢) في أبواب الزهد ، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ ، برقم : (٢٣٦٨) .
(٣) في صحيحه ، برقم : (٧٢٤) .
(٤) الخصاصة : الفاقة ، والجوع .
(٥) في « المعجم الأوسط » برقم : (١٠٨١) .
(٦) الخبط : الورق السَّاقط .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ أَصَابَهُمْ جُوعٌ ، وهُمْ سَبْعَةٌ . قَالَ : فَأَعْطَانِي النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَ تَمَرَاتٍ ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ تَمْرَةٌ .

وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْتُ يَوْماً مِّنْ بَيْتِي إِلىَ الْمَسْجِدِ لمْ يُخْرِجْنِي إِلَّا الْجُوعُ ، فَوَجَدْتُّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ فَقُلْتُ : مَا أَخْرَجَنِي إِلَّا الْجُوعُ . فَقَالُوا : نَحْنُ ـ وَاللهِ ! ـ مَا أَخْرَجَنَا إِلَّا الْجُوعُ . فَقُمْنَا ، فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقَالَ : «مَا جَاءَ بِكُمْ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ » فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! جَاءَ بِنَا الْجُوعُ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَبَقٍ[٣] فِيهِ تَمْرٌ فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا تَمْرَتَيْنِ ، فَقَالَ : « كُلُوا هَاتَيْنِ التَّمْرَتَيْنِ ، وَاشْرَبُوا عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَاءِ ؛ فَإِنَّهُمَا سَتَجْزِيَانِكُمْ[٤] يَوْمَكُمْ هَذَا » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَكَلْتُ تَمْرَةً وجَعَلْتُ تَمْرَةً فِي حُجْزَتِي[٥] . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! لِمَ رَفَعْتَ هَذِهِ التَّمْرَةَ ؟ » فَقُلْتُ : رَفَعْتُهَا لأُمِّي . فَقَالَ : « كُلْهَا ، فَإِنَّا سَنُعْطِيكَ لَهَا تَمْرَتَيْنِ » ؛ فَأَكَلْتُهَا ، فَأَعْطَانِي لَهَا تَمْرَتَيْنِ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٦] عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلىَ الْخَنْدَقِ ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ ، وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ، وَلَمْ

(١) في أبواب الزهد ، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ برقم : (٤١٥٧) .
(٢) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ٣٢٩) .
(٣) الطَّبق : الإناء الذي يؤكل فيه .
(٤) ستجزيانكم : أي : ستكفيانكم .
(٥) الحجزة : هي : موضع شدِّ الإزار .
(٦) في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق (٢/ ٥٨٨) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ ، وَالْجُوعِ ؛ قَالَ :

اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فاغْفِرِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ !

فقَالُوا ـ مُجِيبينَ لَهُ ـ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا علَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

وَعِنْدَهُ[١] أَيْضاً عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ ، وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ[٢] ، وَيَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا علَى الإِسْلاَمِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

قَالَ : يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ـ مُجِيباً لَّهُمْ ـ :

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَخَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فبَارِكْ في الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ !

قَالَ : يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفَّيَّ مِنَ الشَّعِيرِ ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ[٣] سَنِخَةٍ[٤] تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ ، وهِيَ بَشِعَةٌ في الْحَلْقِ ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٥] أَيْضاً عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[٦] شَدِيدَةٌ ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : هَذِهِ

(١) أي : عند البخاري ، في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق : (٢/ ٥٨٨) .
(٢) متونهم : ظهورهم .
(٣) الإهالة : الدسم الجامد .
(٤) سَنِخَةٌ : أي : متغيرة الريح .
(٥) في كتاب المغازي ، باب غزة الخندق (١/ ٥٨٨) .
(٦) قطعة صلبة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ ! فَقَالَ : « أَنَا نَازِلٌ » ثُمَّ قَامَ ؛ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، ولَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَّ نَذُوقُ ذَوَاقاً . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ .

وعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : احْتَفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ ، وَأَصْحَابُهُ قَدْ شَدُّوا الْحِجَارَةَ عَلَى بُطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ[٢] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ أَبِيهِ ـ رضي الله عنهم ـ قَالَ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَبْعَثُنَا فِي السَّرِيَّةِ مَا لَنَا زَادٌ إِلاَّ السَّلْفُ ـ يَعْنِي : الْجِرَابَ مِنَ التَّمْرِ ـ فَيَقْسِمُهُ صَاحِبُهُ بَيْنَنَا قَبْضَةً قَبْضَةً ؛ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى تَمْرَةٍ ، قَالَ فَقُلْتُ : وَمَا كَانَ يَبْلُغُ مِنَ التَّمْرَةِ ؟ قَالَ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ! وَلَبَعْدَ أَنْ فَقَدْنَاهَا فَاخْتَلَلْنَا إِلَيْهَا (أي : احتجنا إليها) .

تَحَمُّلُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَصْحَابِهِ ـ رضي الله عنهم ـ الْجُوعَ فِي السَّفَرِ :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٣] عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ نَتَلَقَّى عِيراً[٤] لِقُرَيْشٍ ، وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِّنْ تَمْرٍ ، لمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً . قَالَ : فَقُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا ؟ قَالَ : كُنَّا نَمُصُّهَا كَمَا يَمُصُّ الصَّبِيُّ ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ . وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ ، فَنَأْكُلُهُ .

---

(١) في « المعجم الكبير » ، برقم : (١٢٠٥٢) .
(٢) في « حلية الأولياء » (١/ ١٧٩) .
(٣) « السنن الكبرى » (٩/ ٢٥١) .
(٤) العِير : القافلة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحمُّلُـهُ ﷺ وَالصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْجُوعَ في غَزْوَةِ تِهَامَةَ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ أَبِي خُنَيْسٍ الْغِفَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تِهَامَةَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ ؛ جَاءَهُ الصَّحَابَةُ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! جَهَدَنَا الْجُوعُ فَائْذَنْ لَنَا فِي الظَّهْرِ نَأْكُلْهُ. قَالَ: « نَعَمْ ». فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! مَاذَا صَنَعْتَ؟ أَمَرْتَ النَّاسَ أَنْ يَنْحَرُوا الظَّهْرَ فَعَلَامَ يَرْكَبُونَ ؟! قَالَ : « فَمَا تَرَى يَا بْنَ الْخَطَّابِ ؟ » قَالَ : أَرَى أَنْ تَأْمُرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، فَتَجْمَعَهُ في تَوْرٍ[٢] ، ثُمَّ تَدْعُو اللهَ لَهُمْ. فَأَمَرَهُمْ ، فَجَعَلُوا فَضْلَ أَزْوَادِهِمْ في تَوْرٍ؛ ثُمَّ دَعَا لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « ايْتُوا بِأَوْعِيَتِكُمْ ». فَمَلأَ كُلُّ إِنْسانٍ مِنْهُمْ وِعَاءَهُ .

وَعِنْدَ أَبِي يَعْلَى[٣] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في غَزَاةٍ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ حَضَرَ ، وَهُمْ شِبَاعٌ ، والنَّاسُ جِيَاعٌ ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ : أَلَا نَنْحَرُ نَوَاضِحَنَا[٤] ، فَنُطْعِمَهَا النَّاسَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ طَعَامٍ ؛ فَلْيَجِىءْ بِهِ » . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْمُدِّ ، وَالصَّاعِ ، وَأَكْثَرَ ، وَأَقَلَّ ، فَكَانَ جَمِيعُ مَا في الْجَيْشِ بِضْعَةً وعِشْرِينَ صَاعاً. فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ ، وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ . فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ : « خُذُوا ، وَلَا تَنْتَهِبُوا » . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ في جِرَابِهِ ، وَفي غِرَارَتِهِ[٥] ، وَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْبِطُ كُمَّ قَمِيصِهِ فَيَمْلَؤُهُ ،

(١) في « المعجم الأوسط » برقم : (٣٥٢٨) .
(٢) التَّوْرُ : القدر .
(٣) في مسنده برقم : (٢٣٠) .
(٤) النواضح : الإبل .
(٥) الغِرارة : الكيس الكبير .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَفَرَغُوا ؛ وَالطَّعَامُ كَمَا هُوَ . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، لَا يَأْتِي بِهَا عَبْدٌ مُّحِقٌّ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ حَرَّ النَّارِ ! » .

قصَّةُ الصَّحَابِيَّـةِ الَّتِي كَانَتْ تُطْعِمُ بَعْضَ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ يَوْمَ الْجُمُعَةِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[١] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَانَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ تَجْعَلُ في مَزْرَعَةٍ لَّهَا سِلْقاً[٢] فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ تَنْزِعُ أُصُولَ السِّلْقِ ، فَتَجْعَلُهُ في قِدْرٍ ، ثُمَّ تَجْعَلُ قَبْضَةً مِّنْ شَعِيرٍ ، تَطْحَنُهُ ، فَتَكُونُ أُصُولُ السِّلْقِ عَرْقَهُ . قَالَ سَهْلٌ : كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَيْهَا مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، فَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا ، فَتُقَرِّبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا ، فَكُنَّا نَتَمَنَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذَلِكَ .

وفي رِوَايَةٍ : لَيْسَ فِيهَا شَحْمٌ ، ولَا وَدَكٌ ، وَكُنَّا نَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ .

أَكْلُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْجَرَادَ ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ لمَ يَـكُونُوا في الْجَاهِلِيَّـةِ يأْكُلُونَ خُبْزَ الْقَمْحِ :

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ فِيهِنَّ الْجَرَادَ[٤] .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنَّا في غَزَاةٍ لَنَا ، فَلَقِينَا أُنَاساً مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَجْهَضْنَاهُمْ[٥] عَنْ مَلَّةٍ لَهُمْ . فَوَقَعْنَا فِيهَا

(١) في كتاب الجمعة ، باب قوله الله عز وجل ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ (١/ ١٢٨) .
(٢) السلق : نوع من البقلة .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ٣٦) .
(٤) وأخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٢٤٢) عن ابن أوفى ، رضي الله عنه .
(٥) فأجهضناهم : أي : أبعدناهم .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فَجَعَلْنَا نَأْكُلُ مِنْهَا ؛ وَكُنَّا نَسْمَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخُبْزَ سَمِنَ . فَلَمَّا أَكَلْنَا ذَلِكَ الْخُبْزَ جَعَلَ أَحَدُنَا يَنْظُرُ فِي عِطْفَيْهِ[1] : هَلْ سَمِنَ ؟!

وفي رِوَايَةٍ كُنَّا يَوْمَ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجْهَضْنَاهُمْ عَنْ خُبْزَةٍ لَهُمْ مِنْ نَقِيٍّ .

وعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَمَّا افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ مَرَرْنَا بِنَاسٍ يَهُودَ يَخْبِزُونَ مَلَّةً[3] لَّهُمْ فَطَرَدْنَاهُمْ عَنْهَا . ثُمَّ اقْتَسَمْنَا ، فَأَصَابَتْنِي كِسْرَةٌ إِنَّ بَعْضَهَا لَيَحْتَرِقُ . قَالَ : وَقَدْ كَانَ بَلَغَنِي : أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخُبْزَ سَمِنَ . فَأَكَلْتُهَا ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِي عِطْفَيَّ : هَلْ سَمِنْتُ ؟!

---

(١) عطفيه : أي : كتفيه .

(٢) في « حلية الأولياء » (٦/ ٣٠٧) .

(٣) أي : في مَلَّة ، والمَلَّةُ : الرَّماد الحارُّ ، والجمر ، وخبز المَلَّة : ما يخبز فيها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ الصَّحَابةِ شِدَّةَ الْعَطَشِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تَعَالى

ما أَصَابَ الصَّحَابَـةَ ـ رضي الله عنهم ـ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ :

أَسْنَدَ ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ : حَدِّثْنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ[١] . فَقَالَ عُمَرُ : خَرَجْنَا إِلَىَ تَبُوكَ فِي قَيْظٍ[٢] شَدِيدٍ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، وأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ ؛ حَتَّى ظَنَنَّا : أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَذْهَبُ ، فَيَلْتَمِسُ الرَّحْلَ ، فَلاَ يَرْجِعُ ؛ حَتَّى يَظُنَّ : أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ ، فَيَعْتَصِرُ فَرْثَهُ ، فَيَشْرَبُهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْراً فَادْعُ اللهَ لَنَا . فَقَالَ : « أَوَ تُحِبُّ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : فَرَفَعَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا ؛ حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ ، فَأَطَلَّتْ ، ثُمَّ سَكَبَتْ . فَمَلؤوا مَا مَعَهُمْ ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ[٣] .

تَحَمُّلُ الْحَارِثِ وَعِكْرِمَةَ وَعَيَّاشٍ ـ رضي الله عنهم ـ الْعَطَشَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ـ رضي الله عنهم ـ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ وعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ

(١) العسرة : ضد اليسرة .
(٢) القيظ : أي : الحرُّ الشديد .
(٣) « البداية والنهاية » (٥/ ٩) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

ـ رضي الله عنهم ـ خَرَجُوا يَوْمَ الْيَرْمُوكِ حَتَّى أُثْبِتُوا ، فَدَعَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بِمَاءٍ لِيَشْرَبَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ ، فَقَالَ : ادْفَعْهُ إِلىٰ عِكْرِمَةَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ عِكْرِمَةُ نَظَرَ إِلَيْهِ عَيَّاشٌ ، قَالَ : ادْفَعْهُ إِلىَ عَيَّاشٍ. فَمَا وَصَلَ إِلىَ عَيَّاشٍ ؛ حَتَّى مَاتَ ؛ وَمَا وَصَلَ إِلىَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ؛ حَتَّى مَاتُوا[١] .

تَحَمُّلُ أَبِي عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ الْعَطَشَ في سَبِيلِ اللهِ تَعَالى :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَنَفِيَّةَ ؛ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَمْرٍو الأَنْصَارِيَّ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ بَدْرِيّاً[٣] ، عَقَبِيّاً[٤] ، أُحُدِيّاً[٥] ـ وَهُوَ صَائِمٌ ، يَتَلَوَّى[٦] مِنَ الْعَطَشِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ لِغُلَامِهِ : وَيْحَكَ ! تَرِّسْنِي[٧] ! فَتَرَّسَهُ الْغُلَامُ ؛ حَتَّى نَزَعَ بِسَهْمٍ نَزْعاً ضَعِيفاً حَتَّى رَمَى بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ قَصَرَ ، أَوْ بَلَغَ ؛ كَانَ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! » . فَقُتِلَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ .

---

(١) كَذَا فِي كَنْزِ الْعُمَّالِ (٥/ ٣١٠) وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣/ ٢٤٢) بِنحوِهِ .
(٢) في « المعجم الكبير » ، برقم : (٩٥١) .
(٣) نسبة إلى غزوة بدر .
(٤) نسبة إلى بيعة العقبة الثانية .
(٥) نسبة إلى غزوة أحد .
(٦) يتلوَّى : أي : يضطرب .
(٧) من (التُّرس) أي : احمني ، وكُنْ لي ساتراً .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ الصَّحَابةِ شِدَّةَ الْبَـرْدِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىَ اللهِ تَعَالَىَ

حَفْرُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ الْحُفْرَةَ لِلْبَرْدِ الشَّدِيدِ في غَزْوَةٍ :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ[1] عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ. قَالَ: فَأَوَيْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَىَ شَرَفٍ ، فَأَصَابَنَا بَرْدٌ شَدِيدٌ ؛ حَتَّى رَأَيْتُ الرِّجَالَ يَحْفِرُ أَحَدُهُمْ الْحُفْرَةَ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا ، وَيُلْقِي عَلَيْهِ حَجَفَتَهُ[2] . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ ، فَأَدْعُوَ لَهُ بِدُعَاءٍ يُصِيبُ فَضْلَهُ ؟ » فَقَامَ رَجُلٌ مِّنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ : فُلاَنٌ . قَالَ : « ادْنُهْ » ، فَدَنَا ، فَأَخَذَ بِبَعْضِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ الدُّعَاءَ. فَلَمَّا سَمِعْتُ : قُلْتُ : أَنَا رَجُلٌ. قَالَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ : أَبُو رَيْحَانَةَ. قَالَ : فَدَعَا لِي دُونَ مَا دَعَا لِصَاحِبِي ، ثُمَّ قَالَ : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ ! » .

---

(١) في مسنده : (٤/ ١٣٤) .
(٢) الحجفة : أي : التُّرس .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ الصَّحَابَةِ قِلَّةَ الثِّيَابِ في الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ

تَكْفِينُ حَمْزَةَ ، رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[١] عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ حَمْزَةَ ، وَمَا وَجَدْنَا لَهُ ثَوْباً نُكَفِّنُهُ فِيهِ غَيْرَ بُرْدَةٍ ، إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَهُ ؛ خَرَجَ رَأْسُهُ ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ ؛ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ؛ فَغَطَّيْنَا رَأْسَهُ ، وَوَضَعْنَا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِرَ[٢] .

قِصَّةُ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ ـ رضي الله عنه ـ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في هَذَا الْبَابِ :

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[٣]، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَسْأَلُهُ ، فَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَأَنَا أَلُومُهُ. فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَخَرَجْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى ابْنَتِي ؛ وَهِيَ تَحْتَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ ـ رضي الله عنه ـ فَوَجَدْتُ شُرَحْبِيلَ فِي الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : قَدْ حَضَرَتِ الصَّلاَةُ ؛ وَأَنْتَ فِي الْبَيْتِ ! وَجَعَلْتُ أَلُومُهُ. فَقَالَ : يَا خَالَةُ ! لاَ تَلُومِينِي ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لِي ثَوْبٌ ، فَاسْتَعَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ . فَقُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي ! كُنْتُ أَلُومُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ وَهَذِهِ حَالُهُ وَأَنَا لاَ أَشْعُرُ ! فَقَالَ شُرَحْبِيلُ : مَا كَانَ إِلَّا دِرْعاً[٤] رَقَّعْنَاهُ[٥] .

---

(١) في « المعجم الكبير » ، برقم : (٢٩٤١) .
(٢) الإذخر : حشيشةٌ طيبة الرائحة ، تُسقَف بها البيوت فوق الخشب .
(٣) في « المعجم الكبير » برقم : (٧٨٩) و (٧٩٥) .
(٤) الدِّرْع : أي : القميص .
(٥) رَقَّعناه : أي : أصلحناه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ أَبِي بَـكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ قِلَّـةَ الثِّيَابِ وَبِشَارَةُ جِبْرِيلَ عليه السلام لَـهُ عَلَى ذلِكَ :

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ ؛ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ وَعَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلاَلٍ ـ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ، عليه السلام، فَأَقْرَأَهُ مِنَ اللهِ السَّلاَمَ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلاَلٍ ؟! قَالَ : « يَا جِبْرِيلُ ! أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ ». قَالَ : فَأَقْرِئْهُ مِنَ اللهِ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَّهُ : يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ : أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا ، أَمْ سَاخِطٌ ؟ فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ : إِنَّ جِبْرِيلَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ مِنَ اللهِ، وَيَقُولُ : أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا ، أَمْ سَاخِطٌ ؟ » فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وقَالَ : أَعَلَى رَبِّي أَغْضَبُ ؟! أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ ! أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ !

تَحَمُّلُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قِلَّةَ الثِّيَابِ :

وَأَخْرَجَ هَنَّادٌ ، وَالدِّيْنَوَرِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : لَقَدْ تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا لِي وَلَهَا فِرَاشٌ غَيْرُ جِلْدِ كَبْشٍ نَنَامُ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، وَنَعْلِفُ(٢) عَلَيْهِ نَاضِحَنَا بِالنَّهَارِ ، وَمَالِي خَادِمٌ غَيْرُهَا(٣) .

تَحَمُّلُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ لِبَاسَ الصُّوفِ وَالْمُدَاوَمَـةِ عَلَى تَنَاوُلِ التَّمْرِ والْمَاءِ :

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ(٤) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَالَ : قَالَ لي أَبِي :

(١) في « حلية الأولياء » (٧/ ١٠٥) .
(٢) نعلف : أي : نطعم عليه العلف .
(٣) كذا في « كنز العمال » (٧/ ١٣٣) .
(٤) في كتاب اللباس ، باب في لبس الصوف ، والشعر ، برقم (٤٠٣٣) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

يَا بُنَيَّ ! لَوْ رَأَيْتُنَا ؛ وَنَحْنُ مَعَ نَبِيِّنَا ؛ وَقَدْ أَصَابَتْنَا السَّمَاءُ ؛ حَسِبْتَ : أَنَّ رِيحَنَا رِيحُ الضَّأْنِ[١] .

وأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ[٢] عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ . قَالَ لِي أَبِي ـ يَعْنِي : أَبَا مُوسَى ـ رضي الله عنه ـ: يَا بُنَيَّ ! لَوْ رَأَيْتُنَا ؛ وَنَحْنُ مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ إِذَا أَصَابَتْنَا السَّمَاءُ ؛ وَجَدْتَ مِنَّا رِيحَ الضَّأْنِ مِنْ لِبَاسِنَا الصُّوفِ .

تحَمُّلُ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ـ رضي الله عنهم ـ قِلَّةَ الثِّيَابِ :

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ .

وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ[٤] أَيْضاً عَنْ واثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ تَامٌّ ، قَدِ اتَّخَذَ الْعَرَقُ فِي جُلُودِنَا طَوْقاً مِنَ الْوَسَخِ ، وَالْغُبَارِ .

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ : أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ عَلَيْهَا ؛ وَعِنْدَهَا جَارِيَةٌ لَّهَا ، عَلَيْهَا دِرْعٌ[٥] ، ثَمَنُهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ ، فَقَالَتْ: ارْفَعْ بَصَرَكَ إِلَى جَارِيَتِي ، انْظُرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهَا تَزْهُو[٦] عَلَى أَنْ تَلْبَسَهُ فِي الْبَيْتِ ؛

(١) يعني : يثور من ثيابهم الرياحُ ، كما يثور من الضأن ؛ لأن عامة ثيابهم من الصوف ، والشعر .
(٢) في « الطبقات الكبرى » (٤/ ٨٠) .
(٣) في كتاب الصلاة ، باب نوم الرجال في المسجد (١/ ٦٣) .
(٤) في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٢) .
(٥) الدرع : الثوب الصغير .
(٦) تزهو : أي : تترفَّع عنه ، ولا ترضاه .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُنَّ دِرْعٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقَيَّنُ[1] بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ !

(١) تقيَّن : أي : تُزَيَّن لزفافها .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تحَمُّلُ الصَّحَابَةِ شِدَّةَ الْخَوْفِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تَعَالى

تحَمُّلُ الصَّحَابَـةِ ـ رضي الله عنهم ـ شِدَّةَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْبَرْدِ في لَيْلَةِ الأَحْزَابِ :

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[١] عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ أَخِي حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : ذَكَرَ حُذَيْفَةُ ـ رضي الله عنه ـ مَشَاهِدَهُمْ[٢] مَعَ رَسُولِ الله ﷺ . فَقَالَ جُلَسَاؤُهُ: أَمَا وَالله! لَوْ كُنَّا شَهِدْنَا ذَلِكَ ؛ لَكُنَّا فَعَلْنَا ، وَفَعَلْنَا ! فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَا تَمَنَّوْا ذَلِكَ ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَنَحْنُ صَافُّونَ قُعُودٌ ، وَأَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ فَوْقَنَا ، وَقُرَيْظَةُ الْيَهُودُ أَسْفَلَ مِنَّا ، نَخَافُهُمْ عَلَى ذَرَارِيِّنَا ، وَمَا أَتَتْ عَلَيْنَا لَيْلَةٌ قَطُّ أَشَدُّ ظُلْمَةً ، ولَا أَشَدُّ رِيحاً مِنْهَا ، فِي أَصْوَاتِ رِيحِهَا أَمْثَالُ الصَّوَاعِقِ ، وَهِيَ ظَلْمَةٌ مَّا يَرَى أَحَدُنَا إِصْبَعَهُ ، فَجَعَلَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ[٣] وَّمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ، فَمَا يَسْتَأْذِنُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَذِنَ لَهُ ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ ، وَيَتَسَلَّلُونَ[٤] وَنَحْنُ ثَلاَثُمِئَةٍ ، ونَحْوُ ذَلِكَ ؛ إِذِ اسْتَقْبَلَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً رَجُلاً ؛ حَتَّى أَتَى عَلَيَّ ، وَمَا عَلَيَّ جُنَّةٌ[٥] مِّنَ الْعَدُوِّ وَلَا مِنَ الْبَرْدِ إِلَّا مِرْطٌ[٦] لامْرَأَتِي مَا يُجَاوِزُ رُكْبَتَيَّ . قَالَ: فَأَتَانِي ؛

(١) في « المستدرك » (٣/ ٣١) .
(٢) المشاهد : أي : المغازي ، أي : الجهاد في سبيل الله .
(٣) أي : خالية من الرجال .
(٤) أي : يخرجون بتدريجٍ وخفيةٍ .
(٥) الجُنّة : التُّرُوس .
(٦) المِرط : كساء من صوف ، أو خزٍّ .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

وَأَنَا جَاثٍ عَلَى رُكْبَتَيَّ. فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ. فَقَالَ: «حُذَيْفَةُ!». فَتَقَاصَرْتُ[1] لِلأَرْضِ، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! ـ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَقُومَ ـ، فَقُمْتُ. فَقَالَ: «إِنَّهُ كَائِنٌ فِي الْقَوْمِ خَبَرٌ، فَائْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ». قَالَ: وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فَزَعاً وأَشَدِّهِمْ قُرّاً[2]. قَالَ: فَخَرَجْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ، وَمِنْ تَحْتِهِ».

قالَ: فَوَاللهِ! مَا خَلَقَ اللهُ فَزَعاً، ولَا قُرّاً فِي جَوْفِي إِلَّا خَرَجَ مِنْ جَوْفِي، فَمَا أَجِدُ فِيهِ شَيْئاً. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ؛ قَالَ ﷺ: «يَا حُذَيْفَةُ! لَا تُحْدِثَنَّ فِي الْقَوْمِ شَيْئاً؛ حَتَّى تَأْتِيَنِي». قَالَ: فَخَرَجْتُ؛ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ؛ نَظَرْتُ ضَوْءَ نَارٍ لَهُمْ تُوقَدُ، وَإِذَا رَجُلٌ أَدْهَمُ[3] ضَخْمٌ ـ يَقُولُ بِيَدَيْهِ عَلَى النَّارِ، وَيَمْسَحُ بِخَاصِرَتِهِ، وَيَقُولُ: الرَّحِيلَ، الرَّحِيلَ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَبَا سُفْيَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ـ. فَانْتَزَعْتُ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي أَبْيَضَ الرِّيشِ فَأَضَعُهُ فِي كَبِدِ قَوْسِي لأَرْمِيَهُ بِهِ فِي ضَوْءِ النَّارِ. فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ «لَا تُحْدِثَنَّ فِيهِمْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي»، فَأَمْسَكْتُ، وَرَدَدْتُ سَهْمِي إِلَى كِنَانَتِي، ثُمَّ إِنِّي شَجَّعْتُ نَفْسِي؛ حَتَّى دَخَلْتُ الْعَسْكَرَ، فَإِذَا أَدْنَى النَّاسِ مِنِّي بَنُو عَامِرٍ يَقُولُونَ: يَا آلَ عَامِرٍ! الرَّحِيلَ، الرَّحِيلَ! لَا مُقَامَ لَكُمْ! وَإِذَا الرِّيحُ فِي عَسْكَرِهِمْ مَا تُجَاوِزُ عَسْكَرَهُمْ شِبْراً، فَوَاللهِ إِنِّي لأَسْمَعُ صَوْتَ الْحِجَارَةِ فِي رِحَالِهِمْ وَفُرُشِهِمْ؛ الرِّيحُ تَضْرِبُ بِهَا! ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَلَمَّا انْتَصَفْتُ بِيَ الطَّرِيقُ ـ أَوْ نَحْوٌ مِنْ ذَلِكَ ـ إِذَا أَنَا بِنَحْوٍ

(١) أي: تصنَّعت القِصر.
(٢) القُرّ: البرد.
(٣) أدهم: أسود.

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

مِنْ عِشْرِينَ فَارِساً ـ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ـ مُعْتَمِّينَ[١] فَقَالُوا : أَخْبِرْ صَاحِبَكَ : أَنَّ اللهَ قَدْ كَفَاهُ . فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شَمْلَةٍ يُصَلِّي ؛ فَوَاللهِ مَا عَدَا أَنْ رَجَعْتُ رَاجَعَنِي الْقُرُّ وَجَعَلْتُ أُقَرْقِفُ[٢] ! فَأَوْمَأَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ ؛ وَهُوَ يُصَلِّي ؛ فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَأَسْبَلَ[٣] عَلَيَّ شَمْلَتَهُ ـ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ؛ صَلَّى ـ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الْقَوْمِ : أَخْبَرْتُهُ : أَنِّي تَرَكْتُهُمْ ؛ وَهُمْ يَرْحَلُونَ . قَالَ : وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(١) من الاعتمام : هو كفُّ العمامة على الرأس .
(٢) أقرقف : أي : أرعد من شدّة البرد .
(٣) أسبل : أي : أرخى وأسدل .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٥] .

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١) عَنْ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ ؛ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ ، وَأَبْلَيْتُ ! فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ رِيحٍ شَدِيدَةٍ وَقُرٍّ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَكُونُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاخْتِصَارٍ ، وَفِي حَدِيثِهِ : فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ، فَأَصَابَنِي الْبَرْدُ حِينَ رَجَعْتُ ، وَقُرِرْتُ(٢) ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَلْبَسَنِي مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا ، فَلَمْ أَبْرَحْ نَائِماً حَتَّى الصُّبْحِ . فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قُمْ يَا نَوْمَانُ »(٣) .

وأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ(٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ـ رضي الله عنه ـ مُنْقَطِعاً ، وَفِي حَدِيثِهِ : فَقَالَ : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ ، فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ، ثمَّ يَرْجِعُ ؟ ـ فَشَرَطَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ ـ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ » . فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَالْبَرْدِ .

(١) في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب (١/ ١٧٧) .
(٢) أي : بردتُ .
(٣) النّومان : وهو كثير النوم ، وأكثر استعماله في النداء .
(٤) سيرة ابن هشام : (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

تَحَمُّلُ الصَّحَابَةِ الْجِرَاحَ وَالأَمْرَاضِ فِي الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ

قصَّةُ رَجُلَيْنِ ـ رضي الله عنهما ـ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَوْمَ أُحُدٍ :

أَسْنَدَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] عَنْ أَبِي السَّائِبِ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ رَجُلاً مِّنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ؛ قَالَ: شَهِدْتُّ أُحُدًا أَنَا، وَأَخٌ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ. فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ ؛ قُلْتُ لأَخِي ـ أَوْ قَالَ لِي ـ: أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَّعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ ـ وَاللهِ ! ، مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا، وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ . فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحاً مِنْهُ ، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبَةً[٢] وَّمَشَى عُقْبَةً، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .

وذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ[٣] عَنِ الْوَاقِدِيِّ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وأَخَاهُ رَافِعَ بْنَ سَهْلٍ ـ رضي الله عنهما ـ هُمَا اللَّذَانِ خَرَجَا إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ[٤] وَهُمَا جَرِيحَانِ يَحْمِلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا ظَهْرٌ[٥] .

قصَّةُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ ـ رضي الله عنه ـ وَشَهَادَتِهِ يَوْمَ أُحُدٍ :

وَأَسْنَدَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٦] عَنْ أَشْيَاخٍ مِّنْ بَنِي سَلِمَةَ قَالُوا: كَانَ عَمْرُو بْنُ

(١) سيرة ابن هشام : (٢/ ١٠١) .
(٢) أي : نوبة بعد نوبةٍ .
(٣) في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٢١) .
(٤) اسم جبل ، يقع في جنوب المدينة المنوَّرة .
(٥) أي : شيء يركبانه ، كالبعير ، أو الفرس .
(٦) سيرة ابن هشام : (٢/ ٩٠) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الْجَمُوحِ ـ رضي الله عنه ـ رَجُلاً أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِّثْلَ الأُسُدِ يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ؛ أَرَادُوا حَبْسَهُ ، وَقَالُوا : إِنَّ اللهَ قَدْ عَذَرَكَ . فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَالَ : إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ ، فَوَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعُرْجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمَّا أَنْتَ ؛ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلاَ جِهَادَ عَلَيْكَ ! » . وَقَالَ لِبَنِيهِ : «مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَمْنَعُوهُ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَّرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ! » . فَخَرَجَ مَعَهُ ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ[1] عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ ؛ قَالَ : أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ حَتَّى أُقْتَلَ ؛ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ ؟ـ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «نَعَمْ» : فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ ، وَابْنَ أَخِيهِ ، وَمَوْلىً لَّهُمْ . فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَمْشِي بِرِجْلِهِ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ » . فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا ، وَبِمَوْلاَهُمَا ، فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ واحِدٍ .

قصَّةُ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، رضي الله عنه :

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[2] عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ جَدَّتِهِ : أَنَّ رَافِعَ بْنَ خَدِيْجٍ ـ رضي الله عنه ـ رُمِيَ ـ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ رحمه الله : لَا أَدْرِي أَيَّهُمَا قَالَ : يَوْمَ أُحُدٍ أَوْ يَوْمَ حُنَيْنٍ ـ بِسَهْمٍ فِي ثُنْدُوَتِهِ[3] . فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! انْزِعْ لِيَ السَّهْمَ . فَقَالَ لَهُ : « يَا رَافِعُ ! إِنْ شِئْتَ ؛

(١) في مسنده : (٥/ ٢٩٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٦/ ٩٦٣) .
(٣) الثُّنْدُوَة : هي للرَّجل بمنزلة الثدي للمرأة .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

نَزَعْتُ السَّهْمَ وَالْقُطْبَةَ[١] جَمِيعاً ، وَإِنْ شِئْتَ ؛ نَزَعْتُ السَّهْمَ ، وَتَرَكْتُ الْقُطْبَةَ ، وَشَهِدْتُّ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَنَّكَ شَهِيدٌ ! » . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! انْزِعِ السَّهْمَ ، وَاتْرُكِ الْقُطْبَةَ ، وَاشْهَدْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي شَهِيدٌ !

قالَ : فَعَاشَ حَتَّى كَانَتْ خِلاَفَةُ مُعَاوِيَةَ ـ رضي الله عنه ـ انْتَقَضَ الْجُرْحُ[٢] ، فَمَاتَ بَعْدَ الْعَصْرِ .

هكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ . وَالصَّحِيحُ : أَنَّهُ مَاتَ بَعْدَ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ كَذَا فِي الْبِدَايَةِ . قَالَ الحافظ ابن حجر : فِي « الإِصَابَةِ »[٣] : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الاِنْتِقَاضِ وَالْمَوْتِ مُدَّةٌ .

* * *

(١) القطبة : نصل السهم .
(٢) أي : فَسَد .
(٣) (١/ ٤٩٦) .

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
الباب الأول : الدعوة إلى الله تعريفها وتاريخها وتطورها	٩
الفصل الأول : تعريف مصطلحات الدعوة والداعي والمدعو	١١
تعريف الدعوة	١٣
ثانياً : تعريف الداعي	١٦
ثالثاً : تعريف المدعو	٢٧
الفصل الثاني : تاريخ الدعوة وتطورها	٣٧
القسم الأول : الدعوة قبل الإسلام	٣٩
دعوة نوح عليه الصلاة والسلام	٤١
دعوة هود عليه الصلاة والسلام	٤٤
دعوة صالح عليه الصلاة والسلام	٤٥
دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام	٤٦
دعوة لوط عليه الصلاة والسلام	٥٤
دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام	٥٥
دعوة شعيب عليه الصلاة والسلام	٦٣
دعوة موسى عليه الصلاة والسلام	٦٥
دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام	٨٨
القسم الثاني: دعوة خاتم النبيين وأفضل المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم	٩١
الدعوة في عهد الرسول ﷺ	٩٣
الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم	١١٥

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الموضوع **الصفحة**

الباب الثاني : نماذج للدعوة إلى الله تعالى في العصر النبوي **١٢١**
حبُّ النبي ﷺ للدعوة إلى الله والشغف بها ١٢٣
الدعوة للأفراد والأشخاص ١٣٧
دعوته ﷺ لأفراد المشركين ممن لم يُسلم ١٥٥
دعوته ﷺ الاثنين ١٥٧
عرضه ﷺ الدعوة على الجماعة ١٥٩
عرضه ﷺ الدعوة على المجامع ١٦٥
عرضه ﷺ الدعوة في مواسم الحج على قبائل العرب ١٦٧
عرضه ﷺ الدعوة في الأسواق ١٨٥
عرضه ﷺ الدعوة على عشيرته الأقربين ١٨٧
عرضه ﷺ الدعوة في السفر ١٩١
مشيه ﷺ على القدمين للدعوة ١٩٣
الدعوة إلى الله تعالى في القتال ١٩٥
إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله تعالى ٢٠١
إرساله ﷺ السرايا للدعوة إلى الله تعالى ٢٠٥
الدوة إلى الفرائض أثناء الدعوة إلى الله ٢١١
إرساله ﷺ الكتب مع أصحابه إلى ملوك الآفاق وغيرهم يدعوهم إلى الله تعالى ٢١٧
قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس ٢٤١
قصة صلح الحديبية ٢٤٤
قصة فتح مكة ٢٦٣
قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل ٢٨٠
قصة إسلام صفوان بن أمية ٢٨٣
قصة إسلام حويطب بن عبد العزى ٢٨٦
قصة إسلام الحارث بن هشام ٢٨٨
قصة إسلام النضير بن الحارث العبدري ٢٩٠

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الموضوع **الصفحة**

قصة إسلام ثقيف أهل الطائف ٢٩١
دعوة الصحابة للأفراد والأشخاص ٢٩٥
دعوة مصعب بن عمير ٢٩٧
دعوة طليب بن عمير ٣٠١
دعوة عمير بن وهب الجمحي ، وقصة إسلامه ٣٠٣
دعوة أبي هريرة ٣٠٧
دعوة أم سُليم ٣٠٩
دعوة الصحابة في القبائل وأقوام العرب ٣١١
دعوة ضمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر ٣١١
دعوة عمرو بن مرة الجهني في قومه ٣١٤
دعوة عروة بن مسعود في ثقيف ٣١٨
دعوة الطفيل بن عمرو الدوسي في قومه ٣٢٠
إرسال الصحابة الأفراد والجماعة للدعوة إلى الله ٣٢٣
إرسال الصحابة الكتب للدعوة إلى الله تعالى والدخول في الإسلام ٣٢٥
دعوة الصحابة في القتال في عهد النبي ﷺ ٣٣٣
دعوة الصحابة إلى الله تعالى في عهد أبي بكر رضي الله عنه ٣٣٧
دعوة الصحابة إلى الله تعالى في القتال في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣٤٣
قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية الناس ٣٦١
الباب الثالث : تحمُّل النبي ﷺ وأصحابه الشدائد في نشر الدعوة إلى الله تعالى ٣٦٩
تحمُّل الرسول ﷺ وأصحابه الشدائد في الدعوة إلى الله تعالى ٣٧١
تحمُّل النبي ﷺ الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله تعالى ٣٧٣
تحمُّل الصحابة الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله تعالى ٣٩٣
تحمُّل عامة أصحاب النبي ﷺ الشدائد ٤٢٢
تحمُّل النبي ﷺ وأصحابه الجوع في الدعوة إلى الله ٤٢٤

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

الموضوع **الصفحة**

جوع عامة أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم ٤٤١
تحمُّل الصحابة شدة العطش في الدعوة إلى الله تعالى ٤٤٩
تحمُّل الصحابة شدة البرد في الدعوة إلى الله تعالى ٤٥١
تحمُّل الصحابة قلة الثياب في الدعوة إلى الله تعالى ٤٥٣
تحمُّل الصحابة شدة الخوف في الدعوة إلى الله تعالى ٤٥٧
تحمُّل الصحابة الجراح والأمراض في الدعوة إلى الله ٤٦١
فهرس الموضوعات **٤٦٥**

●●●

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor

هذا الكتاب

لا بد لحملة رسالة الإسلام في عصرنا الحاضر إلى الآفاق، من الاطلاع على أخباره في الصدر الأول في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم؛ ليعلموا المنهج الذي سلكوه، والحكمة التي اتخذوها، والأخلاق التي تحلوا بها؛ لتكون تلك الأخبار نبراساً لأولئك في طريق نشرهم هذه الدعوة.

لقد قام المؤلف في هذا الكتاب بإفراز تلك الأخبار من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم من أصحابه رضي الله عهنم، من بطون كتب السير والتاريخ، وأودعها في طيات هذا الكتاب، كما أنه ألحق بمستهله تعريفاً وجيزاً بالدعوة إلى الله من لدن أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم إلى خاتمهم وأفضلهم محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام.

9 789695 830185 07282

PDF compression, OCR, web optimization using a watermarked evaluation copy of CVISION PDFCompressor